تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم
٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هـذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج٠ع٠م٠

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اختم بخير يا كريم

حرف الباء

وقعة بدر(1)

لما سمع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان أنه أقبل من الشام فى عِير قريش وأموالهم نَدبَ المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها فلعل الله أن ينفلكموها . فانتدب الناسَ نخفّ بعضهم وثقل بعض؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا ، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز ويسأل من لقى من الركبان ، خوفا على أموال الناس. حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولغيرك . فجدّ عند ذلك واستأجر ضَمضم بن عمرو الغِفارىّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم لأموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها فى أصحابه . فخرج ضمضم مسرعا إلى مكة .

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم قد رأت رؤيا أفزعتها . فبعثت إلى أخيها العباسِ وقالت : يا أخى قد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى وتخوّفت أن ينزل منها على قومك شرٌّ ومصيبة ، فاكتُمْ علىّ ما أُحدّثك . قال : هاتِ مارأيتِ . قالت :

---

(1) الأغانى : دار الكتب ٤/١٧٠ دار الثقافة ٤ /١٧٦ بولاق ٤/١٧ الساسى ٤ / ١٧ التجريد ١/٥٣٢ .

رأيت راكبا قد أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته أن انفِروا يا آل غُدَر إلى مصارعكم فى ثلاث. وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد الحرام والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : انفِروا انفِروا يا آل غُدَر إلى مصارعكم فى ثلاث . ثم مَثَل بعيرُه على رأس أبى قُبَيس ، فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تَهوِى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت ، فما بقى بيت من بيوت مكة حتى دخله منها فِلْذَة[1]. فقال العباس : إن هذه لرؤيا عجيبة رأيتِ فاكتميها ولا تظهريها.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عُتبة ، وكان له صديقا . فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش . قال العباس : فغدوت أطوف بالكعبة ، وأبو جهل بن هشام ورهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة . فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبِلْ إلينا . فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم . فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد مناف ، متى حدثتْ فيكم هذه النَّبِيَّة ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التى رأتها عاتكة . قلت : وما رأت ؟ قال : يا بنى عبد المطلب ، أمَا رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى [تتنبأت][2] نساؤكم ؟ وقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال: انفروا فى ثلاث . فسنتربّص بكم هذه الثلاث ، فإن يك ما قالت حقا فسيكون ، وإن تَمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذبُ بيتٍ فى العرب . قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبيرُ نكيرٍ إلا أنى[3] جحدت ذلك ،

---

(١) الفلذة : القطعة .

(٢) خلت منها نسخة ا .

(٣) فى طبعة الدار : كبير إلا أنى .

وأنكرت أن تكون رأت شيئا ، ثم تفرّقنا ، فما أمست امرأة من[١] بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم . ثم يتناول النساء وأنت تسمع . ثم لم يكن عندك غَيرة لما تسمع . قال[٢] : قد والله فعلت ، ما كان منى إليه نكير[٣] ، وايمُ اللهِ لأتعرضنّ له فإن عاد لأَكفينّكُموه[٤] . قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حَديد مغضب ، أرى أنه قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرّضه[٥] ليعود لبعض ما قاله فأقع به[٦] — وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان — إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ ، فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ؟ أ كل هذا فرَقاً من أن أشاتمه ؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمعه صوتَ ضمضم بن عمرو الغِفارىّ ، وهو يصرخ ببطن الوادى : يا معشر قريش اللطيمةَ اللطيمةَ ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوثَ الغوثَ ، قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعا وقالوا : لا يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمىّ[٧] ، كلا والله ليعلمن غير ذلك . وكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث

---

(١) فى طبعة الدار : فلما أمسيت لم تبق امرأة .

(٢) فى طبعة الدار : غير لشىء مما سمعت . قلت .

(٣) فى طبعة الدار : إليه من كبير .

(٤) فى أصول الأغانى وهنا كما أثبت . وغيرها محققو مطبوع دارالكتب « لأكفينكنه » نقلا عن السيرة لأن الخطاب لجماعة الإناث .

(٥) فى طبعة الدار : نحوه العرضنة .

(٦) فى طبعة الدار : ليعود لبعض ما كان فأوقع به .

(٧) هو عمرو بن الحضرمى .

مكانَه رجلا ، وأوعبت(١) قريشٌ لم يتخلّف من أشرافها أحـد . إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلّف فبعث مكانه العاصىَ بن هِشام ، وكان له عليه أربعة آلاف درهم ، استأجره بها على أن يخرج عنه(٢) . وقيل : إن أبا لهب قامر العاصى بن هشام فى مائة من الإبل فقمره أبو لهب ، ثم عاد فقمره أبو لهب ثم عاد فقمره الثالثة ، فذهبت بكل ما يملكه ، فقال له العاصى : أرى القِداح قد خدمتك(٣) يا ابن عبد المطلب ، هلُمَّ نجعلها على أيّنا يكون عبدا لصاحبه . قال : ذلك لك ، فدَحَاها ، فقمره أبو لهب فأسلمه قَيْناً ، وكان يأخذ منه ضريبة ، فلما كان يوم بدر ، وأخذت قريشٌ كلَّ رجلٍ لم يخرج بإخراج رجلٍ مكانَه ، أخرجه عنه أبو لهب ، وشرط العتق ، فخرج ، فقتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكان أميّة بن خَلف قـد أجمع القعود ، وكان شيخا ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبى مُعيط ـ وهو جالس فى المسجد بين ظهرانَىْ قومه ـ بمجْمَرة يحملها ، فيها نار وعود ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علىّ استجْمر ، فإنما أنت امرأة من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئتَ به . ثم تجهّز وخرج مع الناس ، فلما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا . فتبدَّى لهم إبليس فى صورة سُراقة ابن جُعْشُم(٤) المُدْلجىّ . وكان من أشراف كنانة ، فقال : إنى جارٌ لـكم من أن تأتيـكم كنانة بشىء تـكرهونه . فخرجوا سراعا .

---

(١) فى نسخة ا : ولوعنت .

(٢) فى الأغانى : وكان لط له بأربعة آلاف كانت له عليه أفلس بها فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه .

(٣) فى الأغانى : حالفتك .

(٤) فى التيمورية : خثعم .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لثلاث خلون من شهر رمضان فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، وكان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا ، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا . وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه . وصاحب راية الأنصار سعد بن عُبادة .

قال البَرَاء : وكنا نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر . ولم يجز معه إلا مؤمن .

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبى صَعصعة أخا بنى مازن بن النجار ، فلما كان قريبا من الصَّفْراء بعث بَسْبَسَ بنَ عمرو الُجهنىّ حليفَ بنى ساعدة ، وعدىَّ بنَ أبى الزَّغْباء الُجهنى حليف بنى النجّار يتجسسان له الأخبار عن أبى سفيان وعيره ، فلما استقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصفراء — وهى قرية بين جَبلين — سأل عن اسمى جبليها[(١)] ، فقيل : يقال لأحدهما : مُسْلِح ، والآخر مُخرِئ . وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النار وبنو حُرَاق — بطنان من بنى غِفار — فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجنب المرور بينهما تفاؤلا بأسمائهما وأسماء أهليهما فتركهما والصفراء بيسار[(٢)] وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذَفِرَان ، فلما كان ببعضه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم[(٣)] ليمنعوا عِيرهم ، فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم الناسَ ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فأحسن القول ، ثم قام المقداد[(٤)] بن عمرو فقال : يارسول الله ، امضِ لما أمرك الله فنحن معك : فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهبْ أنتَ

---

(١) فى الأغانى: عن جبليها ما اسماهما .

(٢) فى الأغانى : يسارا .

(٣) فى الأغانى: عن قريش بمسيرهم.

(٤) فى الأغانى: فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد .

وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون[١] ولكن نحن معك مقاتلون[٢] ، والذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بِرَك الغُماد — يعنى مدينة الحبشة — لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له .

قال عبد الله بن مسعود : لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما فى الأرض، يعنى هذا المقال. وكان رسول الله[٣] صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمرّت وجنتاه فأتاه المقداد على تلك الحال فقال : أبشر يارسول . فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فاذهبْ أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذى بعثك بالحق لنقاتلن[٤] بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك أو يفتح الله عز وجل. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشيروا علىّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس . وكانوا لما بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنّا بُرَآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلى ديارنا فأنت فى ذمامنا ، نمنعك مما نمنع به نساءنا وأبناءنا ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألّا تكون الأنصار ترى نُصرتَه إلّا ممن دَهمه بالمدينة من عدوّه ، وليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ فى بلاد غيرهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن مُعاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ، لما كنا قلناه فى ذمامك ؟ قال : أجل قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أنّ ماجئت به لهو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض بنا يا رسول لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا فى البحر لخضته لخضناه معك ما بقى منا رجل واحد ،

---

(١) من سورة المائدة الآية ٢٤ وأولها « فاذهب » .

(٢) فى الأغانى : ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون معلمون .

(٣) فى الأغانى : مما فى الأرض من كل شىء كان رجلا فارسا وكان رسول الله . الخ .

(٤) فى الأغانى : لنكونن .

ومانكره أن تلقى بنا عدونا(١) إنّا لصبُرٌ عند الحرب، صدُق عند اللقاء، لعل الله أن يُريك منا ماتقرّ به عيناك، فسرْ بنا على بركة الله عز وجل. فسار بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد وسُرّ بذلك ونَشِط(٢) ثم قال: سيروا على بركة الله. وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين(٣) والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِران(٤) وسار حتى نزل قريبا من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه(٥) حتى وقف على شيخ من العرب. فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ومابلغه عنهم. قال: أخبرانى من أنتما؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذ أخبرتنا أخبرناك» فقال: وذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهو اليوم بمكان كذا وكذا — المكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم — وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذاوكذا — المكان الذى به قريش — فلما فرغ من خبره قال: فمن أنتما؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن من ماء. ثم انصرف عنه، قال: يقول الشيخ: من ماء؟ أمِن ماء العراق؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه. فلما أمسى بعث النبى صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر. فأصابوا راوية لقريش، فيها أسلمُ

---

(١) فى الأغانى: عدوا غدا.

(٢) فى الأغانى: فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم [بقول سعد] ونشطه ذلك.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى «وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم.» الآية ٧ من سورة الأنفال. والطائفتان: العير والنفير. (٥) هو أبو بكر

(٤) هنا زيادة فى الأغانى.

مولى الحجّاج(١) وغريض بن بشار(٢) مولى بنى العاص ، فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، فسألوهما . فقالا : نحن سُقاة لقريش . بعثونا لنسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورَجَوا أن يكونا لأبى سفيان . فضربوهما . فقالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلّم فقال : إذا صدقا كم ضربتموهما ، وإذا كذبا كم تركتموهما . صَدَقا والله إنهما لِقُريش ، أَخبِرانى أين قريش ؟ قالا : وراء الكثيب الذى تَرَى بالعُدْوَة القصوى ـ والكثيبُ: العَقَنْقَل ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كم القوم؟» قالا : كثير. قال: « كم عِدّتُهم؟ »(٣) قالا : لا ندرى قال: « كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوما تسعا ويوما عشرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القوم ما بين التسعمائة والألف ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة] وأبو البخترىّ بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خُويلد والحارث بن عامر وطُعيمة بن عدىّ والنضر بن الحارث وزَمَعَة ابن الأسود . وأبو جَهل بن هشام . وأميّة بن خلف ونُبيه ومنبه [ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو] وعمرو بن عبد وُدّ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ كبدها(٤) .

وقد كان بَسْبس وَعدىّ مضيا حتى نزلا بدرا فأناخا على الماء ، ثم أخذا شَنًّا يستقيان فيه(٥) فسمع بسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان على الماء .

---

(١) فى الأغانى : غلام بنى الحجاج .

(٢) فى أصول الأغانى : غريض بن يسار « وغيرت فى طبعة الدار إلى عريض بن يسار » تبعا لابن هشام والطبرى .

(٣) فى الأغانى : كم القوم ؟

(٤) فى الأغانى : قدرمت إليكم أفلاذ كبدها .

(٥) فى الأغانى بعدها : ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء فسمع عدى وبسبس .

والملزومة تقول لصاحبتها : إنما يأتى العير غدا أو بعد غد ، ثم أعمل لهم وأقضيك الذى لك[١]. فسمع عدى وبسبس ذلك ، فاستويا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان حتى تقدّم العير حَذِرا فورد الماء . فقال لمجدىّ بن عمرو : هل أحسست أحدا ؟ قال : ما رأيت أحدا أنكره إلا أنى رأيت راكبين أناخا على هذا التل ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما ، فأخذ منه البعر[٢] ففتّه فإذا فيه نوًى فقال : هذه علائف يثرب. ورجع إلى أصحابه سريعا ، فصرف وجه عيره عن الطريق، وترك بدْراً يسارا ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الُجحْفة رأى جُهيم[٣] بن الصَّلت بن المطّلب رؤيا . فقال : إنى رأيت — وإنى لبين النائم واليقظان — رجلا أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ثم قال : قُتِل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف — وعدَّد رجالا ممن قتل يومئذ من أشراف قريش — ورأيته ضرب فى لَبَّةِ بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح[٤] من دمه . قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبىٌّ آخر من بنى عبد مناف[٥] سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم

---

(١) فى الأغانى بعدها : قال مجدى : صدقت ، ثم خلص بينهما .

(٢) فى الأغانى : فأخذ من أبعار بعيريهما .

(٣) فى الأغانى : « جهيم بن أبى الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب » هذا، والأسلوب يختلف قليلا بعده فى سياق هذه الرؤيا .

(٤) فى التيمورية : نشج .

(٥) فى الأغانى : عبد المطلب .

لتمنعوا عيركم (١) وقد نجاها الله عز وجل . فارحلوا (٢) . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بَدْرا ـ وكانت بدرٌ موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم بها سوق كل عام ـ فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان . وتسمع العرب فيها موقعا فامضوا (٣) ، فقال الأخنس بن شَرِيق الثقفىّ ـ وكان حليفا لبنى زهرة ـ : يابنى زهرة ، قد نجى الله عِيركم وإنما خرجتم لتمنعوها ، فارجعوا فلا حاجة لكم فى أن تخرجوا . فرجعوا فلم يشهدها زهرى واحد ، وكان فيهم مطاعا . ولم يكن بقى فى قريش بطن إلا نَفَر منهم ناس ، إلّا بنى عدى بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد ، ومضى القوم . وكان بين طالب بن أبى طالب ـ وهو فى القوم ـ وبين بعض قريش محاورة فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ـ وإن خرجتم معنا ـ أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال ابن الكلبى إن طالب بن أبى طالب خرج مع المشركين كرها فلم يوجد فى الأسرى ولا فى القتلى ولا رجع إلى أهله ـ وكان شاعرا مجيدا وهو الذى يقول :

يارب إما يغزونّ طـالبْ فى مِقنَب من هذه المقانبْ
فليكن المسلوب غير السالبْ وليكن المغلوب غير الغالبْ]

ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصوى من الوادى . خَلْف العَقَنْقَل ، وبطنُ الوادى بين بدر وبين الكثيب الذى خلفه قريش (٤) ، والقَليب ببدر فى

---

(١) فى الأغانى : عيركم ورحالكم وأموالكم .

(٢) فى الأغانى : فقد نجاها الله فارجعوا .

(٣) فى الأغانى: « وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا » هذا ، وفى الأغانى زيادات بعد ذلك فى السياق .

(٤) فى الأغانى : وبطن الوادى وهو يليل بين بدر وبين العقنقل : الكثيب الذى خلفه قريش . وهذا يتفق مع نقل ياقوت عن ابن إسحاق صاحب السيرة فى « يليل » .

العُدوة الدُّنيا، وبعث الله السماء وكان الوادى دَهْساً(١)، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ما لَبَّدَ لهم الأرض ولم يمنعهم السَّيْر . وأصاب قريشاً منها مالم يقدروا أن يرتحلوا معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بدر نزل به . فقال الحُباب بن المنذر : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل أمنزلٌ أنزلَكه الله تعالى ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخره . أم هو الرأى والحرب والمكيدة . ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : يارسول الله إن هذا ليس بمنزل فارْحَل(٢) بالناس حتى تأتى أدنى ماءٍ من القوم فننزله . ثم نعوِّر(٣) ماسواه من القلب ثم نبنى عليه حوضا نملؤه ماء . ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس . حتى أَتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فَعُوِّرتْ وبَنَى حوضا على القليب الذى نزل عليه ومليء ماء . ثم قذفوا فيه بالآنية . ثم قال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، نبنى لك عريشا من جريد فتكون فيه ثم نلقى عدونا ، فإن نحن أعزّنا الله تعالى وأظهرنا على عدوِّنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلستَ على رِكابك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلّف عنك أقوام ما نحن بأشدّ حبّا لك منهم يارسول الله . ولو ظَنُّوا أنك تلقى حربا ماتخلّفوا عنك ، يمنعك الله بهم فيجاهدون معك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير . وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فكان فيه . وأقبلت

---

(١) الدهس : الأرض السهلة يثقل فيها المشى .

(٢) فى الأغانى : فانهض .

(٣) عور الركية وأعارها وعارها : طمها وسدد أعينها التى ينبع منها الماء . وفى حديث على: أمره أن يعور آبار بدر .. انظر اللسان «عور» وفى الأصل كأصول الأغانى : يغور .

قريش ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوّبُ(١) من العقنقل — وهو الكثيب الذى جاءوا منه — إلى الوادى قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تحادُّك وتكذب نبيك ورسولك اللهم فنصرَك الذى وعدتنى » فلما نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حكيم بن حِزَام على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوهم » فما شرب منهم رجل إلّا قتل يومئذ إلا حكيم بن حِزام فإنه لم يُقتَل ، نجا على فرس له . وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه . وكان — رضى الله عنه — إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجّانى يوم بدر .

ولما اطمأن القوم بعثوا عُمَير بن وهب الُجمحى فقالوا : احْزُر(٢) لنا أصحاب محمد . فاستجال فرسه حول العسكر ، ثم رجع إلى القوم فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا . لكن أنظرونى(٣) حتى أنظر : هل للقوم كمين أو مَدَدٌ ؟ فضرب فى الوادى حتى أمعن فلم ير شيئاً فرجع إلى القوم وقال: لم أر مددا ، ولكنى يامعشر قريش رأيت قوماً لا يُقتل أحدٌ منهم حتى يَقتل جماعة منكم ، فإن أصابوا منكم عددهم فما فى العيش خير بعد ذلك . فلما سمع حكيم بن حزام أبى عُتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير فى قريش(٤) وسيدها والمطاع فيها ، هل لك ألّا تزالَ تُذكَرُ بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : ترجع بالناس وتتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحَضْرَمىّ . قال : فعلت ، وإنما هو حليفى فعلىَّ عَقْلُه وما أُصيب

(١) التصويب خلاف التصعيد . والتصوب : الانحدار .

(٢) الحزر: التقدير بالحدس .

(٣) فى الأغانى: «يزيدون قليلا أو ينقصونه ولكن أمهلونى .. » هذا، وفى سياق الأغانى زيادات بعد ذلك .

(٤) فى الأغانى : كبير قريش .

من ماله . فأْتِ ابنَ الحنظليَّة ؛ فإنى لا أخشى أن يُفسد أمرَ النـاس غيرُه ـ يعنى أبا جهل ـ فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته ، فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه ومن ورائه ، وإذا ابن الحضرمىٍّ واقفٌ على رأسه وهو يقول : قد فَسخت عُقدتى من بنى عبد شمس وعقدى إلى بنى مخزوم[١] ، فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك ؟ فقال : أما وجد رسولا غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولا لغيره . قال : فقام أبو جهل مبادرا إلى عتبة ، وعتبة متـكىء على إيماء بن رخصة[٢] الغفارى . فطلع أبو جهل والشرُّ فى وجهه ، فقال لعتبة : انتفخ سَحْرُك[٣] ، فقال له عتبة : ستعلم . فسلّ أبو جهل سيفه فضرب به مَتْنَ فرسه ، فقال إيماء بن رخصة : بئس الفأل[٤] هـذا . فقام عتبة بن ربيعة خطيبا فقال : يا معشر قريش ، إنـكم والله ما تصنعون بأن تَلْقَوْا محمدا وأصحابه شيئا . والله لئن أصبتموه لا يزال رجلٌ ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه . قتل عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا محمدا وسائرَ العرب ، فإن أصابوه فذلك أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تَعْدَموا منه ما تريدون . فقال أبو جهل لعامر بن الحضرمى : قم فانشد مقتل أخيك . فقام عامر

---

(١) فى التيمورية من بنى عبد شمس ومن بنى مخزوم .

(٢) فى الأغانى : رحضة . وفى الإصابة فى ترجمته له : رخصة . وفى شرح القاموس مادة «رحض» ذكره وذكر ابنه خفافا . وضبطه بفتح الراء والحاء وبضم الراء وبفتح الراء مع سكون الحاء . هذا ، وفى الإصابة فى ترجمة خفاف بن إيماء بن رخصة نص على أنه بفتح الراء المهملة ثم معجمة . وفى تهذيب التهذيب فى ترجمة خفاف بن إيماء رحضة وبهامشه نقلا عن المغنى : براء ومهملة وضاد .

(٣) يكنى عن الجبن بانتفاخ السحر . والسحر : الرئة وما حولها ، فالجبان يملأ الخوف جوفه فيمتلىء سحره .

(٤) فى الأغانى : بئس المقام .

فصاح : واعَمْرَاه واعَمْرَاه . فَحَمِيَت الحربُ واستوثقوا[١] على ما هم عليه من الشر ، وأفسد أبو جهل على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة . ولما سمع[٢] عتبة قول أبى جهل قال : ليعلم المُصَفِّر استَه من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم التمس بَيضَةً يُدخِلها رأسه . وبرز الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وكان رجلا شرسا سيِّىء الخُلُق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنَّه أو لأموتنّ دونه . فلما دنا خرج له حمزة بن عبد المطلب — رضى الله عنه — فلما التقيا ضربه حمزة فأبانَ قَدَمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُب رِجلُه دماً ، فحبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ يمينَه ، فضربه حمزة فقتله فى الحوض . فخرج بعده عُتبة ابن ربيعة مع أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، فدعوا إلى المبارزة ، فخرج من الأنصار عوف ومعوِّذ ابنا الحارث ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : من الأنصار ، فقالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى منادٍ منهم : يا محمد ، أَخْرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة ، قم يا علىّ بن أبى طالب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، فدنوا منهم ، فقالوا : من أنتم ؟ فقال عُبيدة : أنا عبيدة ، وقال حمزة : أنا حمزة ، وقال علىّ : أنا علىّ . فقالوا : نعم ، أكفاء كِرام ، فبارز عُبيدةُ عُتبةَ ، وبارز حمزةُ شيبةَ ، وبارز علىٌّ الوليدَ . فأما حمزة فلم يُمهل شيبةَ حتى قتله . ولم يُمهل علىٌّ الوليدَ حتى قتله . واختلف بين عُبيدةَ وعتبةَ ضربتان ، كلاهما أثبت صاحبَه ، فكرّ علىٌّ وحمزةُ بسيفيهما على عتبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة فجاءا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد قُطِعَت رِجله ومخُّها يسيل ،

---

(١) فى الأغانى : واستوسقوا « أى اجتمعوا » .

(٢) فى الأغانى : بلغ .

فلما أتوا به قال : يا رسولَ الله ، ألستُ شهيداً ؟ قال : بلى . فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنى أحق منه بما قال حين يقول :

ونُسْلِمه حتى نصرَّع حَولَه ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ

ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يَحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إذا اكْتَنَفَكم القومُ فانضحوهم بالنَّبل .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة ، صبيحة سبعَ عشرة من شهر رمضان .

ولما عدَّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفوفَ أصحابه مرَّ بسَوَاد بن غَزِيَّةَ حليفِ بنى عدىٍّ بن النجَّار وهو خارج من الصفّ، فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بطنه بقِدْح فى يده ثم قال : «أُسْتَوِ ياابن غَزِيَّةَ » فقال : يارسول الله أوجَعْتَنى فأقِدْنى فإنما أنت رحمة . فكشف[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : « اسْتَقِدْ » فاعتنقه وقبَّل بطنَه . فقال : «ما حملك على هذا ياسَواد ؟ » فقال : يارسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمن الشهادة ، فأردت أن يمسَّ جلدى جلدَك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير .

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وكثرتهم[2] ونظر إلى إصحابه نيّفا على ثلاثمائة استقبل القبلة[3] فجعل يدعو ويقول: « اللهم أَنجِزْ لى ماوعدتنى ، اللهم إن تَهْلِك هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تُعْبَد فى الأرض » فلم يزل حتى

---

(١) فى الأغانى : فقال: يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق فأقدنى. قال: فكشف .
(٢) فى الأغانى : وعدتهم .
(٣) فى الأغانى : الكعبة .

سقط رداؤه ، فأخذه أبو بكر فوضعه عليه . ثم التزمه من ورائه ثم قال : [كفاك يا نبي الله مناجاتك لربك، بأبي أنت وأمي ؛ فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله عز وجل « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مُردفين » (١) وقال ابن عباس : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في فتنة يوم بدر : اللهم إني أسألك وعدك وعهدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم فأخذ أبو بكر رسول الله صلى الله وسلم وقال:](٢) حسبُك يا نبيَّ الله مناجاتُك. لقد ألححتَ على ربك . فخرج وهو يقول: « سَيُهْزَمُ الجمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرُ* بل الساعةُ موْعِدُهُمْ والساعةُ أدْهَى وأَمَرُّ »(٣) ثم خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة في العريش ، وانتبه فقال : ياأبا بكر ، أتاك نصر الله . هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده .

ورُمِي مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب فمات(٤) ، فكان أول قتيل من المسلمين . ثم قتل حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض . وحرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على القتال وقال : والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتَل صابرا غيرمدبر إلّا أدخله الله الجنة . فقال عمير أخو بني سلمة — وفي يده تمرات يأ كلها — بخٍ بخٍ مابيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن أقتل ؛ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل القوم حتى قُتِل ، وهو يقول :

رَكْضا إلى الله بغير زادِ إلّا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفادِ
غير التقى والبر والرشاد

(١) سورة الأنفال الآية ٩
(٢) هذه الزيادة في ا .
(٣) سورة القمر الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .
(٤) في الأغاني : بسهم فقتل .

[ثم إن عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال : يارسول الله ، ما يُضحك الرب تبارك وتعالى من عبده؟ قال: غمسه: يده فى العدو حاسرا . فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل .

ولما دنا الناس والتقوا] قال أبو جهل : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأهلكه (١) الغداةَ . فدعا على نفسه .

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء ثم قال : « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها . ثم قال لأصحابه « شُدُّوا » فكانت الهزيمة . وقتل الله [تعالى من قتل من] صناديد قريش ، وأُسر من أشرافهم (٢) فلما وضع القوم أيديهم يأسرون — ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشِّحا سيفه فى نفر من الأنصار يحرسونه من كرَّة العدو — رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجه سعد بن معاذ لما يصنع بقريش ، فقال « كأنك كرهت مايصنع بالمشركين ؟ » فقال : نعم يارسول الله . وكان الإثخان بالقتل أعجب إلىّ (٣) من استبقاء الرجال وأسرهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رجالا من بنى هاشم أُخرجوا كرها لقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله . فإنما خرج مستكرها . فقال أبو حذيفة: أَنقتل أبناءنا وإخواننا وعشيرتنا

---

(١) فى الأغانى : فأحنه .

(٢) فى الأغانى : وقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر منهم . وفى مخطوط الإسكندرية : وقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش وأسر من أشرافهم .

(٣) فى الأغانى: أعجب إلى. وكذلك فى نسخة المؤلف ونسخة الإسكندرية. أما التيمورية ففيها : أحب إلى .

ونترك العباس ؟ والله لئن لقيته لألحمنّه بالسيف[1] فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر[2] بن الخطاب رضى الله عنه : يا أبا حفص ، أتسمع إلى ما يقول أبو حذيفة ؟ يقول: أضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف ، فقال عمر: دعنى أضرب عنقه يا رسول الله[3] فوالله لقد نافق .

وكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ تلك الكلمةَ التى قُلتُ يومئذ ولا أزال خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيدا . [ونهى[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البخترى وهو العاص بن هشام لأنه كان أكف الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شىء يكرهه . وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب[5] فلقيه المجذّر بن ذياد البلوى حليف الأنصار من بنى عدىّ ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك . قال : وزميلى ؟ فقال المجذر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك . وكان مع أبى البخترى جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد ، خرج معه من مكة زميله. وقال له المجذر : ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بك وحدك . قال : إذن لأموتن أنا وهو جميعا ولا تتحدث عنى نساء قريش وأهل مكة أنى تركت زميلى حرصا على الحياة. فقال أبو البخترىّ حين نازله المجذر وأبى إلا القتال :

لن يُسلم ابنُ حُرَّةٍ أكيلَهُ حتّى يموت أو يرى سبيلَهُ

---

(١) فى الأغانى : لألجمنه السيف .

(٢) فى ا : فجعل يقول لعمر .

(٣) فى ا : دعنى يا رسول الله فلأضرب عنقه بالسيف .

(٤) هذه الزيادة بين معقوفين من نسخة ا وتتفق مع ما فى الأغانى . وخلت منها نسختا (ت ، ك) .

(٥) فى أصل نسخة ا بعض أخطاء : العاص بن هاشم ... على بنى هاشم وبنى عبد المطلب.

واقتتلا فقتله المجذّر بن ذياد ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق يارسول الله لقدجهدت عليه أن يستأسر فآتيك به أسيراً ، فأبى إلا القتال فقاتلته فقتلته] .

قال عبد الرحمن بن عوف: كان أمية بن خلف صديقى بمكة . وكان اسمى عبد عمرو فلما أسلمت تسميت عبد الرحمن ونحن بمكة . فكان يلقانى فيقول : ياعبد عمرو ، أرغبت عن اسمٍ سمَّاك به أبوك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : إنى لا أعرف عبد الرحمن ولكن اجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به ، أما أنت فإنك لا تجيبنى إذا دعوتك باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك إلا بما أعرف . فكان إذا دعانى ونحن فى مكة: ياعبد عمرو لا أكلمه ولا أجيبه . قال عبد الرحمن : فقلت له يوما : اجعل بينى وبينك يا أبا علىّ ماشئت أن تدعونى به غير عبد عمرو. فقال : أنت عبد الإله . فقلت له : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : ياعبد الإله . فأجيبه . فأتحدث معه ثم أنصرف عنه، فلما كان يوم بدر [بعد القتال وقد جمعت أدراعا من على القتلى](١) مررت به وهو واقف مع ابنه علىّ بن أمية آخذا بيده ومعى أدراع قد استلبتها وأنا أحملها . فلما رآنى قال: ياعبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : ياعبدالإله. فقلت : نعم. قال: هل لك فِىَّ ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع . قات : نعم هلُمَّ إذاً . قال : فطرحت الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : مارأيت كاليوم قط . أمالكم حاجة فى اللبن(٢)؟ ثم خرجت أمشى بهما . فقال: ياعبد الإله ، من الرجل المُعلم [منكم] بريش نعامة فى صدره ؟ قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

---

(١) زيادة فى (ت.ك) خلت منها (ا) والأغانى ومايأتى بعد يدل على أن الزيادة لا محل لها.

(٢) بهامش نسخة (ا ، ك) قوله : « مالكم حاجة فى اللبن » يعرض بأنه يفتدى نفسه بكثير من الإبل .

فبينا أنا أقودهما إذ رآه بلال معى ـ وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتجعل على صدره ، فيقول : لا يزال هكذا حتى يفارق دين محمد . فيقول بلال : أحد أحد ـ فلما رآه بلال قال حين رآه : رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوتُ إن نجــوتَ . قال : فقلت : أىْ بلال أبأسيرىّ ؟ قال : لا نجـوت إن نَجَوَا . قال : قلت [بأسيرىّ][1] تسمع يا ابن السوداء ؟ قال : لا نجوت إن نَجَوَا. ثم صاح بأعلى صوته: [ياأنصارالله][2] رأس الكفر أمية بن خلف فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المَسَكَة[3] وأنا أذبّ عنه ، فضرب رجل ابنه فوقع . وصاح أمية[4] صيحة ماسمعت مثلها قط . قال:قلت انجُ بنفسك ولا نَجَاء ، فوالله ما أُغنى عنك شيئاً ، فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما ، فـكان عبدالرحمن يقول : رحم الله بلالا ، ذهبت أدراعى ، وفجعنى بأسيرىّ .

قال ابن عباس : حدثنا رجل من غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تـكون الدائرة ، فننهب مع من ينهب ، فبينا نحن فى الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا منها حمحمة الخيل وسمعت قائلا يقول : أقدِمْ حَيزوم ، فأما ابن عمى فانـكشف قِناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فـكدت أهلك ثم تماسكت .

وقال أبو أمامة بن سهل بن حُنَيف: قال لى أبى : لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا لَيُشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

---

(١) زيادة فى ا ، ك والأغانى .

(٢) زيادة فى (ا) والأغانى .

(٣) المسكة : السوار .

(٤) فى (ت): وصاح ابنه .

وقال أبو داود المازنى(١) : إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أن قد قتله غيرى .

قال عبد الله بن عبّاس: وكانت سيما الأنصار(٢) عمائم بيضاء يوم بدر قد أرسلوها فى ظهورهم ، ويوم حنين(٣) عمائم حمرا . ولم تقاتل الملائكة فى يوم من الأيام سوى بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَدَدا ومَددا لا يضربون .

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر أمر بأبى جهل أن يُلتمس فى القتلى ، وقال : « اللهم لا يُعجِزَنَّك » فكان أول من لقى أبا جهل مُعاذُ بنُ عمرو(٤) بن الجموح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة(٥) وهم يقولون: أبو الحكم ، لا يُخْلَص إليه . فلما سمعتها جعلته من شأنى ، فصَمَدْتُ(٦) نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنَّتْ قدمه بنصف ساقه ، فوالله ماشبهتها حين طاحت إلا النواةَ تَطِيح من تحت مِرْضَخة النوى حين يضرب بها ، قال : وضربنى ابنُه عِكرمةُ على عاتقى فطرح يدى ، فتعلقت بجِلدة من جَنْبى . وأَجهضنى(٧) القتال عنه ، ولقد قاتلت عامة يومى وإنى لأسحبها خلفى ، فلما آذتنى جعلت عليها رجلى ، ثم تمطيت بها حتى طرحتها . ثم عاش معاذ بعد ذلك إلى زمن عثمان . قال: ثم مرَّ

---

(١) فى « ت » البارقى .

(٢) كذا فى (ت ، ك) أما فى ا فقد ضرب على كلمة الأنصار ووضع فوقها كلمة الملائكة وفى الأغانى: الملائكة .

(٣) فى (ت) : خيبر .

(٤) فى (ت) عمير .

(٥) الحرجة: مجتمع شجر ملتف.

(٦) صمدت : قصدت . وفى الأغانى : فعمدت .

(٧) أجهضه عن الأمر : أبعده .

مُعوِّذ بن عَفراء بأبى جهل وهو عَقِير[١] ، فضربه حتى أثبته[٢] ، فتركه وبه رمق ، وقاتل مُعوِّذ حتى قُتِل ، فمرَّ عبد الله بن مسعود بأبى جهل ، وكان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القتلى وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظروا إن خَفِى عليكم فى القتلى إلى أَثَر جُرح فى رُكبته ، فإنى ازدحمت أنا وهو[٣] يوما على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ونحن غلامان وكنت أشبَّ منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه ، فسُحِج[٤] فى إحداهما سَحْجاً لم يزل به أثره . قال عبد الله ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلى على عنقه . وكان قد ضَبث بى مرة بمكة فآذانى ولكزنى ، ثم قلت : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ قال : وبماذا أخزانى ؟ [٥][هل أعمد[٦] من رجل قتلتموه ! لمن الدبرة[٧] ؟ قلت : لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. ثم قال أبو جهل][٥]: لقد ارتقيت يا رُويعى الغنم مرتقى صعبا . ثم احتززت رأسه ، ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبى جهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله الذى لا إله غيره » ـ وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قلت : نعم واللهِ الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحمد الله عز وجل .

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القليب طُرِحوا فيه

---

(١) العقير : المجروح .

(٢) أثبته : جرحه جراحة لا يتحرك معها ولا يقوم .

(٣) فى (ت): أنا وإياه.

(٤) سحج: قشر. وفى الأغانى : فخدش ... خدشا .

(٥) مابين المعقوفين ساقط من ت .

(٦) أعمد: أعجب وقال: معناه هل زاد على سيد قتله قومه .

(٧) الدبرة : الظفر والدولة .

إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ فى درعه حتى ملأها ، فذهبوا ليجروه[١] فتزايل فأقرّوه . وألقوا عليه ماغيّبه[٢] من التراب والحجارة ، فلما ألقوهم فى القليب وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : «ياأهل القليب بئس عشيرةً كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى النـاس وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، ياعتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ـ وعدّد من كان معهم فى القليب ـ هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا » فقال المسلمون : يا رسول الله أتدعو قوما قد جيّفوا ، فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . ولـكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » ولمـا ألقوا فى القَلِيب سُحب عتبة بن ربيعة إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وجه أبى حُذيفة بن عُتبة ، وإذا هو كئيب قد تغير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا حذيفة لعلك دخلك من حال أبيك شىء » أو كما قال : فقال : لا والله ، لا يارسول الله[٣] ، ما شـكـكت فى حال أبى ولا فى مصرعه ، ولـكنى كنت أعرف له رأيا وفضلا وحلما ، فـكنت أرجو أن يهديه الله تعـالى بذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما صار إليه من الـكفر[٤] بعد الذى كنت أرجو أحزننى ذلك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال خيرا . ثم أمر رسول الله صل الله عليه وسلم بما فى العسكر مما جمع الناس فُجمع ، واختلف الناس فيه . فقال من جمعه : هُوَ لنا ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كلّ امرئ ما أصاب . وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم : لولا نحن ماأصبتموه ،

---

(١) فى الأغانى : ليخرجوه .

(٢) فى (ا) : ما غيره.

(٣) فى الأغانى : لا والله يا رسول الله .

(٤) فى الأغانى : وذكرت ما مات عليه من الـكفر .

ونحن شَغلنا القومَ عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخَالِف إليه العدوُّ : ما أنتم بأحق به منا . لقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ وَلَّانا الله ومنحنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرَّة العدو فكنا دونه[١] فما أنتم بأحق به منا .

وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعة وأربعين ، ومن القتلى مثل ذلك ــ والصحيح أنهم سبعون والأسرى كذلك ــ وفى الأسارى عقبة بن أبى مُعَيط والنضر بن الحارث بن كَلَدَة . فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

ولما قدم بالأسرى كانت سَودة بنت زَمْعَة ــ زوج النبى صلى الله عليه وسلم ــ عند آل عَفْراء فى مناَحتهم على عَوف ومُعَوِّذ ابنى عفراء ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب . قالت سودة : إنى لعهم[٢] إذ أُتينا. فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتى بهم ، فرحت إلى بيتى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكت نفسى إذ رأيته كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ، ألَا مِتُّم كراما ؟ فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : « يا سودة ، أعلى الله وعلى رسوله؟ » قالت : قلت : يارسول الله ، والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعا يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت .

---

(١) فى الأغانى : فقمنا دونه .

(٢) فى الأغانى : عندهم .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله بن إياس بن ضُبيعة ابن مازن[١] بن كعب بن عمرو الخزاعى ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزَمْعة بن الأسود ، وأبو البَخترِىّ بن هشام ، ونُبَيه ومُنَبّه ابنا الحجّاج . فلما جعل يعدِّد أشراف قريش قال صفوان بن أمية ـ وهو قاعد فى الحِجْر ـ: واللهِ إنْ يَعْقِل هذا ، فسَلُوه عنى . قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالس فى الحِجْر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتِلا .

قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرِّق فى قومه ، وكان أبو لهب عدوُّ الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، فلما جاء الخبر عن مصاب قريش وكبته الله وأخزاه وجدنا[٢] فى أنفسنا قوة وعزا . وكنت رجلا ضعيفا أعمل القِداح وأنحتها فى حُجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس وعندى أم الفضل وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل الفاسق أبو لهب لعنه الله يجر رجليه بِشَرّ[٣] ، حتى جلس على طُنُب الحجرة ، وكان ظهره إلىّ ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدِم ، فقال أبو لهب : هلمّ إلىّ يا ابن أخ ، فعندك الخبر ، فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخى أخبرنى كيف كان الناس ؟ قال : لا شىء والله ، إن كان إلّا لقيناهم فمنحناهم[٤] أكتافنا

---

(١) فى الأغانى : رومان . أما نسخ المختار فكما أثبت .

(٢) فى الأغانى وك : كبته الله وأخزاه ووجدنا .

(٣) فى الأغانى : يسير .

(٤) فى الأغانى : إلا أن لقيناهم فأبحناهم .

يقتلون ويأسرون كيف شاءوا ، وايمُ الله مع ذلك ما لُمتُ الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بُلْق بين السماء والأرض ما تُلِيق[١] شيئا ولا يقوم لها شيء . قال أبورافع : فرفعت طُنُب الحجرة بيدى وقلت : تلك الملائكة . فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة . قال : فثاورته[٢] ، فحملنى فضرب بى الأرض ثم برك علىّ فضربنى ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة فضربته به ضربة فَلَقَتْ رأسه شجَّة مُنكرة[٣] ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولِّيا ذليلا . فوالله ما عاش بعدها إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة[٤] فقتَله . ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفنانه[٥] حتى أنتن فى بيته — وكانت قريش تتقى العَدَسة كما تتقى الطاعون — حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ألَا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تُغَيِّبانه ؟ قالا : نخشى هذه القَرْحة . قال : فانطلقا وأنا معكما ، فما غسَّلوه إلا قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمَسُّونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى وارَوْه .

ولما أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبوسون فى الوَثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا أول ليلته ، فقال له أصحابه : مالَكَ يا رسول الله لا تنام ؟ فقال : « سمعت تضوُّرَ العباس فى وثاقه » فقاموا إلى العباس فأطلقوه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ما تليق : ما تبقى .
(٢) ثاوره : واثبه . وفى الأغانى : فساورته .
(٣) فى الأغانى : فشجت فى رأسه شجة منكرة .
(٤) العدسة بثرة قاتلة تخرج بالبدن .
(٥) فى نسخ المختار : ما يدفناه .

وكان الذى أسر العباسَ أبو اليَسَر(١) كعب بن عمرو أخو بنى سَلَمَة وكان مَجْمُوعا ، وكان العباس رجلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى اليَسَر : « كيف أسرت العباس يا أبا اليَسَر ؟ » قال : يا رسول الله ، أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا هيئته كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أعانك عليه ملَك كريم » .

ولما انتهى العباس إلى المدينة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس افْدِ نفسك وابنَىْ أخيك(٢) : عَقِيل بن أبى طالب ونَوْفل بن الحارث ، وحليفَك عتبة بن عمرو بن جَحْدَم أخا بنى الحارث بن فِهْر . فإنك ذو مال » فقال: يا رسول الله، إنى كنت مسلما ، ولكن القوم استكرهونى ، فقال : « الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكره حقا فالله عز وجل يَجْزِيك . وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافْدِ نفسك » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أُوقيّة من ذهب . فقال العباس : يا رسول الله احسُبها لى فى فدائى . قال : « لا ، ذاك شىء أعطاناه الله منك » قال : فإنه ليس لى مال . قال : « فأين المال الذى وضعته بمكة حين خرجت عند(٣) أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد وقلت لها : إن أُصبت فى سفرى هذا ، فللفضل كذا ، ولعبد الله كذا ، ولعُبَيد الله كذا ، ولِقُثَمَ كذا » قال : والذى بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيرى وغيرها ، وإنى لأعلم أنك رسول الله . ففَدَى نفسه وابْنَىْ أخيه وحليفَه .

---

(١) ضبط فى المختار بضم الياء ضبط قلم . وفى الإصابة نص على أنه بفتحتين وكذلك جاء فى الاشتقاق ص ٤٦٥ .

(٢) فى الأغانى : وابن أخيك .

(٣) فى الأغانى : خرجت من عند .

ولما بعث أهلُ مكة فى فِداء أسراهم بعثت زينبُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فِداء[1] أبى العاص بن الرَّبيع ، وبعثت فيه بقِلادة لها كانت خديجةُ أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها[2] ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقَّ لها رِقّةً شديدة وقال : « إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتَرُدُّوا عليها الذى لها فافعلوا » فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ورَدُّوا عليها الذى لها .

وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا ، فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا ، ولا تبعثوا فى فِداء أسراكم حتى تيأسوا منهم ولا يتأرَّب[3] عليكم محمدٌ وأصحابه فى الفداء . وكان الأسود بن عبد يغوث[4] قد أُصيب له ثلاثة من ولده زَمَعَة وعَقِيل والحارث ، وكان يحب أن يبكى عليهم، فبينما هو كذلك إذ سمع صوت نائحة من الليل، فقال لغلام له — وقد ذهب بصره — : انظر هل أُحِلّ النحيب ؟ هل بكت قريش على قتلاها لعلّى أبكى على أبى حكيمة — يعنى زَمَعَة — فإن جوفى قد احترق ، فرجع الغلام وقال : إنها امرأة تبكى على بعير لها أضلّته فذلك حين يقول :

أتبكى أن يضلّ لها بعيرٌ ... ويمنعها من النوم السُّهودُ[5]
ولا تبكى على بَدْرٍ[6] ولكن ... على بدر تقاصرت الجُدودُ
على بَدْرٍ سراة بنى هُصَيص ... ومخزومٍ ورهط أبى الوليدِ

---

(١) فى الأغانى : فى فداء .
(٢) فى ت : بها .
(٣) يتأرب : يتشدد .
(٤) كذا فى أصول المختار وأصول الأغانى والطبرى . وصوابه كما فى الاشتقاق ٩٤ الأسود ابن المطلب وانظر شرح التبريزى ط أوربا ص ٣٩٧ وشرح المرزوقى ص ٨٧٣ .
(٥) السهود : امتناع النوم . وفى الأغانى : الهجود وانظر هامشه وشرح المرزوقى ٨٧٣
(٦) فى الأغانى : على بكر. وكذلك شرح المرزوقى هذا والقصيدة فيها إقواء فى ثلاث أبيات.

وبَكِّى إن بكيتِ على عَقِيـل ... وبَـكِّى حارثا أسـد الأسودِ
وبَـكِّيهم ولا تُسْمى جَميعـا ... فما لأَبى حكيمةَ من نَديدِ
ألا قد ساد بعـــدهمُ رجالٌ ... ولولا يوم بدرٍ لم يسودُوا

وقالت هند بنت عُتبة ترثى أباها وعمها وأخاها :

مَنْ حَسَّ لى الأخوين كالـ ... غصنين أو مَن رَاهُما[١]
قَرْمَيْنِ[٢] لا يتظالمـا ... نِ ولا يُرام حِماهما
ويلى على أبوَىَّ والـ ... قـــبر الذى وَارَاهما
لا مثلُ كهلى فى الـكهو ... ل ولا فتى كفتاهما
أسدَيْن لا يتـــذلَّلا ... ن ولا يُرام حماهما[٣]
رُمْحَيْن خَطِّيَّيْن فى ... كبد السماء سناهما[٤]
ما خلَّفـــا إذ وَدَّعا ... فى سُـــودَدٍ شَرْوَاهما[٥]
سادا بغـــير تـكلُّفٍ ... عَفْوًا يفيضُ نَدَاهُما

وكانت هند قد بلغها تَسْوِيمُ[٦] الخنساء هَوْدَجها فى المواسم ومعاظمتها العرب بعصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّرِيد وأخويها صَخْرٍ ومعاوية . وجعلت تَشهد المواسم وتَبـكيهم وقد سَوَّمَتْ هَوْدجها براية وهى تقـــول : أنا أعظم العرب مصيبة . وقد عرفت لها العرب ذلك . فلما أُصيبت هند بأبيها وعمها وأخيها وبلغها ذلك قالت :

---

(١) حس : أحس . راهما : رآهما .
(٢) القرم : السيد العظيم .
(٣) كذا ذكر هذا البيت فى المختار والأغانى وبمقارنته للبيت الثانى يبدو أنه كرواية أخرى له.
(٤) فى الأغانى : السماء تراهما .
(٥) الشروى : المثل .
(٦) سوم الشيء : جعل له علامة ليعرف بها .

أنا أعظم مصيبة من الخنساء وسَوَّمَت هَوْدجها براية ، وشهدت الموسم بعكاظ فقالت : اقْرِنوا جملي بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنتِ يا أُخَيَّةُ ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغنى أنك تُعاظمين العربَ بمصيبتك فبمَ تُعاظيمنهم ؟ فقالت الخنساء : بأبى عمرو بن الشَّرِيد وأَخَوَىَّ صخرٍ ومعاوية وبِمَ تُعاظمينهم أنتِ ؟ قالت : بأبى عُتبة ، وعَمِّى شَيْبَة ، وأخى الوليد . فقالت الخنساء : أوَ سَوَاءٌ هم عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

أُبَكِّى أبى عَمْرًا بعَيْنٍ غزيرة ... قليلٍ إذا نام الخلىُّ هُجــودُها
وصِنْوَىَّ لا أنسى معاويةَ الذى ... له من سَرَاة الحَرَّتَيْن وُفُودُها[1]
وصَخْراً ومَن ذا مثلُ صخرٍ إذا غدا ... بسَلْهَبَةِ الأيطــال قُبٍّ يقودها[2]
فذلك يا هنـــدُ الرزيّةُ فاعلمى ... ونيرانُ حربٍ حين شَبَّ وَقُودُها

فقالت هند تجيبها :

أُبكِّى عَميدَ الأبطحين كليهما[3] ... وحامِيَهَا من كلِّ بَاغٍ يُريدُها
أبى عُتبةُ الخيراتِ ويحك فاعلمى ... وشيبةُ والحامى الذِّمارِ وَليـدُها
أولئك آلُ المجــدِ من آل غالبٍ ... وفى العِزِّ منها حين يَنْمِى عَدِيدُها

---

(١) الحرتان يراد بهما حرة بنى سليم وحرة بنى هلال بالحجاز .

(٢) السلهبة : الطويلة والأيطال لعلها من جموع الأيطل وهو الخاصرة وفى الأصل : الأبطال وفى أصول الأغانى كأصول المختار وفى الديوان : بساهمة الآطال .

(٣) فى أصول المختار : كلاهما .

بشار بن بُرْد (1)

هو بشَّار بن بُرْد بن يَرْجُوخ من سَبْي المهلَّب بن أبي صُفْرة من طَخَارستان .

وكنية بشار أبومُعاذ، ومحله في الشعر وتقدّمه في طبقات المُحدَثين بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير خلاف في ذلك يُغني عن وصفه وإطالة ذكر محلّه ، وهو من شعراء مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، قد شُهِر فيهما بمدح وهجاء وأخذ سَنيّ الجوائز من الخلفاء مع الشعراء .

كان بشار بن برد من فَيْء خِيرةَ(2) القُشيرية امرأة المهلب بن أبي صفرة ، وكان مقيما لها في ضيعتها المعروفة بخِيرتَان مع عبيد لها وإماء . فوهبت بردا بعد أن زوجته لامرأة من عُقَيل كانت متصلة بها ، فولدت له وهو في مِلْكها بشَّارا فأعتقته العُقيلية .

وكان بُرْدٌ أبو بشارٍ مولى لأمِّ الظِّباء السَّدُوسية . وادَّعى بشَّار أنه مولًى لبنى ربيعة بن عُقَيل ، لنزوله فيهم . وأمّ الظباء امرأةُ أوس من ثعلبة . أحد بني تيم الله ابن ثعلبة ، وكان أوسٌ أحدَ فُرسان بَكْر بن وائل بخُراسان . وقيل : كان بشار وأمُّه لرجل من الأزد وتزوّج من بني عُقَيل فساق بشاراً وأمّه إليها في صَدَاقها .

وكان بشار وُلِد مكفوفا فأعتقته العقيلية . وقيل: إن أم بشار باعت بشارا على أم الظباء بدينارين ، فأعتقته أمُّ الظباء .

---

(1) الأغاني : دار الكتب ٣/١٣٥ وانظر ١٣٤ و جـ ٦/٢٤٢ ودار الثقافة ٣/١٢٩ وانظر ١٢٧ وجـ ٦ / ٢٢٩ وبولاق ٣/١٩ والساسي ٣/٢٠ والتجريد ٣٧٢ / ٧٨٠ .

(2) في بعض نسخ الأغاني : من قن خيرة .

وكان بُرْدٌ طيَّانا يضرب اللَّبِن الطِّين . قال زيد بن مزاحم : أرانى أبى بَيتين لنا فقال : لِبِنُ هذه البيتين (١) يابنىّ من ضَرْب بردٍ أبى بشارٍ . فسمع هذه الحكاية حمّادُ عَجردٍ فهجاه فقال :

يا ابن بُرْدٍ فاخسأ إليك فمثل الـ ... ـكلب فى الناس أنت لا الإنسانِ
بل لعمرى لأنت شرٌّ من الكلـ ... ـب وأوْلى منـه بكل هَوانِ
ولرِيحُ الخنزيرِ أهونُ من ريـ ... ـحك يا ابن الطَّيَّان ذى التُّبَّانِ (٢)

قال بشار : لما دخلت على المهدىّ قال لى : فيمن تعتدُّ يابشار ؟ فقلت : أما على الرَّأى واللسان فعربى (٣) وأما الأصل فعجمى ، كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين :

ونُبئتُ قومـاً بهم جِنَّةٌ ... يقولون مَن ذا وكنتُ العَلَمْ
ألَا أيُّها السائِلى جاهـلا (٤) ... لِيعرفَنى أنا أنفُ الـكَرَمْ
نمتْ فى الـكرامِ بنى عامرٍ ... فروعى وأصلى قريشُ العَجَمْ
وإنى لأُغنى مَقـامَ الفَـتى ... وأُصبى الفتاة فما تَعْتَصِم

وكان أبودُلامة حاضرا فقال : كلَّا ، لَوَجْهُك أقبحُ من ذلك ووجهى مع وجهك . فقلتُ : كلَّا ، والله ما رأيت رجلا أصدقَ على نفسه وأكذب على جنسه منك . والله إنى لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تامُّ الألواح ، أسْجَحُ الخدَّين (٥) ، ولرُبَّ مسترخى المِذْرَوَيْن (٦) ، للعَين فيه مَرَاد ، قد جلس من الفتاة حَجْرَةً وجلستُ منها

(١) فى ت : « أرانى أبى لبنتين لنا فقال : إن هاتين اللبنتين » .
(٢) التبان : سراويل صغير .
(٣) فى الأغانى : أما الزى واللسان فعربيان .
(٤) فى بعض نسخ الأغانى : جاهدا .
(٥) أسجح الخد : سهله لينه .
(٦) المذروان : طرفا الأليتين .

حيث أريد ، فأنت مثلى يامَرْضَعان[١] ؟ قال : فسكت عنى . ثم قال المهدى : فمن أى العجم أصلك ؟ فقلت : من أكثرها فى الفرسان[٢] وأشدِّها على الأقران، أهل طُخا رستان . فقال بعض القوم : أولئك السُّغد . فقلت: لا ، السُّغد تُجَّار ، فلم يَرْدُدْ ذلك المهدىُّ .

وكان بشارٌ كثير التلوُّن فى وَلَائه شديد التشغُّب[٣] والتعصب للعجم ، مرَّةً يفتخر بولائه فى قيس فيقول :

أمنتُ مضرَّة الفحشـــاء إنى ... أرى قيساً تَضُرُّ ولا تُضارُ
كأنَّ الناس حين تغيب عنهم ... نباتُ الأرضِ أخطأه القِطارُ[٤]
وقد كانتْ بتَدْمُرَ خيلُ قيس ... وكان لتدمُرٍ فيها دَمَارُ
بِخَيل[٥] من بنى غيلان شُوسٍ ... يسير الموت حيث يُقالُ ساروا
وما تلقـاهُمُ إلا صَـدَرْنا ... برِىٍّ منهمُ وهمُ حِرارُ

ومرّة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أصبحت موْلى ذى الجلال وبعضهم ... مولى العُرَيْبِ فخذْ بفضلك وافْخَرِ
مولاكَ أكرمُ من تَميم كلّهـا ... أهل الفعال ومن قريش المَشعرِ
فارجعْ إلى مولاكَ غير مُدافَـعٍ ... سبحان مولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

---

(١) المرضعان : اللئيم .
(٢) فى ت: من أكرها على الفرسان .
(٣) فى نسخة من الأغانى : الشغب . هذا، ويراد بالتشعب أنه من الشعوبية .
(٤) القطار جمع قطر وهو المطر .
(٥) فى الأغانى : «بحى من بنى غيلان » هذا، والشوس جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه تكبرا .

ومرّة يفتخر بولاء بنى عُقَيل فيقول :

إنّـى من بَنى عُقَيل بن كَعْبٍ موضع السيف من طُلَى الأعناقِ (١)

وكان بشار يلقب بالمُرَعَّث. لقب بذلك لقوله :

قال رِيمٌ مرعَّث ناعسُ الطَّرف والنَّظَرْ

لست والله نائلى قلتُ أو يَغلب القَدَر

أنت إن رُمْتَ وَصْلنا فانجُ هل تُدرك القمَرْ

وقيل : لقب بالمرعث لأنه كان لقميصه جَيْبانِ : جَيْبٌ عن يمينه وجيب عن شماله ، فإذا أراد لُبْسه ضمّه عليه من غير أَن يُدْخِل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعه حلّ أزراره وخرج منه ، فشُبِّهت تلك الجيُوب بالرِّعَاث لاسترسالها وتدلّيها ، فسمى من أجلها المرعَّث .

وقيل : لقب بذلك لأنه كان فى آذانه وهو صغير رِعاثٌ . والرِّعاث القِرَطَة ، واحدتها رَعْثَة وجمعها رِعاثٌ وَرَعَثاتٌ . ورعثاتُ الدِّيك : اللحم المتدلّى له تحت حَنَكه ؛ قال الشاعر :

سَقَيتُ أبا المُطَوَّح إذْ أتانى وذو الرَّعَثَاتِ مُنتصِبٌ يَصيحُ

شراباً يَهربُ الذِّبَّانُ منــه ويلْثغُ حين يشربهُ الفصيحُ

وكان بشار أشدّ الناس تبرّما بالناس. وكان يقول : الحمد لله الذى أذهب بصرى. فقيل له : ولِم يا أبا معاذ ؟ فقال : لئلا أَرى من أبغض .

وكان ضخما عظيم الخَلْق والوجه مُجَدَّراً طويلا جاحظ الحدقتين (٢) قد تغشاهما لحم أحمر ، وكان أقبح الناس عمًى وأفظعه منظرا ، وكان إذا أراد أن ينشد صفّق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتى بالعجب .

(١) الطلى جمع طلية أو طلاة وهى أصل العنق .
(٢) فى الأغانى : المقلتين .

وولد أعمى وهو الأكمه ، وقال أبو هشام الباهلى يهجوه :

وَعبْدى فقَا عَيْنَيْكَ فى الرّحْم أيْرُهُ فجئت ولم تَعلم لِعَينيك فاقِيَا
أأُمُّك يابشارُ كانت عفيفــــةً؟ عَلَىَّ إذاً أمشى إلى البيت حافيــا

ولم يزل بشار منذ قيل فيه هذان البيتان منكسرا .

ومانظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء فى شعره فيأتى بما لا يقدر البُصَراء أن يأتوا بمثله . فقيل له يوما وقد أنشد قوله :

كأنَّ مُثَارَ النقع فوق رءوسنا وأسيافنا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه . فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا ولا شيئا فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقَوِّى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء ، فيتوفَّر حِسُّه ، وتذكُو قريحتُه ، ثم أنشدهم قوله :

عَمِيتُ جَنِينا والذكاء من العَمَى فجئتُ عَجِيبَ الظنِّ للعلم مَوْئلا
وغاضَ ضياءُ العين للعلم رافداً لقلبٍ إذا ما ضَيَّع الناسُ حَصَّلا
وشِعْرٍ كنَوْرِ الرَّوْض لاءمْتُ بينه بقولٍ إذا ما أحزنَ الشِّعرُ أسْهَلا

قال الحرانىّ : قالت لى عمتى : زرت قرابةً لى من بنى عُقَيل فإذا شيخ أعمى ضخم يُنْشِد :

مِنَ المفتونِ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ إلى شَيْبَانَ كَهلِهم ومُرْدِ
بأنَّ فتاتَكمْ سلبتْ فــؤادى فنصفٌ عندها والنصفُ عندى

فسألت عنه فقيل : هذا بشار .

وقال الشعر ولم يبلغ عَشْر سنين ، ثم بلغ الُحلُم وهو يُخْشَىٌّ مَضرَّةَ اللسان[1] ، وكان يقول: هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لكنت أشعر الناس.

(١) فى الأغانى : معرة اللسان .

قال الأصمعى : بشارٌ خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أن أيامـه أُخِّرَتْ لفضّلْتُه على كثير منهم .

وكان راجزا مُقَصِّدا[١] .

قال أبو عبيدة : سمعت بشارا يقول وقد أُنشِدَ فى شعر الأعشى :

وأنـكرتْـنى وما كان الذى نَـكِرَتْ   من الحوادثِ إلّا الشيب والصَّلعا

فأنـكره وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى ، فعجبت من ذلك ، فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عنـد يونس فقال : حدثنى أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله فى شعر الأعشى :

* وأنـكرتنى وما كان الذى نـكرتْ *

فجعلت حينئذ أتعجب من[٢] فطنة بشار وصحّة قريحته وجودة نقده للشعر .

وقال : قال لى بشار : لى اثنا عشر ألف بيت جَيِّد عَيْن، فقيل له : هذا مالم يدّعه أحـد ، فقال : لى اثنا عشر ألف قصيدة ، لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن فى كل واحدة منها بيت عين[٣] .

وقال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين : كان بشار شاعرا خطيبا صاحب منثور ومُزدوج وسَجْع ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المُتَفَنِّنين فى الشِّعر ، القائلين فى كثرة أجناسه وضروبه . وكان يَدِين بالرَّجْعة[٤] ويُـكَفِّر

---

(١) بهامش ك ــ وذلك موجود فى الأغانى أيضا ــ : وقال بشار بن برد : أزرى بشعرى الأذان ، يعنى أنه إسلامى .

(٢) فى الأغانى : أزداد عجبا .

(٣) فى ت : بيت جيد .

(٤) الرجعة مذهب قوم من العرب يؤمنون بالرجوع بعد الموت إلى الدنيا .

جميع الأُمَم[١] ويصوِّب رأى إبليس فى تقديم النار على الطين ، وذكر ذلك فقال فى شعره :

الأرضُ مُظلمةٌ والنــار مشرقة والنار معبودةٌ مُذْ كانت النارُ

وبلغه عن أبى حُذَيفةَ واصل بنِ عَطاءٍ إنكار لقوله فقال يهجوه :

مالى أُشايع غَزَّالًا لــه عُنُقٌ كنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلا[٢]

عُنْقَ الزرافة ما بالى وبالُــكمُ تُكفِّرون رِجالا كَفَّروا رَجُلا

فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده خطب به واصل ـ وكان ألثغ بالراء وكان يجتنبها فى كلامه ـ فقال : أمَا لهذا الملحد الأعمى المُشَنَّف المَكْنِيّ بأبى مُعاذ من يقتله ؟ أمَا والله لولا أن الغِيلة سجيَّة من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه فى جوف منزله أو فى يوم حَفْلِه ، ثم كان لا يتولَّى ذلك إلا عُقيليٌّ أو سدوسى .

فقال : أبو معاذ ولم يقل : بشار ، وقال : المُشَنَّف ، ولم يقل المُرَعَّث ، وقال : من سجايا الغالية ، ولم يقل : الرافضة . وقال : فى منزله ، ولم يقل : داره . للثغة فى الراء[٣] .

وكان واصل قد بلغ من قدرته على الكلام وتمكُّنه من العبارة أن يحذف الراء من جميع كلامه وخطبه ويجعل مكانها ما يقوم مقامها .

وكان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام : عَمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء ، وبشار الأعمى ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم بن أبى العوجاء ، ورجل من الأزد ـ يعنى جَرير بن حازم ـ وكانوا يجتمعون فى منزل الأزدىّ ويختصمون

---

(١) فى الأغانى : الأمة .

(٢) النقنق : ذكر النعام . والدو : الفلاة : ومثل : قام منتصبا .

(٣) فى الأغانى تكملة للكلام : « وقال: يبعج بطنه ، ولم يقل : يبقر ، للثغة التى كانت به فى الراء » هذا وأيضا أنه قال : فى (جوف) منزله ولم يقل فى (عقر) داره .

عنده ، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال ، وأما عبد الكريم وصالح فصحَّحا التوبة ، وأما بشار فبقى مُتحيِّرًا مُخلِّطا ، وأمّا الأزدى فمال إلى السُّمَنِيَّة وهو مذهب من مذاهب الهند(١) ، وبقى ظاهره على ما كان عليه ، فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ، فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغنى عنك أنك لا تزال تخلو بالحدَث من أحداثنا فتفسده وتستزلّه(٢) وتدخله فى دينك ، فإن خرجت من مِصْرنا وإلا قمت بك مقاما آتِى فيه على نفسك . فلحِق بالكوفة، فدُلَّ عليه محمد بن سليمانَ(٣) بن علىّ فقتله وصلبه ، وله يقول بشار :

قل لعبد الكريم يا ابن أبى العو جاء بِعْتَ الإسلام بالكفر مُوقا(٤)
لا تصلى ولا تصوم فإن صمـ تَ فبعضَ النهارِ صوماً رَقيقا
لا تبالى إذا أصبت من الخمـ رِ عتيقا أَلّا تكون عَتيقا
ليت شعرى غداة حُلِّيت فى الجيـ د حَنيفا حُلِّيت أو زِنديقا
أنت ممن يدور فى لعنة اللـ ـه صديقٌ لمن ينيك الصديقا

سئل الأصمعى عن بشار ومروان بن أبى حفصة أيهما أشعر ؟ فقال : بشار ، فسئل عن السبب فقال : لأن مروان سلك طريقا كَثُر من يسلكه ، فلم يلحق من تقدَّمه وشَرِكه فيه من كان فى عصره . وسلك بشار طريقا فأحسن فيه وتفرد به وهو أكثر تصرُّفا وفُنونَ شعر ، وأغزرُ وأوسعُ بديعا ، ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل . قال علىُّ بن المنجم : سمعت من لا أحصى من الرواة يقولون : أحسنُ الناس ابتداءً فى الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

(١) قيل: إنهم دهريون. وقيل: إنهم يقولون بالتناسخ ونسبتهم إلى سومنات بلد بالهند.
(٢) استزله : أوقعه فى الزلة وهى الخطيئة .
(٣) فى ا : محمد بن سليمان بن سليمان بن على.
(٤) الموق: الحمق . وفى ت و ك : ريقا وكذلك فى أصل ا . أما بهامش ا فإنه «موقا» والخط هو الخط هذا، والريق بفتح فسكون : الباطل فيكون كسر الراء لأجل التخلص من عيب القافية .

* أَلَا أنعِمْ صباحا أيهــا الطلل البالى (١) *

وحيث يقول :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (٢) *

وفى الإسلام القُطامىّ حيث يقول :

* إنَّا مُحيُّوكَ فاســلمْ أيُّها الطَّلَلُ (٣) *

ومن المحدَثين بشار حيث يقول :

أبَى طَللٌ بالجِزْعِ أن يتــكلّما   وماذا عليه لو أجاب مُتَيَّما
وبالقاعِ آثار بقين وباللِّوَى (٤)   ملاعبُ لا يُعْرَفْنَ إلّا تَوَهُّمَا

قال أبو حاتم : سألت أبا زيد مرّةً عن بشار ومروان فقال : مروان أجَدُّ ، وبشار أهزل . فحدّثت الأصمعى بذلك فقال : بشار يصلح للجد والهزل ومروان لا يصلح إلا لأحدهما .

قال بكر بن النطاح : عهدى بالبصرة وليس فيهــا غَزِلٌ ولا غَزِلة إلّا يروى من شعر بشار ، ولا نائحة ولا مغنِّية إلا تتكسَّب به ، ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرّة لسانه .

قال الأصمعى : لقى أبو عمرو بن العلاء بعضَ الرواة فقال له : يا أبا عمرو ، مَن أبدع الناس بيتا ؟ قال : الذى يقول :

لم يَطُلْ ليلى ولــكن لم أنَمْ   ونَفَى عنى الــكَرَى طَيْفٌ أَلَمّْ
رَوِّحى عنى قليـــلا واعلمى   أننى يا عَبْدَ من لَحْمٍ ودَمْ

---

(١) تمامه : وهل يعمن من كان فى العصر الخالى .

(٢) تمامه : بسقط اللوى بين الدخول فحومل .

(٣) تمامه : وإن بليت وإن طالت بك الطيل .

(٤) فى نسخ من الأغانى : وبالفرع آثار

وإذا قلت لها جودى لنا   خرجتْ بالصمت من لا ونَعمْ
إن فى البُرْدَيْنِ جسما ناعما   لو توكَّأْتُ عليه لانهَدَمْ
خَتَم الحبُّ له فى عنقى   مَوضع الخاتَمِ من عَقْدِ الذِّمَمْ(١)

قال : فمَن أمدح الناس ؟ قال : الذى يقول :

لستُ بكفِّى كَفَّهُ أبتغى الغِنَى   ولم أدْرِ أن الجود من كَفِّهِ يُعْدِى
فلا أنا منه ما أفاد ذَوُو الغِنَى   أفَدْتُ وأعدانى فأنفقتُ ما عندى

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال : الذى يقول :

رأيتُ السُّهَيْلَيْنِ استوى الجودُ فيهما   على بُعْدِ ذا من ذاك فى حُكْمِ حاكِمِ
سُهَيْلُ بنُ عثمان يَجود بماله   كما جاد بالوَجْعَا سُهَيْلُ بنُ سالمِ(٢)

قال أحمد بن المبارك : حدثنى أبى قال : قلت لبشار : ليس لأحد من العرب شِعْرٌ إلّا وقال فى شعره شيئاً استنكرَتْه العرب من ألفاظهم لَيْسَكَ ، فإنه(٣) ليس فى شعرك ما يشك فيه . قال : ومن أين يأتينى الخطأ ؟ ووُلدت ها هنا ، ونشأت فى حِجْر ثمانين شيخا من فصحاء بنى عُقَيْل ، ما منهم أحد يَعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، ثم يَفَعْتُ فابتدَيْتُ إلى أن أدركت ، فمن أين يجيئنى الخطأ ؟

كان بشارٌ كثيرَ الوَلوع بِدَيْسم العَنَزِى(٤) وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر هجاءه ، وكان دَيْسم لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّاد وأبى هاشم(٥) الباهلى فى بشار ، فبلغه ذلك فقال فيه :

(١) فى الأغانى : من أهل الذمم .
(٢) الوجعاء : الدبر .
(٣) فى الأغانى : من ألفاظهم وشك فيه فإنه .
(٤) فى الأغانى : العنزى .
(٥) تقدم أنه أبو هشام وهو كذلك فى الأغانى هنا وفيما تقدم .

أديسمُ يا ابن الذئب من نَجْل زارعٍ   أتروى هجائى سادِرًا غــير مُقْصِرِ

قال أبو حاتم : فأنشدت أبا زيد هذا البيت ، وسألته ما يقول فيــه فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقلت : لبشار فى دَيْسم العَنَزى ، فقال : قاتله الله ، ما أعلمه بكلام العرب ! ثم قال : الدَّيْسم : ولد الذئب من الـكلبة . ويقال للـكلاب : أولاد زارع . والعِسْبار : ولد الضبع من الذئب . والسِّمْع : الذئب[1] من الضبع ، وتزعم العرب أن السِّمْع لا يموت حتف أنفه ، وأنه أسرع من الريح ، وإنمـا هلاكه لعرض من أعراض الدنيا .

كان بالبصرة رجل يقال له حَمْدان الخرَّاط ، فاتخذ جَاماً لإنسانٍ كان بشار عنده ، فسأله بشارٌ أن يتخذ له جاما فيها صورة طير يطير ، فاتخذها له وجاءه بها ، فقال له : ما فى هذه الجام ؟ فقال : صور طير يطير . فقال له : لقد كان ينبغى أن تتخذ فوق هذا الطير طائرا من الجوارح، كأنه يريد صيدها فإنه كان أحسن . قال : لم أعلم ، قال : قد علمت ، ولـكن علمت على أنى أعمى لا أبصر شيئا . وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان : لا تفعل فإنك تندم ، قال : أو تُهددنى أيضا ؟ قال : نعم ، قال : وأى شىء تستطيع أن تصنع بى إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى فى صورتك هذه وأجعل خلفك قردا ينـكحك حتى يراك الصادر والوارد . فقال بشار : اللهم أخزِه . أنا أُمازحه وهو يأبى إلا الجِدّ .

قال الرياشى : أُنشِد بشارٌ قولَ الشاعر :

وقد جعل الأعــداء ينتقصونها   وتطمعُ فيها ألسُنٌ وعُيونُ

ألَا إنمــا لَيْلَى عَصَا خيزرانةٍ   إذا غمزوها بالأكفِّ تَلينُ

---

(١) فى الأغانى : ولد الذئب .

فقال : والله لو زعم أنها عصا مُخّ أو عصا زُبْد ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عَصًا ، أَلَا قال كما قلت :

وحَوْرَاءِ الدامع من مَعَدٍّ   وكان حديثها ثمر الجنانِ
إذا قامت لمشيتها تثنَّت   كأن عِظامها من خَيزُرانِ

قال محمد بن الحجاج : قلت لبشار : أنشدتُ فلانا قولَكَ :

إذا أنت لم تَشربْ مِراراً على القَذَى   ظمئتَ وأيُّ الناس تَصفو مشارِبُه

فقال لى : ما كنت أظنه إلَّا لرجل كبير . فقال بشار : ويلك أفلا قلتَ له : هو والله أكبرُ الإنس والجن !

وكان إسحاق الموصلى لا يعتد ببشار ويقول : هو كثير التخلط فى شعره وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضُها بعضا ، أليس هو القائل :

إنما عَظم سليمى حِبَّتى   قَصَبُ السكّر لا عَظْم الجمَلْ
وإذا أدنيت منها بَصَلًا   يَغلب المِسْكُ على رِيح البَصَلْ

لو قال كلَّ شيء جيّد ثم أُضيف إلى هذا لزَيَّفه ، وكان يُقدِّم عليه مروان ويقول : هو أشدُّ استواءَ شِعْرٍ منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها . وكان لا يَعدُّ أبا نواس بتّة فى الشعراء ، ولا يرى[1] فيه خيرا .

قال محمد بن عبد الرحمن التيمى : دخل بشار إلى [إبراهيم بن][2] عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأى يستعمله فى أمره ، فلما قُتل إبراهيم خاف بشار فقلب الكُنْيَة ، فجعل عِوَض أبى جعفرٍ[3] أبا مُسلمٍ ،

---

(١) فى ا : «أبا نواس بتة ولا يرى.. » وفى الأغانى : «أبا نواس البتة ولا يرى. .» .
(٢) زيادة من الأغانى وبدل عليها ما يأتى .
(٣) هنا سقط من مصورة ك مقدار صفحتين .

وأظهر أنه إنما قالها فى أبى مسلم وحذف[1] أبياتاً منها ، وأوّلها :

أبا جعفر ما طول عيشٍ بدائم ولا سالمٌ عمّا قليــــلٍ بسالمِ

قلبَ : فقال أبو مسلم :

على الملِك الجبّار يقتحم الرَّدَى ويصرعه فى المَأْزِق المتــلاحِمِ

كأنك لم تسمع بقتــل مُتَوَّج عَظيمٍ ولم تعــلم بقَتْل الأعاجِمِ[2]

تَقَسَّم كِسرى رَهْطُه بسيوفهم وأمسى أبو العبّاس أحلامَ نائمِ

أبو العباس : الوليد بن زيد .

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة عليه ولا جَرْيَ النحوس الأشائمِ

مقيم على اللذّات حتى بَدَتْ له وجوهُ المنــايا حاسرات العمائمِ

وقد تَرِدُ الأيام غُرًّا وربمــــا وردْنَ كُلُوحا باديات الشَّكائمِ

ومَرْوَانُ قد دارت على رأسه الرحى وكان لمــا أجرمتَ نَزْرَ الجرائمِ

فأصبحت تجْرِى سادِرًا فى طريقهم ولا تتّقى أشباهَ تلك النقائمِ

تجرّدْتَ للإسلام تَعْفُو سَبيلَه وتُعْرِى مَطاهُ لِلُّيُوثِ الضراغمِ[3]

وما زلت حتى استنصر الدينُ أهلَه عليك فعادُوا بالسيوف الصوارِمِ

فرُمْ وَزَرًا يُنجيك يا ابنَ سلامةٍ ولست بناجٍ من مَضيمٍ وضَائمِ

جعل مكان « يا ابن سلامة » : يا ابن وشيكة وهى أم أبى مسلم .

لَحَى اللهُ قوما رَأّسوكَ عليهمُ وما زلتَ مَرءوسا خبيثَ المطاعمِ

أقول لبسّامٍ عليــــه جَلالةٌ غَــدَا أَرْيحيًّا عاشِقاً للمكارمِ

---

(١) فى ا ، ت وحرف. وأثبت ما فى الأغانى لأنه يتفق مع ما أشير إليه فى نسخة ا من المختا بنفس الخط بجوار الأبيات ليدخل بينها شرحا لها كما فى الأغانى أيضا .

(٢) فى بعض روايات الأغانى : بفتك الأعاجم .

(٣) تعفو : تمحو . ومطاه : ظهره .

من الفاطميِّين الدعاةِ إلى الهدى ... جهاراً ومن يَهْديك مثلُ ابن فاطم
سراجٌ لعين المستضيء وتارة ... يكون ظلاما للعدو المزاحم

هذا البيت الذى حذفه بشار من الأبيات :

إذا بلغ الرأىُ المشورةَ فاستعِنْ ... برَأْى نصيح أو نصاحةِ حازمِ
ولا تَجعلِ الشُّورى عليك غَضاضةً ... فإن الخوافى قوَّةٌ للقوادمِ
وما خيرُ كَفٍّ أمسك الغُلُّ أختَها ... وما خير سيفٍ لم يُؤَيد بقائمِ
وخَلِّ الهُوَيْنَا للضعيف ولا تكنْ ... نَئوماً فإن الحزم ليس بنائم
وحاربْ إذا لم تُعْطَ إلَّا ظُلامةً ... شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالم

قال أبو عبيدة : ميمية بشار هذه أحبّ إلىَّ من ميمِيَّتَىْ جريرٍ والفرزدق . قال الأصمعى : قلت لبشار : الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة . فقال : ياأبا سعيد إن المشاور بين صواب يفوز غيره بثمرته أو خطأ يُشارك فى مكروهه . فقلت له : أَنت فى قولك أشعر منك فى شعرك .

قال حماد : قال أبى : كان بشار جالسا فى دار المهدى والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالى المهدى لمن حضر : ماعندكم فى قول الله عزَّ وجلّ « وأَوْحَى رَبُّكَ إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا؟ »[1] فقال له بشار : النحل التى يعرفها الناس . قال : هيهات ياأبا مُعاذ ، النحلُ : بنو هاشم ، وقوله «يخرج من بطونها شراب مُختلف ألوانه فيه شفاء للناس » يعنى العلم . فقال بشار : أَرانى الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بنى هاشم ، فقد أوسعْتنا غَثاثة . فغضب وشتم بشارا ، وبلغ المهدىَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصة. فحدّثه بشارٌ بها، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجَلْ ، فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم ، فإنك بارد غَثٌّ .

(١) سورة النحل الآية ٦٨ .

[قال محمد بن مَزْيد : الذى خاطب بشارا بهذه الحكاية وأجابه عنها مِنْ موالى المهدىّ: هو المُعَلَّى بنُ طريف][1] .

ودخل يزِيد بن منصور الحميرىّ على المهدى وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور ، وكانت فيه غفلة ، فقال : ياشيخُ ماصناعتك ؟ قال : أثقب اللؤلؤ . فضحك المهدى وقال لبشار : أُعزُب ويلك ، أتتنادر على خالى ؟ قال : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعمى قائما ينشد الخليفة شعرا يسأله عن صناعته !

وقف بعض المُجَّان على بشار وهو ينشد شعرا فقال له : استر شِعرك كما تستر عورتك . فصفق بيديه وغضب وقال له : من أنت ويلك ؟ قال : رجل من باهلة ، وأخوالى سَلُول ، وأصهارى عُكْل واسمى كَلْب ، ومولدى بأُضاخ ، ومنزلى بنَهر بِلال . فضحك بشار وقال : اذهب ويلك ، فأنت عتيق لؤمك وقد استترت منى بحصون من حديد .

مرّ بشارٌ بقاصٍّ بالبصرة ، فقال فى بعض قصصه : من صام رَجَباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصرا فى الجنة صَحْنُه ألف فرسخ فى مثلها ، وعلوُّه ألف فرسخ ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصِره عشرة فراسخ فى مثلها ، فالتفت بشار إلى قائده وقال : بئست هذه الدار فى كانون الثانى[2] .

حدث رجل من أهل البصرة قال[3]: تزوّجت امرأة ، فاجتمعت معها فى عُلْوِ بيتٍ وبشارٌ تحتنا - أو كنا أسفل وبشار عُلْوَه - فنهق حمار فى الطريق ، فأجابه

(١) سقط هذا النص من نسخة ا. أما نسخة ك ففيها سقط من قبل هذا الخبر من أول الشعر السابق القصيدة الميمية .

(٢) كانون الثانى يبدأ مع يناير وينتهى بانتهائه فيكون من أشهر البرد .

(٣) فى الأغانى: من أهل البصرة ممن يتزوج بالنهاريات قال .

حمار فى الجيران وحمار فى الدار ، فارتجت الناحية بنهيق الحمير ، وضرب الحمار الأرض برجله وجعل يدقها دقا شديدا، فسمعت بشارا يقول : نُفِخَ –يعلم الله– فى الصور وقامت القيامة ، أما تسمعون كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ؟ قال : وفزعت شاة كانت فى السطح وقطعت حَبْلَها وعَـدَتْ فألقت طبقا فيه غُدَارة[1] إلى الدار ، فانكسرت وتطاير حمام ودجاج كُنَّ فى الدار ، للصوت ، وبكى صبى ، فقال بشار صحَّ – يعلم الله – الخبرُ – ونُشِر أهل القبور من قبورهم ، أزفتْ – يشهد الله – الآزفةُ وزلزلت الأرض زلزالها. فغاظنى كلامُه وعجبت منه فسألت: من المتكلم ؟ فقيل لى : بشار ، فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا إلا بشار .

مرّ بشار برجل قد رَمَحَتْه[2] بغلة وهو يقول : الحمد لله شكرا . فقال بشار : استزِدْه يَزِدْك .

رفع غلامُ بشارٍ فى حسابِ نفقته : جِلاءُ مِرْآةٍ عَشْرَةُ دراهم. فقال بشار: والله ما فى الدنيا أعجب من جِلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم. والله لو صدئتْ عينُ الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يَجْلُوها عشرة دراهم .

قال أبو معاذ النُّميرى : قلت لبشار : لم مدحتَ يزيد بن حاتم ثم هجوتَه ؟ قال : سألنى أن أنيكه فلم أفعل. فضحكت ثم قلت له : هو كان ينبغى أن يغضب . فما موضع الهجاء ؟ قال : أظنك تحب أن تكون شريكه . فقلت : أنا أعوذ بالله – ويك[3] – من ذلك . قال أحمد بن خلاد : قال لى أبى : قلت لبشار : إنك لتجىء بالشىء

(١) الغدارة : ما أبقى من الشىء . ويراد: فيه بقية من طعام . وفى ك : «فيه غضارة» كبعض أصول الأغانى . وفى أصول أخر : «طبقا وغضارة» والغضارة : القصعة الكبيرة وفى ا : عذارة .

(٢) رمحته : رفسته .

(٣) فى الأغانى: أعوذ بالله من ذلك ، ويلك . وفى ت: أنا أعوذ بالله – ويلك– من ذلك.

المستهجن المتفاوت . قال : وما ذاك ؟ قال : قلت : بينما تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب ، مثل قولك :

إذا ماغضبنا غضبـــة مُضريَّةً ... هتكْنا حجابَ الشمس أو قطرتْ دما[(١)]

إذا ما أعرنا سيدًا من قبيـــلة ... ذُرَا منبرٍ صلَّى علينـــا وسلَّما

إلى أن تقول :

ربابة ربَّة البيتِ ... تَصبُّ الخلَّ فى الزَّيْتِ

لها عَشرُ دجاجاتٍ ... وديكٌ حسن الصَّوْتِ

قال : لكل شيء وجهٌ وموضع . فالقول الأوّل جِدٌّ ، وهذا قلته فى جارتى[(٢)] ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق ، وهذه ربابة لها عشر دجاجات وديك ، وهى تجمع البيض لى وتحفظه عندها ، وهذا عندها أَحسن من :

* قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ *

عندك .

وكان بشار يحشو شعره إذا أَعوزته القافية والمعنى بالأشياء التى لا حقيقة لها . فمن ذلك قوله :

* غَنِّنى للغَرِيض يا ابن قنَانِ *

فقيل له : من ابن قنانٍ هذا ؟ لسنا نعرفه من مُغَنِّى البصرةِ ، قال : وما عليكم منه ؟ أَلكم قِبَلَهُ دَيْن أَو ثار أَو كفلت لكم به فإذا غاب طلبتمونى به؟[(٣)] فقالوا:

---

(١) فى الأغانى : أو تمطر الدما .

(٢) فى الأغانى : جاريتى .

(٣) فى الأغانى : ألكم قبله دين فتطالبوه به أو ثأر تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتمونى بإحضاره .

ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، إنما أردنا أن نعرفه . قال : هو رَجلٌ يغني لي ولا يخرج من بيتي . فقالوا له : متى ؟ قال : مُذْ يوم ولد وإلى يوم يموت .

ومن ذلك قوله :

... ووافاني * هلالُ السماء في البردانِ *

فقيل له : يا أبا معاذ أين البردان هذا ؟ ليس نعرفه في البصرة ، قال : هو بيت في داري سميته البردان ، أفعليكم[1] من تسمية داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه ؟

قال يحيي بن الجَوْن العبدي راويةُ بشار : كنا يوما عند بشار فأنشدنا قوله :

وجاريةٍ خُلقَتْ وحـــدَها ... فـكل النساء لهـــا كالخدَمْ[2]

ظمئتُ إليها فـــلم تسقني ... بِرِيٍّ ولم تَشفني من سَقَمْ

وقالت هَـــوِيتَ فمُتْ راشداً ... كما مات عُروةُ غمًّا بغمّْ

فلما رأيت الهـــوى قاتلِي ... ولستُ بجـارٍ ولا بابنِ عمّْ

دسست إليها أبـــا مِجْلَزٍ ... وأيّ فـتًى إن أصابَ اعـتزَمْ

فمـــا زال حتى أنابَتْ له[3] ... فراحَ وحـــلّ لنا ما حَرُمْ

فقال له رجل : من أبو مِجْلَزٍ هذا ؟ فقال : وما حاجتك إليه أتطالبه بمطالبة ؟ ألك عنده مال ؟ هو رجل[4] يتردّد بيني وبين معارفي في رسائلي .

كانت بالبصرة قَيْنَةٌ لبعض ولدِ سليمان بن عليّ ، وكانت محسنة بارعة الظَّرْف ، وكان بشار صديقا لسيدها مدّاحا له . فحضر مجلسه يوما والجارية تُغَنّي ، فسُرَّ

---

(١) في ت : فما عليكم .

(٢) في الأغاني : كأن النساء لديها خدم . هذا وبعده في الأغاني : بيت .

(٣) في ا : أبانت له .

(٤) في الأغاني : وماحاجتك إليه ؟ لك عليه دين أو تطالبه بطائلة ؟ هو رجل.

بحضوره ، فشرب حتى سكر ونام ، ونهض الناس[١] ونهض بشار ، فقالت له : يا أبا معاذ أحب أن تذكر يومنا هذا فى قصيدة ولا تذكر فيها اسمى ولا اسم سيدى وتكتب بها إليه . فانصرف وكتب إليه :

وذاتِ دلٍّ كأنَّ البدْرَ صُورتُهَا ... باتت تُغَنِّى عميدَ[٢] القلبِ سكرانَا
إن العيون التى فى طَرْفها مرض ... قتلننا ثم لم يُحيين قتْلانا
فقلتُ أحسنتِ يا سُؤْلى ويا أملى ... فأسمعينى جزاكِ اللهُ إحسانا
يا حبَّذا جبلُ الريَّان من جَبلٍ ... وحبَّذا ساكنُ الريَّانِ مَنْ كانا
قالت فهلَّا فدتْك النفسُ أحسنُ مِنْ ... هذا لمن كان صَبَّ القلبِ حَيرانا
يا قوم أُذْنى لبعضِ الحىِّ عاشقةٌ ... والأُذْن تَعشق قبل العين أحيانا
فقلتُ أحْسنْتِ أنتِ الشمسُ طالعة ... أضرمْتِ فى القلبِ والأحشاء نيرانا
فأسمعينى صَوْتا مُطرِباً هَزَجاً ... يزيدُ صبًّا محبًّا فيك أشجانا
ياليتنى كنتُ تفَّاحاً تُلفِّجه[٣] ... أو كنت من قُضُبِ الريْحانِ رَيْحانا
حتى إذا وجدتْ رِيحى فأعجبها ... ونحن فى غَفْلة مُثِّلْتُ إنسانا
فحرَّكتْ عُودَها ثمّ انثنتْ طَرَباً ... تَشدُو به ثم لا تُخفيه كِتمانا
أصبحتُ أطوعَ خلق الله كُلِّهم ... لأكثرِ الخلقِ لى فى الحبِّ عِصيانا
فقلتُ أطربْتِنا يا زَيْنَ مَجلِسنا ... فهاتِ إنكِ بالإحسان أَوْلَانا
لو كنتُ أعلم أنَّ الحبَّ يقتلنى ... أعددْتُ لى قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنَّت الشَّرْب صوتا مُؤْنِقا رَمَلًا ... يُذْكِى السرورَ ويُبْكى القلبَ ألوانا
لا يقتل اللهُ مَن دامتْ مودَّتُه ... واللهُ يقتلُ أهلَ الغدرِ أحيانا

---

(١) فى ت : وقام الناس .

(٢) عميد : مريض هده العشق .

(٣) كذا فى نسخ المختار . وفى الأغانى مفلجة .

ووجَّه الأبيات إلى سيدها ، فبعث إليه بألفَيْ درهم ، وسُرَّ بها سرورا كثيرا .

قال الرياشي : حضر بشارٌ بابَ محمد بن سليمان ، فقال له الحاجب : اصبر ، فقال : إن الصبر لا يكون إلا على بَلِيَّة . فقال الحاجب : إنى لأظنُّ أن وراءَ قولك هذا شرًّا ولن أتعرَّض لك ، فقم وادخل . قال ابن سَيابة لبشار : إن الله لم يُذهِب بصرَ أحدٍ إلا عَوَّضه شيئا ، فما عوضك ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : ألَّا أراكَ ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له بشار : أتطيعنى فى نصيحة أخصُّك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحمير زمانا ، ثم تبت وصرت رافِضِيًّا ، فعُدْ إلى سرقة الحمير فهو خير لك من الرفض ، ثم قال له بشار : من أنت ؟ قال : ابنُ سيابة . قال : يا ابن سيابة لو نُكِح الأسد لما افترس . وكان ابن سيابة يتهم بالأُبْنَة .

قال أبو دُهْان : مررتُ ببشار يوما وهو جالس على بابه وحده وليس معه أحد(١) ، وبيده مِخْصَرة(٢) يلعب بها ، وقدامه طبق فيه تفاح وأُترُجّ ، فلما رأيته وحده تاقت نفسى إلى أن أسرق مما بين يديه ، فجئت قليلا قليلا وهو كافٌّ يَدَه حتى مددتُ يدى لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب يدى ضربة كاد يكسرها ، فقلت : قطع الله يديك يا ابن الفاعلة ، أنت الساعة أعمى !(٣) فقال : يا أحمق فأين الحِسّ .

كان بُدُوّ شأن بشار أنه عشق جارية يقال لها فاطمة ، فسمعها يوما تغنى فهويها وقال :

دُرَّةٌ بحــريَّةٌ مكنونةٌ مَازَها التاجرُ من بين الدُّرَرْ
عجبتْ فَطْمَةُ من نَعْتى لها هل يُطيقُ النَّعْتَ مكفوفُ البَصَرْ

---

(١) فى الأغانى : وليس معه خلق .

(٢) المخصرة ما يمسكه الإنسان من عصا أو قضيب يتوكأ عليه .

(٣) فى الأغانى : أنت الآن أعمى .

بنت عشرٍ وثمانٍ قُسِمَتْ — بين غُصْنٍ وكَثيبٍ وقَمَرْ[١]
أَمَتى[٢] بَدَّد هذا لعبي — وَوِشاحى حَلَّه حتى انتثَرْ
فدَعيني معه يا أُمَّتا — عَلَّنا فى خَلْوَةٍ نقضى الوَطَرْ
أَقْبَلَتْ مُغضبةً تضربها — واعتراها كجنونٍ مُستعِرْ
بأبى والله ما أحسنَه — دَمْعُ عينٍ يَغسل الكُحْلَ قَطَرْ
أيها النُّوَّام هُبُّوا ويحكم — واسألونى اليومَ ما طعمُ السهَرْ

قال العباس بن خالد البرمكى : لم يزل السُّؤَّال يُسَمَّون السُّؤَّال إلى أيام خالد بن برمك من قديم الزمان ، فقال خالد : هذا اسم أستقبحه[٣] لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكريم عن أن يُسَمَّى به ، وفيهم الأشراف وأبناء النِّعَم ومَن لعله خير ممن يَقصده وأفضل أدبا ، ولكنا نسميهم الزُّوَّار . فقال بشار فى المجلس عند ما تكلم خالد بذلك يمدحه :

حذا خالد فى فعله حَذْوَ بَرمَكٍ — فَمَجْدٌ له مُستطرَفٌ وأَثِيلُ[٤]
وكان ذوو الآمال يُدْعَوْنَ قبلَه — بلفظٍ على الإعدام فيه دَليلُ
يُسَمَّوْنَ بالسُّؤَّال فى كلِّ موطنٍ — وإن كان فيهمْ نابِهٌ وجَليلُ
فسمَّاهمُ الزُّوَّارَ سَتْرًا عليهمُ — فأستاره فى المُجْتَدِين سُدُولُ

فأعطاه خالد بكل بيت ألف درهم .

قال أبو شِبْلٍ عاصمُ بنُ وهب : نَهق حمارٌ يوما بقرب بشّار ، فخطر بباله فقال :

---

(١) هذا البيت ليس فى الأغانى .

(٢) أمتى : يا أمتى ويصح أن تكون أصلها يا أمى وعوضت التاء عن ياء المتكلم ولحقتها الألف للضرورة .

(٣) فى الأغانى : «أستقباه» محرفة عن أستقبحه وجعلها المصححون : أستثقله.

(٤) فى الأغانى : وأصيل .

ما قام أَيْرُ حمارٍ فاستوى شَبَقاً[١] إلّا تحرَّكَ عِرْقٌ فى استِ تَسْنِيمِ

قال : ولم يُرِد تَسنيما بالهجاء ، ولـكنه لما بلغ إلى قوله « تحرَّكَ عِرْقٌ فى است » قال: فى است مَن ؟ فى است مَن ؟ وبقى حائرا على القافية ، فمرَّ به تسنيم بن الحوارى، وكان صديقاً له ، فسلّم عليه ، فضحك وقال « فى است تَسنيمِ » علم الله ، فقال له : عليك لعنة الله أَيْش ويلك ، فأنشده البيت . فقال : ويلك فما عندك فرق بين عدوّك وصديقك أىّ شىء حملك على هذا ؟ ألا قلت « فى است حَمَّاد » الذى فَضَحك وهجاك وأعياك ؟ وليست قافيتك على الميم فأعذِرَك ، فقال : صدقت فى هذا كله ، ولـكن ما زلت أقول : فى است مَن ؟ فى است مَن ؟ ولا يخطر ببالى أحـد حتى مررت وسلّمت علىَّ فَرُزِقْتَه ، فقال له تسنيمٌ : إذا كان هذا جواب السلام فلا سلَّم الله عليك ولا علىَّ حين سلَّمتُ عليك . وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه ، وتسنيم يشتمه .

قالت امرأةُ بشارٍ لبشار : ما أدرى لِمَ يَهابُكَ النـاس مع قبح وجهك ؟ فقال لها بشار : ليس من حُسْنِ وَجْهِهِ يُهابُ الأسد .

قال محمد بن الحجاج : دخل بشارٌ على عُقْبَة بن سَلْمٍ فأنشده بعض مدائحه فيه ، وعنده عُقْبَةُ بن رُؤْبة بن العجَّاج ، فأنشده عقبةُ رَجزاً يمدحه به ، فشيَّعه[٢] بشارٌ وجعل يستحسن ما قال إلى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار فقال : هذا طرازٌ لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار : أَلِى يقال هـــذا وأنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ؟ فقال له عقبة : أنا والله وأبى فتحنا لك وللناس بابَ الغريب وباب الرجز وإنى لخليق أن أَسُدَّه عليهم، فقال بشار : ارحمهم يرحمك الله ، فقال عقبة: أتستخفُّ بى يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ فقال له بشار : فأنت إذًا من أهل البيت

---

(١) فى الأغانى : فامتلا شبقا .

(٢) شيعه : شجعه وقواه ، وفى الأغانى : فسمعه بشار .

الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهرهم تطهيراً . ثم خرج عقبة مغضباً ، فلما كان من غَدٍ غدَا بشارٌ على عُقبة بن سَلْم وعنده عقبــة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التى يمدحه فيها وأوّلها[1] :

يا طَلَلَ الحىِّ بذات الصَّمْدِ بالله خَبِّرْ كيف كنتَ بَعْدِى

الحرُّ يُلْحَى والعَصَا للعَبْدِ وليس للمُلْحِفِ مثــلُ الرَّدِّ

وأتى فيها بالعجائب ، فطرب عقبة بن سَلْم وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخِزْيٍ وهرب من تحت ليلته فلم يعد إليه ، وكان الجاحظ يقول : انظرْ إلى سوء أدب عُقبة بن رُؤْبة وقد أجمل بشارٌ عِشْرَته ومَحْضَرَه فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلم خلق الله به ، لأنه قال له وقد فاخره بشعره : يا بُنَىَّ أنت إذا متَّ مات شِعْرُك معك ولم يوجد من يرويه بعدك ، فكان كما قال له ، ما يُعرف له بيت واحد ولا غَير هذا الخبرِ القبيح والأخبارُ الدالّة على سخفه وسوء أدبه وسقوطه .

جاء أبو الشَّمَقْمق إلى بشار يشكو إليه الضِّيقة ويحلف له أن ليس عنده شىء ، فقال له بشار : والله ما عندى شىء يُغْنيك ، ولكن قم معى إلى عقبة بن سَلْم . فقام معه ، فذكر له أبا الشَّمقمق وقال له : هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ، فقال بشار :

يا واحِدَ العرب الذى أمسى وليس لــه نَظِيرُ

لو كانَ مِثلَكَ آخَرٌ ما كان فى الدنيا فقيرُ

فأمر له بألف درهم ، فقال له أبو الشمقمق : نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ .

---

(١) جاءت الأرجوزة فى الأغانى طويلة وهنا اقتصر على أولها وواحد منها ليس هو الثانى .

كان(١) بشار يُشَبِّب بامرأة اسمها رَحْمة ، وكان أبو نواس قد عشق غلاما يقال له رَحمة بن نَجاح عم ّ نجاح بن سَلْم الكاتب ، وكان متقدما فى جماله ، فقال بشار فى محبوبته رَحمة :

يا رحمــةَ الله حُلِّى فى منازلنا — حَسبى برائحة الفردَوس من فِيك
يا أطيب الناس ريقا غير مُختبرٍ — إلّا شهادةَ أطراف المَساويكِ
قد زُرْتنى زَوْرة فى الدهر واحدةً — ثَنِّى ولا تَجْعليها بَيضةَ الدِّيكِ

وقال أبو نواس فى محبوبه رحَمة :

أحببتُ من شِعر بشَّارٍ لحبِّكُمُ — بيتا كَلِفْتُ به من شعرِ بشارِ
يا رحمــةَ الله حلِّى فى منازلنا — وجاوِرِينا فدَتْك النفسُ من جَارِ
إذا ابتَهلتُ سألت الله رَحْمتَه — كَنيت عنك وما يَعْدُوك إضمارى

قال الأصمعى : لما أنشد بشار أبا المَلَدّ عقبة بن سلم أرجوزته الدالية التى أولها :

* ياطَلَل الحىّ بذات الصَّمْدِ *

أمر له بخمسين ألف درهم ، فأخّرها عنه وكيله ثلاثة أيام ، فأمر بشار غلامه أن يكتب على باب عقبة :

ما زال ما منيتنى من هَمِّى — الوَعْدُ غَمٌّ فَأرِحْ مِن غَمِّى

* إن لم تُرِدْ حمدًا فراقبْ ذَمِّى *

فلما خرج عقبة رأى ذلك فقال : هذه من فعلات بشار ، ثم دعا بالقَهْرمان(٢) فقال : هل حملتَ إلى بشَّار ما أُمِرْتَ به ؟ فقال: نحن مُضِيقُون وغَداً أحمل إليه المال ، فقال: زد فيه عشرة آلاف درهم أخرى واحملها إليه الساعة . فحملها من وقته إليه(٣).

(١) لم يرد هذا الخبر فى الأغانى فى ترجمة بشار ولا الشعر .

(٢) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

(٣) هنا نص فى ا جاء متأخرا فى نسخة ت وجاء بالهامش فى نسخة ك ونجده فى الأغانى يسبق كما فى نسخة ا .

حجّ المنصور فاستقبله الناس ، فلما رحل من الشُّقُوق(١) رحل فى وقت الهاجرة ولم يركب فى القبة ، وركب نجيبا وسار ، فجعلت الشمس تَضْحك(٢) بين عينيه ، فقال : إنى قائل بيتا فمن أجازه وهبت له جُبّتى هذه ، فقلنا : يقول أمير المؤمنين ، فقال :

وهاجرةٍ نصبت لهـا جَبينى ... يُقطّع حرُّها ظَهْرَ العَظَايَه(٣)

فبدر بشار الأعمى فقال :

وقفت بها القَلُوصَ وفاض دمعى ... على خـدى وأقصرَ وَاعِظَايَهْ

فنزع الْجُبّة وهو راكب فدفعها إليه ، فباعها بأربعمائة دينار .

قال أبو البصير(٤) الشاعر : أنشدت بشارا قصيدة لى ، فقال لى : أيجيئك شعرك هذا كلما شئت أو هـذا شىء يجيئك فى الفَيْنة بعد الفَيْنة إذا تعمّلت له ؟ فقلت : بل هذا شعر يجيئنى كلما أردته . فقال لى : فقل فإنك شاعر . فقلت له : لعلّك حابيتنى يا أبا معاذ وتجمّلت لى . فقال لى : أنت ـ أبقاك الله ـ أهون علىَّ من ذلك .

كان(٥) بشار يهوى جارية من أهل البصرة يُقال لها عُبَيْدَة ، فخرجت من البصرة إلى عُمَان مع زوجها ، فقال بشار :

هَوَى صاحبى ريحُ الشَّمال إذا جرَتْ ... وأَشْـفَى لقلبى أن تَهُبَّ جَنُوبُ

وما ذاك إلّا أنهـا حين تنتهى ... تَنـاهَى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ

عَذِيرى من العُذَّال إذْ يَعذِلوننى ... سَفاهاً وما فى العـاذلين لَبيبُ

يقولون لو عَزَّيتَ قَلبك لارْعَوَى ... فقلت وهل للعـاشقين قلوبُ

إذا نطق القومُ الجـلوسُ فإننى ... مُـكِبٌّ كأَنى فى الجميع غَرِيبُ

---

(١) الشقوق: منزل بطريق مكة.

(٢) تضحك : تتلألأ .

(٣) فى الأغانى : يقطع ظهرها .

(٤) فى الأغانى : أبو النضير .

(٥) هذا هو النص الذى جاء فى ا متقدما .

قال رجل من باهلة : كنت عند بشار بن برد ، فأتاه رجل فسلّم عليه فسـأله بشار عن خبر جارية عنده فقال : كيف هى ؟ فقال : فى عافية ، وهى تدعوك اليومَ ، فقال لى بشار : ياباهلىّ ، انهض بنـا ، فجئت إلى منزل نظيف وفرش سَرِىّ ، فأكلنا ، ثم جىء بالنبيذ فشربنا مع الجارية ، فلما أردنا الانصراف قامت فأخذت بيد بشار ، فلما صار فى الصحن أومأ إليها ليقبلها ، فأرسلت يده من يدها ، فجعـل يجول فى العَرْصة ، وخرج مولاها فقال : مالك ياأبا معاذ ؟ فقال : أذنبتُ ذنبا ولا أبرح حتى أقول شعرا ، فقال :

أتوب إليك من السّيّئاتِ — وأستغفر الله من فعلتى
تناولت مالم أُرِد نَيْلَه — على جهل أمرى وفى سَكْرتى
فوالله والله ماجئتـه — بعَمْدٍ ولا كان من هِمّتى[1]
ومَن نال خيرا على قُبْلةٍ — فما بارك الله فى قُبْلَتى

قال أبو عبيدة : السبب الذى من أجله نهى المهدىُّ بشاراً عن ذكر النساء هو استهتار النساء بالبصرة وشُبّانها بشعره ، حتى قال سَوّار بنُ عبد الله الأكبرُ يوما ومالك بن دينار: ماشىء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من شعر هذا الأعمى ، وقال واصل بن عطاء: إن أخدع حبائل الشيطان وأغواها كلمات هذا الأعمى الملحد. فلما كثر ذلك وانتهى خبره إلى المهدى من وجوه كثيرة ، وأنشد المهدىّ يوما ما مدحه به نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب ، وكان المهدى أشدَّ الناس غَيْرةً ، فقيل له : مانحسب شعرَ هذا بلغ مابلغ شعر[2] جميل وكُثَيِّر وعُروة وقيس وتلك الطبقة ، فقال : ليس كل من سمع تلك الأشعار يعرف المراد منها . وبشار يُقارب النساء

---

(١) بعده بيت فى الأغانى لم يجىء هنا .

(٢) فى الأغانى : شعر هذا أبلغ فى هذه المعانى من شعر .

حتى لا يَخفَى عليهنّ مايقول وما يريد ، وأىّ حُرَّة حَصَانٍ تسمع قول بشار فلا يُؤَثّر في قلبها ؟ فكيف بالمرأة الغَزِلة والفتاة التى لا هِمَّة لها إلّا الرجال ، ثم أنشد قوله :

قد لامنى فى خليلتى عُمَرُ ... واللومُ فى غير كُنهه ضجرُ
قال أَفِقْ قلت لا فقال بلى ... قد شاع فى الناس منكما الخبرُ
قلت وإن شاع ما اعتذارى[(١)] ممّا ... ليس فيه عندهم عُذُرُ
ماذا عليهم وما لهم خَرِسُوا ... لو أنهم فى عيوبهم نَظَرُوا
أعشق وحدى ويؤخذون به ... كالتُّرك تغزو فتُقْتَلُ الخَزَرُ[(٢)]
يا عَجَباً للخلاف يا عَجَباً ... فى فِى الذى لام فى الهوى الحجرُ
حسبى وحسب الذى كَلِفْتُ به ... مِنّى ومنها الحديث والنظَرُ
أو قُبْلَةٌ فى خلال ذاك وما ... بأسٌ إذا لم تُحَلَّلِ الأُزُرُ[(٣)]
أو عضَّة فى ذراعها ولها ... فوق ذراعى من عَضّها أَثَرُ
أو لمسة دون مِرْطها بيدى ... والبابُ قد حال دونه السِّتْرُ
والساق بَرّاقة خَلاخِلُها[(٤)] ... أو مَصُّ رِيقٍ وقد علا البُهُرُ
واسترخت الكَفُّ للعراك وقا ... لتْ إيهٍ عَنّى والدَّمْعُ منحدرُ
انهض فما أنت كالذى زعموا ... أنت وربّى مغازل أَشِرُ
قد غابت اليومَ عنك حاضنتى ... واللهُ ربى لى منك منتصرُ[(٥)]
يا ربّ خُذْ لى فقد ترى ضَرَعى ... من فاسق جاء ما له فِكَرُ[(٦)]

---

(١) فى الأغانى : ما اعتذارك . وفى ا « فاعتذارى » وأثبت ما فى ك .

(٢) فى الأغانى : فتؤخذ الخزر .

(٣) فى الأغانى : لم تحل لى الأزر .

(٤) فى الأغانى : مخاخلها .

(٥) فى الأغانى : والله لى منك فيك ينتصر .

(٦) فى الأغانى : جاء ما به سكر .

أهْوَى إلى مِعْضَدِى فرضَّضه ... ذو قوَّة ما يطاق مُقتدرُ
ألصق بى لِحْيَةً له خَشُنَتْ ... ذاتَ سَوَادٍ كأنها إبَرُ
حتى عَلانى وأسْرَتى غَيَبٌ ... ويلى عليهم لو أنهم حَضَرُوا[1]
كيف بأمِّى إذا رأت شفتى ... أم كيف إن شاع عنك ذا الخبرُ[2]
قد كنت أخشى الذى بُليت به ... منك فماذا تقول يا عَبَرُ[3]
قلت لها عند ذاك يا سَكَنى ... لا بأس إنى مُجَرِّبٌ خَبِرُ
قولى لها بَقَّةٌ لها ظُفُرٌ ... إن كان فى البَقِّ ما له ظُفُرُ

ثم قال : مثل هذا الشعر يميل القلب ويُلين الصَّعب .

لما ورد بشار على خالد بن برمك بفارِسَ امتدحه ، فوعده ومطله ، فوقف على طريقه وهو يريد المسجد فأخذ بلجام بغلته وأنشده :

أظلَّتْ علينا منك يوما سحابةٌ ... أضاءتْ لنا بَرْقاً وأَبْطا رِشَاشُها[4]
فلا غَيْمُها يُجْلى فييأس طامعٌ ... ولا غَيْثُها يأتى فَيرْوَى عِطاشُها

فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال : لن تنصرف السحابة حتى تبلك إن شاء الله تعالى .

قال على بن حرب الطائى : كان رجل منا يقال له سعد بن القمقاع يتقدَّم بشَّارا فى المجانة ، فقال لبشار وهو ينادمه : ويحك ياأبا معاذ ! قد نَسَبنا الناسُ إلى الزندقة .

---

(١) غيب غائبون . هذاء وفى الأغانى بعده بيت لم يذكر هنا فى المختار .

(٢) فى الأغانى : إن شاع منك .

(٣) العبر « بتثليث العين وسكون الباء » الجرىء القوى وحركت باؤه لضرورة الشعر . وقد وضع فى ا علامة الإهمال تحت العين ؛ أماقى ك فإنها ياغبر « بالغين المضمومة هكذا ضبطا فيها » لكن يقال: داهية الغبر « بفتح الغين والباء » الذى يعاندك ثم يرجع إلى قولك .

(٤) الرشاش : جمع رش وهو المطر الخفيف .

فهل لك فى أن تَحُجَّ حجّةً تنفى ذلك عنا ؟ قال : نِعْمَ مارأيت . فاشتريا بعيرا ومَحْمِلا ورَكِبا ، فلما مرَّا بزُرارة[1] قال له : ويحك ياأبا معاذ ، ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ؟ مِلْ بنا إلى زُرارة نتنعم فيها ، فإذا قفل الحاجُّ عارَضناهم بالقادِسيَّة وَجززْنا رُءوسنا ، فلم يشكّ الناس أنَّا جئنا من الحج . فقال له بشار : نِعْم مارأيت لولا خُبْثُ لسانك ، وإنى أخاف أن تفضحنا . قال : لا تخف . فمالا إلى زُرارَة فما زالا يشربان الخمر ويفسقان ، فلما نزل الحاجُّ بالقادسية راجعين أخذا بعيرا ومَحْمِلا واستأصلا شعورها[2] وأقبلا ، وتلقاها الناس يهنئونهما .

فقال سعدُ بن القَعقاع :

ألم ترنى وبشَّارا حَجَجْنا ... وكان الحجُّ من خَيْر التجارَهْ
خرجْنا طالِبَىْ سَفرٍ بَعيد ... فمال بنا الطريق إلى زُرَارَهْ
وآبَ الناسُ قد حجوا وبرُّوا ... وأُبْنَا مُوقَرِين من الخسارَهْ

قال داود بن رَزِين : أتينا بشارا ، فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه ، فلم يدعُنا إلى طعامه ، فلما أكل دعا بطَشْتٍ وكشف عن عورته[3] فبال فيه ، ثم حَضَرت الظهرُ والعصر والمغرب فلم يُصلّ ، فدنونا منه فقلنا له : أنت أستاذنا ، وقدرأينا منك أشياء نكرهها[4] ، قال : وما هى ؟ قلنا: دخلنا والطعامُ بين يديك فلم تَدْعُنا ، فقال: إنماأذنت لكم لتأكلوا ، ولو أردت ألا تأكلوا ماأذنت لكم . قال: ثم ماذا ؟ قلنا: دعوت بالطست ونحن حضور فبُلْت ونحن نراك ، قال : أنا مكفوف وأنتم بُصَراء ،

(١) زرارة : محلة بالكوفة .
(٢) فى الأغانى : وجزا رءوسهما .
(٣) فى الأغانى : عن سوءته .
(٤) فى الأغانى : أنكرناها .

وأنتم المأمورون بغَضِّ الأبصار دونى ، قال : ثم ماذا ؟ قلنا : حضرَتِ الظهرُ والعصر والمغرب فلم تصلِّ ، قال : إن الذى يقبلها تفاريقَ يقبلها جملة واحدة .

حكى بعض أصحاب بشار قال : كنا إذا حضرت الصلاة نقوم إليها ويقعد بشار، فنجعل على أطراف ثيابه[1] ترابا لننظر هل يصلى ، فنعود والترابُ بحاله .

روى الحرمازى قال : قعد رجل إلى بشار فاستثقله ، فضرِط عليه ضرطة ، فظن الرجل أنها أفلتت منه ، ثم ضرط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم ضرط ثالثة ، فقال : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ قال : مَهْ ، أرأيت أم سمعتَ ؟ قال : بل سمعتُ صوتا قبيحا ، قال : لا تُصدِّق حتى تَرَى .

قال رجل يوما فى المسجد لبشار : ياأبا معاذ يُعجبك الغلام الشادِن[2] ؟ فقال غير مكترث ولا محتشم : لا ، ولـكن تعجبنى أمه .

وقال بشار فى ثقيل :

هل لك فى مالى وعِرْضى معا ... وكلِّ ما يملك جــيرانِيَهْ
واذْهَبْ إلى أبعدِ ما يُنتَوَى ... لا رَدَّكَ الله ولا مالِيَــــهْ

أُنشِد الوليدُ بن يزيد قولَ بشار :

أيها الساقيانِ صُبَّا شرابى ... واسقيانى من رِيق بيضاءَ رُودِ
إن دائى الظَّما وإن شفائى[3] ... شَربةٌ من رُضاب ثَغْرٍ بَرُودِ
ولها مَبْسِمٌ كَنَوْرِ الأقاحى[4] ... وحديثٌ كالوَشْىِ وَشْىِ البُرودِ

---

(١) فى الأغانى: فنجعل حول ثيابه . وفى ا أطراف بنانه .
(٢) الشادن : من أوصاف الظبى إذا قوى وصلح جسمه . وفى الأغانى : الغلام الجادل .
(٣) فى الأغانى : وإن دوائى .
(٤) فى الأغانى : ولها مضحك كغر الأقاحى .

نزلتْ فى السَّواد من حَبَّة القلـ ب ونالتْ زيادة المُستزيـد
ثم قالت نلقاك بعـد ليالٍ والليالى يُبْلين كلَّ جديـد
عندها الصبر عن لقائى وعندى زَفَراتٌ يأكلن قلب الجليد[1]

فطرب الوليد وقال : من لى بمزاج كأسى هـذه من ريق سَلْمى فيروِى ظمئى ويُطفِئ غُلَّتى ؟ ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ثم قال : إن فاتنا ذاك فهذا .

قال عبد الله بن أبى بكر : كان لنا جار بَزَّاز يكنى أبا بدر[2] ، وكان صديقا لبشار ، فبعث بشار إليه ذات يوم يطلب منه ثيابا بِنَسِيئة[3] فلم يصادفها فقال يهجوه :

ألَا إنَّ أبا بَـدْرٍ زَنَى فى ليلة القَدْرِ
ولم يرع تعالى اللـ ـهُ حُرْمَةَ ذلك الشهرِ[4]

وكتبها وبعثها إليه ، ولم يكن أبو بدر ممن يقول الشعر ، فقلبها وكتب فى ظهرها :

ألَا إنّ أبا بـدرٍ لـه فى ذلكم عُذْرُ
أتتـه أُمُّ بشَّـارٍ وقد ضاق به الأَمْرُ
فـواثَبَها فجـامعها وما ساعـده الصَّبْرُ

فلما قرئت على بشار غضب وندم على تعرُّضه لرجـل لا نباهة له ، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظا ، ثم قال : لا تعرضت لهجاء سَفِلَةٍ مثل هذا أبدا .

---

(١) فى الأغانى : قلب الحديد .
(٢) فى الأغانى : « كان لنا جار يكنى أبا زيد » هذا ، وأبو بدر تناسب القافية الآتية .
(٣) باعه بنسيئة : أخر له ثمن الشىء المبيع .
(٤) فى الأغانى : تعالى الله ربى حرمة الشهر .

دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده قوله فيه :

إنما لذَّةُ الجَوادِ ابنِ سَلْمٍ   فى عَطاءٍ ومَرْكبٍ للقاءِ
حرَّم اللهُ أن يُرَى كابنِ سَلْمٍ   عُقْبَةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفقَراءِ[١]
ليس يُعطيك للرجاء ولا الخو   فِ ولكنْ يلَذُّ طَعْمَ العطاءِ
يَسقط الطَّيرُ حيثُ يلتقط الحَـ   ـبُّ وتُغْشَى منازل الكرماءِ[٢]
فعلى عُقبةَ السلامُ مُقيما   وإذا سار تحت ظِلِّ اللِّوَاءِ[٣]

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وقيل : إنه أمر له بثلاثة آلاف دينار[٤] . وقيل لبشار لما صنع هذه الأبيات : إن مدائحك عقبة فوق مدائح كل أحد ، فقال بشار : إن عطايا عقبة لى فوق عطايا كل أحد ، مدحته بهذه الأبيات فأمر لى بثلاثة آلاف دينار ، وها أنا ذا مدحت المهدى وأبا عُبيد الله وزيره وأقمت ببابهما حولا ولم يعطيانى شيئا ، أفألام على تَجويد مدح هذا ؟

كان أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحمر يأتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الإعظام[٦] ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثتَ ؟ فينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له ، فأتياه يوما فقالا : ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى سلم بن عقبة[٧] ؟ فقال : هى التى بلغتكما . قالا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ، قال : نعم ، بلغنى

---

(١) هذا البيت يوجد فى الأغانى فى موضع آخر هو الذى عقب به وقيل لبشار لما صنع هذه الأبيات .

(٢) فى الأغانى : حيث ينتثر الحب .

(٣) قبل هذا فى الأغانى بيت ليس فى نسخ المختار .

(٤) جملة « قيل إنه » . جاءت فى الأغانى فى موضع آخر فكأنه مزج ابن منظور بين الخبرين.

(٥) فى الأغانى : على مدحى هذا .

(٦) فى الأغانى : التعظيم .

(٧) فى ت : « فى عقبة بن سلم » . وفى الأغانى : فى سلم بن قتيبة .

أن سَلْماً يتناظر(١) بالغريب ، فأحببت أن أورد عليه مالا يعرف . قالا : فأنشِدْنا . قال : فأنشدها :

بَكِّرَا صاحبيَّ قَبْلَ الهَجيرِ   إن ذاكَ النجاحَ فى التبكيرِ

فلما فرغ قال له خلف : لو قلت مكان :

إن ذاكَ النجاح فى التبكير

بكِّرا فالنجاحُ فى التبكيرِ

كان أحسن ، فقال بشار : إنما بَنَيْتُها أعرابية وَحْشِيّة فقلت :

إن ذاكَ النجاح فى التبكير

كما يقول البدويون الأعراب ، ولو قلت : « بكرا فالنجاح » كان هـذا كلام المولَّدين لا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل معنى القصيدة . فقام خلف فقبل ما بين عينيه . فقال له أبو عمرو يمازحه(٢) : لو كان عُلَاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخى ، ولكنك مولى . فمدّ بشار يده فضرب بها فخذ أبى عمرو(٣) وقال :

ارفُقْ بعمرٍو إذا حرَّكْتَ نِسْبَتَهُ   فإنــه عربىٌّ من قــواريرِ

فقال : أفعلتها يا أبا معاذ ؟ قال : كما فعلتَها يا أبا عمرو ، وكان أبو عمرو يُغْمز فى نسبه .

قال خلف : كنت أسمع ببشار قبل أن أراه ، فذُكِر لى يوما ووصف بيانه وسُرعة جوابه وجودة شعره ، فاستنشدتهم شيئا من شعره فأنشدونى شيئا لم يكن

---

(١) فى الأغانى : يتباصر .

(٢) فى الأغانى : «وقال له خلف بن أبى عمرو يمازحه » ولاشك أن كلمة «خلف بن» مقحمة خطأ .

(٣) فى الأغانى فخذ خلف .

بالمحمود عندى ، فقلت : والله لآتينّه ولأُطَأْطِئَنّ منه ، فأتيته وهو جالس على بابه ، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة ، فقلت : لعن الله من يبالى بهـذا ، فوقفت أمامه[1] طويلا ، فجاء رجل فقال : إن فلانا شَيَّعك[2] عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ، قال : أوَ فعل ذلك ؟ قال : نعم ، فأطرق ، وجلس الرجل عنده وجلست ، وجاء قوم فسلموا عليـه فلم يردُدْ عليهم السلام . فجعلوا ينظرون إليه وقد دَرَّتْ أوداجه ، فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشد بأعلى صوته :

نُبّئت نائك أُمِّـه يغتابنى عند الأمير وهل عَلَىَّ أميرُ
نارى مُحَرِّقة وبَيْتى واسع[3] للمُعْتفين ومَجلسى معمورُ
وَلِىَ المهابةُ فى الأَحبَّة والعِدَا وكأننى أسـد له تَامُورُ[4]
غَرِثَتْ حَلِيلته وأخطأ صيـدُه فَلَه عَلَى لَقَمِ الطريقِ زَئـيرُ[5]

فارتعدتْ والله فرائصى ، واقشعرّ جلدى ، وعظم فى عينى جدا ، وقلت : الحمد لله الذى أبعدنى من شَرِّك .

قال العباس بن خالد : مدح بشارٌ خالدَ بنَ برمك فقال فيه :

لعمرى لقد أَجْدَى علىَّ ابنُ بَرْمَكٍ وما كلُّ من كان الغِنَى عنده يُجْدِى
حَلَبْتُ بشِعرى راحتَيْه فـدَرَّتَا سَماحاً كما دَرَّ السحابُ مع الرَّعْدِ
إذا جئتَه للحمد أشرق وجهُـه إليك وأعطاك الكرائمَ بالحَمْدِ[6]

(١) فى الأغانى : فوقفت أتأمله .
(٢) فى الأغانى: سبك .
(٣) فى الأغانى : وبيتى واسع . هذا ، والمعتفون : طالبو الفضل والرزق .
(٤) التامور: من معانيه: عرين الأسد. وفى نسخ المختار: به تامور. فيكون التامور بمعنى العقل .
(٥) غرثت: جاعت. ولقم الطريق : متنه ووسطه .
(٦) فى الأغانى : الكرامة بالحمد .

له نِعَمٌ فى القــوم لا يَستثيبها جزاءً وكَيْــل التــاجرِ المُدَّ بالمُدِّ
مُفيدٌ ومِتلافٌ سبيــل تُراثِـه إذا ما غَـدَا أوْ راح كالجَزْر والمَدِّ
أخالدُ إنّ المَـدْحَ يبقى لأهـله جمالا ولا تَبْـقَى الـكُنوزُ على الـكَدِّ
فأَطْعِم وكُلْ من عــارَةٍ مسْتَرَدَّةٍ ولا تُبْقِها إنّ العَوَارِىَ للرَّدِّ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطيه فى كلِّ وِفادةٍ خمسةَ آلاف درهم ، وأمر خالد أن يُكتب هذان البيتان فى صَدْر مجلسه الذى يجلس فيه ، وأوصى يحيى ولده أن يعمل بهما .

وكانت لبشار جاريةٌ سوداء كان يقع عليها ، وفيها يقول :

وغادةٍ سَوداءَ برّاقــةٍ كالمــاءِ فى طِيبٍ وفى لِينِ
كأنَّها صِيغَتْ لمن نا كهـا من عنبر بالمِسك معجونِ

كان أبو الوزير مولى عبدِ القَيْس من عُمَّال الخراج ، وكان عفيفا بخيلا ، فسأل عُمَرَ بنَ أبى العلاء ، وكان شجاعا جوادا ، فى رجل ، فوهب له مائة ألف درهم ، فدخل أبو الوزير على المهدى فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن عُمر بن أبى العلاء خائن، قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كلمته فى رجل كان أقصى أملِه ألفُ درهم فوهب له مائة ألف درهم ، فضحك المهدى وقال : كِلا كما عَمِلَ على شاكلته ، أما سمعتَ قول بشار فيه :

إذا دَهمتِك عِظامُ الأُمورِ فنبِّــه لهـا عُمَراً ثُمَّ نَمْ
فتًى لا يَبيتُ علىدِمْنةٍ(١) ولا يَشربُ الماءَ إلَّا بِدَمْ

---

(١) الدمنة : الحقد .

وقول أبي العتاهية فيه :

إن المَطايا تَشتكيك لأنها ... قطعتْ إليك سَبَاسِباً ورمالا[١]
فإذا وردْنَ بنا وردْنَ خفائفاً[٢] ... وإذا صَدَرْن بنا صدرْنَ ثِقالا

أو ليس هو الذى يقول فيه أبو العتاهية :

ياابْنَ العَلاء ويا ابنَ القَرْمِ مِرْدَاسِ ... إنى لأُطرِيك فى أهلِي وجُلَّاسى[٣]
حتى إذا قيل ما أعطاك من نَشَبٍ ... أُلْفيتُ من عُظْم ما أَوْلَيْتَ كالنَّاسِي[٤]

ثم قال : من اجتمعت أَلْسُن الناس على مدحه كان حقيقا أن يُصَدِّقها بفعله .

قال دِعْبل بن علىّ : كان بشار يُعطى أبا الشَّمَقْمق فى كل سنة مائتى درهم ، فأتاه أبو الشمقمق فى بعض السنين فقال : هَلُمَّ الجِزْية ياأبا معاذ ، فقال له : ويحك ! أوَ جِزْيةٌ هى أيضا ؟ قال : هى ما تسمع ، فقال له بشار يمازحه : أنت أفصح منى ؟ قال : لا . قال : فأعلم منى بمثالب الناس ؟ قال : لا . قال : فأشعرُ منى ؟ قال : لا . قال : فلم أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوك . قال : إن هجوتَنى هجوتُك . فقال له أبو الشمقمق : أو هكذا هو ؟ قال : نعم ، فقلْ ما بدا لك . فقال أبو الشمقمق :

إنى إذا ما شاعر هَجَانِيَهْ ... ولجَّ فى القول له لسانِيَهْ
أدخلْتُه فى استِ أمِّه علانيهْ ... بشار يا بشار . . . . .

وأراد أن يقول : يا ابن الزانية .

فوثب بشار فأمسك فاه وقال : أراد والله شتمى . ثم دفع إليه مائتى درهم وقال له : لا تسمع هذا منك الصبيان .

---

(١) السباسب : المفاوز جمع السبسب .
(٢) فى الأغانى : مخفة .
(٣) فى الأغانى : فى صحبى وجلاسى .
(٤) فى الأغانى : ما أسديت كالناس .

قال الأصمعي : أمر عقبة بن سلم لبشار بعشرة آلاف درهم ، فأُخبر أبو الشّمقمق بذلك، فَوافَى بشارا فقال له : يا أبامعاذ ، إني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون :

هَلَّلِيــنَهْ هَلَّلِيــنَهْ　　طَعْنَ قِثَّاةٍ لِتينَهْ
إن بشار بنَ بُرْدٍ　　تَيْسٌ أعمى فى سفينَهْ

فأخرج إليه بشار مائتى درهم وقال له : خذ هذه ولا تــكن راوية للصبيان .

استماح[1] بشارٌ العباسَ بنَ محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه ، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليَسارِ على العبَّاس ممــدودُ　　وقلبُه أبـــداً بالبُخل مَعقودُ
إن الــكريمَ ليُخْفِى عنك عُسرته　　حتى تراه غنِيًّا وهـــو مَجهودُ
وللبخيل عـــلى أمواله عِلَــلٌ　　زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سُودُ
إذاتــكرَّمت أن تُعطِى القليلَ ولم[2]　　تَقْدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهرِ الُجود
أوْرِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنوال فمــا　　تُرْجَى الثِّمارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النَّوالَ ولا تَمنعك قِلَّتُــه　　فــكلٌّ ما ســدَّ فقْرا فهو مَحمودُ

قال بشار : لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس يُشبّه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث يقول :

كأن قُلوبَ الطير رَطْبا ويابسا　　لدى وَكْرِها العُنَّاب والَحشَفُ البالى

أُعْمِل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد حتى قلت :

كأن مُثَار النَّقْع فوق رُءوسنا　　وأسيافَنَا ليلٌ تهَاوَى كَوا كِبُهْ

---

(١) فى الأغانى : استمنح .
(٢) فى الأغانى : إذا تــكرهت .

وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمرى فقال وأحسن :

ليلٌ من النَّقْعِ لا شَمْسٌ ولا قَمَرٌ ... إلَّا جَبِينُك والمَذْرُوبةُ الشُّرُعُ(١)

كان إسحاق الموصلى يَطعن على شعر بشار ويضع منه ويقول : كلامُه مختلف لا يشبه بعضه بعضا ، فقيل له : أتقول هذا لمن يقول :

إذا كنتَ فى كلِّ الأمور مُعاتِباً ... صديقَك لم تَلْقَ الذى لا تُعاتِبُـهْ

فعِشْ واحــداً أَوْ صِلْ أخاكَ فإنه ... مُقــارِفُ ذَنبٍ مرَّةً ومُجانبهْ

إذا أنت لم تشربْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئْتَ وأىُّ الناسِ تصفو مَشاربُـهْ

قال على بن يحيى : وهذا كلام ليس فوقه كلام من الشعر لا حَشْوَ فيه .

قال أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى : إن شُبَيْل بن عُرْوة(٢) الضُّبَعى أنشده هذه الأبيات للمتلمِّس ، وكان عالمـا بشعره ، لأنهما جميعا من بنى ضُبَيعة ، فقيل له : أو ليس قد ذكرتَ ذلك لبشار وأنك تنسبها للمتلمس ؟ فقال بشار : كذب والله شُبيل ، هذا شعرى مدحت به ابنَ هبيرة وأعطانى عليه أربعين ألفا . وصدق بشار ، فإنه مدح بها ابن هُبيرة وقال فيها :

وكُنَّا إذا دبَّ العدوُّ لسُخْطنا ... وراقَبَنا فى ظاهرٍ لا نُراقبُهْ

رَكِبْنَا له جَهْراً بكلِّ مثقفٍ ... وأبيضَ تَسْتَسقِى الدماءَ مضاربُهْ

ولا يعثر على بشار أنه سرق شعرا قطّ جاهليّا ولا إسلاميّا .

لمـا خلع محمدٌ المأمونَ(٣) وندب له علىَّ بنَ عيسى . ندب المأمونُ للقاء علىِّ بنِ

---

(١) المذروبة : المحددة . والشرع : المشروعة .

(٢) كذا ورد فى أصول المختار ، وكذلك ورد فى القاموس واستدرك شارحه فقال : بن عزرة « بفتح فسكون » .

(٣) فى ت : الأمين وكذلك فى بقية نسخ المختار .

عيسى طاهرَ بنَ الحسين ، وجلس ليعرضه هو وأصحابه ، فمرّ ذو اليمينين[١] معترضا وهو ينشد :

رويداً[٢] تصاهلْ بالعراق جيادُنا ... كأنك بالضحَّاك قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمون بذلك واستدناه فاستعاده البيت ، فأعاده عليه . فقال طاهر[٣] : يا أمير المؤمنين هذا حَجَرُ العِراق . قال : أجل ، فعقد له ، وترك علياً[٤] فلما سار ذو اليمينين إلى العراق سأل : هل بقى من ولد بشار أحد ؟ فقالوا له : لا ، فتوهمت أنه همَّ لهم بشىء .

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها ابنَ هبيرة فأعطاه عشرة آلاف درهم . وكان ذلك أول عطية سنيّة أُعطيها بشار بالشعر ، أولها :

يخاف المنايا أنْ ترحّلت صاحبى ... كأنَّ المنايا فى المقام تناسبُهْ

فقلت له إنَّ العراق مُقامُه ... وَخِيمٌ إذا هبت عليك جنائبُهْ

لِألقى بنى عَيلان إن فَعَالَهم ... تزيد على كل الفعَال مراتبُهْ

أولاك الأولَى شَقُّوا العمى بسيوفهم ... عن الجفن حتى أبصر الحقَّ طالبُه[٥]

وجيشٍ كَجُنْح الليل يَزحف بالحَصَى ... وبالشَّوْك والخطِّىِّ حُمْرٍ ثَعالبُهْ[٦]

---

(١) ذو اليمينين: هو طاهر بن الحسين.

(٢) فى مادة «رود» فى اللسان ٤/١٧٣: إذا أردت «برويدا» الوعيد نصبتها بلا تنوين. وأنشد رويد تصاهل بالعراق جيادنا . .

(٣) كذا فى ا وت، ك «فقال طاهر» والصواب: فقال ذو الرياستين «وهو الفضل بن سهل» كما فى الأغانى .

(٤) جملة « فعقد لى وترك عليا » ليست فى الأغانى ولا فى ا وهى بهامش ك .

(٥) فى الأغانى : عن العين حتى .

(٦) ثعلب الرمح : ما دخل فى جبة السنان منه .

غدونا له والشمس فى خِدْرِ أُمِّها[1] تُطالِعُها والطَّلُّ لم يَجْرِ ذائبهْ
بضربٍ يَذوقُ الموتَ من ذاق طَعمَهُ وتُدرِكُ مَنْ نَجَّى الفِرارُ مَثَالبُهْ
كأن مُثار النَّقْع فــوق رُءوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُـهْ
بعثنا لهم مَــوْتَ الفُجَاةِ لأننا بنو الموت خفَّاقٌ علينا سَبائبُـهْ
فراحوا ، فريق فى الإسار ومثلُهم قتيلٌ ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربُـهْ
إذا الملك الجبَّارُ صعَّرَ خَــدَّه مَشَيْنا إليــه بالسيوف نُخاطبه

غضب بشار على سَلْمٍ الخاسرِ وكان من تلامذته ورواته فاستشفع إليه بجماعة من إخوانه فجاءوه فى أمره . فقال : كل حاجة لـكم مقضيَّةٌ إلَّا سلما . قالوا : ما جئنا إلَّا فى سلم . ولا بد أن ترضى عنه . فقال : أين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سلم فقبَّل رأسه . ومَثَل بين يديه وقال : يا أبا معاذ خِرِّيجك وتلميذك[2] . قال : يا سلم . من الذى يقول :

مَن راقبَ الناسَ لم يَظفرْ بحاجته وفاز بالطيِّباتِ الفـــاتكُ اللَّهِجُ

قال : أنت جعلت فداك . قال : فمن الذى يقول :

من راقبَ النـاسَ مات غَمًّا وفـاز باللَّـذَّةِ الجسـورُ

قال : خِرِّيجُك . يعنى نفسه . قال : أفتأخذ معانِىَّ التى قد عُنِيتُ بها . وتَعِبتُ فى استنباطها . وسبقتُ الناس إليها[3] فتكسوها ألفاظا أخف من ألفاظى وتسرقه[4] حتى يُرْوَى ماتقول ويَذهب شعرى ؟ لا أرضى عنك أبدا. فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضى عنه .

---

(١) فى نسخ المختار : غدونا به .
(٢) فى الأغانى : وأديبك.
(٣) جملة : « وسبقت الناس إليها » ليست فى الأغانى .
(٤) كلمة « وتسرقه » ليست فى الأغانى .

قال بشار : ما أفحمني قطّ إلا امرأة ، قالت لي : أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية ؟ قال بشار : فقلت لها : أمَا علمتِ أن بيضَ البُزاةِ أثمَنُ من سُودِ الغِرْبان ؟ فقالت : أمّا قولُك فحسَنٌ في السمع . فمَنْ لك أن يَحْسُن شَيْبُك في العين ؟ فأفحمتني .

سئل بشار : أي متاع الدنيا آثَرُ عندك ؟ قال : طعام مزّ وشراب مرّ . وبنت عشرين بكر .

قال صالح بن عطية : كانت النساء المتظرِّفات يدخلن إلى بشار في كلّ جمعة يومين يسمعن شعره . فسمع كلام امرأة منهن . فعلقها قلبه . وراسلها يسألها أن تواصله . فقالت لرسوله : قل له : وأيُّ معنى لي فيك أو لكَ فِيَّ ؟ أنت أعمى لا تراني فتعرف مقداري وحُسني . وأنت قبيح الوجه لا حَظَّ لي فيك . فليت شعري لأي شيء تطلب وصال مثلي ؟ وجعلت تهزأ به في المخاطبة . فلما بلغتهُ رسالتُها قال : قل لها :

أَيرى له فضــل على إيرانِهم[1] ... فإذا أشظَّ سَجدْنَ غيرَ أَوَابِي[2]
تلقاه بعــد ثلاثَ عشرةَ قائما ... فِعلَ المؤَذِّن شَكَّ يومَ سَحــابِ
وكــأَنَّ هامــة رأسه بِطِّيخــةٌ ... حُمِلَتْ إلى مَلِكٍ بدجــلَةَ جَابي

قال مروان لبشار لما أنشده قوله :

وإذا قلتُ لهــا جُودِي لنـــا ... خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ

يا أبا معاذ . هلاّ قلت : خَرِست بالصمت . قال : أنا إذًا في عقلك . فضّ الله فاك . أألا أتطيّرُ[3] على من أحبّ بالخرس ؟

---

(١) لم يجيء في اللسان جمع أير على إيران وإنما جاء على أيور وآيار وأير ويصح الوزن بقوله: علىآيارهم . كما جاء في الأغاني.

(٢) شظ الرجل وأشظ: أنعظ .

(٣) في الأغاني : أأتطير ؟

وفد بشار على خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده :

أخالدُ لم أَخبِطْ عليك بذِمَّةٍ سِوى أنني عافٍ وأنت جَوادُ
أخالد بين الأَجر والحمد حاجتى فأيهما تأتى وأنت عمادُ[1]
رِكابى على حَرْف وقلبى مشيَّع[2] ومالى بأرض الباخلين بلادُ
إذا أنكرتنى بلدة أو نكِرْتُها خرجتُ مع البازِى علىَّ سَوادُ

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس ، فوضع واحدا عن يمينه ، وآخر عن شماله . وآخر بين يديه . وآخر من ورائه[3] . وقال: ياأبا معاذ ، هل استقلَّ العماد ؟ فلمس الأكياس وقال : استقلَّ أيها الأمير .

قال بشار : دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة ، فأنشدته :

إن السلام أيّها الأميرُ عليك والرحمةُ والسرورُ

فسمعته يقول بالفارسية[4] لبعض أصحابه : هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذ من دراهمنا . فطمعت فيه . فما برحت حتى انصرفت بجائزة .

وقف رجلٌ من بنى زيد شريفٌ على بشار فقال له: يابشار. قد أفسدتَ علينا موالينا. تدعوهم إلى الانتفاء منا ، وترغبهم فى الرجوع إلى أُصولهم وترك الولاء ، وأنت غير زاكى الفرع ، ولا معروف الأصل . فقال له بشار : والله لأصلى أكرم من الذهب . ولفرعى أزكى من عمل الأبرار وما فى الأرض كلب يودّ أن نَسبك نَسبُه ، ولو شئتُ أن أجعل جواب كلامك شعرا لفعلت ، ولكن موعدك المِرْبَد غدا . فرجع الرجل

---

(١) بعده فى الأغانى بيت لم يرد فى نسخ المختار .
(٢) الحرف: الناقة. ومشيع : شجاع .
(٣) فى الأغانى : وآخر خلفه .
(٤) كلمة «بالفارسية» ليست فى الأغانى .

إلى منزله وهو يتوهم أن بشارا يحضُر معه المربد ليفاخره . فخرج من الغد يريد المِرْبد. وإذا رجل ينشد :

شَهِدتُ على الزِّيدىِّ أن نساءه ضِباعٌ[1] إلى أيْرِ العُقيلىِّ تَزْفِرُ

فسأل عمن قال هذا البيت . فقيل له : هذا لبشار فيك ، فرجع من فوره إلى منزله ولم يدخل المربد حتى مات .

أنشد رجل يوما ليونس هذه القصيدة :

بلوتُ بنى زيد فما فى كبارهم حُلومٌ ولا فى الأصغرين مُطَهَّر
فبلِّغ بنى زَيْد وقلْ لسَرَاتِهم وإن لم يكن فيهم سَرَاةٌ تُوَقَّرُ
لأمِّكم الويلاتُ إن قصائدى صواعقُ منها مُنْجِدٌ ومُغَوِّرُ
أجَدَّهم لا يتقُون دَنِيَّةً ولا يُؤْثِرُون الخيرَ والخيرُ يُؤْثَرُ
يَلُفُّون أولادَ الزِّنَا فى عَدِيدهم فعِدَّتُهم من عِدَّة الناس أكثر
إذا ما رأَوْا من دَاؤُه مثل دائهم أطافوا به والغَىُّ للغىِّ أَصْوَرُ[2]
ولو فارقوا من فيهم من دَعَاوَةٍ لما عرفتهمْ أمهم حين تنظر
لقد فَخَروا بالمُلْحَقِينَ عَشِيَّةً فقلت افخروا إن كان للقوم مَفخر[3]
يُرِيدون مَسعاتى ودون لِقائها قناديلُ أبواب السَّمٰوات تَزْهَرُ
فقلْ فى بنى زَيْدٍ كما قال معشرٌ قواريرُ حَجَّامٍ غدًا تتكَسَّرُ

فقال يونس للذى أنشده: حَسْبُك حَسْبُكَ إنا لله، من هَيَّج هذا الشيطان عليهم ؟ قيل : فلان ، قال : رُبَّ سَفيهِ قوم أكسبَ قومَه شرًّا عظيما .

---

(١) ضباع : من الضبعة : وهى اشتهاء الفحل.

(٢) أصور : أميل ، وفى الأغانى: من دأبه مثل دأبهم .

(٣) فى الأغانى : فى القوم مفخر .

قال بشار : دعانى عقبة بن سَلْم ودعا بحماد عجرد وأعشى باهلة ، فلما اجتمعنا عنـده قال : خطر ببالى البارحةَ مَثَلٌ يتمثَّله الناسُ « ذهب الجملُ يَطلب قَرْنَين فعاد بلا أُذنين »[١] فأخرِجوه لى من الشعر ، من أخرجه فله خمسة آلاف درهم ، فإن لم تفعلوا جلدتـكم كلَّـكم خمسمائة سوط ، فقال حماد : أجِّلنا أيها الأمير شهرا ، وقال الأعشى : أجلنا أيها الأمير أسبوعين ، قال: وبشار ساكت لا يتكلم ، فقال له عقبة : مالك يا أعمى لا تتـكلم ، أعمى الله قلبك . قال : قد حضرنى أيها الأمير شىء ، فإن أمرتَ قلته . قال : قل ، فقال :

شَطَّ بِسَلْمَى عاجـلُ البَيْن ... وجاوزتْ أَزْدَ بنى القَيْنِ
ورَنَّتِ النفسُ لهـا رَنَّةً ... كادتْ لها تَنْشَقُّ نِصْفَيْنِ
يا ابْنَةَ من لا أشتهى ذِكْرَه ... أخشى عليه عُلَقَ الشَّيْنِ
والله لو ألقـاك لا أتَّقى ... عَيْنًا لقبَّلْتُك ألفَـيْنِ
طالبْتُها دَيْنى فراغَت به ... وعَلَّقت قَلْبى مع الدَّيْنِ
فصِرْتُ كالعَيْرِ غَدا طالبًا ... قَرْنًا فلم يَرجع بأُذْنين

قال : فانصرف بشار بالجائزة .

كان لبشار أخوانٍ يقال لأحدهما بشير وللآخر بشر ، وكانا قصَّابَيْن ، وكان بشار برًّا بهما على أنه ضيِّق الصدر مُتَبَرِّم بالناس ، وكان يقول : اللهم إنى قد تبرَّمْت بنفسى وبالناس جميعا ، اللهم فارحمهم منى وارحمنى منهم[٢] ، وكان أخواه يستعيران ثيابه فيوسخانها وينتنان رِيحَها ، فاتخذ قميصاً له جَيْبان ، وحلف لا يعيرهما ثوبا من

(١) فى الأغانى : «ذهب الحمار . . . فعاد بلاأذنين» هذا، والشعر الآتى يدل أنه « الحمار » وفى مجمع الأمثال حرف الذال فى آخر الباب الأمثال المولدة : ذهب الحمار يطلب قرنين فعاد مصلوم الأذنين.
(٢) فى الأغانى : اللهم فأرحنى منهم .

ثيابه ، فكانا يأخذانها من غير علمه ، فإذا دعا بثوبه ليلبسه أنكر رائحته ، فيقول إذا وجد رائحة كريهة من ثيابه : « أينما أتوجّه ألْقَى سَعْداً » فإذا أعياه الأمر خرج على الناس فى تلك الثياب على نَتْنها ووسخها ، فيقال له : ما هذا يا أبامعاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صلة الرحم . وقيل لبشار : إنك كثير الهجاء . فقال : إنى وجدت الهجاء المؤلم آخَذُ بضَبُع[1] الشاعر من المديح الرائع ، ومن أراد من الشعراء أن يُكْرَّم فى دهر اللئام على المديح والثناء . فليستعدّ للفقر وإلا فليبالغْ فى الهجاء ليُخاف فيُعْطى .

وقال الشعر وهو صغير قبل موت أبيه . وكان إذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكوه ، فيضربه ضربا مُبَرّحا . وكان له أمٌّ تقول[2] له : كم تضرب هذا الصبىّ الضرير ؟ أما ترحمه ؟ فيقول أبوه : بلى والله إنى لأرحمه ، ولكنه يتعرّض للناس فيشكونه إلىّ . فسمعه بشار فطمع فيه فقال : يا أبت . إن هذا الذى يشكونه إليك هو قولى الشعر وإنى إن أتمت عليه أغنيتُك وسائرَ أهلى ، فإذا شكونى فقل لهم : أليس الله تعالى يقول : « لَيْس على الأعمى حَرَج »[3] فلما أعادوا شكواه له قال لهم بُرْدٌ ما قال له بشار ، فانصرفوا وهم يقولون : فِقْه بُرْدٍ أغيظ لنا من شعر بشار .

وكان برد يقول : ما رأيت مولودا أعظم بَرَكةً من بشار ، لقد وُلِدَ لى وما عندى درهم ، فما حال الحول حتى جمعت مائتى درهم .

قدِمَ كُرْدِىٌّ بن عامرٍ المِسْمعىُّ من مكة ، ولم يُهْدِ لبشار شيئا ، وكان صديقه ، فكتب إليه بشار :

ما أنت يا كُرْدِىُّ بالهَشّ ... ولا أُبَرِّيـك من الغِشّ
لم تُهْدِ لى نَعْلا ولا خَاتَماً ... من أين أقبلت من الحَشّ

(١) الضبع : العضد .
(٢) فى الأغانى : ضربا شديدا فكانت أمه تقول .
(٣) سورة النور الآية ٦١ وسورة الفتح الآية ١٧ .

فأهدى إليه هدية حسنة وجاءه وقال : عَجِلْتَ علينا يا أبا معاذ ، وناشده ألا يَزيد شيئا .

قال بعض الشعراء : أتيت بشاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار ، فقال لى : خذ منها ما شئت ، أوَتدرى ماسببها ؟ قلت : لا ، قال : جاءنى فَتًى فقال لى: أنت بشار ؟ قلت : نعم ، فقال : إنى آليت أن أدفع لك مائتى دينار ، وذلك أنى عشقت امرأة وجئت إليها وكلّمتها فلم تلتفت إلىّ وأغلظت علىّ[1] ، فهممْتُ أن أتركها ، فذكرتُ قولَك :

لا يُؤْيِسَنَّك من مُخَبَّأَةٍ قَولٌ تُغلِّظه وإن جَرَحَا
عُسْرُ النساء إلى مُيَاسرةٍ والصَّعْب يُمْكِن بعد ماجَمَحا

فعدت إليها فلازمتها ، ولم أبرح[2] حتى بلغت منها حاجتى .

ولما أُنشد المهدىُّ هذين البيتين نهى بشارا عن التشبيب بالنساء .

ولما قدم بشارٌ على المهدىّ واستأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك أن ألا تنشد شيئا من الغزل ، فادْخُلْ على ذلك ، فدخل وأنشد :

يا منظراً حَسَناً رأيتُهْ مِنْ وَجْهِ جاريةٍ فَديتُهْ
بَعَثَتْ إلىَّ تَسومنى غَزَلَ الشباب وقد طَوَيْتُهْ
إن الخليفةَ قد أَبَى وإذا أَبى شيئا أَبيتُهْ
ويشوقنى بيتُ الحبيـ ـب إذا غدوتُ وأين بيتُهْ
حَالَ الخليفةُ دونَه فصَبرْتُ عنه وما قَلَيْتُهْ
ونهانِىَ المَلِكُ الهُمَا م عن النساء فما عَصَيْتُهْ

(١) جملة « وأغلظت على » ليست فى الأغانى .

(٢) جملة « ولم أبرح » ليست فى الأغانى.

كان الخليل بن أحمد يستحسن هذه الأبيات وينشدها ويعجب بها .

كان الأخفش قد طعن على بشار فى قوله :

على الغزَلَى منى السلامُ وربّما لهوتُ بها فى ظلِّ مرووضة زُهْرِ[١]

وفى قوله :

فالآن أُقصر عن سُمَيَّة باطلى[٢] وأشار بالوَجَلَى عَلَىَّ مُشيرُ

وفى قوله :

تلاعبُ نِينَانَ البُحورِ وربما رأيت نفوس القوم من جَرْيها تَجْرِى

وقال : لم يُسمع من الوَجَل ولا الغزَل فَعَلَى ، ولم يُسمع فى جمع نون نينان . فبلغ ذلك بشارا فقال : ويلى على القصَّار بن القصَّار متى[٣] كانت هذه الفصاحةُ فى بيوت القَصَّارِين ؟ دعونى وإياه . فجزع الأخفشُ لذلك وبكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ومالى لا أبكى وقد وقعت فى لسان الأعمى ؟ فذهب أصحابه إلى بشار وتحدثوا عنه[٤] واستوهبوا منه عرضه وسألوه ألا يَهجُوَه . فقال : قد وهبته للؤمِ عِرْضه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتج فى كتبه بشعره لِيبلُغَه ، فكف عن ذكره ورُوِى ذلك أيضا عن سيبويهِ ، فصار سيبويهِ إذا سُئل عن شىء وأجاب فيه ووافق ذلك شاهدٌ من شعر بشار[٥] احتجّ به استكفافا لشره .

قال عبدُ الله بن المِسْوَر الباهلى يوما لأبى نَصِير[٦] وقد تحاورا فى شىء :

---

(١) فى الأغانى : مرؤومة . أى محبوبة مألوفة . أما المرووضة فلعلها من الروضة .

(٢) فى الأغانى : عن سمية .

(٣) فى الأغانى « ويلى على القصارين متى .. » هذا ، والقصار من يحور الثياب ويدقها .

(٤) فى الأغانى : فكذبوا عنه .

(٥) فى الأغانى : ووجد له شاهداً من شعر بشار .

(٦) فى الأغانى : « لأبى النضير » .

يا ابن اللَّخناء تـكلّمنى ولو اشتريتُ عبداً بمائتى درهم وأعتقته لـكان خيرا منك .
فقال أبو نصير : والله لو كنتُ ولدَ زِناً لـكنتُ خيرا من باهلة كُلِّها . فغضب الباهلىُّ
واخْتَلَط(١) ، فقال له بشار : أنت منذ ساعة تُزَنِّى أُمَّه ولا يغضب ، فلما كلمك كلمة
واحدة لحقك هذا كلُّه ، فقال له : وأُمُّه مثل أُمى يا أبا معاذ ؟ فضحك وقال : لا والله
لو أن أُمَّك أمُّ الـكِتاب ما كان بينـكما من المُصَارَفة(٢) هذا كلّه .

قال محمد بن الحجَّاج : كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ، فجعل
يُفهِّمه له وهو لا يفهم ، فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجـل الذى سأل عنه
وهو يقول :

أعمى يقودُ بصـيراً لا أَبا لـكُمُ ... قد ضلَّ من كانت العُمْيان تَهدِيهِ

حتى صار به إلى منزل الرجل ثم قال له : هذا منزله يا أعمى .

مدح بشار المهدىَّ فلم يعطه شيئا ، فقيل له : لم يَستجِدْ شعرك ، فقال : والله لقد
قلت فيه شِعْرا لو قيل فى الدهر لم يُخْشَ صَرْفُه على أحد . ولـكنّا نَـكْذِب فى القول
فَنُـكْذَب فى الأمل .

هجا بشارٌ رَوْحَ بن حاتم ، فبلغه ذلك فتهدَّده ، فبلغ ذلك بشاراً فقال :

يُهدِّدُنى أبو خَلَفٍ ... وعن أَوتارِه نَامَا
بسيفٍ لأبى صُفْـ ... ـرَةَ لا يَقطع إبْهاما
كأن الوَرْسَ يَعْلُوهْ ... إذا ما صَدْرُه قَاما(٣)

فقال رَوْحٌ لما بلغه ذلك : كلُّ مالى صدقةٌ إن وقعت عينى عليه لأضربنّه ضربةً

---

(١) كلمة « واختلط » ليست فى الأغانى .
(٢) صارف نفسه عن الشىء : صرفها عنه . وفى الأغانى : من المصارمة .
(٣) فى الأغانى بعد الشعر قال : ومن الناس من يروى هذين البيتين لعمرو الظالمى .

بالسيف ولو أنه بين يَدَيِ الخليفة ، فقام بشار من فوره ودخل على المهدىّ ، فقال : ما جاء بك هذا الوقت ؟ فأخبره بقصة روْح ، وعاذَ به منه ، فقال المهدى : يا نصر[1] ، وجِّهْ إلى رَوْحٍ مَن يحضره الساعة ، فأرسل إليه فى الهاجرة ، وكان ينزل المُخَرَّم[2] ، فظنَّ هو وأهلُه أنه دُعِى لولاية ، فلما دَخل[3] قال : يا روح ، بعثتُ إليك فى حاجة ، فقال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين ، فقلْ ما شئت سوى بشار فإنى حلفت بيمين ، فقال : قد علمتُ وإياه أردت ، فقال: فاحْتَلْ ليمينى يا أمير المؤمنين، فأحضر القضاة والفقهاء ، فاتفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه بعُرْض السيف ، وكان بشار وراء الخيش ، فأُخرِج وأُقعد ، واستلَّ رَوْح السيف ، وضربه على ظهره بعُرْضِه ، فقال : أوَّه باسم الله ، فضحك المهدىُّ وقال : ويحك ، هذا وإنما ضربك بعُرْضه ، فكيف لو ضربك بحدِّه .

قدم بشار بن برد على المهدى ، فدخل عليه فى البستان ، فأنشده مديحا فيه تَشبيب حسن ، فنهاه عن التشبيب لِغَيْرةٍ شديدة كانت فيه ، فأنشده مديحا له فيه :

كأنما جئتُه أُبشِّرُه ولم أجئْ راغباً ومُحْتَلِبَا
يُزَيِّن المِنبر الأَشمَّ بِعِطْـ فَيْه وأقواله إذا خطبا[4]

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل ، وجعل له وِفادة فى كل سنة ، ونهاه عن التشبيب ، فقدم عليه فى السنة الثانية فدخل عليه فأنشده :

---

(١) فى الأغانى : يانصير .
(٢) المخرم محلة كانت ببغداد .
(٣) جملة « فلما دخل » ليست فى الأغانى .
(٤) بعده فى الأغانى بيت .

تَجَالَلتُ عن فِهرٍ وعَنْ جارتَىْ فِهرٍ (١) ... وودَّعْتُ نُعْمَى بالسلام وبالبِشْرِ
وقالتْ سُلَيمى فيك عنّا جَلادةٌ ... محلُّكَ دانٍ والزيارةُ عن عُفْرِ (٢)
أخي في الهوى مالى أراك جفوتَنا ... وقد كنتَ تَقفُونا على العُسْرِ واليُسْرِ
تثاقلتُ إلّا عن يَدٍ أستفيدها ... وزَوْرَةِ أملاكٍ أشدُّ بها أزْرِى
وأخرجنى من وِزْرِ خمسين حِجّةً ... فتىً هاشِمِىٌّ يَقشَعِرُّ من الوِزْرِ
دفنتُ الهوى حيًّا فلست بزائرٍ ... سُلَيْمى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمْرِى
ومُصفرَّة بالزعفران جلودها ... إذا اجتُلِيَتْ مثل الهِرَقليَّة الصُّفْرِ (٣)
وغَيْرَى ثقالِ الرِّدْفِ هبَّتْ تَسبُّنى ... ولو شاهدَتْ (٤) قبرى لصلَّتْ على قَبْرِى
تركتُ لمهدِىِّ الأنامِ رُضَابَها (٥) ... وراعَيْتُ عهدا بيننا ليس بالخَتْرِ (٦)
ولولا أميرُ المؤمنين محمدٌ ... لقبَّلت فاها أو لكان بها فِطْرِى
لعمرى لقد أَوْقَرْتُ نفسى خطيئةً ... فما أنا بالمزدادِ وِقْراً على وِقْرِى

فأجازه بمثل ما كان يجيزه (٧) قبل ذلك .

قال مروان بن أبى حفصة : قدمت على بشار فأنشدته (٨) قولى :

* طرقَتْكَ زائرة فَحَىِّ خَيالَها *

واستنصحته فيها فقال لى: ماأجودها! تَقْدَمِ بغداد يُعطونك عليها عشرة آلاف درهم،

---

(١) تجاللت : تعاظمت .

(٢) العفر : طول العهد .

(٣) فى الأغانى : المفرطحة الصفر .

(٤) فى الأغانى : فرب ثقال الردف هبت تلومنى ... ولو شهدت .

(٥) فى الأغانى : وصالها .

(٦) الختر : أسوأ الغدر .

(٧) فى الأغانى : فأعطاه ما كان يعطيه .

(٨) فى الأغانى: قدمت البصرة فأنشدت .

فجزعت من ذلك وقلت : قتلتنى ، فقال : هو ما أقول لك ، فقدمت بغداد فأعطيت عشرة آلاف درهم . ثم قدمت عليه مرة أخرى فأنشدته قولى :

أنّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ　　لبنى البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

فقال: تعطى عليها مائة ألف درهم . فقدمت فأعطيت مائة ألف درهم . فعُدْت إلى البصرة فأعلمته بحالى فى المرّتين وقلت : ما رأيت بأعجب من حَدْسِك . فقال : يا بنى ، أما علمتَ أنه لم يبق أحد أعلم بالغيب من عمّك .

قال الفضل بن إسحاق الهاشمى : أُنشد بشارٌ قولَه :

يُرَوِّعــه السِّرارُ إذا رآه(١)　　مخافةَ أن يكون به السِّرارُ

فقال له رجل : أظنك أخذت هذا من قول أشعب: ما رأيت اثنين يتساران إلا طمعت فى أنهما يأمران(٢) لى بشىء . فقال له : إن كنت أنا أخذت هذا من قول أشعب فإنك أنت أخذت ثقل الروح والمقْت من الناس جميعا وانفردت به دونهم . وقام وتركنا . أخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

تركَتْنى الوُشاةُ نُصْبَ المُشِـ　　ـيرِين وأحدوثةً بكلّ مكانِ(٣)
ما أرى خالِيَيْن فى السِّرِّ إلا　　قلتُ ما يخلوان إلّا لشانى

قال محمد بن الحجاج : قال لى بشار : ما كان الكميت شاعرا ، فقيل له : كيف وهو الذى يقول :

أَنِصْفُ امرىءٍ من نِصْفِ حَىٍّ يَسبُّنى
لعمرى لقد لاقيتُ خَطْباً من الخطْبِ

---

(١) السرار : المسارة .وفى الأغانى : يروعه السرار بكل أرض .
(٢) فى الأصل: فى أن يأمران وأثبت ما فى الأغانى ..
(٣) فى الأغانى : نصب المسرين . وفى ديوانه طبعة آصاف ٣٩٦ نصب المسيرن .

هنيئاً لـكَلْبٍ إن كَلْباً يسبُّنى ... وأنّىَ لم أَرْدُد جوابا عـلى كَلْبِ

فقال بشار: أترى رجلا لو ضرط ثلاثين سنة لم يُسْتَمْلَح من ضراطه واحدة[١] .

قال أبو دعامة : أتى عطاء الملط بشاراً فقال له : يا أبا معاذ ، أُنشدك شعرا حسنا ؟ فقال : ما أسرَّنى بذلك ، فأنشده قصيدة أولها :

أعاذِلَتىَّ اليومَ ويحكما مَهْلَا ... فما جَزَعًا ءِالآنَ أَبْكِى ولا جَهْلَا

فلما فرغ منها قال بشار : أحسن[٢] . ثم أنشده فى وزنها ورويِّهَا :

لقد كاد ما أُخفِى من الوَجْد والهَوَى ... يكون جَوًى بين الجوانح أو خَبْلَا

فلا تَحْسَب البيضُ الأوانسُ أن فى ... فؤداى سِوى سُعْدَى لغانيةٍ فَضْلَا

فأقسم إن كان الهـوى غيرَ بالغٍ ... بِىَ القَتْلَ من سُعْدَى لقدجاوزَ القَتْلَا

فيا صاحِ خَبِّرْنى الذى أنت صانعٌ ... بقـاتلتى ظُلْمًا وما طَلَبَتْ ذَحْلا[٣]

سوى أننى فى الحب بينى وبينها ... شَدَدْتُ على أعْكَامِ سِرٍّ لها قُفْلَا[٤]

إذا قال مَهْلًا ذو القرابة زادنى ... وَلُوعاً بذكراها ووجْدا بها مَهْلَا[٥]

فاستحسنت القصيدة وقلت : أجدتَ والله يا أبا معاذ وبالغت ، فتفضَّل بإعادتها ، فأعادها على خلاف ما أنشدنيها فى المرة الأولى ، فتوهمت أنه قالها فى تلك الساعة .

قال أحمد بن خلاد : قال لى أبى : كنت أرد على بشار سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد ، وكان يقول : لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله ، فكان الكلام يطول

---

(١) فى الأغانى : لم يستحل من ضرطه ضرطة واحدة .

(٢) يريد: أحسن الشاعر قائل هـذا البيت. وكذلك جاء فى جميع أصول الأغانى « أحسن » وغيرها المحققون إلى : أحسنت .

(٣) الذحل : الثأر .

(٤) الأعكام . جمع العكم وهو العدل ما دام فيه المتاع . وفى الأغانى: أكظام سر .

(٥) هذا البيت جاء فى الأغانى ثانى بيت فى القصيدة .

بيننا ، فقال لى يوما : ما أظن الأمر إلا كما تقول يا أبا مخلد[1] وأن الذى نحن فيه خذْلان ، ولذلك أقول :

طُبِعْتُ على ما فِىَّ غيرَ مُخَيَّرٍ هَوَاىَ ولو خُيِّرْتُ كنتُ المهذَّبَا
أُريد فلا أُعطَى وأُعطَى ولم أُرِدْ وقصَّر عِلْمى أَنْ أنال المُغيَّبَا
وأُصْرَف عن قَصْدِى وعلمىَ مُبْصِرًا[2] فأمسى وما أُعقِبْتُ إلّا التعجُّبَا

كان بالبصرة فتى[3] من بنى مِنْقَر أُمُّه عِجْلِيّة . وكان يبعث إلى بشار فى كل أُضحَى بأُضحِيَّة من الأضاحى التى تسمى بالبصرة سُنَّة ، وهى أكبر الأضاحى[4] وكانت تباع الأُضحيّة بعشرة دنانير ، ويبعث معها بألف درهم ، فأمر وكيله فى بعض السنين أن يُجْرِيه على رَسْمه ، فاشترى له نعجةً غير سَمينه . وسرق باقى الثمن ، وكانت نعجةً عَبْدَرِيَّة من نِتَاج بنى عبد الله بن دارم ، وهو نِتاجٌ مَرْذُول ، فلما أُدخلت على بشار قالت له جاريته رَبَابة : ليست هذه الشاة من الغنم التى كان يبعث بها إليك . قال : أَدْنِيها منى ، فلمسها بيده ثم قال : اكتب يا غلام :

وَهبتَ لنا يا فتى مِنْقَرٍ وعِجْلٍ وأكرمَهم أوَّلَا
وأبسطَهم راحةً بالندى وأرفَعهم ذِرْوة فى العُلَا
عَجوزًا تَدارَكَها عُمْرها[5] وأسكنها الدهرُ دارَ البِلَى
سَلُوحًا توهَّمت أن الرُّعَاةَ سَقَوْها لِيُسْهِلَها الحَنْظَلا

---

(١) فى بعض نسخ الأغانى: يا أبا خالد .
(٢) فى الأغانى : وعلمى مقصر .
(٣) فى ت : رجل .
(٤) فى الأغانى : سنة وأكثر للأضاحى .
(٥) فى الأغانى : عجوزا قد اوردها عمرها .

وأَضرطَ من أُمٍّ مُبتاعِها إذا اقتحمتْ بُكرةً حَرْمَلا[1]
فلو تأكل الزُّبد بالخشكنان وتَنْدَمِج المِسْك والمَنْدَلا[2]
لَمَا طَيَّبَ الله أرواحَها ولا بلَّ من عَظْمِها الأَقْحَلا[3]
وضعتُ يمينى على ظهرها نِفلْتُ حَرَاقِفَها جَنْدَلَا[4]
وأهوت شمالى لعُرْقُوبها فخِلْتُ عَرَاقِبَها مِغْزَلا
وقَلَّبْتُ أَلْيَتَهَا بعد ذا فشبَّهت عُصْعُصَها مِنْجَلا
فقلتُ أبيعُ فلا مَشْرَباً أُرَجِّى لَدَيْها ولا مَأْكلا
أَمَ أُشْوِى وأَطبخ من لحمها وأَطيبُ من ذاك مَضْغُ السَّلَى[5]
إذا ما مَرَرْتُ على مجلس[6] من العُجْبِ سَبَّحَ أو هلَّلا
رأوا أنه خَلْفَها سائق[7] يَحُثُّ وإن هَرْوَلَتْ هَرْوَلَا
وكنتَ أَمرْتَ بها ضَخمةً بلحْمٍ وشحْمٍ قد استُكْمِلا
ولكنَّ رَوْحاً عَدَا طَوْرَه وما كنتُ أحسب أن يفعلا
فعضَّ الذى خان فى أمرها من اُسْتِ اُمّه بَظْرَها الأعزلا
ولولا مَكانُك قَلَّدْتُه عِلاطاً وأسقيته الخَرْدَلا[8]

(١) الحرمل : نبات كالسمسم يعيي آكله .
(٢) الخشكنان: دقيق الحنطة إذاعجن بشيرج وبسط وملىء بالسكر واللوز أوالفستق وماء الورد « لعله القطايف » وفى الأغانى : الزبد بالنرسيان .
(٣) الأقحل : من قحل الشىء إذا يبس.
(٤) الحراقف : رءوس الأوراك جمع الحرقفة .
(٥) السلى : المشيمة وهى لفافة الولد من الجلد رقيقة تنزع عنه ساعة يولد .
(٦) فى الأغانى : إذا ما أمرت .
(٧) فى الأغانى : رأوا آية .
(٨) العلاط : حبل يجعل فى عنق البعير، وسمة تكون فى عرض عنقه . وفى ت ، ك: غلاظا .

ولولا استحائيك خَضَّبْتُها ... وعلَّقْتُ فى حَلْقِها جُلْجُلا[١]
فجاءتك حتى ترى جَهْدَها[٢] ... فتعلم أنى بهـا مُبْتَلَى
سألتــك لَحْماً لِصبياننا ... فقـد رَدَّنى منهمُ عيِّلا[٣]
فخذها وأنت بنا مُحْسِنٌ ... وما زلتَ بى مُحْسِناً مُجْمِلَا

فلما وصلت الرقعة إليه دعا بوكيله وقال : ويلك ، تعلم أننى أفتدى من بشار ـ بما أعطيه ـ عِرْضى[٤] ، توقعنى فى لسانه ، اذهب فاشترِ له أُضحِيَّة ، وإن قدرت على أن تكون مثل الفيل فافعل ، وابلُغْ بها ما بَلغَتْ وابعثْ بها إليه .

قال عمرو بن العلاء : رأيت بشارا يُنَزِّى[٥] بُنَيَّة له وهو يقول :

يا بنتَ من لم يَكُ يهوى بِنْتَا ... ما كنتِ إلَّا خمسةً أَو ستَّا
حتى حَلَلْتِ فى الحشا وحتى ... فتَّتِّ قلبى من جوى فانفتَّا
لَأَنتِ خيرٌ من غلامٍ بَتَّا[٦] ... يصبح سكرانا ويُمْسى هَبْتَا[٧]

دخل المهدى إلى بعض حُجَر الحُرَم ، فنظر إلى جارية تغتسل ، فلما رأته خجلت[٨] ووضعت يدها على فرجها ، فأنشأ يقول :

---

(١) فى الأغانى : وعلقت فى جيدها .

(٢) فى الأغانى : ترى حالها .

(٣) فى الأغانى : فقد زدتنى .

(٤) كلمة « عرضى » ليست فى الأغانى .

(٥) ينزى : يجعلها تنزو : أى تثب « كما تنزى شهلة صبيا » وفى الأغانى : يرثى .

(٦) بت : قطع وأيضا انقطع ويقال : الأحمق المهزول هو بات ويقال : سكران بات : منقطع عن العمل بالسكر .

(٧) الهبت : الحمق ويقال فيه : هبتة أى غفلة وضربة حمق . وفى نسخ المختار « هنتا » ولم أجد فى اللغة مادة لهنت : وفى الأغانى « ويمسى بهتا » وفى نسخة ك وضعت نقطة كبيرة تحت الباء كأنها مستدركة مع أنها فوقها نقطة صغيرة .

(٨) فى الأغانى : حصرت .

* نظرتْ عَيْنِى لِحَيْنِى *

ثم أُرْتِج عليه ، فقال : مَن بالباب من الشعراء ؟ فقالوا : بشار ، فأَذِن له ، فدخل ، فقال : يا بشار أَجِزْ :

* نظرتْ عَيْنِى لِحَيْنِى *

فقال :

نظرَتْ عَيْنِى لِحَيْنِى نَظَرًا وافَقَ شَيْنِى
سَتَرَتْ لَمَّا رَأَتْنِى دُونه بالرَّاحَتَيْنِ
فَضَلَتْ منه فُضُولٌ تَحْتَ طَىِّ العُكْنَتَيْنِ

فقال له المهدى : قبحك الله ، ويلك ، أكنت ثالثًا ؟ إيه[١] ثمَّ ماذا ؟ فقال :

فتمنيْتُ وقلبى للهَوَى فى زَفْرَتَيْنِ
أننى كُنْتُ عَلَيه ساعةً أو ساعتين

فضحك المهدى وأمر له بجائزة ، فقال له : أقَنِعْتَ يا أمير المؤمنين من مثل هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ قال : فكم ، ويلك ؟ قال : سنة أو سنتين[٢] . فقال : اخرج قبحك الله . فخرج بالجائزة .

قال محمد بن الحجاج : جاءنا بشار يوما وهو مُغتَمّ ، فقلنا له : مالك ؟ قال : مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له : متّ ؟ ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال :

سَيِّدى خُذْ لى أتانًا عند باب الأصبهانِى
تَيَّمَتْنِى بِبَنَانٍ[٣] وبدَلٍّ قد شجانى

---

(١) كلمة « إيه » ليست فى الأغانى .
(٢) جملة : « قال فكم ويلك قال سنة أو سنتين » ليست فى الأغانى .
(٣) فى الأغانى : ببنان .

تَيَّمَتْنى يوم رُحْنـا بِثَنَايَاها الحِسانِ
وبغُنْجٍ ودَلَالٍ سَلَّ جِسمى وبَرَانِى
ولها خَدٌّ أَسِيلٌ مثل خد الشَّيْفَرَانِ
فإذا مُتّ ولو عِشْتُ إذًا طالَ هَوانِى

فقلت له: ماالشيفران ؟ فقال : ما يدرينى ؟ هذا من غريب الحمار إذا لقيته فاسأله عنه . لعمرى لقد صدق، هذا من غريب الحمار[1] .

قال السَّرِىُّ بن الصبَّاح : حضر[2] بشار مجلسا فقال : لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شِعراً كله ، ولا غناء كله ، ولا حديثا كله ، فإن العيش فُرَص ، ولكن غَنُّوا وتحدَّثوا وتناشدوا ، وتَعَالَوْا نَتناهب العيش نَهْبا .

جلس إلى بشار أصدقاء له من الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن ينشدهم شيئا مما أحدثه ، فأنشدهم[3] حتى انتهى إلى قوله :

فى حُلَّتى جِسْمُ فتًى ناحِلٍ لو هبَّت الرِّيحُ به طَاحـا

فقالوا له : يا ابن الزانية ، أتقول مثل هذا وأنت كأنك فيل، عرضك أكثر من طولك ؟ فقال : قوموا عنى يا بنى الزَّوَانى فإنى مشغول القلب ، لست أنشط اليوم لمشاتمتكم .

كان لبشَّار مَجْلِس يجلس فيه بالعَشِىّ يقال له البَرْدان ، فدخل إليه نسوة فى مجلسه هذا يسمعن من شعره ، فعشق امرأة منهن ، فقال لغلامه : عَرِّفها محبتى واتبعها إلى منزلها عند انصرافها حتى تعرفه ، ففعل الغلام وأخبرها بما أمره ، فلم تجبه

(١) جملة « لعمرى لقد صدق هذا من غريب الحمار » ليست فى الأغانى .
(٢) فى الأغانى : شهد .
(٣) فى الأغانى: ذكر مطلع القصيدة وبعده حتى أتى على قوله.

إلى ما أحب ، فكان يتردد إليها حتى بَرِمَت منه[١] ، فشكته إلى زوجها فقال لها : أجيبيه وعِدِيه أن يجيئك إلى ها هنا ، ففعلت وجاء بشار مع امرأة وجَّهتْ بها إليه ، فدخل وزوجها قاعد[٢] ، وهو لا يعلم ، فجعل يحادثها ساعة ، ثم قال لها : ما اسمك ؟ بأبى أنت[٣] ، فقالت : أُمامة ، فقال :

أُمامةُ قد وُصِفت لنا بحُسْنٍ　　وإنَّا لا نراكِ فأَلْمِسينا

فأخذت يده فوضعتها على أَيْر زوجها وقد أنعظ ففزع ووثب قائما وقال :

عَلَىّ أَلِيَّةٌ ما دمتُ حيًّا　　أَمَسُّك طائعا إلَّا بِعُودِ
ولا أُهدى لأرضٍ أنت فيها[٤]　　سلامَ الله إلَّا مِن بَعيدِ
طلبتُ غَنيمةً فوضعتُ كَفِّى　　على أَيْرٍ أشدَّ من الحديد
فَخَيرٌ منكِ من لا خَيْرَ فيه　　وخيرٌ من زيارتكم قُعودِى

فقبض زوجها عليه وقال : هممت بأن أفضحك . فقال : قد كفانى ــ فديتك ــ ما فعلتَ بى ، ولست والله عائداً إليها أبدا ، فحسبك ما مضى ، فتركه .

هذه الحكاية بعينها ذكرها أبو الفرج أيضا عن أبى العباس الأعمى وهو السائب ابن فَرُّوخ .

وقال أبو نواس : كان لبشار خمسة ندماء ، فمات منهم أربعة ، وبقى منهم واحد يقال له البَراء ، فركب فى زورق فى دجلة يريد العُبور ، فغرق . ونهاه المهدىُّ عن ذكر النساء والعشق ، فكان بشار يقول : لا خير فى الدنيا بعد الأصدقاء والنساء ، ثم رثى أصدقاءه فقال :

---

(١) كذا فى أصول المختار والمعروف « برمت به » كما فى الأغانى أيضا .
(٢) فى الأغانى : جالس .
(٣) فى ت « بأبى أنت وأمى » ولا توجد كلمة «وأمى» فى ا ولا ك ولا فى الاغانى.
(٤) فى الأغانى : لقوم أنت منهم .

يا ابن موسى ما ذا يقول الإمامُ ... في فتـــاةٍ في القلب منهـــا أُوامُ
بـتُّ في حُبِّهـــا أُوَقِّر بالْـكَأْ ... سِ ويهفو على فؤادي الْهيـــامُ
وَيْحَهـــا كاعبٌ تُدِلُّ بِجَهْـمٍ ... كَعْثَبِيٍّ كأنَّه حَمَّـامُ(١)
لم يكن بينهـا وبيـنيَ إلّا ... كُتُبُ العاشقـين والأحـلامُ
رُبَّ كأْس كالسلسبيـل تعلّلْـ ... تُ بهـا والعيـونُ عنى نِيـامُ(٢)
حُبِست للشُّراةِ في بَيْت رَأْسٍ ... عاتقـا عانسا عليهـا الختـامُ(٣)
يا ابن موسى اسقني ودَعْ عنك سَلْمى ... إنَّ سلمى حِمًى وفيَّ احتشـامُ
نَفحتْ نفحـةً فهزَّت نـديمى ... بنسـيمٍ وانشـقَّ عنـه الزُّكامُ
وكأن المعـلولَ منهـا إذا را ... حَ شَـجٍ في لسـانه بِلْسَـامُ(٤)
وفـتًى يشربُ المُـدامةَ بالمـا ... ل ويمشى يروم ما لا يُرامُ
أنفـدَتْ كأسُه الدنـانيرَ حتّى ... ذهب العَـيْنُ واستمرَّ السَّـوَامُ(٥)
تركَتْـه الصَّهْبَـاءُ يَرْنُو بعـيْن ... نام إنسانُهـا وليستْ تنـامُ
حَنَّ من شربة(٦) فَعُلَّ بأُخـرى ... وبكى حـين سارَقَتْه المُدامُ(٧)
كان لي صـاحبٌ فأوْدى به الدهـ ... رُ وفارَقْتُه عليه السـلامُ
بَقِيَ النـاسُ بعـد هُلْك نداما ... ي وقوعا لم يشعروا ما الـكلام

---

(١) الـكعثب : الفرج الضخم . والجهم : الغليظ .
(٢) البيت السابع هنا جاء خامسا في الأغاني .
(٣) بيت رأس : اسم لقريتين ينسب إليهما الخمر . وفي الأغاني : عتقت عانسا .
(٤) البلسام والبرسام : علة يهذى فيها . وفي الأغاني « برسام » وبعده بيت .
(٥) العين : الذهب . واستمر : من معانيها : ذهب .
(٦) في نسخة ك : « حن » وبهامشه أورد روايتين «حى» : و«جن» والأخيرة كالأغاني .
(٧) في الأغاني : سار فيه المدام .

كَجَزُورِ الأَيْسَار لا كَبِدٌ فيـ ـها لِباغٍ ولا عليها سَنَـــامُ[١]
يا ابن موسى فقد الحبيبِ على العيـ ـن قَذاةٌ وفى الفؤاد سَقَـــامُ
كيف يصبو إلى النعيم وَحيد[٢] والأخِلاَّء فى المقـابر هَامُ
نَفِسَتْهُم عَـــلَىَّ أمُّ المنـايا فأنَامَتْهُمُ بعُنْف فنَامُوا
لا يَغيض انسجامُ عينى عليهمْ إنما غايَةُ الحزنِ انسجامُ

ومن شعره لما حرمه المهدى ولم يثبه على امتداحه شيئا :

خليلىَّ إن العُسْرَ سوف يُفِيقُ وإنَّ يَسَاراً فى غَدٍ لَخَلِيقُ
وما كنتُ إلاَّ كالزمان إذا صَحَا صَحوتُ وإن ماقَ الزمانُ أمُوقُ[٣]
لقد كنت لا أرضى بأدْنى معيشتى ولا يَشتكى بُخْلًا عَلىَّ رَفِيقُ
خَليلىَّ إن المال ليس بنافعى إذا لم يَنَلْ منه أخٌ وصديقُ
وكنت إذا ضاقَتْ علىَّ مَحَلَّةٌ تَيَمَّمْتُ أُخرى ما علىَّ تضيقُ
وماخاب بين الله والناس عاقل[٤] له فى التُّقَى أو فى المحامد سُوقُ
ولا ضاق فضلُ الله عن مُتَعَفِّفٍ ولـكنَّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ

ثم تتابع نَهىُ المهدىّ له عن التشبيب وقال له : ويلك يا عاضَّ كذا وكذا من أمِّه : أتحرض[٥] الناس على الفجور وتقذف المحصنات ؟ والله لئن قلتَ بيتا واحدا فى نسيب لآتينَّ على نفسك[٦] . ومدحه ولم يحظ منه بشىء فهجاه فقال :

---

(١) جزور الأيسار : الناقة التى تنحر المقامرة عليها .
(٢) فى الأغانى : كيف يصفو لى النعيم وحيدا .
(٣) ماق : حمق وماق أيضا : كسد . من قولهم : ماق البيع : رخص وكسد .
(٤) فى الأغانى : عامل .
(٥) فى الأغانى : أتمحض .
(٦) فى الأغانى : روحك .

خليفةٌ يَزْنِى بعمَّــاته يلعب بالدبُّوق والصوَّلجانْ[١]
أبدلنا الله به غيرَه ودسَّ موسى فى حِرِ الخيْزُرانْ

وأنشدها فى حلقة يونس النحوى ، فسُعِى به إلى يعقوب بن داود ، وكان بشار قد هجاه فقال :

بَنِى أُمَيَّةَ هُبُّوا طال نومكمُ إن الخليفةَ يعقوبُ بنُ دَاوُدِ
ضاعتْ خلافتكمْ يا قوم فالتمِسوا خليفةَ الله بين النَّاى والعُودِ[٢]

فدخل يعقوب على المهدى فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق بشارا قد هجاك ، قال : بأى شيء ؟ قال : بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهمه فكرى ، فقال : بحياتى أنشدنى إياه ، فقال : والله لو خيَّرتنى بين إنشاده وبين ضرب عنق لاخترت ضرب عنق ، فحلف عليه المهدى بالأيمان التى لا فُسْحَةَ له فيها أن يخبره ، فقال : أما لفظا فلا ، ولكنى أكتب ذلك ، فكتبه ودفعه إليه ، فكاد المهدى ينشقّ غيظا ، وعمل على الانحدار إلى البصرة للنظر فى أمرها ، وما وَكْدُهُ[٣] غيره ، فانحدر ، فلما بلغ البَطِيحة[٤] سمع أذانا فى وقت الضحى ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ، فإذا بشار سكران ، فأحضره وقال : يا زنديق يا عاضّ بَظْر أمه ، عجبت أن يكون هذا غيرك ، أتلهو بالأذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ؟ ثم دعا بابن نُهَيك فأمره بضربه بالسوط ، فضربه بين يديه على صدر الحَرَّاقة[٥] سبعين سوطا أتلفه فيها ، فكان إذا أصابه السوط يقول حَسِّ — وهى كلمة تقولها العرب للشيء

---

(١) الدبوق: لعبة يلعب بها الصبيان .
(٢) فى الأغانى : بين الزق والعود .
(٣) وكده : قصده .
(٤) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.
(٥) الحراقة: نوع من السفن.

إذا أوجع ــ فقال له بعضهم : انظر إلى زندقته ياأمير المؤمنين ، يقول: حَسِّ ولا يقول: باسم الله ، فقال : ويلك ! أطعام هو فأُسَمِّى عليه ؟ فقال آخر : فهلا قلتَ : الحمد لله ؟ فقال : أَوَ نِعمةٌ هى فأحمد الله عليها ؟ فلما ضرب به سبعين سوطا بان الموت فيه ، فأُلقى فى سفينة حتى مات ، ثم رُمِى به فى البَطِيحة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدفن فيها .

وقيل : إن يعقوب بن داود خاف أن يَقْدَم على المهدى فيمدحه فيعفو عنه ، فوجه إليه من استقبله فضربه بالسياط حتى قتله ثم ألقاه فى البَطِيحة فى الخَرَّارة[1] .

وقيل : إن بشارا مدح يعقوب فلم يَحْفِل به ولم يعطه شيئا ، ومرّ يعقوب ببشار فصاح به :

* طال الثواء على رُسومِ المَنْزِلِ *

فقال يعقوب :

* فإذا أردتَ أبا مُعاذٍ فارْحَلِ *

فغضب بشار وهجاه بالبيتين :

* بنى أميّة هُبُّوا طال نومكمُ *

فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليه فتفل عن يمينه وشماله وصفق بيديه على عادته عند الإنشاد وأنشد هذه الأبيات :

يعقوبُ قد وَرَدَ العُفاةُ عَشِيَّةً ... متعرِّضين لِسَيْبِكَ المُنْتَابِ[2]
فسقيتَهمْ وحَسِبْتَنى كَمُّونَةً ... نبَتَتْ لزارِعها بغيرِ شَرابِ

---

(١) الخرارة : موضع بالبطيحة .

(٥) المنتاب: الذى يأتى مرة بعد أخرى .

مهلًا فديتك إنني ريحانــة فاشْمُمْ بأنفك واسقِها بذِناب[1]

تُعطِى الغزيرةُ دَرَّها فإذا أبتْ كانت ملامتُها على الحــلَّابِ

يقول ليعقوب : أنت من المهدى بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التى إذا لم يُوصَل إلى دَرِّها فليس ذلك من قِبَلِها ، إنمـا هو من قِبَل الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس المنع من قبله لِسَعَةِ معروفه ، إنما هو من قبل الحالِب[2] ، قال : فلم يَعْطِف ذلك يعقوبَ عليه وحرمه ، فانصرف إلى البصره مُغضَبا ، فلما قدم المهدىُّ البصرةَ أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء على يَدَىْ يعقوب ، فلم يُعْطِ بشارا شيئا من ذلك ، فجاء بشار إلى حلقة يُونس النحوىّ فقال : هل ها هنا أحدٌ يُحْتَشم منه ؟ فقالوا : لا ، فأنشد هجاء المهدىِّ وجرى ما جرى .

وقيل : إنه لما ضُرِب بالسياط فى السفينة قال : ليت عَيْـنَىْ أبى الشَّمَقْمَق رأتنى حيث يقول :

إنّ بشــارَ بنَ بُرْد تَيْسٌ أعْمَى فى سفينَهْ

وقيل: إن المهدى أمر عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشاراً ، فمـا بقى فى البصرة شريف إلا بعث إليه بالفرش والـكُسوة والهدايا .

ومات بالبَطِيحة . وكان قد ناهز تِسْعين سنة أوْ نَيَّفا وتسعين سنة[3] وكانت وفاته فى سنة ثمانٍ وستين ومائة .

---

(١) فى الأغانى : مهلا لديك فإننى ريحانة . هذا، والذناب جمع ذنوب وهى الدلو الملأى .

(٢) فى الأغانى : إنما هو من قبل السبب إليه .

(٣) فى الأغانى « وقد ناهز ستين سنة » ولم يذكر الجملة « أو نيفا وتسعين سنة » . وفى صفحة أخرى من الأغانى « وقد بلغ نيفا وسبعين سنة » هذا، وفى نسخة من الأغانى كما فى المختار معاهد التنصيص ص ١٣٧ طبع بولاق .

كان محمد بن عون يُتَّهم بمذهب بشار قال: لما مات بشار أُلقِيَتْ جُثَّته في البَطِيحة في الخَرَّارة ، فحمله الماء فأخرجه إلى دجْلة البصرة ، فأُخِذ فأُتِى به مَنزله ، فدفنه أهله[1] ، وأُخرجت جنازته فلم يتبعه أحد سوى أَمَةٍ سوداء له سِنْدِيّة عَجْماء ، رأيتها خلف جنازته تصيح : وَاشيداه واشيداه[2] . ماتفصح . قال : وكان مما ينشدنى:

سَتَرَى حَوْلَ سريرى　　حُسَّرًا يَلْطِمْنَ لَطْمَا
يا قتيـلًا قتلَتْـه　　عَبْدَةُ الحوْرَاء ظُلْمَا

وكان يعشق جارية اسمها عبدة .

ولما مات ونُعِي لأهل البصرة تباشر عامتهم وهنأ بعضُهم بعضا ، وحَمِدُوا الله عز وجل وتصدَّقوا ، لما كانوا بُلُوا به من بشار[3] .

وقال أبو هِشام الباهليُّ في قتل بشار :

يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يبكِه أحدُ　　أجلْ ولمْ يَفتقده مُفْتَقِـدُ
لا أمٌّ أولادِه بَكَتْه ولم　　يَبْكِ عليـه لفُرْقَةٍ وَلَدُ
ولا ابنُ أُختٍ بكى ولا ابنُ أَخٍ　　ولا حَميمٌ رَقَّتْ له كَبِدُ
بل زعموا أن قَتْلَه فَرَحًا[4]　　لمـا أتاهُمْ نَعيُّهُ سَجَدُوا

وقال أيضاً في ذلك :

قد تَبِـع الأَعمَى قَفَا عَجْرَدٍ　　فأَصبحا جارَيْنِ في دَارِ
قالتْ بِقاعُ الأرضِ لا مَرْحَباً　　برُوحِ حَمَّادٍ وبشَّـارِ
تَجاوَرَا بعـد تَنَائِيهما　　ما أبغضَ الجارَ إلى الجارِ
صارا جميعاً في يَدَىْ مَالِكٍ　　في النارِ والكافرُ في النـارِ

(١) في الأغاني : فأخذه فأتى به أهله فدفنوه .
(٢) نطقها بالشين لعجمتها ويؤيده قوله: ما تفصح .
(٣) في الأغاني : لما كانوا منوا به من لسانه .
(٤) في الأغاني : أن أهله فرحا .

قال القاسم بن مَهْرَوَيه(١) : لما ضرب المهدى بشارا بعث إلى منزله من يفتشه ، وكان يُتَّهَمُ بالزندقة ، فوجدوا فى منزله طُومَارًا(٢) فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، إنى أردت أن أهجو آل سليمان بن علىٍّ لبخلهم ، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكت عنهم إجلالا له صلى الله عليه وسلم ، على أننى كنت قلت فيهم :

دينارُ آلِ سليمان ودرهمهم(٣) ... كالبَابِلِيَّيْنِ حُفَّا بالعفاريتِ
لا يُبْصَرانِ ولا يُرْجَى لقاؤُهما ... كما سَمِعْتَ بها روتٍ ومَاروتِ

فلما قرأها المهدى بكى وندم على قتله وقال : لا جَزى اللهُ يعقوبَ خيراً ، فإنه لما هجاه لفَّق عندى شهودا على أنه زنديق فقتلته ، وندمت حين لا يُغنى الندم(٤) .

---

(١) فى الأغانى: محمد بن القاسم بن مهرويه.
(٢) الطومار : الصحيفة .
(٣) من تحريف ت : دينار آل بنى سلمى وكذبتهم .
(٤) فى ت: لا ينفع الندم .

بصبص[1]

جارية من مولدات المدينة ، حلوة الوجه ، حسنة الغناء ، وكان يحيى بن نَفِيس[2] مولاها . صاحب قِيان يغشاه الأشراف ، ويسمعون غناء جواريه ، وكان المهدى اشتراها وهو ولى عهد بسبعة عشر ألف دينار ، فولدت منه عُلَيَّة بنت المهدى ، وقيل : إن أم عُلَيَّة كانت مكنونة جارية المروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، وهى زوجة الحسن بن عبد الله بن العباس ، أحسن جارية بالمدينة وجها ، وكانت رسحاء[3] ، فكان بعض من يمازحها يعبث بها ويصيح : طشت طشت . وكانت حسنة الصدر والبطن ، فاشتُريت للمهدى فى حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغلبت عليه حتى كانت الخَيْزُران تقول : ما ملك أَمة أغلظ علىَّ منها ، واستتر أمرها على المنصور حتى مات وهى أم علية بنت المهدى .

ونَفِيس مولاها صاحب قصر نَفِيس الذى يقول فيه عمر بن أبى ربيعة :

شاقنى زائراتُ قَصْر نَفِيسٍ ... مُثقلاتِ الأعجاز قُبُّ البُطونِ
يتربَّعْنَه الربيـــعَ وينزلْـ ... ـن إذا صِفْن منزل الماجشونِ

يتربعنه ينزلنه أيام الربيع .

والماجشون رجل من أهل المدينة روى عنه الحديث ، والماجشون لقب لقبته به سُكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو اسم لون من الصبغ .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٥ / ٢٧ ودار الثقافة ١٥ / ٢٤ وبولاق ١٣ / ١١٤ والساسى ١٣ / ١١٠ .

(٢) ضبط فى نهاية الأرب جـ ٥ ص ٧٠ بفتح فكسر وكذلك فى معجم البلدان « نفيس » وفى مخطوط للأغانى ضبط بصيغة التصغير .

(٣) الرسحاء : القليلة لحم العجز ويراد أنها كثيرة العرق .

أصفر تخالطه حمرة ، وكذلك كان لونه . ويقال: إنها مالقبت أحدا قط بلقب إلا لصق به ، لقبت هذا الماجشون فعرف به ونظرت إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت فيه غلظة فقالت: هذا الرجل فى قريش كالشيرج فى الأدهان . فكان ذلك الرجل يسمى فلان شيرج حتى مات .

وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها ، فيسمع منها ، ويأتيها فتيانُ قريش يسمعون منها ، فلما قدم المنصور مكة للحجّ وانصرف ومرّ على المدينة قال عبد الله بن مُصْعَب :

أراحـــلٌ أنت أبا جعفرٍ ... من قبل أن تسمع من بَصْبصاَ
هيهـات أن تسمع منهـا إذا ... جاوَزتِ العِيس بك الأَعْوَصا[1]
فخُذْ عليهـا مَجلسَىْ لـذَّةٍ ... ومجلِساً من قبـل أن تَشخصا
أحلفُ بالله يميناً ومَن ... يحلـف بالله فقـد أخلصا
لو أنهـا تدعــو إلى بيْعةٍ ... بايعتُها ثم شَقَقتُ العصا

فبلغ الشعرُ أبا جعفر ، فغضب ودعا به ثم قال : أمَا إنكم يا آل الزبير قديما ماقادتكم النساء ، وشققتم معهنّ العصا حتى صرت أنت آخر الحمق تبايع[2] المغنيات ، فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم . ثم بلغ المنصورَ أن عبد الله بن مصعب اصطبح مع بصبص وهى تغنيه بشعره :

إذا تمـــزَّزْتُ صُراحِيَّةً ... كَمِثل ريح المسك أو أطيبُ[3]
ثم تغنَّى لى بأهزاجــه ... زَيْدٌ أخـو الأنصار أو أشعبُ

---

(١) الأعوص: موضع ذكره ياقوت .

(٢) فى (ا) تتابع .

(٣) تمزز الشراب وتمززه : تمصصه وشربه قليــلا وتذوقه شيئا بعد شىء والصراحية بدون تشديد الياء الخمر الخالصة ، وبتشديد الياء آنية للخمر .

حَسبتُ أنى ملك جـالسٌ حفّتْ به الأمـلاكُ والموكِبُ
فمـا أبالى وإلـهِ الورَى أشرّقَ العـالمُ أم غرّبُوا

فقال أبو جعفر : لـكن العالم لا يسألون كيف أصبحت ولا كيف أمسيت . ثم قال أبو جعفر: لـكن الذى يعجبنى أن يحدُو بى الحادى الليلةَ بشعر طَرِيفٍ العَنبرىّ ، فهو ألذُّ فى سمعى من غناء بصبص وأحرى أن يختاره أولو العقل، ثم دعا فلاناً الحادِىَ، وكان إذا حدا وضعت الإبل رءوسها ، وانقادت انقيادا عجيبا ، فسأله ما بلغ من حسن حدائه ؟ فقال : تعطش الإبل خَمْسا ، وتُدْنَى من الماء ، ثم أحدو فتتبع كلها صوتى ولا تقرب الماء فحفَّظَه الشعرَ وكان :

إنى وإن كان ابنُ عمّى كاشحاً لمُراجـم من دونه وورائه(١)
ومُمِدُّه نصرى وإن كان امرَأً مُتزحزحا فى أرضـه وسمـائهِ
وأكون مأوَى سِرِّه وأَصونُه حتى يَحِقَّ عَـلَىَّ يومُ أدائهِ
وإذا أتى من غَيبه بِطريفةٍ لم أطّلِعْ ما ذا وراء خِبائـهِ
وإذا تَحَيَّفَتِ الحـوادثُ مَاله قُرِنتْ صَحِيحتُنا إلى جَربائـهِ
وإذا ترَيَّشَ فى غِنـاهُ وفَرْتُه وإذا تَصعلك كنت فى قُرنائهِ
وإذا غدا يوما ليركبَ مَرْكبا صَعْباً قعدتُ له على سِيسائه(٢)

فلما كان الليل حدا به الحادى بهذه الأبيات ، فقال : هذا والله أحثُّ على المروءة وأشبه بأهل الأدب من غِناء بصبص ، فحدا به ليلَه أجمع ، فلما أصبح قال : يا ربيعُ أعطه درهما . فقال : يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت بهشام بن عبد الملك ، فأمر لى بعشرين ألف درهم ، تأمُر أنت لى بدرهم واحد؟ فقال: إنا لله، ذكرت مالم يجب ذكره،

---

(١) مراجم : مناضل : وفى نسخ المختار : لمزاحم .

(٢) السيساء : الظهر .

وصفت أنَّ رجلا[١] ظالما أخذ مالاً من حِلّه ، وأنفقه فى غير حقه ، يا ربيع ، اشدُدْ يديك به حتى يردّ المال . قال : فبكى الحادى وقال : يا أمير المؤمنين ، قد مضت على هذا السنون وقُضيت به الديون، وتمزقته النفقات ، ولا والذى أكرمك بالخلافة ما بقى عندى منه شيء . فلم يزل أهله وخاصّته يسألونه حتى كفّ عنه، وشرط عليه أن يحدو به ذاهبا وراجعا ولا يأخذ منه شيئا .

اجتمع ذات يوم عند بصبصَ جارية ابن نفيس عبدُ الله بن مصعب الزُّبيرى ومحمد ابن عيسى الجعفرى فى أشرافٍ من أهل المدينة ، فتذاكروا مزبدا المدينى[٢] صاحب النوادر وبخله . فقالت بصبص : أنا آخذ لكم منه درهما ، فقال لها مولاها أنت حرة ، لئن فعلت لأشترين لك مِخنقة[٣] بمائة دينار ، وإن لم أعمل لك ثوْب وشى بما شئت . وأجعل لك مجلسا بالعقيق أنحر لك فيه بدَنَةً ، لم تَنْقَبْ[٤] ولم تُرْكب . فقالت له : وارفع الغَيْرة إذا جئتَ به ؟ فقال : أنت حرة لو رفع رجليك لأعيننه على ذلك . قال عبد الله بن مصعب ، فصلّيت الغداة فى مسجد المدينة ، فإذا أنا بمزبد . فقلت : أبا إسحاق ، أما تحب أن ترى بَصْبَص؟ فقال: امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطا عليه فيها ، وإن لم يكن لى منذ سنة أسأله أن يرينيها فما فعل . فقلت له : اليوم إذا صليت صلاة العصر فوافِنى هنا . قال : امرأته طالق إن برحت هنا حتى يؤذّن العصر . قال: فتصرّفت فى حوائجى حتى كانت العصر، فدخلت المسجد ، فأجده فيه ، فأخذت بيده فأتيتهم به ، فأكلوا وشربوا ، فتساكر القومُ وتناوَموا ، وأقبلت بصبص على مُزَبِّد

---

(١) فى الأغانى : وصفت رجلا .

(٢) اختلف فى ضبط مزبد فقيل : إنه بالباء المفتوحة المشددة وإنه بالباء المكسورة المشددة وروى أيضا بسكون الزاى وكسر الباء انظر تاج العروس مادة زبد وفوات الوفيات ترجمة .

(٣) المخنقة : القلادة .

(٤) نقب البعير: حفى ورقت أخفافه .

فقالت : يا أبا إسحاق ، كأنى فى نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة :

لقد حثوا الجمال ليهـ ـربوا منا فلم يئلوا[١]

فقال : زوجته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ . قال : فغنته ، ثم مكثت ساعة وقالت : يا أبا إسحاق ، كأنى فى نفسك تشتهى أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جنبى فتقرصنى قرصات وأغنيك :

قالت وأبثثتها وجدى فبحتُ به قد كنتَ عندى تُحبُّ السترْ فاستترِ

ألستَ تُبصر من حولى فقلت لها غطَّى هواكِ وما ألقى على بَصَرى

فقال : امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام . فغنته ، ثم قالت : برح الخفاء[٢] ، أنا أعلم أنك تشتهى تقبلنى شَقَّ التِّين وأغنيك هزجا :

أنا أبصرت بالتـلِّ[٣] غـلاماً حسن الدَّلِّ

كغصْنِ البانِ قد أصـ ـبح مَسقيًّا من الطلِّ[٤]

فقال لها: أنت نبيَّة مُرسلة ، ثم قبلها وغنَّتة ، ثم قالت : يا أبا إسحاق : أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجوننى إليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا إسحاق هلمّ درهما نشترى به ريحانا ، فوثب وصاح واحَرْباه ، أَىْ زانيـة أخطأت استُك الحفرة[٥] وانقطع والله عنك الوحى الذى كان يُوحَى إليك . وعطعط[٦] القوم بها،

---

(١) لم يئلوا : لم ينجوا .

(٢) برح الخفاء : وضح الأمر وزالت خفيته .

(٣) فى الأغانى : أنا أبصرت بالليل . وفى (ت) إذا أبصرت .

(٤) فى ا : « ديانا من الطل » وكذلك بهامش ك .

(٥) يضرب مثلا لمن رام شيئا فلم ينله أو يضرب للرجل يتوخى الصواب فيجىء بالخطأ .

(٦) يقال لحكاية أصوات المجان عطعطة وهم يعطعطون إذا قالوا: عيط عيط. وذلك إذا غلب قوم قوما .

وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه . ثم خرج فلم يعد إليها . وعاود القومُ مجلسهم ، وكان أكثر شغلهم فيه حديث مزبد والضحك منه .

كان محمد بن عيسى قد هوى بصبص جارية ابن نفيس ، وهام بها ، وطال ذلك عليه ، فقال لصديق له : لقد شغلتني هذه عن صنعتي وأمري وقد وجدت مَسَّ السُّلوِّ عنها ، فاذهبْ بنا إليها حتى أكاشفها ذلك وأستريح فأتياها فلما غنت لها قال لها محمد ابن عيسى : أتغنين :

وكنت أحبُّكم فسلوتُ عنكمْ　　　عليكمْ من ديارِكمُ السلامُ

فقالت : لا ولكني أُغني :

تحمّلَ أهلُها عنها فبانوا　　　على آثار من ذهب العَفَاءُ

قال: فاستحْيَي وزاد بها شغفا ولها عشقا ، فأطرق ساعة ثم قال لها : أَتغنّين :

وأخضع بالعُتْبَى إذا كنت مُذنِبا　　　وإن أذنبتُ كنت الذى أتنصَّلُ

فقالت : وأغنى أحسن منه :

فإن تُقبلوا بالوُدِّ نُقْبِلْ بمثله　　　ونُنزلُكم منّا بأقربِ مَنزلِ

فتقاطعا فى بيتين ، وتواصلا فى بيتين ، ولم يشعر بهما أحد .

بُدَيح[1] المليح[2]

هو مولى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، روى الحديث عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه . فمما روى عنه قال : لما قدم يحيى بن الحكم المدينة دخل عليه عبد الله ابن جعفر فى جماعة ، فقال له يحيى : جئتنى بأوباشٍ من أوباشِ خَبيثة . فقال له عبد الله: سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طَيْبَة وتسميها أنت خبيثة ؟

دخـل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهـو يتأوّه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار ، قال : لست بصاحب هزل ، والجِدُّ مع عِلّتى أَحْجى بى ، قال : وماعِلَّتك ياأمير المؤمنين ؟ قال : هاج بى عِرْق النَّسا فى ليلتى هذه ، فبلغ منى ، قال : فإن مولاى بُدَيح أرقَى الخلقِ منه ، فوجه عبد الملك إليه فلما مضى الرسول أُسقِط فى يدى وقلت : كذبة قبيحة عند خليفة ، فما كان بأسرع من أن طلع بديح فقال له : كيف رقيتك للنَّسا ؟ قال : أرقى الخلق يا أمير المؤمنين ، فسُرِّى عن عبد الله ، لأن بديحا كان صاحب فكاهة يعرف بها ، فمدّ رجله فتفل عليها ورَقَاها مرارا . فقال عبد الملك : الله أكبر وجدت خَفًّا يا فلان ادعُ فلانة حتى تكتب هذه الرُّقْيَة ، فإنَّا لا نأمن هيجانه بالليل فلا ندعو[3] بديحا فلما جاءت الجارية قال بُديح : يا أمير المؤمنين امرأته طالق إن كتَبَتْها حتى يعجَل لى حِبائى . فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فلما صارت فى يديه قال : امرأته طالق إن كتبتْها أو يصير المال إلى منزلى ، فأمر به يُحمل إلى منزله ،

---

(١) فى (ت) : بخّ وكذلك فى جميع النص أما ا ، ك ، الأغانى فهو كما أثبت .

(٢) الأغانى: دار الكتب ١٥/١٧٤ دار الثقافة ١٥/١٣٤ بولاق ١٤/٩ الساسى ١٤/٩

(٣) فى الأغانى : فلا ندعو .

فلما أحرزه قال : امرأته طالق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب :

ألَا إن ليـــلى العامريَّة أصبحت ... على النأْيِ منى ذنب غيرى تَنقسم(١)
وما ذاك عن شىء أكون اجترمْتُه ... إليها فتجزينى بــه حيث أعلمُ
ولـكنّ إنساناً إذا مَلَّ صـاحباً ... وحـاول صرْماً لم يزل يتجرَّمُ
وما زال بى ما يُحدِث النأْىُ والذى ... أعالجُ حتى كدت بالعيش أَبْرَمُ
وما زال بى الـكتمانُ حتى كأننى ... برجْعِ جواب السائلى عنك أَعْجمُ
لأسلم من قولِ الوشاة وتسلمى ... سلِمْتِ وهل حىٌّ من الناس يَسلمُ
وما زلت أستصفى لك الودّ أبتغى ... مُحاسنــــة حتى كأنىَ مُجرِمُ
فلا تصرِمينى حين مالى مَرجِعٌ ... ورائى ولا لى عنــــكم مُتقدَّمُ

قال : ويلك ، ما تقول ؟ قال : امرأته طالق إن كان رقى إلّا بما قال من الشعر . قال : فا كتمها علىّ . قال : وكيف ذلك وقد سارت بها البُرُد إلى أخيك بمصر ! فضحك عبد الملك حتى فحص برجله .

وقيل : كان ابن جعفر أحب أن يُسمع عبدَ الملك غِناءَ بديح فدخل عليه يوما ، فشكا عبدُ الملك رُكبتَه . فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لى مولى كانت أمه بَرْبرية(٢) ، وكانت ترقى من هذه العِلّة ، وقد أخذ عنها . قال : فادع به ، فدُعِىَ بديح فجعل يتفل على ركبته ويهمهم . ثم قال : يا أمير المؤمنين قم جعلنى الله فداك ، قال : فقام عبد الملك لا يجد شيئاً . فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، مولاك لابدّ له من صلة ، قال : حتى يكتب الرُّقْية ، ثم أمر جارية له فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) فى ت : غير ذنبى تقسم . وفى ك : « غير ذنبى تنقم » وبهامشه تصحيح للرواية وأثبت ما فى الأغانى ونسخة (١) .

(٢) فى (ت) : تربيه .

فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف يكون ــ ويلك ــ رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فهو ذلك . قال: فاكتبها على ما فيها ، فأملى عليها:

دِيار سليمى بين عَيْقَةَ والمُهدِى(١) سُقِيتِ وإن لم تَنْطِقِى سَبَلَ الرَّعْدِ

فقال له ابن جعفر : لو سمعته منه ؟ قال : أو يجيده ، قال : نعم ، قال : هات . فما برح والله حتى أفرغها فى مسامعه .

(١) عيقة ذكرها ياقوت وقال فيها أيضا : عبقة . وأما المهدى فلم يذكرها .

بذل[1]

جارية صفراء مولدة من مولدات المدينة ، وربيت بالبصرة ، حلوة الوجه ظريفة ، وهى إحدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الروايات ، لها كتاب أغانٍ يشتمل على اثنى عشر ألف صوت ، ويقال : إنهـا كانت تغنى ثلاثين ألف صوت ، وكانت أحسن الناس غناء فى دهرها ، أستاذة كل محسن ومحسنة ، ابتاعها جعفر بن موسى الهادى فوُصِف لمحمدٍ الأمين حسنُها وغناؤها فبعث إلى جعفر يسأله أن يُزِيره إياها ، فأبى ، فزاره محمد إلى منزله ، فسمع شيئا لم يسمع مثله قط ، فقال لجعفر : يا أخى بِعنى هذه الجارية ، فقال له : ياسيدى مِثلى لايبيع جارية . قال : فهبها لى . قال : هى مُدَبَّرة[2] . فاحتال عليه محمـد حتى أسكره ، وأمر ببذل فحملت معه فى الحرَّاقة ، وانصرف بها ، فلما انتبه سأل عنها . فأُخبر بخبرها ، فسكت ، وبعث إليه محمد من الغد ، فجاء وبذل جالسة ، فلم يقل شيئا ، فلما أراد جعفر أن ينصرف قال محمد الأمين : أوقروا حَرَّاقة ابن عمّى دراهم ، فأوقرت ، فـكان مبلغ ذلك عشرين ألف ألف درهم . وبقيت فى دار محمد إلى أن قتل . وخرجت . وكان أولاد جعفر وأولاد محمد يدَّعون وَلاءها ، ولما ماتت ورثها أولاد عبد الله بن محمد بن زبيدة . وكان محمد قد وهب لها جوهرا عظيما لم يملك أحد مثله فسَلِمَ لها . وكانت تُخرِج منه الشيء بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم ، فـكان ذلك معتمدها مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة ، فرغب إليها جماعـة من وجوه القواد والـكتاب والهاشميين فى التزويج ، فأبته وأقامت على حالها حتى ماتت .

---

(١) الأغانى : دار الثقافة ١٧/٣٢ . بولاق ١٥/١٤٤ الساسى ١٥/١٣٨ .

(٢) المدبر من الرقيق الذى يقول له سيده : أنت حر بعد دبر منى: أى بعد وفاتى .

قال أبو حشيشة : كنت عند بذل فى أيام المأمون ، وهى فى طارمة[١] لهـا تمتشط ، فخرجت إلى الباب فرأيت الموكب ، فظننت أن الخليفة يمرّ على ذلك الموضع ، فرجعت إليها فقلت : يا سيدتى الخليفة يمرّ على بابك . فقالت : انظر أى شىء هذا ، فدخل بوّابها فقال : علىُّ بنُ هشام بالباب ، فقالت : وما أصنع به ؟ فقامت إليها جاريتها وشيك[٢] ، وكانت ترسلها إلى الخليفة وإلى غيره فى حوائجها ، فأكبّت على رجليها وقالت : اللّهَ اللّهَ ياسيدتى ، أتحتجبين عَلَى عَلِىّ بن هشام ؟ فدعت بمنديل فطرحته على رأسها ، وسلّم فلم تقم إليه[٣] . فقال : إنى جئتك بأمر الخليفة وذلك أنه سألنى عنك فقلت له : لم أرها منذ أيام فقال : هى عليك غضْبى فبحياتى عليك لا تدخل منزلك حتى تدخل إليها فتسترضيها . فقالت : إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم ، فقامت وقبلت رأسه ويده وقعد ساعة وانصرف . فساعة خرج قالت : ياوشيك . هاتى دواة وقرطاسا فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها ، حتى كتبت رءوس اثنى عشر ألف صوت ثم كتبت إليه : يا على بن هشام ، تقول قد استغنيت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذتها منها ، وقد كتبت هذا وأنا ضجرة . فكيف لو فرّغت لك قلبى كلّه ؟ وختمت الكتاب وقالت : امضى به إليه ، فما كان بأسرع من أن جاء رسوله — خادم أسود يقال له: مخارق — بالجواب يقول فيه : يا سيدتى واللّهِ ما قلتُ الذى بلغكِ ، ولقد كُذِب على عبدك[٤] ، إنما قلت : لا ينبغى أن يكون فى الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت ، وقد بعثتِ إلىّ بديوان لا أؤدِّى شكرك عليه أبدا . وبعث إليها بعشرة آلاف درهم وتُخوت فيها قماش وطيب .

---

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

(٢) فى الأغانى : وشيكة وفى ت : ويشك وفى نهاية الأرب جـ ٥ ص ٨٦ : وشيك .

(٣) فى ا : « فطرحته على رأسها ولم تقم إليه » وكذلك فى الأغانى.

(٤) فى الأغانى ونهاية الأرب جـ ٥ ص ٨٧ : ولقد كذب على عندك .

وكان على بن هشام يهواها ويكتم ذلك ، وكان إبراهيم بن المهدى يعظمها ثم تغير بعد ذلك استغناء بنفسه عنها[١] ، فصارت إليه فدعت بعود فغنت فى طريقة واحدة وانقطاع واحد وأصبع واحدة مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتا واحدا ، ووضعت العود وانصرفت ، ولم تدخل داره بعد ذلك حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها فى رجوعها إليه .

غنتْ بذل بحضرة المأمون صوتا ، فخالفها إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى نسبته ، فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات فى الثقيل الثانى وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه ، فقالت للمأمون : هى والله لأبيه أخذتها من فيه ، فإذا كان لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره ؟ فاشتد ذلك على إسحاق حتى ظهر عليه[٢] .

كان المأمون يوما قاعدا يشرب وبيده قدح فغنت بذل :

* ألَا لا أرى شيئا ألذّ من السَّحْقِ *

فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها وقال : بلى يا بذل ، النيك ألذّ من السحق فتشوّرت[٣] وخافت غضبه[٤] ثم أخذ قدحه وقال: أتمى صوتك وزيدى فيه :

ألَا لا أرى شيئا ألذّ من الوَعْدِ ومن أملى فيه وإن كان لا يُجْدِى
ومن غَفْلَةِ الواشى إذا ما أتيتُها ومن زَوْرَتى أبياتَها خالياً وَحْدِى
ومن ضَجَّةٍ فى المُلْتقَى ثمَّ سَكْتةٍ وكلتاهما عندى ألـذُّ من الخُلْدِ

(١) فى ا : « استغناء عن نفسه عنها » وكذلك فى الأغانى .
(٢) فى الأغانى ونهاية الأرب : حتى رئى ذلك فيه .
(٣) تشورت : خجلت .
(٤) فى ت : وخافت غيظه .

بَكر بن النطَّاح الحَنَفى[1]

كنيته أبو وائل ، وقيل : إنه عِجْلِىٌّ من بنى سعد بن عِجْل ، واحتجَّ من جعله عجْليا بقوله :

فإن يــك جَــدُّ القوم فِهْرَ بن مالك ... فَجَدِّىَ عِجْلٌ قَرْمُ بَـكْرِ بن وائلِ

وأنـكر ذلك من زعم[2] أنه حنفى ، وقالوا ، بل قال :

فإن يك جدُّ القوم فهر بن مالك ... فَجدِّى لُجَيْمٌ قَرْم بكر بن وائلِ

وعِجْل بن لُجيم وحَنِيفة بن لُجيم أخوان .

وكان بكرٌ صُعلوكا يُصيب الطريق ، ثم أَقصر عن ذلك ، فجعله أبو دُلَفَ من الُجند ، وجعل له رزقا سُلْطانيا ، وكان شجاعا بطلا فارسا شاعرا حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام ، وكان بكر قد قال قصيدته التى يقول فيها :

هَنِيئاً لإخوانى ببغدادَ عِيــدُهم ... وعِيدى بحُلْوَانٍ قِرَاعُ الـكتائبِ

وأنشدها أبا دلف ، فقال له : إنك لتـكثر وصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت لذلك عندك أثراً قطّ . فقال: أيها الأمير ، وأى أثر أو غَنَاء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل ؟ فقال : أعطوه فرسا وسيفا ودِرْعا ورُمْحاً ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقِىَ مالًا لأبى دلف يُحْمَل من ضِياعه فأخذه ، وخرج جماعة من غِلمانه فمانعوه ، فجرحهم جميعا فانهزموا ، وسار بالمال ، فلم ينزل

---

(١) الأغانى: دار الثقافة ١٩/٣٦ وانظر ص ٣٥ بولاق ١٧/١٥٣ . الساسى ١٧/١٥٣.

(٢) فى ت : من جعل .

إلَّا على عشرين فرسخا ، فلما اتصل خبره بأبي دلف قال : نحن جنينا على أنفسنا وكنا أغنياء عن إهاجة أبي وائل . ثم كتب إليه بالأمان وسوَّغه المالَ ، وكتب إليه : صر إلينا فلا ذنب لك ، نحن كنا سبب فعلك بتحريضنا لك وتَحْرِيكنا إياك . فرجع ، ولم يزل عنده يمتدحه حتى مات .

قال يَزِيد بن مَزْيَدْ : سرت إلى الرشيد فى وقتٍ يُرتاب فيه البَرِىء ، فلما مَثَلْتُ بين يديه قال : يايزيد ، من الذى يقول :

ومن يَفْتَقِرْ منّا يَعِش بحُسَامه ومن يفتقر من سائر الناس يَسْأَلِ

فقلت : لا والذى شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال : فمن الذى يقول :

فإن يك جَدّ القوم فهر بن مالك فجَدّ لُجيم قَرْم بكرِ بن وائلِ

فقلت : لا أعرفه والذى شرفك وأكرمك بالخلافة ، فقال : والذى شرفنى وأكرمنى إنك لتعرفه ، أتظن يايزيد أنى إذا أوطأتك بساطى وشرفتك بصنيعى أنى أحتملك على هذا ومثله ؟ أو تَظنُّ أنى لا أراعى أمورك ؟ أو تحسب أنه يَخْفَى علىّ شىء منها ؟ والله إن عيونى عليك فى خلواتك ومَشاهدك ، هذا جِلْف من أجلاف ربيعة عَدَا طَوْرَه وأَلْحَق قُرَيشا بربيعة ، فأْتِنى به ، فانصرفت ، وسألت عن قائل هذا الشعر فقيل لى : هو بكر بن النطاح ، وكان أحد أصحابى ، فدعوته وأعلمته ما كان من الرشيد ، وأمرت له بأَلْفى درهم ، وأسقطت اسمه من الديوان ، وأمرته ألا يظهر ما دام الرشيدُ حَيًّا ، فما ظهر حتى مات الرشيد . فلما مات ألحقت اسمه وزِدْت فى عطائه .

كان بكر قد هَوِىَ جاريةً لبعض الحنفيين يقال لها: رَامِشْنة . فمما قال فيها :

أُكذّب طرفى عنك والطرف صادقٌ وأُسمِع أُذْنى عنك ماليس تَسْمَعُ

ولم أَسْكُن الأرضَ التى تسكنينها لكيلا يقولوا صابرٌ ليس يجزع

فلا كبدى تَبْلى ولا لكِ رَحمةٌ[(١)] ولا عَنْكِ لى صبر ولا فيك مَطمَعُ
لقيتُ أُمورا فيك لم أَلْقَ مثلها[(٢)] وأعظمُ منها فيك ما أتوقَّعُ
فلا تسأليني فى هَواكِ زيادةً فأيسرُه يُجزِى وأدناه يُقْنِعُ

قال أبو الحسين الراوية : قال لى المأمون : أَنْشِدْنى أشجعَ بيت وأعفَّه وأكرمه من شعر المُحْدَثين ، فأنشدته :

ومن يَفتقِرْ مِنَّا يَعِشْ بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسألِ
وإنَّا لنلهو بالسُّيوف كما لَهَتْ عَرُوسٌ بعِقْدٍ أو سِخَابِ قَرَنْفُلِ[(٣)]

فقال : ويحك ، مَن يقول هذا ؟ فقلت : بكر بن النطاح ، فقال : أحسن والله ، ولكنه كَذَب فى قوله ، ما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه وينتجعه ؟ هلَّا أكل خُبزه بسيفه كما قال ؟

كان أبو دُلف قد لحق أكراداً قَطَعُوا فى عمله ، وقد أردف فارسٌ منهم رفيقاً له خَلْفَه ، فطعنهما فأَنْفَذَهما ، فتحدث النــاس أنه أنفذَ بطعنة[(٤)] واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه أنشده بكر بن النطاح من أبيات :

لا تَعْجَبوا لو أنَّ طُولَ قَناتِه مِيلٌ إذًا نَظَم الفوارِسَ مِيلًا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم ، فقال بكر فيه :

له راحةٌ لو أنَّ مِعْشار جُودِها على البَرِّ كان البَرُّ أَندى من البَحْرِ
ولو أن خَلْقَ الله فى جِسْمِ فارسٍ وبارَزَه كان الخَلِىَّ من العُمْرِ
أبا دُلَفٍ بُورِكْتَ فى كلِّ بلدةٍ كما بُورِكَتْ فى شهرها ليلةُ القَدْرِ

---

(١) فى ا : فلا كبدى تهدا .
(٢) فى ا : لم يلق مثلها .
(٣) السخاب : قلادة تتخذ من قرنفل .
(٤) فى الأغانى : نظم بطعنة .

كان مَعْقِل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطاح ، وكان بكر فاتكا لا يزال يُحْدِث حادثة فى عَمَل أبى دلف ويجنى جناية ، فيَهَمُّ أبو دلف به فيقوم معقل دونه حتى يتخلّصه ، فمات معقل ، فقال بكر يرثيه :

وحَدَّثنى عن بعض من قال إنه رأتْ عَيْنُه فيما تَرَى عينُ نائمِ
كأنَّ النَّدَى يَبْكِى على قَبْرِ مَعْقِلٍ ولمْ يَرَه يَبكِى على قبرِ حاتمِ
ولا قَبْرِ كَعْبٍ إذْ يَجودُ بنَفْسِه ولاقبرِ حِلْفِ الجود قَيْس بن عاصمِ
فأيقنتُ أن الله فَضَّلَ مَعْقِلا على كلِّ مذكورٍ بفضْل المكارمِ

وكان بكر بن النطاح بخيلا ، فدعا إليه عبّاد بن المُزَرِّق يوما ، فقدَّم إليه خُبزا يابسا ، قليلا ، بلا أُدْم ، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع ، فقال عبّاد يهجوه :

مَنْ يشترى منى أبا وائلٍ بَكْرَ بن نَطَّاحٍ بفَلْسَيْنِ
كأنما الآكلُ من خُبزِه يأكُله من شَحْمَةِ العَيْنِ

وكان عبّاد هذا هَجَّاءً ملعوباً وهو القائل :

أنا المُزَرّق أعراض اللئام كما[1] كان المُزَرّق أعراض اللئام أبى

كانت الشراة قد عاثوا بالجبل عَيْثاً شديدا ، وقتلوا الرجال والنساء والصبيان ، فخرج إليهم مالك بن علىّ الخزاعى وقد وردوا حُلْوان ، فقاتلهم قتالا شديدا ، فهزمهم عنها ، وما زال يتبعهم حتى بلغ بهم قَرْية يقال لها : حُدَّان ، فقاتلهم حتى حجز بينهم الليل ، وأصابت مالكا ضربةٌ على رأسه ، فأثبتته[2] وعلم أنه ميت ، فأمر برده إلى

(١) فى اللسان مادة مزق : أن ابن المزق يلقب المخزق وأنشد البيت : أنا المخزق أعراض .. وفى المؤتلف والمختلف ١٨٦ أنه يلقب المخرق وأنشد البيت : أنا المخرق أعراض .. هذا ، واللسان نقل عن الآمدى .

(٢) أثبتته جرحته جراحة لا يقوم معها .

حُلْوان ، فما بلغها حتى مات . فدفن على باب حُلْوان ، وبُنِيت على قبره قُبَّة على قارعة الطريق . وكان معه بكر بن النطاح يومئذ فأبلى بلاء حسنا . ورثاه بعدة قصائد منها قوله :

أيّ امرئٍ خضبَ الخوارج ثوْبَه ... بدَمٍ عشيّة راح من حُلْوانِ
يا حُفرةً ضمَّتْ محاسِنَ مالكٍ ... ما فيك من كَرَم ومن إحسانِ
لهفى على البَطَلِ المعرَّضِ خَدَّه ... وَجبينــــه لأسِنَّةِ الفُرْسانِ
خَرَقَ الكتيبةَ مُعْلِناً مُتَكَنِّياً(١) ... والمُرْهفاتُ عليـــه كالنيران
ذهبت بشاشةُ كلِّ شيءٍ بعدَه ... والأرْضُ موحشةٌ بلا عُمْرانِ
هدَم الشُّراةُ غداةَ مَصْرَعِ مالكٍ ... شَرفَ العُلَا ومكارِمَ البُنْيَان
قتلوا فـتى العربِ التى كانت به ... تَقْوَى على الأزَمات فى الأزمانِ(٢)
تركوه فى رَهجَ الغُبار كأنه ... أسَدٌ يَصُول بساعــدٍ وبنَانِ
هَوَتِ الجدُودُ عن السُّعُودِ لفقْدِه ... وتمسَّكت بالنَّحْس والدبَرَانِ
لا يَبعدنَّ أخو خُزَاعة إذْ ثوَى ... مُستشْهدا فى طاعة الرحمنِ
عَزَّ الغُوَاةُ به وذَلَّتْ أُمَّــةٌ ... مَحْبُوَّةٌ بحقائق الإيمـــانِ
وبكاه مُصحفهُ وصَدْرُ قنَاته ... والمسلمونَ ودولةُ السُّلطـانِ
وغَدَتْ تعَقَّرُ خيلُه وتقسَّمتْ ... أدراعُه وسوابغُ الأبدانِ
أفتَحْمَدُ الدُّنيا وقد ذهبتْ بِمَنْ ... كانَ المُجِيرَ لها من الحـدثانِ

ومن قصائده فيه(٣) :

ارحَلْ بنا نَقْرُبْ إلى مالك ... كيما نُحَيِّى قَبْرَه بالسلامْ

---

(١) فى الأغانى : معلما متنكبا .

(٢) فى الأغانى : تقوى على اللزبات ، هذا واللزبات : الشدائد . هذا ، وبعده فى الأغانى بيت .

(٣) هذه القصيدة تتقدم السابقة فى الأغانى وتزيد أبياتا فى أولها .

كان لأَهْلِ الأَرْضِ فى كَفِّه غِنًى عن البَحْرِ وصَوْبِ الغَمَامْ
وكانَ فى الصُّبح كشَمْس الضُّحَى وكان بالليل كَبَدْرِ التَّمَامْ
وسائلٍ يَعجب من مَوْته وقد رآه وهو صَعْبُ المَرَامْ
قلت له عهدى به مُعْلِمًا يَضْرِبهم عند ارتفاع القَتَامْ
والحرْبُ من طاولها لم يَكَدْ يُفْلِت من وَقْع صقيلٍ حُسَامْ

بيهس[1]

هو بَيْهس بن صُهَيْب بن عامر بن عبدالله بن باقل[2] بن مالك بن عُبَيْد بن عَلْقمة ابن سعد بن كَثير بن غالب بن عَدِيّ بن بيهس[3] بن طَرُود بن قُدامة بن جَرْم بن رَبَّان[4] ابن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة . كُنيته أبو المِقدام ، فارس شجاع شاعر من شعراء الدولة الأموية . وكان مع المهلَّب بن أبى صُفْرة فى حروب الأزارقة ، وله مواقف مشهورة وبلاء حسن . وكانت له زوجة اسمها صفراء ، وولدت له ولدا وطلقها فتزوجت رجلا من بنى أسد وماتت عنده ورثاها .

قيل : وكان يهوى امرأة من قومه يقال لها صفراء بنت عبد الله بن عامر ، وهى بنت عمه دِنْية[5] وكان يتحدث إليها ويجلس فى بيتها[6] ويكتم وجده بها ولا يظهره لأحد ولا يخطبها لأبيها ، لأنه كان صعلوكا لا مال له فكان ينتظر أن يُثرى . وكان من أحسن الشباب وجها وشارةً وحديثا وشعرا ، وكانت نساء الحىّ يتعرّضن له ويجلسن إليه ويتحدثن معه ، فمرّت به صفراء فوجدته جالسا مع واحدة منهن فهجرته زمانا ، لا تجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ، وعرض له سفر فخرج إليه وعاد

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٢/٤٦ وانظر ص ٤٥ ودار الثقافة ١٢/٤٢ وانظر ص ٤١ وبولاق ١٠/١٦١ و ١٩/١٠٧ والساسى ١٠/١٥٢ و١٩/١٠٧ ويلاحظ أنه جاء ترجمة مختصرة فى ١٢/٤٦ دار الكتب ودار الثقافة وجاء ترجمة أطول كما هنا فى المختار فى ج١٩/١٠٧ بولاق و١٩/١٠٧ الساسى والمجلد ٢٢ دار الثقافة .

(٢) فى الأغانى ١٢/٤٦: ناتل.

(٣) فى الأغانى ١٢/٤٦ دار الكتب: سميس وفى بولاق ١٠/١٦١ و١٩/١٠٧: بيهس.

(٤) فى المختار: « زمان » وانظر شرح القاموس وصحة ضبطه فى مادة «ربن» .

(٥) بنت عمه دنية : لاصقة النسب لها .

(٦) فى ت : وكان يجلس إليها ويتحدث معها فى بيتها .

وقد زوَّجها أبوها رجلا من بنى أسد ، فأخرجها وانتقل عن دارهم ، فجزع بيهسٌ لذلك جزعا شديدا ، وقال :

سَقى دِمْنَةً صَفراءَ كانت تَحُلُّها ... نِجاءُ الثريَّا طَلُّها وذِهابُها(١)
وصَابَ عليها كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مُخضَرًّا مَرِيعا جَنَابُها
أُحِبُّ ثَرَى أرضٍ تَحُلّ وإن نَأَتْ ... محلُّك منها نَبْتُها وتُرَابُها
على أنها غضبى علىّ وحبَّذا ... رِضاها إذا ما أُرْضيت وعِتابُها
وقد هاج لى حُزنا فراقُك غدوةً ... وسَعْيُك فى خَشْناءَ تَعْوِى ذِئابُها
نظرتُ وقد زَالَ الُحمول ونَازَلُوا ... بِرَكْوَةَ والوادِى وخفَّت رِكابُها
فقلت لأصحابى أَبِالقُرْبِ منكمُ ... جَرَى الطيرُ أم بالبَيْن نادى غُرابُها

ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها ، فقال بيهس يرثيها :

هلْ بالديارِ التى بالقاعِ من أَحَدٍ ... باقٍ فيسمَعَ صَوْتَ المُدْلِجِ السَّارِى
تلك المنازلُ من صَفْرَاءَ ليس بها ... نارٌ تُضِيءُ ولا أصواتُ سُمَّارِ(٢)
طالَ الوقوفُ بها والعينُ يَسْبِقنى ... على الرِّداء بَوَادِى دَمْعِها الجارى
إن أصبح اليوم لا أهلى ذَوُو لَطَفٍ ... أَلْهُو لديهمْ ولا صَفراءُ فى الدارِ
أرعَى بعينى نجومَ الليل مُرتقِباً ... يا طُولَ ذلك من لَيْلٍ وإسْهارِ(٣)
فقد يكونُ لِيَ الأهلُ الكِرام وقد ... أَلْهُو بصفراء ذات المَنْطِق الوارى(٤)
مِن المواجدِ أعراقاً إذا انتسبَتْ ... لا تُكرم المال عن ضَيْفٍ ولا جَارِ

---

(١) النجاء : لعلها من نحى ينحى اللبن مخضه. وفى الأغانى: بنوء الثريا . والذهاب جمع الذهبة وهى المطرة الضعيفة أو الغزيرة .

(٢) بعده فى الأغانى بيتان .

(٣) فى الأغانى : من هم وإسهار .

(٤) فى الأغانى : ذات المنظر الوارى .

لم تَلْقَ بُؤْساً ولم يَضْرُرْ بها عَوَزٌ ولم تَرَجَّفْ مع الضَّالِي إلى النارِ[١]
كذلك الدهرُ إنَّ الدَّهْرَ ذُو غِيَرٍ علىَ الأنامِ وذو نَقْضٍ وإمرارِ
قد كادَ يَعتادُنى من ذِكْرِها جَزَعٌ لولا الحياءُ ولولا رهبــةُ العارِ
سَقَى الإلٰه قُبــوراً فى بنى أَسَدٍ حَوْلَ الربيعةِ غَيْثا صَوْب مِدْرارِ
من الذى بعدكمْ أرضَى به بَدَلًا ومن أُحَدِّثُ حاجاتى وأسرارى

ثم إن بيهس اجتاز فى بلاد بنى أسد فمرَّ بقبر صفراء وهو فى موضع يقال له الأحصّ ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا من بلاد بنى أسد فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ؟ فقال : أمَا واللهِ حتى أظلَّ نهارى كله عندها وأقضى وطرا ، فنزلوا معه عندها ، فأنشأ يقول :

ألِمَّا على قــبرٍ لصفراءَ فاقرَآ الســلامَ وقُولا حَيِّنَا أيها القَــــبْرُ[٢]
عشيّةَ قال الرَّكْبُ من غَرَضٍ بنا[٣] تَرَوَّحْ أبا المِقدام قد جَنَح العَصْرُ
فقلت لهم يـــومٌ قليلٌ وليلةٌ لصفراءَ قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ
وبتُّ وبات الناسُ حَوْلِىَ هُجَّدًا كأنَّ علىَّ الليــلَ من طُولِه شَهْرُ
إذا قلت هذا حــين أهجعُ ساعةً تَطاولَ بى لَيلٌ كَواكبُ زُهْرُ
أقول إذا ما الجَنْبُ مَــلَّ مكانَه أشَوْكًا تجافَى الجنبُ أم تحته جَمْرُ[٤]
فلو أنَّ صخرًا من عمارةَ راسِياً[٥] يُقاسى الذى ألْقَى لقد مَلَّه الصَّخْرُ

---

(١) ترجف أصلها تترجف ويقال: ترجف وارتجف: ارتعد. أو لعلها : ولم ترحف .
(٢) بعده فى الأغانى بيتان .
(٣) يقال : غرض منه : ضجر ومل .
(٤) فى الأغانى : أشوك يجافى الجنب .
(٥) فى الأغانى: من عماية راسيا .

وكان بيهس يَتَبَدَّى[1] بنواحى الشام مع قبائل جَرْم وكَلب وعُذرة ، ويَحْضُر إذا حَضَرُوا فيكون من أجناد الشام ، ولما هدأت الفتنة بعد مَرْج راهط وسكن الناس مرَّ غلام من قيس بطوائفِ جرمٍ وعُذرة وكلب ، وكانوا نزولا متجاورين على ماء لهم ، فيقال : إن بعض شبابهم نخس ناقته فألقته فاندقت عنقُه فمات ، فاستعْدَى عليهم قومُه عبد الملك بنَ مروان ، فبعث إلى تلك البطون من جاء بوجوههم وذوى الأخطار منهم ، وهرب بيهس ، وكان قد اتُّهِمَ أنه هو الذى نَخس ناقته ، فنزل على محمد بن مَرْوَان فعاذَ به واستجاره ، فأجاره إلَّا من حَدٍّ توجبه عليه شهادة ، فرضى بذلك ومَدَحه ، ولم يزل محمد به قائما وقاعدا فى أمره مع أخيه حتى أمِنَ بيهس وعَشيرتُه واحتمل دِيةَ المقتول لقيس وأرضاهم .

---

(١) يتبدى: يخرج إلى البادية .

يوم بُعاث[1]

كانت الأوس قد استغاثت[2] ببني قريظة والنضير فى حروبهم التى كانت بينهم وبين الخزرج ، وبلغ ذلك الخزرجَ فبعثت إليهم : إن الأوس فيما بلغنا . قد استغاثت[2] بكم علينا ، ولن يُعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكبر منكم من العرب ، فإن ظفرنا بكم فذلك ما تكرهون وإن ظفرتم بنا لم نَنَم عن الطلب أبدا ، فتصيرون إلى ما تكرهون ويشغلكم من شأننا ما أنتم اليوم منه خالون ، وأسلمُ من ذلك لكم أن تَدَعونا وتُخلوا بيننا وبين إخواننا . فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق ، فأرسلوا إلى الخزرج : إنه قد كان الذى بلغكم ، والتمست الأوس نصرنا ، وما كنا لننصرهم عليكم أبدا . فقالت الخزرج : فإن كان ذلك كذلك فابعثوا إلينا برهائن تكون فى أيدينا . فبعثوا إليهم أربعين غلاما منهم ، ففرقتهم الخزرج فى دورهم[3] فمكثوا بذلك مدة .

ثم إن عمرو بن النعمان البياضىّ قال لقومه بياضة : إن عامرا أنزلكم منزل سوء بين سبخة ومفازة ، وإنه لا يمس رأسى غسلٌ حتى أنزلكم منازل بنى قريظة والنضير على عِذاب الماء وكِرام النخل[4] . ثم أرسل إلى بنى قريظة والنضير : إما[5] أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها ، وإما أن نقتل رُهُنكم ، فهموا بأن يخرجوا من

---

(١) الأغانى : دار الثقافة ١٧/٦٨ ، بولاق ١٥/١٦١، الساسى ١٥/١٥٤ .

(٢) الأغانى : استعانت .

(٣) فى (ت): بيوتهم .

(٤) فى الأغانى : عذب الماء وكريم النخل .

(٥) فى الأغانى : ثم راسلهم إما . . .

ديارهم ، فقال لهم كعب بن أسد القُرَظِي : يا قوم . امنعوا دياركم وخلوه يقتل[١] الرُّهُن . فوالله ما هى إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن ، فأجمعوا على ذلك[٢] ، فأرسلوا إلى عمرو بأنا لانسلم لكم ديارنا ، فانظروا الذى عاهدتمونا عليه فى رهننا فَفُوا لنا به ، فعدا عمرو[٣] بن النعمان على رهنه هو ومن أطاعه من الخزرج فقتلوهم . وأبى[٤] عبد الله بن أُبَىّ وكان سيدا حليما وقال : هذا عقوق ومأثم وبَغْى ، ولست مُعينا عليه ، وكان عنده فى الرهن سليم[٥] بن أسد القُرظى جدّ محمد بن كعب القرظى ، فخلّى عنه ، وأطلق ناسٌ من الخزرج نفرا فلحقوا بأهليهم ، فناوشت الأوسُ الخزرَجَ يوم قتلت الرهن شيئا من قتال غير كبير .

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد أخى بنى عمرو بن قُريظة ، ثم تآمروا أن يعينوا الأوس على الخزرج ، فبعث إلى الأوس بذلك وبما اجتمعوا عليه أن ينزل أهـــل كل بيت من النبيت[٦] على أهل بيت من قريظة والنضير معهم فى دورهم ، وأرسلوا إلى النبيت يأمرونهم بإتيانهم ، وتعاهدوا على ألا يسلموهم أبدا ، وأن يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم أحد ، فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير فى بيوتهم ، وأرسلوا إلى سائر الأوس فى الحرب والقيام معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك ، فاجتمع الملأ منهم ، واستحكم أمرهم ، وجدُّوا فى حربهم ، فدخلت فى حربهم معهم قبائل من أهل المدينة ، منهم بنو ثعلبة وهم غسان ، وبنو زعوراء

---

(١) فى (ت) : وخلوهم يقتلوا .
(٢) فى الأغانى : فاجتمع رأيهم على ذلك .
(٣) فى الأغانى : فقوموا لنا به فغدا .
(٤) فى الأغانى : وأبى .
(٥) فى الأغانى « سليمان » والصواب ما فى المختار ، انظر ترجمته فى الإصابة .
(٦) فى الأغانى : من النبيت .

وهم من غسان ، فلما سمعت الخزرج بذلك اجتمعوا ثم خرجوا ، وفيهم عمرو بن النعمان البياضى وعمرو بن الجموح السُّلمى ، حتى جاءوا عبد الله بن أُبىّ وقالوا له : قد بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا ، وإنا نرى أن نقاتلهم ، فإن هزمناهم لم يُحرز أحداً مَعقلُه ولا ملجؤه ، حتى لا يبقى منهم أحد، فلما فرغوا من مقالتهم قام عبدُ الله بن أبىّ خطيبا وقال : إن هذا بغىٌ منكم على قومكم وعقوق ، والله ما أحبّ أن رَجْلا[١] من جراد لقيناهم ، وقد بلغنى أنهم يقولون: هؤلاء قومنا منعونا الحياة ، أفيمنعوننا الموت؟ والله إنى أرى قوماً لا يَنتهون أو يُهلِكوا عامّتكم ، وإنى لأخاف إن قاتلوكم أن يُنصَروا عليكم ، لبغيكم عليهم ، فقاتِلُوا قومَكم كما كنتم تقاتلونهم ، فإذا وَلَّوْا فخلُّوا عنهم ، وإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خَلَّوْا عنكم ، فقال له عمرو بن النعمان : انتفخ والله سَحْرُك يا أبا الحارث حين بلغك حِلْف الأَوس وقريظة والنضير ، فقال عبدُ الله : واللهِ لا حضرتُكم ولا أحدٌ أطاعنى أبدا ، ولكأنى أنظر إليك قتيلا يحملك أربعة فى عباءة . وتابع عبدَ الله ابنَ أُبَىٍّ رجالٌ من الخزرج ، منهم عمرو بن الجموح الحرامى ، واجتمع ملأ من الخزرج على أن راسلوا عمرو بن النعمان البياضى وولّوْه أمرهم[٢]، ولبث الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب، فأرسلت الخزرج إلى جُهينة وأَشجع، وكان الذى ذهب إلى أشجع ثابتُ بن قيس ابن شماس ، فأجابوه وأقبلوا إليهم ، وأقبلت إليهم جُهينة أيضا . وأرسلت الأوس إلى مُزَينة وأرسلت حُضَير الكتائب الأشهلىّ إلى أبى قيس بن الأسلت ، فأمره أن يجمع له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حُضَير الكتائب فاعتمد على قوسه وعليه

---

(١) الرجل من الجراد : القطعة العظيمة منه .

(٢) فى الأغانى : واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرا ... أمر حربهم .

نَمِرَة[١] تَشِفّ عن عَوْرَتِه ، نحرّضهم وأمرهم بالجِدّ فى حروبهم ، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبيت وإذلال من تخلف بالمدينة من سائر الأوس ، فجعل كلما ذكر ما صنعت الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط ويَحْمَى وتَقْلِص،[٢] خصيتاه حتى تغيبا ، فإذا كلموه بما يُحِبّ رجعتا إلى حالها ، فأجابته أوس الله إلى الذى يحب من النصرة والموازرة والجِدّ فى الحرب .

ولما أجالوا الرأى فى قتلهم الخزرج إن ظفروا بهم ، قال حُضَير : يا معشر الأوس ، ما سُمّيتم الأوس إلا لأنكم تؤسون الأمور الواسعة ، ثم قال :

* يا قوم قد أصبحتمُ دَوَارَا *

* لمعشرٍ قد قتلوا الخِيارا *

* يوشك أن تستأصلوا الدّيارا *

ولما اجتمعوا بالجباة طرحوا بين أيديهم تمرا وجعلوا يأكلون وحضير الكتائب جالس عليه بُردة له ، وقد اشتمل بها الصَّمّاء[٣] لا يأكل معهم ولا يدنو من التمر غضبا وحنقا ، فقال : يا قوم اعقدوا لأبى قيس بن الأسلت ، فقال لهم أبو قيس: لا أقبل ذلك، فإنى لم أرأس على قوم فى حرب قط إلا هربوا[٤] وجعلوا ينظرون إلى حضير واعتزاله وأكلهم ، واشتغالهم بما فيه[٥] ، من أمر الحرب ، وقد بدت خُصيتاه من تحت البردة ، فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلّصتا غيظا وغضبا ، وإذا رأى منهم ما يحب من الجد والتشمير فى الحرب عادتا . وأجابت إلى ذلك أوسُ مَنَاة وجَدُّوا

---

(١) النمرة : شملة أو بردة من صوف فيها خطوط بيض وسود .

(٢) تقلص: ترتفع إلى أعلى أو تنقبض

(٣) اشتمل الصماء : لفها حوله لفا محكما .

(٤) فى الأغانى : إلا هزموا .

(٥) فى الأغانى : واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيه .

فى الموازرة والمظاهرة ، وقدِمَتْ مزينة على الأوس ، فانطلق حُضير وأبو عامر الراهب ابن صَيْفِىّ إلى أبى قيس بن الأسلت فقالا : قد جاءتنا مُزَينة ، واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قِبَل للخزرج به ، فما الرأى إن نحن ظَهَرْنا عليهم ، الإنجاز أم البَقِيَّة ؟ فقال أبو قيس بن الأسلت : بل البقيَّة. فقال أبو عامر : والله لوددْتُ أن مكانهم ثعلبا صَيَّاحا[١] ، فقال أبو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا نزا نزا[٢] . كلمة كانوا يقولونها إذا غُلِبوا ، فتشاجروا فى ذلك ، وأقسم حضير ألا يشرب الخمر أو يظهر وَيهدم مُزاحما أُطُمَ عبد الله بن أُبىّ ، فمكثوا شهرين يُعِدُّون ويستعدون ، ثم التقوا ببُعاث ، وتخلّف عن الأوس بنو حارثة ، فبعثوا إلى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ، فبعثوا إليهم : أن ابعثوا لنا برهن منكم يكون فى أيدينا ، فبعثوا إليهم اثنى عشر رجلا ، منهم خَدِيج[٣] . وبعاث من أموال بنى قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قَوْرَا . فلذلك يدعى بُعاث الخزرج . وحشد الحيّان ، فلم يتخلف منهم إلا من لا ذِكْر له ولم يكن حشدوا قبل ذلك اليوم ، فلما رأت الأوسُ الخزرجَ أعظموهم وقالوا لحضير : يا أبا أسد[٤] لو حاجزت القومَ وبعثت إلى من تخلّف من حلفائك من مُزينة . فطرح قوسا كانت فى يده ثم قال أنتظر[٥] مزينة . وقد نظر إلىّ القوم ونظرت إليهم ؟ الموت قبل ذلك ، ثم حمل وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت الأوس حين وجدوا مسَّ السلاح ، وولَّوْا مُصْعِدين فى حرَّة قوْرَا نحو العُرَيض[٦] ، وذلك فى وجه طريق نجد ،

---

(١) فى الأغانى : ضباحا .
(٢) فى الأغانى : بزا بزا .
(٣) هو أبو رافع بن خديج كما فى الأغانى .
(٤) فى الأغانى : يا أبا أسيد .
(٥) فى المختار : «انتظروا» واعتمدت ما فى الأغانى.
(٦) العريض : واد بالمدينة .

وصاحت بهم الخزرج : أين الفرار ؟ وعيّروهم، فنزل حُضير وطعن بسنانِ رمحِه فخذَه ، وصاح : واعقراه ، والله لا أرِيم(١) حتى أقتل، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسلمونى فافعلوا . فعطفت عليه الأوس ، وقام على رأسه غلامان من بنى عبد الأشهل يقال لهما محمود ولبيد ابنا خليفة بن ثعلبة ، وهما يومئذ ذوا بطش ، فجعلا يرتجزان :

* أىَّ غُـلامَىْ مالكٍ ترَانا *

* فى الحرب إذ دارتْ بنا رحانا *

* وعدَّد الناسُ لنـا ما كانا *

فقاتلا حتى قُتلا وأقبل سهم فأصاب عمرَو بن النعمان رأسَ الخزرج ، فقتله ، لا يُدْرى من رَمى به ، إلا أن بنى قُرَيظة تزعم أنه سهم رجل يقال له أبو لُبَابة ، فبينا عبد الله بن أبىّ يتردَّد على بغلة له قريبا من بُعاث يتجَسَّس أخبار القوم إذ طُلِع عليه بعمرو بن النعمان ميتا فى عباءة يحمله أربعة إلى داره ، فلما رآه عبد الله بن أُبىّ قال : من هذا ؟ قالوا: عمرو بن النعمان ، قال: ذُقْ وَبَالَ العقوق.

وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الأوس السلاحَ ، فصاح صائح : يا معشر الأوس أَسْجِحوا(٢) ولا تهلكوا إخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب فتناهت الأوس وكفّت عن سلبهم بعد إثخان فيهم وسلبتهم قُريظة والنضير وحملت الأوس حُضَيرا من الجراح التى به ، وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كتيبـةٌ زَيَّنهـا مولاها لا كَهْلُهـا هِـدٌّ ولا فتاهـا(٣)

وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها ، فخرج سعد بن مُعاذ الأشهلى

---

(١) لا أريم : لا أزول ولا أبارح مكانى .

(٢) أسجح : أحسن العفو .

(٣) الهد : الجبان الضعيف، وقيل فيه أيضا بفتح الهاء.

حتى وقف على بنى سَلِمَة وأجارهم وأموالهم جزاء لهم بيوم الرَّعَل ، وكان للخزرج على الأوس يوم مُعَلِّس ومُضَرِّس ، وكان سعد بن معاذ حمل يومئذ جريحا إلى عمرو ابن الجموح الحرامى فمنّ عليه وأجاره وآخاه يوم الرَّعَل — وهو [على] الأوس — من الحرق والقطع ، فكافأه سعد بمثل ذلك فى يوم بُعاث ، واجتمعت الأوس على أن تهدم مزاحما أُطُمَ عبد الله بن أبىّ ، وحلف حضير ليهدمنه ، فكلّمه فيه ، فأمرهم أن يُؤَثّروا فيه ، فحفروا فيه كوة ، وخرج حضير وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قيس ابن الأسلت بعد الهزيمة ، فقال حضير : يا أبا قيس ، إن رأيت أن نأتى الخزرج قصرا قصرا ودارا دارا نهدم ونحرق[١] حتى لا يبقى منهم أحد ، فقال أبو قيس : والله لا نفعل ذلك ، فغضب حضير وقال : ما سميتم الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمر أوسا ، ولو ظفرت الخزرج بنا[٢] ما أقالوناها ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم ، وكان حضير يومئذ جُرح جراحة شديدة ، فذهب به طلبة[٣] بن صيفى ابن عبد الأشهل إلى منزله فى بنى أمية بن زيد ، فلبث أياما ثم مات من جراحته ، وقبره هناك فى بنى أمية بن زيد .

وكان يهودى أعمى من بنى قريظة فى أطم من آطامهم ، فقال لابنه : أشرِفْ[٤] على الأطم فانظر ما فعل القوم ، فأشرف فقال : أسمع الصوت قد ارتفع من قَوْرًا ، وأسمع قائلا يقول : اضربوا يا آل الخزرج ، فقال : الدولة إذًا على الأوس ، لا خير فى البقاء بعدهم ، ثم قال : ماذا تسمع ؟ قال: أسمع رجالا يقولون : يا آل الأوس ، ورجالا يقولون : يا آل الخزرج ، فقال: الآن عمّ القتال[٥] ، ثم لبث ساعة وقال :

---

(١) فى الأغانى : نقتل ونهدم :
(٢) فى الأغانى : بمثلها .
(٣) فى الأغانى : كليب .
(٤) فى الأغانى: فقال لابنه أشرف ..
(٥) فى الأغانى : حمى القتال .

ماذا تسمع ؟ فقال : أسمع قوما يقولون :

نحن بنو صخرة أصحاب الرَّعَلْ

فقال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس ـ وصَخرة أمهم بنت مُرَّة ابن ظَفَر ، من بنى عبد الأشهل ـ ثم وثب فرحا نحو باب الأطم فضرب رأسه بحاف[1] بابه ، وكان من الحجارة ، فسقط فمات .

وكان أبو عامر قد حلف ليَرْكُزَنَّ رمحه فى أصل مُزاحم أُطُم عبد الله بن أبىّ فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به وكانت تحت أبى عامر جميلة بنت عبد الله ابن أبىّ ، وهى أمُّ حَنْظلة الغَسيل بن أبى عامر ، فأشرف عليهم عبد الله بن أبىّ فقال : إنى والله ما رضيت بهذا الأمر ولا كان عن رأيى وقد عرفتم كراهتى له ، فقال أبو عامر : لا والله لا أنصرف حتى أركز لوائى فى أصل أُطُمك ، فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف قال لهم :

إن أبى شديد الوَجْدِ بى ، فأشرِفوا بى عليه ثم قولوا له : والله إن لم تنصرف عنّا لنرمينّ برأسه إليك . فقالوا له ذلك ، فركز رمحه فى أصل الأطم ، ليمينه ، ثم انصرف عنهم ، وذلك قول قيس بن الخَطِيم :

صَبَحْنَا بها الآطام حَول مُزاحِمٍ قَوَانسُ أُولَى بَيضِها كالكواكب[2]

وقال خُفاف بن نَدبة يرثى حُضير الكتائب[3] :

أتانى حديث فكذَّبْتُه وقيل خليلُك فى المَرْمَسِ
فيا عَيْنُ بَكِّى حُضير النَّدَى حُضَيْرَ الكتائبِ والمَجلِسِ[4]

---

(١) فى الأغانى : « بخاق بابه » وشرح فى مخطوط منه بأنه عضادة الباب .

(٢) القوانس : جمع القونس وهى أعلى بيضة الحديد أو مقدمها . وفى ديوانه س ١٣ أولى بيضنا .

(٣) فى الأغانى شعر قبل هذا مع خبر ، وشعر لخفاف أيضا قبل هذا الشعر الآتى .

(٤) بعده فى الأغانى ثلاثة أبيات .

بَـكْر بن خارجة[1]

رجل من أهل الـكوفة مولى لبنى أســد كان ورّاقا ضَيّق العيش مُقَصِّرا ، يكتسب بالوِراقة ، ويصرف أكثر ما يكتسبه إلى النبيذ ، وكان معاقرا للشراب فى منازل الخمَّارين وحاناتهم ، طيّب الشِّعر مايحا مطبوعا ، خليعا ماجنا ، يبكّر كلّ يوم بشىء من خمر إلى خراب من خرابات الِحيرة ، فلا يزال يشرب فيهـا على صوت هُدهد يأوِى إلى ذلك الخراب إلى أن يسكر ثم ينصرف ، وكان يتعشق ذلك الهدهد ، وكان يعشق أيضا غلاما نصرانيا يقال له عيسى بن البراد[2] العِبادِىّ الصّيرفى . وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم وأسماء دياراتهم . ومن شعره فيه :

وشادِنٍ قلبى به مَعمودُ   شِيمَتُه الهِجْرانُ والصُّدودُ
زُنَّارُه فى خَصْرِه مَعْقودُ   لأنه من كَبِدى مَقدودُ

كان دعبل يقول : ما حسدت أحداً قط كما حسدت بَـكْرا على هذين البيتين .

حرّم بعضُ الأمراء بالـكوفة الخمر وبيعها على خمّارى الـكوفة ، وركب فـكسر نبيذهم ، فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته ، فرأى الخمر مصبوبة فى الرِّحاب والطرق ، فبكى طويلا ثم أنشأ يقول :

يا لَقومى لِما جنى السُّلطانُ   لا يكونَنْ لمـا أهانَ الهَوانُ
صَبّهَا فى التراب من حَلَب الـكَرْ   م عُقاراً كأنهـا الزعفرانُ
صَبّهَا فى مكان سوء لقد صا   دف سَعْدَ السعود ذاك المـكانُ

(١) الأغانى : دار الثقافة المجلد ٢٣ بولاق ٢٠/٨٧ الساسى ٢٠/٨٧ .

(٢) فى ا ، ك : « اليسر » وأثبت ما فى ت والأغانى .

من كُمَيْتٍ يُبْدِى المِزاجُ لها لُؤْ ... لُؤَ نَظْمٍ والفَصْلُ منها الجُمانُ
فإذا ما اصطبحْتُها صَغُرَتْ فى الـ ... ـقدر عندى من أجلها الخَيْزُرانُ
كيف صَبْرِى عن بعض نفسى وهل يَصْـ ... ـبِر عن بعض نفسه الإنسانُ

لما سمع الجاحظ هذه الأبيات قال : إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائما ، وما أقدر على ذلك إلّا أن تُعْمِدَنى ، وكان قد نُقْرِس فأعمده بعض أصحابه ، وقام فكتبها قائما .

وكان بكر يمدح ويهجو بالدرهم الواحد والدرهمين ونحو هذا ، وكان عقله قد فسد بالنبيذ فى آخر عمره ، حدَّث عنه مَنْ حضره فى دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى ، وقد بات جماعة عنده قال : ما أنبهنى إلا صياحُ بكر يستغيث من العطش ، فقلت : مالَكَ ويلك ؟ قم فاشرب ، فالدار مملوءة ماءً ، فقال: أخاف ، فقلت له : من أى شىء ؟ قال : فى الدار كلب كبير فأخاف أن يظننى غزالا فيثب عَلَىَّ فيقطعنى فيأكلنى ، فقلت له : اعزب خرب الله بيتك ، أنت بالخنازير أشبه منك بالغزلان ، قم فاشرب إن كنت عطشان فأنت آمِنٌ .

حرف التاء

توبة بن الحُمَيِّر(١)

هو تَوْبة بن الحُمَيِّر بن حَزْم بن كَعْب بن خَفاجة بن عَمرو بن عُقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كان يهوى ليلى الأخيلية ، وقد ذكرنا ذلك مُستوفًى فى أخبار لَيلى ، ونذكر هنا ما يتعلق به هو . كان سبب مقتله أنه كان بينه وبين بنى عوف بن عامر(٢) بن عوف بن عُقَيل لِحَاءٌ(٣) ، ثم إن توبة شهد بنى خَفاجة وبنى عوف وهم يختصمون عند همَّام بن مُطْرِف العُقيلى فى بعض أمورهم ، ومروان ابن الحكم إذ ذاك أمير على المدينة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فاستعمله على صدقات بنى عامر ، فوثب ثَوْرُ بن أبى سِمْعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عُقيل على توبةَ بنِ الحُمَيِّر فضربه ، وعلى تَوْبَةَ الدِّرْعُ والبَيْضَة . فجرح أنفُ البيضةِ وَجْه تَوبة ، فأمر همامٌ بثَوْرٍ بن أبى سِمْعان فأُقْعِدَ بين يدى توبة ، وقال : خُذ بحقِّك يا توبة ، فقال له توبة : ما كان هذا إلّا عن أمرك ، وما كان يجترئُ علىَّ عند غيرك ، وكانت أمّ همام طوبانة(٤) بنت حزن بن عامر بن عوف بن عُقَيل ، واتّهمه توبة بذلك ، فانصرف ولم يَقتصَّ منه ، فمكثوا غير كثير ، ثم إن توبة بلغه أن ثَوْر بن أبى سِمْعان

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١١/٢٠٤ وانظر ص٢٠٣ ودار الثقافة ١١/١٩٤ وانظر ص١٩٣ وبولاق ١٠/٦٧ والساسى ١٠/٦٣ والتجريد ١٢٨٨ .

(٢) فى الأغانى : وبين بنى عامر .

(٣) اللحاء : النزاع .

(٤) فى الأغانى : صعوبانة بنت جوث .

خرج فى نفر من قومه(١) إلى ماء من مياه قومه يُقال له هوفا(٢) يريدون ماء لهم يقال له جُرَير(٣) بتَثْليث وبينهما فلاة ، فأتبعه توبة فى ناس من أصحابه ، وسأل عنه وبحث حتى ذُكر له أنه عند رجل من بنى عامر بن عُقيل يقال له سَارِية بن عُوَيم(٤) ابن أبى عدى ، وكان صديقاً لتوبة ، فقال توبة : لا نَطْرُقهم عند سارية الليلةَ حتى يخرجوا عنه ، فأرادوا أن يخرجوا حين يُصْبحون ، فقال لهم ساريةُ : ادَّرِعوا الليلَ فإنى لا آمنُ توبةَ عليكم الليلةَ ؛ فإنه لا ينام عن طلبكم ، فلما تعشَّوْا ادَّرعوا الليلَ فى الفلاة ، وأَقْعَد له توبةُ رَجُلين فغفَل صاحباه ، فلما ذهب الليل فزِع توبةُ وقال : اغتررتُ إلى رجلين ما صَنَعا شيئا ، وإنى لأعلم أنهم لم يُصْبِحوا بهذه البلاد ، فاقتصَّ آثارهم فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا ، فبعث إلى صاحبيه فأتياه ، فقال : دونكما هذا الجَمَل فأَوْقِرا مزادتيه من الماء ، ثم اتبعا أثره ، فإن خَفِى عليكما أن تُدْرِكانى فإنى سأُوقد(٥) لكما إن أمسيتما دونى ، وخرج توبة مسرعا فى أثر القوم ، حتى إذا انتصف النهار جاوز عَلَما يقال له أفيح فى الغائط ، فقال لأصحابه : هل تَرَوْن من سَمُرات إلى جنب قُرون بَقَر ؟ — وقرون بقر ظلّ سَمُرٍ(٧) كان هنالك — فإن ذلك مَقيلٌ لم يتجاوزه القوم ، وليس لهم وراءه ظِلّ ، فنظروا فقال قائل : أرى رجلا يقود بَعيراً كأنه يقوده لِصَيْد . قال توبة : ذلك

---

(١) فى الأغانى : من رهطه .

(٢) فى الأغانى قوباء .

(٣) فى الأغانى : يريدون ماء لهم بموضع يقال له جرير .

(٤) فى الأغانى : عمير .

(٥) فى الأغانى : سأنور .

(٦) ضبطه بالتصغير وغير مصغر .

(٧) فى الأغانى : وقرون بقر مكان هنالك .

ابنُ الحَبْتَرِيَّة . قال : وبنو الحبترية[١] ناس من مذحج ، فركض عبد الله ابن أخي توبة فرسه نحوه ، فرماه ابنُ الحبتريَّة فعقر فرسَه ، واحتكَّ[٢] السهمُ ساقَ عبد الله وانحازَ الرجل إلى أصحابه فأنذرهم ، فجمعوا رِكابهم وكانت متفرقة ، فغشيهم توبة ومن معه ، فلما رأوا ذلك صَفُّوا رِحالهم وجعلوا السَّمُرات فى نُحورهم ، وأخذوا سِلاحهم ودَرَقهم ، وزحف إليهم توبة فارتمى القومُ لا يغنى أحدُهم شيئا فى أحد . وكان توبة يُتَرِّس له أخوه عبد الله[٣] فقال : يا أخى لا تُتَرِّس لى فإنى رأيتُ ثَوْراً كثيرا ما يرفع الترس ، عسى أن أوافق منه عند رَفْعِه مَرْمى فأرميه ، ففعل فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه . وجال القومُ فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السِّلاح فصرعوهم وهم سبعةُ نفَرٍ ، ثم إن ثورا قال: انْزَعُوا هذا السهم عنى . فقال له توبة : ما وضعناه لننزعه ، وقال أصحاب توبة انجُ بنا نأخذ آثارنا ونَلْحَق رَاوِيتَنَا فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عَطشاً . فقال توبة : وكيف بهؤلاء القوم الذين لا يَمْتَنِعون ؟ قالوا : أبعدهم الله ، قال توبة : ما أنا بفاعل وماهم إلا عشيرتكم ولكن تجىء الراوية فأضع لهم ماء وأغسل دماءهم عنهم ، وأُخَيِّل عليهم من السِّبَاع والطير لا تأكلهم حتى أُوذِن قومَهم بِعَمْق بهم[٤] . فأقام توبة حتى أتته الراوية قبل الليل ، فسقاهم وغسل عنهم الدم ، وجعل لهم فى أساقيهم ماء ، ثم جَلَّلهم[٥] بالثياب على الشجر ، ومضى حتى

(١) جعلها محققو الأغانى دار الكتب: وبنو الحبتر ونسبوا ذلك لمختار الأغانى مع أن نسختيه الوثيقتين ا ، ك فيهما: وبنو الحبترية .

(٢) فى الأغانى : واختل .

(٣) فى الأغانى : ثم إن توبة وكان يترس له أخوه عبد الله . وفى المختار وكان توبة يترس لأخيه عبد الله .

(٤) فى الأغانى : كماهنا. وعمق موضع. وذكر محققو الأغانى أن المختار فيه : « قومهم يغمونهم وليس كذلك فى ا ، ك .

(٥) كذا فى أصول المختار . وفى الأغانى: ثم خيل لهم .

طرق من الليل ساريةَ بنَ أبى عُوَيْم بن أبى عديّ العُقيليّ فقال : إنا قد تركنا رهطا من قومكم بسَمُرات من قُرون بَقَر ، فأدركوهم فمن كان حيًّا فداوُوه ومن كان ميتا فأجِنُّوه[١] ثم انصرف فلحق بقومه ، وأصبح ساريةُ فاحتمل القوم ، ومات ثور ولم يمت غيره ، فلم يزل توبة خائفا .

وكان السُّلَيك[٢] بن ثور المقتول راميا كثير البَغْى والشرّ ، فأُخْبِر بِغِرّة من توبة ، وهو بقُبّة من قباب الشَّرَف يقال لهـا قبة بنى الحُمَيِّر[٣] فركب فى ثلاثين فارسا حتى طرَقه ، فرَقى توبةُ ورجل من إخوته الجبل[٤] وأحاطوا بالبيوت ، فقال لهم وهو فى الجبـل[٥] : ها أنذا من تبغون فاجتنِبُوا البيوت ، فقالوا : إنكم لن تستطيعوه وهـو فى الجبل ، ولـكن خذوا ما استنظف[٦] لـكم من ماله فأخذوا أفراسا له ولإخوته وانصرفوا ، ثم إن توبة غزاهم فمر على أفلت بن جَون[٧] بن معاوية ابن خَفاجة ببطْن بِيَشة فقال : يا توبة أين تريد ؟ قال : أريد الصِّبيان من بنى عَوْف ابن عُقَيل ، قال : لا تفعل ، فإن القوم قاتلوك ، فمهلًا . قال : لا أُقلع عنهم ما عشت . ثم ضرب بَطْنَ فرسه فاستمرّ به يُحْضِر[٨] وهو يرتجز ويقول :

تَنجو إذا قيـل لهـا يعَاطِ تَنجو ولو من خَلَل الأَمشاطِ[٩]

---

(١) جن الميت وأجنه: ستره . وفى الأغانى: فادفنوه .

(٢) فى الأغانى : السليل .

(٣) فى الأغانى : وهو بقنة من قنان الشرف يقال لها : قنة بن الحمير .

(٤) المعروف: رقى فى الجبل وفى السلم . وفى الأغانى: فترق .. فى الجبل .

(٥) فى الأغانى : فناداهم وهو فى الجبل .

(٦) استنظف الشيء أخذه كله واستوعبه . وفى الأغانى : ما استدف . أى تهيأ وأمكن.

(٧) فى الأغانى: قلب بن حزن وصحوا من المختار . وكذا فى المختار : جون .

(٨) يحضر: يعدو سريعا .

(٩) يعاط زجر للإبل ويزجر بها الذئب وغيره. وفى المختار: نعاط. وفى الأغانى : تنجو بهم من خلل الأمشاط .

حتى انتهى إلى مكانٍ يقال له حَجْرُ الراشدة ظَلِيلٍ ، أسفلُه كالعَمُود وأعلاه مُستشرِف[١] فاستظل فيه هو وأصحابه ، حتى إذا كان بالهاجرة مرَّت عليه إبلُ هُبيرة بن السَّمِير[٢] أخى بنى عوف بن عُقيل واردةً ماءً لهم يقال له طَلُوب ، فأخذها وخلَّى طريقَ راعيها وقال له : إذا أتيت مولاك ضَرْع البقرة[٣] فأخبره أن توبة أخذ الإبل ، ثم انصرف توبة يَطْرُد الإبل ، فلما وردَ العبدُ على مولاه وأخبره نادى فى بنى عوف وقال : حتى متى هـذا ؟ فتعاقدوا بينهم نحو ثلاثين فارسا ، ثم اتبعوه . ونهضت امرأة من خثعم من بنى الهِدَّة[٤] ، وكانت فى بنى عوف ، وكانت تُؤَخِّذ[٥] فقالت: أرونى أثره. فأخذت من ترابه فسافَتْه[٦] وقالت: اطلبوه فإنه سيُحْبَس عليكم فطلبوه فسبقهم . فتلاوَمُوا بينهم وقالوا : ما نرى له أثرا ، وما نراه إلا وقد سبقكم . ولما كان توبةُ بالمَضْجَع من أرض بنى كلاب جعل يَحْبِس أصحابه حتى إذا كان بشِعْبٍ من هَضْبَة يقال له هند من كبد المضجع جعلَ ابنَ عمٍّ له يقال له قابضُ بنُ عبد الله رَبيئةً له على رأس الهَضْبَة وقال : انظرْ فإن شَخَص لك شىء فأَعْلِمْنا ، فقال عبدُ الله بن الحُمَيِّر أخو توبة : يا توبَ إنك خائنٌ أذكِّرك اللهَ فوالله ما رأيتُ يوما أشبه بسَمُرات بنى عوف يوم أدركناهم فى ساعتهم التى أتيناهم فيها من هذه الساعة من هذا اليوم[٧] فانج بنفسك إن كان بنفسك نجاة ، قال : دعنى فقد ربأت ربيئة

---

(١) فى الأغانى : وأعلاه منتشر .

(٢) فى الأغانى : السمين .

(٣) فى الأغانى : صدغ البقرة .

(٤) فى الأغانى : الهرة .

(٥) تؤخذ : تعالج السحر .

(٦) سافته : شمته .

(٧) فى الأغانى : عبارته مختصرة: وهى التى اتيناهم فيها منه.

ينظر لنا(١) . ورجع بنو عوف بن عُقيل حين لم يجدوا أثراً لتوبة ، فلقوا رجلا من غَنِىّ فقالوا له : هل أحسست فى مجيئك أثرَ خيل أو أثر إبل ؟ قال : لا والله ، قالوا : كذبت ، وضربوه ، فقال : يا قوم ، لا تضربونى فإنى أجد أثراً وإبلا فى تلك الهَضْبَة(٢) وما أدرى ما هو ، فبعثوا رجلا منهم يقال له يزيدُ بن رُوَيْبة لينظر ما فى الهضبة فأشرف على القوم ، فلما رآهم أَلْوَى [بثوبه] لأصحابه(٣) حتى جاءوا ، فحمل أوّلُهم على القوم حتى غَشِى توبةَ [وفزع توبة] وأخوه [إلى خيلهما](٤) فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر أن يُلْجمها ولا تَقِرُّ له(٥) فخلّى طريقها(٦) وغشِيه الرجلُ فاعتنقه ، فصرعه توبة وهو مدهوشٌ قد لبِس الدِّرع على السيف ، فانتزعه ثم أهوى ليزيدَ بن رُوَيبة ، فاتّقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيد بن رُويبة يناشده رحم صَفِيّة ، وصفيّةُ أمٌّ له من بنى خَفاجة ، وغَشِى القومُ توبةَ يضربونه من ورائه فقتلوه ، وعلقهم عبدُالله بن الحُمَيِّر يطعنهم بالرمح حتى انكسر ، فلما فرغوا من توبة مالوا(٧) على عبد الله فضربوا رِجْله فقطعوها ، فلما وقع على الأرض انتزع سيفه(٨) وجَثا على ركبتيه وجعل يقول : هَلُمُّوا هَلُمُّوا ، ولم يشعر القوم بما أصابه ، وانصرف بنو عوف ، وولى قابضٌ منهزما حتى لحق بعبد العزيز بن زُرارة الكِلابى ، فأخبره الخبر ، فركب عبد العزيز حتى أتى توبة فدفنه وضَمّ أخاه . وترافع القوم

---

(١) فى الأغانى : فقد جعلت ربيئة ينظر لنا . وفى ت : فإن ربيئنا ينظر لنا .

(٢) فى الأغانى: فإنى لم أجد أثراولقد رأيت زهاء كذا وكذا إبلاشخوصا فى هاتيك الهضبة.

(٣) ألوى بثوبه : لمع وأشار . وكلمة «بثوبه» زيادة من الأغانى.

(٤) ما بين الأقواس زيادة من الأغانى .

(٥) فى الأغانى : ولا وقفت له .

(٦) فى ت : سبيلها .

(٧) فى الأغانى : لووا .

(٨) فى الأغانى : أشرع سيفه .

إلى مروان بن الحكم فكافأ بين الدَّمَين ، وحُمِات الجراحات ، وترك بنو عوف ابن عُقَيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام .

وكان توبة شريرا كثير الغارات على بنى الحارث بن كعب وخثعم وهمْدان ، وكان يدور[١] بنسائهم يتحدث إليهن وذلك قوله :

أيذهبُ رَيْعانُ الشباب ولم أزُر غرائرَ من هَمْدَانَ بيضا نُحورُها

وكان ربما ارتفع إلى بلاد مَهْرَة فيغير عليهم ، وبين بلاد مَهْرَة وبلاد عُقيل مفازة مُنكرة لا يقطعها الطير ، وكان يحمل مزاد الماء فيدفنه منه على مسيرة كل يوم مزادة ، ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة ، وإنما كان يتعمد بغاراته[٢] حمارّة القيظ وشدة الحر فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

قال توبة : خرجت إلى الشام ، فبينا أنا أسير فى بلادٍ لا أنيس بها ذاتِ شجر فنزلت لأُرِيح وأخذت تُرْسى فألقيته فوقى ، وألقيت نفسى بين المُضْطَجِع والبارِك ، فما وجدتُ طعْمَ النومِ ؟ وإذا شىء[٣] قد تجلّانى عظيم ثقيل قد برك علىَّ فثُرْتُ ثم قَمَصْتُ من قِماصا[٤] فرميت به على وجهه، ووثبت[٥] إلى راحلتى فانتضيتُ السيفَ فنهض نحوى فضربته ضربة انخزل منها ، وعُدت إلى موضعى وأنَا لا أدرى إنسانٌ هو أم سبع ، فلما أصبحت إذا هو أسودُ زِنجىّ يضرب رجليــه وقد قطعتُ وسطه حتى كدت أُبِريه ، وانتهيت إلى ناقة مُناخة مُوقَرةٍ بثياب ممن يسلبه ويقتله[٦] ،

(١) فى الأغانى : يزور نساء منهن . وفى المختار يدور بنسائهن .
(٢) كلمة « بغاراته » ليست فى الأغانى .
(٣) فى الأغانى : فلما وجدت طعم النوم إذا شىء .
(٤) فى الأغانى : « ونشزت عنه ثم قمصت ... » وفى المختار : ثم قبضت منه قماصا .
(٥) فى الأغانى : وجلست .
(٦) كلمة « ويقتله » ليست فى الأغانى .

وإذا جارية شابّة ناهد قد أوثقها وقرنها بناقته ، فسألتها عن خبرها ، فأخبرتني أنه قَتَل مولاها وأخذها منه ، فأخذت الجميع وعدتُ إلى أهلي .

سأل معاويةُ بن أبي سفيان ليلى الأخْيليَّة عن توبةَ بنِ الحُمَيّر فقال : ويحك يا ليلى ، أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كلُّ ما تقول الناسُ حقًّا[1] والناس شجرةُ بَغْيٍ يحسُدون أهلَ النِّعم حيث كانت[2] وعلى من كانت ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البنان ، حَدِيدَ اللسان شجا الأقران ، كريم المَخْبَر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، هو يا أمير المؤمنين كما قلت له . قال : وما قلتِ ؟ قالت : قلتُ ولم أتعدَّ الحقَّ وعِلمي فيه :

بَعيدُ الثَّرى لا يبلغُ القومُ قَعْرَه ... أَلَدُّ مُلِدٌّ يَغلِبُ الحقَّ باطلُهْ[3]
إذا حلَّ ركبٌ في ذَرَاه وظِلّه[4] ... ليمنعهم ممّا تُخاف نَوازِلُهْ
حماهمْ بنصْل السيفِ من كلِّ فادحٍ ... يخافونه حتى تموت خَصائلُهُ

فقال لها معاية : ويحك يزعم الناس أنه كان عاهرا عارما خاربا ــ والخارب: الذي يسرق الإبل ــ[5] فقالت من ساعتها :

معاذَ الإله كان والله سيِّداً ... جَوادًا على العِلَّاتِ جمًّا نوافلهْ
أغرَّ خفاجيًّا يرى البُخْل سُبَّةً ... تحلّب كفّاه الندى وأناملهْ
عفيفا بعيد الهمِّ صُلْبا قناتُهُ ... جميلا مُحيَّاهُ قليلاً غوائلَهْ

---

(١) فى نسخ المختار : حق « بالرفع » .

(٢) فى الأغانى : كانوا .

(٣) الألد : الكثير الجدل والخصومة. والملد : من قولهم : ألددت بفلان : إذا أعسرت عليه فى الخصومة .

(٤) ذراه : ساحته .

(٥) كلمة « عارما » وجملة «والخارب الذى يسرق الإبل » ليست فى الأغانى .

وكان إذا ما الضيفُ أَرغى بعيرَه ... لديه أتته دُسْعه وفواضـــلُهْ[١]

وقد علم الجوعُ الذى بات سائرا[٢] ... على الضيفِ والجيرانِ أنَّك قاتلُهْ

وأنك رَحْبُ الباع يانَوْبَ بالقِرَى ... إذا ما لئيمُ القوم ضاقتْ مَنَازِلُهْ

يبيتُ قَرِيرَ العينِ من كان جارَه[٣] ... ويُضْحِى بخـير ضيفُهُ ومُنازِلُهْ

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى لقد جُزْتِ بتوبةَ قَدْرَه . قالت : والله يا أمير المؤمنين لو رأيتَه وجَرَّبته لعرفت أنى مُقصّرة فى نَعْته ، ولا أبلغ كُنْهَ ما هو أهله ، فقال لها معاوية: فى سِنّ أىّ الرجال[٤] كان ؟ فقالت :

أتتْهُ المنايا حين تَمَّ تمامُه ... وأقْصَرَ عنه كلُّ قِرْنٍ يُطاوِلُهْ

وعاد كَلَيْثِ الغاب يَحمِى عَرِينَه ... وتَرْضَى به أشبالُه وحلائلُهْ

غَضُوبٌ حَليمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُه ... وسمٌّ زُعافٌ لا تُصَابُ مَقاتِلُهْ

فأمر لها معاوية بمال عظيم[٥] وقال : أخبريني بأجودِ ما قُلْتِ فيه من الشعر ، قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه من الشعر إلّا والذى فيه من خِصالِ الخيرأكثرُ منه . ولقد أجدتُ حين قلتُ :

جزى اللهُ خـــيراً والجزاء بــكَفّهِ ... فتًى من عُقَيْـلٍ سادَ غير مُــكَلَّفِ

فتى كانت الدُّنيـا تَهونُ بأَسْرِها ... عليـــه ولا ينفكُّ جَـــمَّ التصرُّفِ

---

(١) الدسع جمع الدسيعة وهى مائدة الرجل إذا كانت كريمة أو هى الجفنة وهذا البيت ليس فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : ساريا . وفى ت : ساهرا .

(٣) فى الأغانى : من بات جاره .

(٤) فى الأغانى : من أى الرجال كان .

(٥) فى الأغانى : فأمر لها بجائزة عظيمة .

ينـالُ عَلِيَّاتِ الأُمورِ بِهَوْنِهِ إذا هى أعْيَتْ كلَّ أخْرَق مُشْرِفِ[١]

هو الذَّوْبُ بلْ أَرْىُ الضُّحَاكِىِّ شِبْتَه بِـدِرْيَاقَةٍ من خمر بَيْسـان قَرْقَفِ[٢]

فيا توبَ مافى العيش خيرٌ ولا نَدًى يُعَدُّ وقد أمسيتَ فى رَمْسٍ نَفْنَفِ[٣]

فيالك أن لو كنتَ حَيًّا مُسَلَّمـا لألفـاكَ مثـلَ القَسْوَرِ الْمُتَطَرِّفِ[٤]

كما كنتَ إذ كنتَ المُنَجَّى من الرَّدى[٥]

إذا الخيـل جَالَتْ بالقنا المُتَقَصِّفِ[٦]

ويقال : إن الذى خاطبها الحجّاجُ ، وكان عنده أسماء بن خارِجة ، فيقال : إن أسماء ابن خارجة قال لها : أيّتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجلَ بشىء ما تعرفه العرب به ، فقالت له : أيها الرجل ، هل رأيت توبة قطّ ؟ قال : لا ، قالت : أما والله لو رأيته لوددت أن كلّ عاتق[٧] فى بيتك حامل منه قال : فكأنما فُقِئَ فى وجه أسماء حبُّ الرُّمَّان ، فقال له الحجاج: مالك ولها؟

---

(١) الهون : الرفق والمشرف : المتطلع إلى الشىء حرصا عليه، ومنه قول عروة بن أذينة :

لقد علمت وما الإشراف من خلق أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

وفى الأغانى : أغيت كل خرق مشرف .

(٢) الذوب : العسل والأرى: العسل أيضا . والضحاكى منسوب إلى الضحك وهو العسل أو الشهد . وفى معجم البلدان « ليسان » « أو أرى الضحالى » وهو تحريف وفى الأغانى : أو أرى الخلايا شبيهه. هذا، والدرياقة: الخمر. والقرقف من أوصاف الخمر وهى التى يرعد عنها صاحبها.

(٣) النفنف : المفازة والنفنف إسناد الجبل . وفى الأغانى : فى ترب نفنف. هذا ، وبعده فى الأغانى بيت .

(٤) القسور : الأسد . والمتطرف : المغير وفى الأغانى : فياألف ألف كنت حيا .

(٥) فى ت : من العدا .

(٦) بعده فى الأغانى . بيتان .

(٧) العاتق : الشابة .

كان توبة قد رحل إلى الشام ، فمرّ ببني عذرة ، فرأته بُثَينة ، فجعلت تنظر إليه ، فشقّ ذلك على جميل ، وذلك قبل أن يظهر حبّه لها ، فقال له جميل : من أنت ؟ فقال له : أنا توبةُ بنُ الحُمَيِّر ، فقال له : هل لك في الصِّراع ؟ قال : ذلك إليك ، فشدّت بثينةُ عليه مِلْحَفَةً مُوَرَّسَةً فَائْتَزَرَ بها ، ثم صارعه فصرعه جميلٌ ، ثم قال : هل لك في النِّضال ؟ قال : نعم ، فناضله فنَضَله جميلٌ ، ثم قال : هل لك في السباق ؟ قال : نعم . فسابقه فسبقه جميل ، فقال له توبة : يا هذا إنك إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسةِ ، ولكن اهبِطْ بنا إلى الوادي . فهبطا[1] فصرعه تَوبةُ ونَضَله وسَبَقه .

---

(١) كلمة « فهبطا » ليست في الأغاني .

حرف الثاء

ثابت قُطْنَة[1]

هو ثابت بن كَعب وقيل ابن عبدالرحمن بن كعب، وكنيته أبو العلاء أخو بنى أسد ابن الحارث بن العَتيك ، وقيل بل هو مولاهم ، ولُقِّب قُطنة لأن سهما أصابه فى إحدى عينيه فذهب بها فى بعض حروب التُّرْك ، فكان يَجعل عليها قُطْنة .

وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية . وكان فى صحبة يزيد بن المهلّب وكان يُوليّه أعمالا من أعمال الثغور ، فيُحْمَد فيها مَكَانُه لِكِفايته وشجاعته .

لما ولى ثابتُ قُطنة عملا من أعمال خراسان صَعِد المنبَر يوم الجمعة ، فرام الكلامَ فتعذَّر عليه وحَصِرَ فقال : سيجعل الله بعد عُسرٍ يسرا وبعد عِيٍّ بيانا وأنتم إلى أمير فعَّال أحوجُ منكم إلى أمير قوَّال .

وإلَّا أكن فيكم خطيبا فإننى بسيفى إذا جدَّ الوغى لَخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بن صفوان ـ ويقال الأحنف بن قيس ـ فقال : والله ما عَلا ذلك المنبَرَ أخطبُ منه فى كلماته هذه ، ولو أن كلاما يستخفنى فيخرجنى[2] من بلدى إلى قائله استحسانا لأخرجتنى هذه الكلمات إلى قائلها . وهذه الكلمات بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٤ / ٢٦٣ وانظر ص ٢٦٢ ودار الثقافة ١٤ / ٢٤٧ وانظر ص ٢٤٦ وبولاق ١٣ / ٤٩ والساسى ١٣ / ٤٧ . والتجريد ١٥٧٨ .

(٢) فى ا : استخفنى وأخرجنى .

كان ثابت قطنة يوما قد خطر على باله هذا البيتُ فقال :

لا يعرف الناس منه غيرَ قُطْنَتِه ... وماسواه من الأنساب مجهولُ

وقال : هذا بيت سوء[١] ، سوف أُهجى به أو بمعناه وأنشده جماعةً من أصحابه وأهل الرِّواية وقال : اشهدوا أنى قائله ، فقالوا له : ويحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك ، ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هـذا ، فقال : لابدّ أن يقع على خاطر غيرى فأكون قد سبقته إليه ، فقالوا : أما هذا فشرٌّ قد تعجَّلْته ، ولعله لا يقع لغيرك ، فلما هجاه به حاجبُ الفِيل استشهدهم على أنه هـو قائله ، فشهدوا على ذلك فقال يردُّ على حاجب الفيل :

هيهات ذلك بيتٌ قد سُبِقْتَ به ... فاطلُبْ له ثانِياً يا حاجبَ الفِيلِ

كان هذا حاجب بن ذُبيانَ المازنىّ ، وهو حاجبُ الفِيل ، والفيلُ لقبٌ لُقِّب به[٢] .
وكان حاجبُ الفيلِ وفَدَ على يَزيدَ بنِ المهلَّب ، فدخل عليه وعنده ثابت قطنة وكَعْبٌ الأشقرىُّ . فأنشده لما مَثَل بين يديه :

إليك امتطيتُ العِيس تسعين ليلةً ... أُرَجِّى نَدَى كفَّيك يا ابنَ المُهَلَّبِ

وأنت امرؤٌ جادَتْ سماءُ يَمينه ... على كلِّ حَىٍّ بين شَرْقٍ ومَغربِ

فَجُدْ لى بِطِرْفٍ أعْوجِىٍّ مُطَهَّمٍ ... سَلِيمِ الشَّظَا عَبْلِ القوائم مِنْهَبِ[٣]

طوى الضُّمْرُ منه البطنَ حتى كأنه ... عُقابٌ تدلَّت من شماريخِ كَبْكَبِ[٤]

---

(١) كلمة سوء ليست فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقرى .

(٣) الطرف : الكريم من الخيل . وأعوجى نسبة إلى أعوج وهو فرس كريم مشهور فى العرب . والشظا : عظم لاصق بالركبة . والعبل : الضخم . والمنهب : الفرس الفائق فى العدو . وفى الأغانى : اعوجى مشهر .. سلهب . وبعده فى الأغانى بيت .

(٤) الشماريخ : رءوس الجبال . وكبكب : جبل بعرفات . والبيت جاء فى المختار سادسا وقدمناه لأن ما بعده مرتبط به .

تُبادِرُ جنحَ الليل فَرْخين أَقْوَيا   من الزاد فى قفْر من الأرض مُجدِبِ[(١)]
فلمــا رأتْ صَيْداً تدلَّتْ كأنهــا   دَلَاةٌ تَهاوى مَرْقَباً بعد مَرقبِ[(٢)]
وسابغةٍ قد أتقن القينُ جَدْلَها   وأسمرَ خَطِّيٍّ طويــلٍ مُجَرَّبِ[(٣)]
وأبيض من ماء الحديــد كأنــه   شهابٌ متى يَلْقَ الضَّريبةَ يَقضِبِ[(٤)]
وقل لى إذا ماشئتَ فى حَوْمَة الوَغى   تقدَّمْ أو اركبْ ياابنَ ذُبيانَ أَرْكَبِ[(٥)]
فإنى امرؤٌ من عُصْبــة مازِنيَّةٍ   نمَانى أبٌ ضخمٌ كريمُ المُرَكَّبِ

فأمر له يزيد بفرس ودِرْع وسيف ورمح وقال : قـد علمت[(٦)] يا ابن ذُبيان ما شَرَطْتَه لنا على نفسك ، فقال : أصلح الله الأمير ، حجتى بَيِّنَة وهى قول الله عز وجل « والشُّعراءُ يتبعهم الغَاوُون * ألم ترَ أنهم فى كلِّ وادٍ يَهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون »[(٧)] فقال له ثابت قطنة: ما أعجب ما وفدت من بلدك فى تسعين ليلة ، مدحت الأمير ببيتين ، وسألته حوائجك فى عشرة أبيات ، وختمت شعرك ببيت تفخر به عليه[(٨)] ، فلما أعطاك ما سألت حُدْتَ عما شرطتَه له على نفسك وأكذبتها ، كأنك كنت تخدعه ، فقال له يزيد : مَهْ يا ثابت ، إنا لا نُخدَع وإنما نتخادع . وسوغه ماسأله ، وأمر له بألفى درهم . وهجا ثابتا فقال فيه :

لا يعرف الناسُ منه غير قُطْنَتِه   وما سواها من الأنساب مجهولُ

---

(١) أقوى : افتقر ، واستغنى فهى ضد .
(٢) الدلاة: الدلو . وبعده فى الأغانى بيت .
(٣) فى الأغانى : « القين صنعها » والقين: الحداد.
(٤) الضريبة ما يضرب ويقضب : يقطع .
(٥) فى الأغانى : أو اركب حوقه الموت أركب .
(٦) فى ت والأغانى : « قد عرفت » وكلمة « يا ابن ذبيان » ليست فى الأغانى .
(٧) سورة الشعراء الآيات: ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦.
(٨) هذا يدل على أن القصيدة ١٣ بيتا .

دخل حاجبٌ يوما على يزيد بن المهلَّب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقرى ، وكانا لا يفارقان مجلسه ، فوقف بين يديه ، فقال : تكلم بحاجتك يا حاجب ، فقال : يأذن لى الأمير أن أنشده أبياتا . قال : لا ، حتى تبدأ فتسأل حاجتك ، قال : أيها الأمير ، إنه ليس أحد ولو أطنب فى وصفك بموفيك حقك ، ولكن المجتهد مُحسِن ، فلا تهجنى بمنعى[1] الإنشاد وائْذَنْ لى فيه ، فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتى ، فقال له يزيد : هاتِ ، فما زلتَ مُجيداً محسناً ، فأنشده :

كم من كَمِىٍّ فى الهياج تركته ... يَهْوِى لِفيه مُجَنْدَلًا مقتولا
جَلَّلْتَ مَفْرِقَ رأسه ذا رَوْنَقٍ ... عَضْبَ المَهَزَّةِ صارما مَصقولا
قُدْتَ الجِيادَ وأنت غِرٌّ يافعٌ ... حتى اكتهلتَ ولم تزَلْ مأمولا
كم قد خَزَيْتَ وكم جَزَيْتَ مَعاشراً ... وكم انتشلت وكم شفيت غليلا[2]

فقال له يزيد : سَلْ حاجتك ، فقال : ما على الأمير بها خفاء ، قال : قل ، قال : إذًا لا أقصّر ولا أستعظم عظيما أسأله الأميرَ مع عظم قدره ، فقال : أجل ، لستَ بما يصير إليك أغبط منا . قال : تحملنى وتكسونى[3] وتُخْدمنى وتجزل لى جائزتى . فأمر له بخمسة تخوتٍ وغُلامَين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَون وخمسة آلاف درهم . فحسده[4] ثابتُ قُطنة فقال: والله لو على قدر شِعْرك أعطاك لَمَا خرجت بملء كفك، ولكنّه أعطاك على قدره، وقام مغضباً وقال لحاجب [يزيد بن المهلّب][5] إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيَّةَ لمثل هذا ، وإلا فلو أنَّا اجتهدنا

---

(١) فى ت : بما يمنعنى .

(٢) فى ا : «كم خزيت وكم جبرت» وفى الأغانى : كم قد حربت وقد جبرت .

(٣) كلمة «وتكسونى» ليست فى الأغانى .

(٤) قبل هذا فى الأغانى بيتان مدح بهما حاجب يزيد .

(٥) ما بين معقوفين زيادة من الأغانى .

فى مديحه ما زادنا على مثل هذا . وقال ثابت قُطْنة يهجو حاجباً :

أحاجب لولا أن أصلك زُنْية[١] وأنك مجبولٌ على اللؤم والكُفْرِ
وأنّى لو أكثرتُ فيك مُقصِّر رميتُك رمياً لا يَبيدُ مدى الدهْرِ
فقل لى ولا تكذِبْ فإنّىَ عالمٌ بمثلك هل فى مازنٍ لك من ظَهْرِ[٢]
فإنك منهم غيرَ شكٍّ ولم يكن أبوك من الغرّ الجَحَاجِحَة الزُّهْرِ[٣]
[أبوك[٤] ديافىٌّ وأمُّك حُرّةٌ ولكنها لا شك وافية البَظْرِ
فلست بهاج يا ابن ذبيان حشّة ولا رنية حتى أغيّب فى القبر
وقل أنت ماشئت ابنَ ذبيان إننى
سأكرم نفسى من سباب ذوى الهُجْرِ]

فقال حاجب : والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده ولا بهجاء الأزد كلها ، ولا أرضى حتى أهجو اليمين طُرًّا ، فقال :

دَعُونى وقحطاناً وقولوا لثابتٍ تَنحَّ ولا تَقْرَبْ مُصاولةَ البُزْلِ
فللزنج خير حين تُنسب والدًا من أبناء قحطانَ التنابلة الغُزْلِ[٥]

(١) كذا فى ا وك مع ضبطه وليس فى هذه المادة إلا قولهم ياابن ترنا كناية عن اللئيم وفى ت: مزنة . وفى الأغانى : زيف وبعض أصوله زيفة هذا، ولعل رنية هى زنية .

(٢) الظهر يراد به الأنصار والقوة هنا عن طريق الكناية .

(٣) الجحاجحة : السادة .

(٤) الأبيات الثلاثة بين معقوفين ليست فى ت ولا فى ك وإنما هى فى ا وفى الأغانى : منها بيتان باختصار شطرى بيتين فرواية الثانى هكذا : فلست بهاج يا ابن ذبيان إننى سأكرم نفسى ... » وانظر الهامش الذى قبل هامشين عن كلمة رنية والحشة لعلها تأنيث للحش بمعنى المخرج أو موضع قضاء الحاجة .

(٥) الغزل : جمع أغزل وهو الذى لم يختن . وفى نسخ المختار « حين نسب وائلا» وبالأغانى وهامش ك وعليها علامة صح كما أثبت .

أناسٌ إذا الهيجاءُ شَبَّتْ رأيتهم أَذَلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ
نِساؤهمُ فَــوضَى لمن كان عاهراً وجيرانهم نَهبُ الفوارسِ والرَّجْلِ

كان ثابت قطنة قد جالس قوما من الشراة وقوما من المُرْجِئة ، وكانوا يجتمعون ويتجادلون(١) بخراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأَخَذَه(٢) وعمل قصيدة فى الإرجاء(٣).

لما ولى سعيد بن عبد العزيز الحارث بن الحَكَم من أبى العاص بن أمية خراسانَ بعد عزل عبد الرحمن بن نُعيم جلس يَعرِض الناس ، وعنده حُمَيد الرُّؤَاسى وعُبادة المحاربى ، فلما دُعى بثابت قُطنة تقدَّمَ وكان شَاكِى السلاحِ(٤) جوادَ الفرس فارسا من الفرسان ، فسأل عنه سعيد فقيل له : هذا ثابت قطنة ، وهو أحد فرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه : فلما انصرف قال له حميد وعبادة : هذا الذى يقول :

إنَّا لضرَّابون فى حَمَسِ الوغى رأس الخليفة إن أراد صُدودا

فقال سعيد : علىَّ به ، فردُّوه وهو يريد قتله ، فلما أتاه قال له : أنت القائل :

* إنا لضرَّابون فى حَمَس الوغى *

قال : نعم ، أنا القائل :

إنَّا لضرَّابون فى حَمَس الوغَى رأس المتوّج إن أراد صـدودا(٥)
عن طـاعة الرحمن أو خلفائه أو رام إفسادا ولجَّ عَنُـودَا(٦)

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك .

---

(١) فى ا : ويتحادثون .
(٢) فى الأغانى : وأحبه .
(٣) أورد أبو الفرج القصيدة خمسة عشر بيتا .
(٤) فى الأغانى : تام السلاح .
(٥) فى ا ، ت: رأس الخليفة .
(٦) فى الأغانى : وكر عنودا .

لما قُتِل المفضَّلُ بنُ المهلَّب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلّب والناس حولها يعزونها فقال :

يا هند كيف بنُصْبٍ بات يُبكينى ... وعائرٍ فى سواد القلبِ يؤذينى
كأنَّ لَيْلِىَ والأصداءُ هــادِئةٌ ... لَيلُ السَّليمِ فأَعيــا من يُداوينى [١]
إذا ذكرتُ أبا غَسَّــان أرَّقنى ... همٌّ إذا عَرَّس السارون يُشجِينى
كان المفضَّلُ عِزًّا فى ذُرَا يَمَنٍ [٢] ... وعِصْمَةً وثِمــالا للمساكين
ما زلتُ بعدك فى همٍّ يجيش بــه ... قلبى وفى نَصَب قــد كاد يُبلينى [٣]
إنى تذكّرت قَتْلَى لو شَهِدتَهمُ ... فى حومة الموت لم يَصْلَوْابها دونى
لاخيرَ فى العيش إن لم أجْنِ بَعدهمُ ... حربا تُبيء بهم قَتْــلَى فيشفينى [٤]

فقالت هنــد : اجلس يا ثابت ، فقد قضيتَ الحق ، وما من المَنيّة مِنْ بُدّ وكم [٥] من ميتة ميت أشرف من حياة حىّ ، وليست المصيبة فى قتل من استشهد ذابًّا عن دينه ، مطيعا لربه ، وإنما المصيبة فيمن قلت نُصرته [٦] ، وخمل ذكره بعد موته ، وأرجو ألا يكون المفضَّل عند الله خاملا ، فما كان مقامه فى طاعته خاملا [٧] ، فيقال : إنه ما عزّى أحدٌ يومئذ بأحسن من كلامها .

---

(١) بعده فى الأغانى بيت .

(٢) فى الأغانى : فى ذوى يمن .

(٣) فى الأغانى : « تجيش به نفسى » وفى ت تجيش به فـكرى .

(٤) فى الاغانى : فيشفونى . وفى ت « حربا يبين بهم » وفى ك : حربا بنى . هذا ونبيء من أباء القاتل بالقتيل : قتله .

(٥) فى الأغانى : وما من المرثية بد .

(٦) فى الأغانى : قلت بصيرته .

(٧) جملة « فما كان مقامه فى طاعته خاملا » ليست فى الأغانى .

خطب ثابت قطنة امرأة كان يميل إليها وجعل السفير بينه وبينها جوهر[١] ابن سعيد المحدّث ، فدسّ إليها جوهرٌ نخطبها لنفسه ، فتزوجها ودفع عنها ثابتا ، فقال حين بان الأمر :

أَفْشَى عَلَيَّ مقالةً ما قُلْتُها ... وسعى بأمرٍ كان غيرَ سَدِيدِ
إنى دعوتُ اللّهَ حين ظَلمتنى ... رَبِّى وليس لمن دَعَا ببعيـــدِ
أَلَّا تزالَ مُتيمًا بِخَرِيدة ... تَسْبِى الرجالَ بمُقلتين وجِيدِ
حتى إذا وَجب الصَّداقُ تلبَّسَتْ ... لك جِلْدَ أَغْضَفَ باردٍ بصَعيدِ[٢]
تغدو عليك الحادثاتُ مُبِرَّةً[٣] ... فترى الطلاقَ وأنت غيرُ حَميدِ

فلقى جَوْهَرٌ[٤] كلَّ ما دعا عليـه ثابت به ، ولحقه فى المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها .

وكان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب فى يوم العُقْر[٥] ، فلما خذله أهلُ العراق وفَرُّوا عنه قال ثابت قطنة يرثيه :

كان القبائلُ بايَعوك على الذى[٦] ... تدعو إليـــه وتابعوك وساروا
حتى إذا حَمِىَ الوَغَى وجعلتَهم[٧] ... نُصُبَ الأسِنَّة أَسلموك وطاروا
إن يَقتلوك فإنَّ قَتْـلًا لم يكن ... عاراً عليك ونقضُ عهدِك عارُ[٨]

---

(١) فى الأغانى : جويبر بن سعيد .

(٢) الأغضف : المسترخى الأذن من الـكلاب . وفى الأغانى : بارز بصعيد .

(٣) فى الأغانى : « تدعو عليك الجاريات مبرة » هذا ، والمبرة : الغالبة القاهرة .

(٤) فى الأغانى : جويبر .

(٥) العقر : موضع قرب كربلاء كانت فيه موقعة بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلب ، وقتل فيها يزيد بن المهلب .

(٦) فى الأغانى : كل القبائل .

(٧) فى الأغانى : حمس الوغى .

(٨) فى الأغانى : وبعض قتل عار .

دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان ـ أظنه قُتيبة بن مسلم ـ فمدحه وسأله حاجة فلم يقضها له ، فخرج وقال لأصحابه : لكن يَزِيد بن المهلّب لو سألته هذا وأكثر منه لم يَرُدَّنى عنه . وأنشأ يقول :

أبا خالدٍ لم يَبق بعدك سُوقَةٌ ... ولا مَلِكٌ ممن يُمين على الرِّفْدِ

ولا فاعلٌ يرجو المريدون فَضْلَه ... ولا قائد[1] يَنْكَا العدوّ على الحِقْدِ

لو أن المنايا سامحت ذا حَفِيظَةٍ ... لَأَكْرَمْنَه أو عُجْنَ عنه على عَمْدِ[2]

عَتَب ثابتُ قطنة على قومه من الأَزْد فى حال استنصرَ عليها بعضهم فلم ينصروه ، فقال فى ذلك :

تعففْتُ عن شَتْمِ العشيرةِ إنَّنى ... وجَدْتُ أبى قد عفّ عَنْ شَتْمها قَبْلِى

حليمٌ إذا ما الحلم كان مُروءةً ... وأجهلُ أحيانا إذا التمسوا جَهْلى

---

(١) فى الأغانى : يرجو المقلون فضله ولاقائل .

(٢) عاج عنه : رجع وانصرف .

ثابت تأبط شرًّا[1]

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عسل[2] بن عديّ بن كعب بن حزن بن تيم ابن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار .

وأمه امرأة يقال لها أميمة[3] من بني عبد القين[4] بطن من فهم ، ولدت خمسة نفر: تأبط شرا وريش بلَغْب[5] وريش نَسْر ، وكعب حَيْدَر ، ولا بواكي له[6] ، وقيل : ولدت سادسا واسمه عمرو .

وتأبّط شرًّا لقبٌ لقِّب به ، ذكر الرواة أنه رأى كبشا فى الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول عليه طول طريقه ، فلما قرب من الحى ثَقُل عليه الكبش حتى لم يُقِلّه ، فرمى به ، فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما كنت متأبطا يا ثابت ؟ قال : الغول ، قالوا : لقد تأبطت شرًّا ، فسمِّى بذلك ، قالوا : والغول سبع من سِباع الجن . وقيل بل قالت له أمه : كل أخوتك يا بنى يأتينى بشىء إذا راح غيرَك ، فقال لها : سآتيك الليلة فمضى فصادَ أفاعى كثيرة من أكثر ما قدر عليه ، فلما راح أتى بهن فى جِراب متأبّطا له ، فألقاه بين يديها وفتحه ، فتساعَيْن فى بيتها فوثبت فخرجت ، فقال لها نساء الحى: ماذا أتاك به ثابت ؟ فقالت : أتانى بأفاعٍ فى جراب ، قلن : وكيف حملها ؟ قالت :

---

(١) الأغانى: دار الثقافة ٢١/١٤٤ وانظر ص ١٤٣ بولاق ١٨/٢٠٩ الساسى ١٨/٢٠٩ .

(٢) فى الأغانى: عميثل . والشعراء الشعراء ص ٢٧١: عمسل.

(٣) فى الأغانى : أميمة وفى ت : أمينة .

(٤) فى الأغانى من بنى القين .

(٥) فى اللسان مادة لغب : « ريش لغب » .

(٦) فى ا : ولا يوالى له .

تأبّطها ، قلن : لقد تأبط شرًّا . فلزمه تأبط شرا . واحتج من ذكر أنها الغول بكثرة شعره فى هذا المعنى مثل قوله :

فأصبحت الغولُ لى جارةً فياجــارَتَى لك ما أهولا(١)
فطالبْتُها بُضْعَهــا فالْتَوَتْ علىَّ وحــاولت أن أفعلا(٢)
فمن كان يسألُ عن جارتى فإن لها باللِّوى مـــنزلا

ومما قال فى الغول أيضا :

ألاَ مَن مبلغٌ فتيــانَ قومى بما لاقيت عند رَحَى بِطَانِ
وأنى قد لقيتُ الغُولَ تَهوِى بِسَهْبٍ كالصحيفةِ صَحْصَحانِ(٣)
فقلت لها كلانا نِضْوُ رَهْنٍ(٤) أخو سَفرٍ فَخَلِّى لى مكانى
فشدَّت شدَّةً نحوى فأهوى لها كَفِّى بمصقولٍ يمــانى
فأضربها بلا دَهَش فخرَّتْ صريعا لليَدينِ وللْجِرانِ(٥)
فقالت عُدْ فقلت لها رُوَيدًا مكانَك إننى ثَبْتُ الجَنَانِ
فلم أنفكَّ مُتَّكِئاً عليهـــا لأنظرَ مُصْبِحاً ما ذا أتــانى
إذا عينانِ فى رأسٍ قبيـــحٍ كرأس الهرّ مشقوق اللسانِ
وساقا مُخْدَجٍ وشَواة كَلْبٍ وثوبٌ من عَباء أو شِنَــانِ(٦)

---

(١) فى الأغانى : أنت ما أهولا ، ولك ما أهولا. ولك ما أولا .

(٢) فى الأغانى رواية ثانية أيضا : مغوت بوجه تغول فاستغولا .

(٣) السهب : الفلاة . والصحصحان : مااستوى من الأرض . وفى أصول المختار : بشهب كالصحيفة .

(٤) روايات أخرى فى الأغانى : نضو أرض: نضو أين .

(٥) الجران: مقدم العنق .

(٦) المخدج : الناقص الخلق . والشواة: قحف الرأس أو اليد أو الرجل . والشنان : القرب الخلقة .

قال أبو عمرو الشيباني : نزلت على حيٍّ من فهم إخوة عَدْوَان، فسألتهم عن خبر تأبط شرا ، فقال لى بعضهم : ماسؤالك عنه تريد أن تكون لصًّا؟! قلت : لا ولكن أحبُّ أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين فأتحدث بها . قالوا: فنُحدثك عن خبره ، كان تأبط شرا أعدى ذى ساقَيْن وذى كَعْبين ، وكان إذا جاع لم تَقُم له قائمة ، وكان ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسمنها ثم يجرى خلفها فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه ويأكله .

ولقى تأبط شرا ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وَهْب ، وكان جبانا أهوج، وعليه حُلَّة جَيِّدة ، فقال أبو وهب لتأبط شرا : بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت كما أرى دميم ضئيل ؟ قال : باسمى ، إنما أقول ساعة ألقى الرجل : أنا تأبط شرا ، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقفىّ : أقط ؟ قال : قط(١) قال : فهل لك أن تبيعنى اسمك ؟ قال : نعم فبم تبتاعه ؟ قال بهذه الُحلّة وبكنيتى . قال: أفعل، ففعل. وقال له تأبط: لك اسمى ولى كنيتك ، وأخذ حُلَّته وأعطاه طِمْرَيه ، وقال فى ذلك يخاطب زوجته :

ألَا هل أتى الحسناءَ أن حليلَها ... تأبَّط شرًّا واكتنيت أبا وَهْب

فهَبْه تَسمَّى اسمى وسَمَّانِىَ اسْمَه ... فأين له صبرى على مُعْظم الخَطْبِ

وأين له بأس كبأسى وسَوْرَتى ... وأين له فى كلِّ فادحةٍ قلبى

وأحب تأبط شرا جاريةً من قومه حسناء ، فطلبها زمنا وهو لا يقدر عليها ، ثم لقيته ذات ليلة فأجابته ، وأرادها فعجز عنها ، فلما رأت عَجْزه تناومت عليه فآنسته وهدأ ثم قال :

---

(١) فى الأغانى : أبهذا فقط ؟ قال: قط .

مالك من أَيْرٍ سُلِبْتَ الْحلَّة ... عَجزْت عن جارِيةٍ زرْفَلَّهْ[١]
تمشى إليك مِشيةً هِرْوَلَّهْ ... كمشية الأَرْخ تُريد العَلَّهْ
لو أنها راعية فى ثُلَّهْ ... تحمل قِلْعَين لها قبلَّهْ
لصرْتَ كالهراوة العُتُلَّهْ[٢]

الأَرخ : الأنثى من البقر التى لم تُنْتَج ، والعَلَّة تريد أن تَعلَّ بعد النَّهل ، أى أنها قد رويت فمشيتها ثقيلة .

أغار تأبط شرا ومعه عمرو بن برّاق الفهرى[٣] على بَجيلة فأطردا[٤] إبلاً لها ونَذِرت[٥] بهما بجيلة فخرجت فى آثارها ، ومضيا هاربين فى جبال السَّراة وركبا الحَزْن فعارضتهما بجيلة فى السهل ، فسبقوهما إلى الوهط ماء : لعمرو بن العاص بالطائف ، فدخلوا لهما فى قصبة العين ، وجاءا إلى العين وقد بلغ العطش منهما ، فلما وقفا عليها قال تأبط شرا لابن براق : أَقِلَّ من الشُّرب فإنها ليلة عَدْوٍ[٦] ، فقال : وما يدْريك ؟ فقال : والذى أَعدُو بِطَيْرِه إنى لأسمع وَجيبَ قُلوب الرجال تحت قدمى ، وكان من أسمع العرب فقال له ابن براق : ذاكَ وَجيبُ قلبك. فقال تأبط شرا : والله ما وَجَب قطُّ ولا كان وجَّابا ، وضرب بيديه على قلبه فشدَّ يده عليه وأصاخ نحو الأرض يستمع، فقال: والذى أعدو بطيره إنى لأسمع وَجيب قلوب الرجال . فقال له ابن برّاق: فإنى أنزل قبلك، فنزل فشرب وكان ألدَّ القوم عند بجيلة شوكةً ، فتركوه وهم فى الظلمة ، ونزل تأبط شرا،

---

(١) الذى فى الأغانى: رفله والرفل : الكثير اللحم. فلعل الزاى هنا زائدة وتوجد فى القاموس مادة زرقل « بالقاف » ولا توجد فى اللسان يقال: زرقل شعره : نفشه .

(٢) العتل : الغليظ من كل شىء .

(٣) فى الأغانى : الفهمى .

(٤) فى الأغانى : فأطردا لهم نعما .

(٥) نذر به: علمه فحذره واستعد له .

(٦) فى الأغانى : ليلة طرد .

فلما توسط الماء وثبوا عليه فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفا ، وابنُ برَّاق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عَدْوه ، فقال لهم تأبط شرًّا: إنه من أصلف الناس وأشدهم عُجْباً بعَدْوه ، وسأقول له : استأسِرْ معى فسيدعَوه عجبه إلى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق : أولها كالريح الهابَّة ، والثانى كالفرس الجواد ، والثالث يَكْبُو فيه ويَعْثُر ، فإذا رأيتم ذلك منه فخذوه ، فأنا أحب أن يصير فى أيديكم كما صرتُ إذ خالفنى ولم يقبل رأيى ونصحى ، وذلك أجمعُ بمسمع منه . قالوا : فافعل ، فصاح به تأبط شرًّا : أنت صاحبى فى الشدّة والرخاء ، وقد وعدنى القومُ أن يَمُنُّوا علىّ وعليك معا ، فاستأسِرْ وأوسنى بنفسك فى الشدة كما كنتَ أخى فى الرَّخاء ، فضحك ابنُ براق وعلم أنه قد كادهم وقال : مهلا يا ثابت ، أيستأسر من عنده هذا العدو ؟ ثم عدا فمدا أول طَلْقٍ كالريح الهابَّة ، كما وصف لهم ، والثانى كالفرس الجواد ، والثالث جعل يَكْبُو ويَعْثُر ويقع على وجهه ، فقال ثابت : خذوه . فعَدَوْا بأجمعهم ، فلما أن نَفَّسهم عنه شيئاً عَدَا تأبط شرًّا فى كِتافه ، وعارَضَه ابنُ براق فقطع كتافه وأفلتا جميعا ، فقال تأبط شرا فى ذلك كلمته القافيَّة :

يا عيدُ ما لَكَ من شوق وإيراقِ ... ومَرّ طيفٍ على الأهوال طرّاقِ
يسرى على الأَيْنِ والحيَّاتِ مُحتَفِياً ... نفسى فداؤك من سارٍ على ساق(٢)
طيف ابنة الحُرّ إذْ كُنَّا نواصلها ... ثم اجْتُنِبْتُ بها من بعد تَفْرَاقِ(٣)
لتَقرعِنّ علىّ السِّنَّ من ندمٍ ... إذا تذكرتِ يوماً بعض أخلاقى(٤)

---

(١) لم يذكر فى الأغانى منها إلا بيت، وانظرها فى المفضليات أول مقطوعة وعددها ٢٦ بيتا.

(٢) الأين : الحية أو الذكر من الحيات مثل الأيم والأين : التعب والإعياء . ومحتفيا : حافيا.

(٣) هذا البيت ليس فى الأغانى ولا فى المفضليات .

(٤) هذا البيت جاء فى المفضليات البيت الأخير السادس والعشرين وجاء فى مختصر لها فى الشعر والشعراء سابع بيت .

تالله آمن أُنثى بعـــد ما حَلَفتْ أسمـــاء بالله من عهـدٍ وميثاقِ(١)
ممزوجة الودّ بَيْنَا واصلت صَرَمَتْ الْأَوَّلُ اللَّذْ مَضَى والآخِر الباقِي
فالأول اللَّذْ مَضَى قالٍ مَودّتَهـــا واللَّذُّ منها هُذَاء غـير إحْقَاقِ(٢)
تعطيك وَعْدَ أمانِيٍّ تَغُرُّ بِـــه كالقَطْرِ مَرَّ عـلى صَخْبَانَ بَرَّاقِ(٣)
إنى إذا خُلَّـــةٌ ضَنَّتْ بنائلها وأمسكت بضعيفِ الحَبْلِ أحْذَاقِ(٤)
نَجَوتُ منها نَجائى من بَجيلة إذْ ألقيت للقوم يـوم الرّوع أرواقى(٥)

خرج تأبط شرًّا يَشتار عسلا من غارٍ فى بلاد هذيل ، وكان يأتيه فى كل عام ، فذُكِر ذلك لهُذيل فرصدوه لإبَّانِ ذلك ، حتى إذا جاء هو وأصحابه تدَلَّى فدخل الغارَ فأغاروا عليهم فَأَنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار ، فحرَّكوا الحبل ، فأطلع تأبط شراً رأسَه . فقالوا : اصعدْ ، فقال : لا أراكم. فقالوا : بلى قد رأيتنا . قال : فعلام أصعد ؟ على الطَّلاقة أو الفداء ؟ قالوا : لا شرط . قال : أفترا كم قاتِلِىَّ وآكِلِى جَنَاى ؟ لا والله لا أفعل ذلك ، وكان قبل ذلك نقب فى الغار نَقْبا أعدَّه للهرب ، قال فجَعل يُسِيل العَسل فى الغار ويُهرِيقه ، ثم عمد إلى زِقّ فشَدَّه على صدره ، ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلّق عليه حتى خرج سليما وفاتهم ، وبين موضعه الذى وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث . وقال تأبط شرا فى ذلك :

(١) هذا البيت ليس فى المفضليات ولا الأغانى .

(٢) الهذاء: الاسم من هذى يهذى هذيانا . هذاء ، وكلمة اللذ بمعنى الذى . وهذا البيت ليس فى المفضليات ولا الأغانى .

(٣) الصخبان : الشديد الصخب . والبيت ليس فى الأغانى ولا فى المفضليات .

(٤) حبل أحذاق : أخلاق كأنه حذق أى قطع. والبيت جاء ثالثا فى القصيدة فى المفضليات .

(٥) ألقى أرواقه : اشتد عدوه ، انظر اللسان «روق» ورواية البيت فيه تختلف وكذلك المفضليات وجاء رابعا .

أقول للحيان وقــد صَفِرتْ لهم ... وطابى ويومى ضَيِّـقُ الحجْرِ مُعْوِرُ(١)
هما خُطَّتا إما إسارٍ وفديـــةٍ ... وإما دمٍ والقتـلُ بالحرِّ أجـدرُ
وأخرى أُصادِى النفس عنها وإنها ... لمورِدُ حَزْمٍ إن فعلتُ ومَصدَرُ(٢)
فرشتُ لها صَدرى فزلَّ عن الصَّفا ... بـه جُؤجوٌ عَبْلٌ ومَتْنٌ مُخَصَّرُ(٣)
فخالط سهلَ الأرضِ لم يَكدح الصفا ... به كَدْحةً والموتُ خَزْيانُ ينظرُ
فأُبتُ إلى فَهم ولم أكُ آيبـــا ... وكم مثلهـــا فارقتُها وهى تَصْفِرُ(٤)
إذا المرءُ لم يَحتلْ وقـد جَدَّ جِدُّه ... أضاع وقَاسَى أمرَه وهو مُدْبِرُ
ولـكنْ أخو الحزْمِ الذى ليس نازلا ... به الأمر إلا وهو للحزم مُبصِرُ
فذاكَ قريعُ الدهرِ ما عاش حُوَّلٌ ... إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ جاش مَنْخِرُ(٥)

أغار تأبط شرا على خثعم، فقال كاهن لهم: أَرُونى أَثَرَه حتى أُؤَخِّذَه(٦) لـكم فلا يبرح حتى تأخذوه فـكفأوا على أثره جَفْنة ، ثم أرسلوا إلى الـكاهن ، فلما رأى أثره قال : هذا ما لا يجوز على صاحبه الأخذ .

سئل تأبط شرا : أى يوم مرّ بك خير ؟ قال : خرجت حتى إذا كنت فى بلاد بجيلة أضاءت لى نار ، فرأيت رجلا جالسا إلى امرأة ، فعمدت إلى سيفى فدفنته قريبا ، ثم أقبلت حتى استأنست فنبحنى الـكلب ، فقال : مَن هذا ؟ فقلت : بائس ، فقال : ادْنُه ، فدنوت ، فإذا رجل جلحاب(٧) آدَمُ وإذا أضوأ الناس إلى جانبه، فشكوت إليه

---

(١) صفرت : خلت. والمعور: الذى بدت لك عورته والحجر: الناحية.
(٢) أصادى: أدارى .
(٣) الجؤجؤ : الصدر . والعبل : الضخم .
(٤) تصفر من الصفير وهو التصويت أو من الخلو، صفر يصفر كفرح يفرح .
(٥) بعده فى الأغانى : بيت .
(٦) يؤخذه : يعمل له أخذة وهى رقية وسحر .
(٧) الجلحاب : الضخم : وشيخ جلحابة : كبير مول .

الجوع والحاجة ، فقال : اكشف هـذه القصعة ، فـكشفتها فإذا فيها تمر ولبن ، فأكلت حتى شبعت ، ثم خرَرْت متناوماً ، فوالله ما لبثت حتى اضطجع هو ورفع رجله ، ثم اندفع يغنى ويقول :

خير الليـالى أن أبيت بليلةٍ   ليـل بخيم بين بِيشَ وعَثَّرِ (١)
لضجيع آنسةٍ كأن حديثها   شهدٌ يُشابُ بمزجةٍ من عَنْبَرِ
وضجيع لاهيةٍ أُلاعبُ مِثْلها   بيضاءَ واضحةٍ كغليظِ المِئْزرِ (٢)
ولأنت مثلُهما وخيرٌ منهما   بعد الرُّقادِ وقبل إنْ لم تُسْحِرى (٣)

ثم انحرف فنام ، ومالت فنامت ، فقلت : ما رأيت كالليلة فى الغِرَّة وإذا عَشْر عُشَرَاوات وأرؤس ثلاثة ، وكلاب فيها عبد واحد ، فوثبت فانتضيت سيفى وانتحيت العبد فقتلته وهو نائم ، ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفى على كبده حتى أخرجته من صلبه ، ثم ضربت فخذ المرأة فجلست : فلما رأته مقتولا جزعت ، فقلت: لا تخافى، أنا خير لك منه ، قال : وقمت فرحلت بعض الإبل وهى تشد معى ، فحملتها ثم أطردت الإبل أنا والمرأة ، فما حللت عقدة حتى نزلت بصَعْدة بنى عَوْف بن فهم وأعرست بالمرأة ، وانقلبت عنها للغسل أتغـنّى وأقول :

بحليـلةِ البجلىّ بتّ بليـلةٍ   بين الإزار وكَشْحِها ثم الصَقِ
بأنيسة طَويت عـلى أقرابها   طَىَّ الحِمالة أو كطى المِنْطَقِ (٤)
فإذا تقوم فصَعْدَةٌ فى رَمْـلةٍ   لبَدَتْ بِرَيِّقِ دِيمَـةٍ لم تُغدِقِ

---

(١) روى فى مخطوط من الأغانى: « بخيمة بين بيش وعثر » وانظر معجم البلدان « الخيمة » .
(٢) كظيظ : مملوءة .
(٣) فى المختار : تسحر .
(٤) الأقراب: جمع قرب وهو الخاصرة والحمالة: علاقة السيف والمنطق: النطاق وإزار له حجزة.

وإذا تجىء تَجِى بِجيدٍ خَلْفها كالأَيْمِ أصعد فى كَثيب يَرتقى [١]
زعم الكواهن والسواحر والرُّقَى أن لا وفاء لعاجزٍ لا يتَّقِى

قال : فهذا خير يوم لقيته . وشر يوم لقيت أنى خرجت حتى إذا كنت فى بلاد ثُمالة أطوف ، حتى إذا كنت فى القصر إذا أنا بسبع خَلِفات فيهن عبد ، فأقبلت نحوه وكأنى لا أريده ، وحذرنى فجعل يلوذ بناقة حمراء ، فقلت فى نفسى : والله إنه ليثِقُ بها ، فأُفَوِّق له ، ووضع رجله فى إبطها ورفعها وأخذ يدور معها ، وإذا هو على عَجُزها ، وأرميه حين أشرف ، فوضعت سهمى فى قلبه ، فخرّ وندَّت الناقة شيئا ، فتبعتها ، فرجعت فسقتهن شيئا ، ثم قلت : والله لو ركبت الناقة وطردتهن ، فأخذت بعُثنون الناقة ، ووثبت ، فساعة استويت على ظهرها كرَّت ترتبع وتبعتها الخَلِفات ، وجعلت أُسَكِّنها وذهبت نحو الحىّ ، فلما خشيت أن تطرحنى فى أيدى القوم رميت بنفسى عنها ، فانكسرت رجلى ، فانطلقت والذَّوْدُ [٢] معها . فخرجت أعرج حتى انحبَست فى طرف كثيب وأخذنى الطلب ، فمكثت مكانى حتى أظلمت وشُبت لى ثلاثة أنوُر ، فإذا نار عظيمة ظننت أن لها أهلا كثيرا ، ونارٌ دونها ، ونار صغيرة فهربت إلى الصغرى [٣] وأنا أجمِز [٤] فنبحنى الكلب فلما نبحنى الكلب نادى رجل فقال : من هذا ؟ فقلت : بائس ، فقال إدْنُه ، فدنوت ، فلما جلست جعل يسألنى إلى أن قال: والله إنى لأجد منك ريح دم ، فقلت: لا والله ما بى دم ، فوثب إلىّ فنفضنى [٥] ثم نظر فى جَعْبتى ، فإذا السهم دامٍ فقلت : إنى رميتُ العشيَّة أرنبا ، فقال : كذبت ،

(١) الأيم : الحية وذكر الأفعى .
(٢) الذود : ثلاثة أبعرة إلى تسعة .
(٣) فى الأغانى : فهويت للصغرى .
(٤) يجمز : يثب كالجواد يثب فى القيد .
(٥) نفضنه : نظر جميع ما فيه .

هـذا ريح دم إنسان ، ثم وثب عليّ ولا أدفع الشر عن نفسى ، فأوثقنى كتافا ، ثم علّق الجَعْبة والقوس ، وطرحنى فى كِسْر البيت ونام ، فلما أسحرت حرَّكت رجلى فإذا هى صالحة وانفتل فىَّ الرباطُ فحللته ، ثم وثبت إلى قوسى وجعبتى فأخذتهما ، ثم هممت بقتله ثم قلت أنا ضَمِنُ الرِّجْل[١] وأخشى أن أُطلب فأُدرك ولم أقتل أحدا أحبّ إلىّ ، فولّيت ومضيت ، فوالله إنى لفى الصحراء أُحَدِّث نفسى به وإذا أنا به على ناقة يتبعنى ، فلما رأيته قد دنا منى جاست على قوسى وجعبتى ورميته[٢] ، وأقبل فأناخ راحلته ثم عقلها ، وأقبل يشتمنى ، حتى إذا أمكننى وثبت عليه فما لبثت أن ضربت به الأرض وبركت عليه أربطه ، فجعل يصيح: يا آل ثُمالة لم أر كاليوم فى الحين ، فَجَنَبْتُهُ إلى ناقته وركبتها ، فما نزعت حتى أحللته فى الحىّ وقلت :

أغرّك منى يا ابن فَعلة عِلّتى   عشية أن رَابَتْ عَلَىَّ رَوَائبى[٣]
وموقد نـيران ثلاث فشرُّها   والأمها أوقدتها غـير عَازِب[٤]
سَلَبْتَ سِلاحى بائسا وشتمتنى[٥]   فيا خيرَ مسلوب ويا شرَّ سالب
فإن أكُ لم أخضبك منها فإنها   بنات أساويد وشول عقارب[٦]
فيا ركبة الحمراء يا شرَّ ركبةٍ   لقد كِدْت أُلْفَى بعدها غيرَ راكبِ[٧]

---

(١) الضمن: من به زمانة وإصابة.
(٢) فى الأغانى : وأمنته .
(٣) رابت عليه روائبه شابته: الشوائب.
(٤) العازب من يرعى إبله بعيدا من الدار التى حل بها الحى .
(٥) فى الأغانى : سلبت سلاحى .
(٦) الشول ماتشول العقرب من ذنبها. والأساود: الحيات. وفى الأغانى: ينوب أساويد .
(٧) فى الأغانى : وكادت تـكون شر ركبة راكب .

خرج تأبط شرا يريد الغارة على الأَزْد وحده فى بعض ما كان يغير عليهم ، فنذرت به الأَزْد ، فأهمَلوا له إبلا ، وأمروا ثلاثة من ذوى بأسهم وهم حاجزُ ابن أُبَىّ ، وسوَّار بن عمرو بن مالك ، وعَوْف بن عبـد الله ، وأمروهم أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أخذا ، فـكمنوا له مَـكْمنا ، وأقبل تأبط شرا فبصر بالإبل فطردها بعض يومه ، ثم تركها ونهض فى شعب لينظر هل يطلبه أحد ، فـكمن القوم حين رأوه ولم يرهم ، فلما لم ير أحداً فى أثره عاود الإبل فشَلَّها(١) يومه وليلته والغد حتى أمسى ، ثم عقلها وصنع طعاما فأكله ، والقوم ينظرون إليه فى طَلْه(٢) ثم هيَّأ مضجعا على النار ، ثم أخمدها وزحف على بطنه ، ومعه قوسه حتى دخل بين الإبل ، وخشى أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم [ويأبى](٣) إلا الحذر والأخذ بالحزم ، فمـكث ساعة وقد هيَّأ سهما على كبد قوسه ، فلما أحسوا نومه أقبلوا ثلاثتهم يؤُمون المهاد الذى رأوه هيَّأه ، فيرمى أحدهم فيقتله ، وجالَ الآخران فرمى آخر فقتله ، وأفلت حاجز هاربا ، وأخذ سلب الرجلين ، وأطلق عُقُلَ الإبل وشَلَّها حتى جاء بها قومه وقال :

تُرَجِّى نساء الأزد طَلعة ثابتٍ ... أسيراً ولم يَدْرِين كيف حَوِيلى(٤)
فإن الأُلى أَوصينَهُم بين هاربٍ ... طريدٍ ومَسفوحِ الدماء قتيلِ
وخَدْتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم ... وطال عليهم مَضْجعى ومقيلى(٥)
مَهدتُ لهم حتى إذا طال رَوعُهم ... إلى المهد خاتَلْتُ الضُّيَا بختيل

---

(١) شلها : طردها .
(٢) الطله : ذهب من قولهم ودب .
(٣) كلمة «ويأبى» زيادة من الأغانى .
(٤) الحويل : الحول والقدرة على التصرف .
(٥) الوخد : الإسراع . وفى الأغانى : وراب عليهم مضجعى .

فلما أحسُّوا النوم جاءوا كأنهم سباع أضلَّت هجمة بسَلِيل[١]
فقلّدت سوّارَ بنَ عمرو بنِ مالكٍ بأسمر جَسْر القُذّتين طَوِيل[٢]
فخرّ كأن الفيلَ ألقى جِرانَه عليه بِتَرْثَار القواء أَسيلِ[٣]
وظل وقاع المتن من وقع حاجزٍ بحَرْف ولو نَهنهتُ سَوْقَ قليلِ
لأبت كما آبا ولو كنتُ قارِباً لجئتُ وما مالكتُ طُول ذَميل[٤]
فسرّكَ نَدماناك حين تتابعا وأنك لم تَرجع بِعَرْضٍ قَتيلِ
ستأتى إلى فهم غنيمةُ خلسةٍ وفى الأزد نَوْحٌ وَيْلَةٍ بِعَويل

ولما انصرف الناس من المستغل[٥] وهى سوق كانت العرب تجتمع فيه قال عمرو ابن جابر أخو تأبط شرا لمن حضر من قومه : لا واللاتِ لا أرجع حتى أغير على بنى عُتَير من هذيل[٦] ، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما ، فأطردوا إبلا لبنى عُتَير وأتبعهم أرباب الإبل ، فقال عمرو : أنا كارٌّ على القوم ، وكان رئيسا ، فرماه رجل[٧] من بنى عتير بسهم فقتله ، فقالت بنو عتير : هــذا عمرو بن جابر ، ما تصنعون أن تلحقوا أصحابه ، أبعدها الله من إبل ، إنا نخشى أن نلحقهم فيقتلوا منا فيكونوا

---

(١) الهجمة من الإبل من الأربعين إلى ما زادت والسليل مجرى الماء من الوادى أو موضع . وفى الأغانى : أضافت هجمة .

(٢) الجسر: الطويل الضخم والقذة : ريش السهم. وفى الأغانى : طميل. والسهم الطميل : الملطخ بالدم .

(٣) القواء: الأرض القفر .

(٤) القارب:من يدخل سيفه فى قرابه والذميل نوع من سير الإبل .

(٥) لا يوجد هذا الاسم فى معجم البلدان .

(٦) فى اءك على عير من هذيل وفى الأغانى: عتير .

(٧) فى الأغانى : فكر عليهم .. فجرح فى القوم رئيسا ورماه رجل.

قد أخذوا بالثأر ، فرجعوا ولم يجاوزوه ، وكانوا يظنون أن معه ناسا كثيرا ، وقال تأبط شرا في ذلك شعرا[١] ثم إن السِّمع بن جابر أخا تأبط شرا خرج فى صعاليك قومه يريد الغارة على بنى عشير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر ، حتى إذا كان ببلاد بنى هذيل لقى راعيا لهم ، فسأله فأخبره بأهل بيت من عشير كثير مالهم ، فبَيَّتَهم فلم يفلِت منهم مخبر ، واستاقوا أموالهم ، وقال السِّمع بن جابر فى ذلك :

بأعلى ذِى الجماجم أهـلُ دارٍ إذا ظعنتْ عشيرتهمْ أقامُوا
طرقتهمُ بفتيانٍ كرامٍ مساعيرٍ إذا حَمِىَ المقـــامُ
متى ما أَدْعُ فى فَهْمٍ تُجِبْنِى وعدوانَ الـكرامِ لهم نظامُ

خرج تأبط شرا ومعه مُرَّةُ بن خُلَيف يريد الغارة على الأزد ، وقد جعلا الهِداية بينهما ، فلما كانت هِدايةُ مُرَّة نعس ، فحاد[٢] عن الطريق ، ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها مياه ، وإذا البيض[٣] والفراخ بِظُهور الأَكم ، فقال تأبط شرا : هلكنا واللَّاتِ يا مُرَّةَ ما وطئ أحد هذا المكان من الإنس قبلنا ، ولو وطئته الإنس ما باض الطير بالأرض ، فاختر أى هاتين شئت[٤] وهما أطول شىء تريانه من الجبال . فأصعد إحداها وتصعد أنت الأخرى ، فإن رأيتَ الحياةَ فألِحْ بالثوب ، وإن رأيت الموت فألِحْ بالسيف ، فإنى فاعل مثل ذلك . وأقاما يومين ، ثم إن تأبط شرًّا ألاح بالثوب ، فانحدرا حتى التقيا بسفح الجبل ، فقال مُرَّة : ما رأيتَ يا ثابت ؟ قال : دخانا أو جرادا ، قال مُرَّة : إنك إن جزعت هلكنا ، فقال تأبط شرا :

---

(١) ذكر الشعر فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : فجار .

(٣) فى الأغانى : بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصبح الطير عليها وإذا البيض .

(٤) فى الأغانى : فاختر أى هاتين القنتين شئت .

أما أنا فسأخرم بك من حيث تهتدى الريح ، فمكثا بذلك يومين وليلتين ، ثم سمعا الصوت فقال تأبط شرا : النعم والناس ، أمَا واللهِ لئن عُرِفنا لنُقْتَلَنّ ، وإن أغَرْنا لَنُدْرَكَنّ ، فأْتِ الحيَّ من طرف وأنا من آخر ، ثم كن ضيفا ثلاثا فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجع ، ثم أغِرْ على مَنْ قِبَلك إذا بدت الشمس فكانت قدر قامة ، وموعدك الطريق . فقعدا[1] حتى إذا كان اليوم الثالث [أغار كل واحد منهما على ما يليه ، فاستاقا النعم والغنم ، وطَرَدا يوما وليلة طَرْدًا عنيفا ، حتى أمسيا الليلة الثانية][2] فدخلا شِعْبا فنحرا قلوصا، فبينما هما يشويان إذ سمعا حسًّا على باب الشِّعب، فقال تأبط شرا : الطلبُ يا مُرَّة ، إن ثبت فلم يدخل فهم مجتازون ، وإن دخل فهم الطلب ، فلم يلبث أن سمع الحسَّ يدخل ، فقال مُرَّة : هلكنا ، ووضع تأبط يدَه على عَضُد مُرَّة فرآها تُرْعَد ، فقال: ما أُرْعِد عَضُدُك إلا من قبل أُمِّك الوائلية[3] من هذيل ، خذ ظهرى ، فإن نجوتُ نجوتَ معى ، وإن قتلتُ وقيتك . فلما دنا القومُ أخذ مُرَّة بظهر تأبط شرا فقتل رجلا ، ورموه بسهم فأعلقوه فيه ، وأفلتا جميعا بأنفسهما ، فلما أَمِنا وكان من آخر الليل قال مُرَّةُ : ما رأيت كاليوم غنيمةً أُخِذت على حين أشرفنا على أهلنا وعضَّ مُرَّة عَضُدَه ، وكان الحىّ الذين أغاروا عليهم بجيلة . وأتى تأبط شرا امرأته ، فلما رأت جرحه ولولت .

فقال تأبط شرا فى ذلك :

وبالشِّعبِ إذ سَدَّت بَجِيلةُ فَجَّهُ ... ومن خَلْفه هَضْبٌ طِوال وجامل[4]

---

(١) فى الأغانى : فقعلا .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من الأغانى .

(٣) فى الأغانى : الوابشية .

(٤) فى الأغانى : هضب صغار وجامل . وفى ت « هضب معاد » وفى ك « هضب معار » وبهامشه هضب طوال مثل ا . والجامل: جماعة الإبل.

شَددتُ لأُنجِى المرءَ مُرَّةَ عَزْمةً ... وقد نُصِبت دون النَّجاءِ الحبائلُ(١)
وقلت له كُنْ خَلْفَ ظهرى فإننى ... سأفديك فانظرْ بعدُ ما أنا فاعل(٢)
فعاذ بحدِّ السيفِ صاحبُ أمرهم ... وخَلَّوْا عن الشيء الذى لم يُحاوِلوا
وأخطأهمْ قَتلى وأنجيتُ صاحبى(٣) ... على الليـــل لم تؤخذ علىَّ المخاتلُ
وأخطأ غُنْم القوم مُرَّةَ بعـــد ما ... حَوَته إليـــه كَفُّه والأناملُ
يعضُّ على أطرافه كيف فاتَه ... ودون المَلَا سَهْبٌ من الأرض قاتل(٤)
فقلت له هذى بَنيك وقد ترَى(٥) ... لها ثمنا من نَفسه ما يُزاوِلُ
تُوَلْوِلُ سُعْدى إذ أتيتُ مُجَرَّحا ... إليهـــا وقد مَنَّتْ علىَّ القَاتلُ
وكائنْ أتاها هارباً قبل هـــذه ... ومن غانمٍ فأين منك الوَلاوِلُ

وكان من شأن تأبط شرا أنه خرج من أهله بغارة من قومه يريدون بنى صاهلة ابن كاهلِ بن الحارث بن تميم(٦) ، وكان ذلك فى عقب الشهر الحرام ، حتى هبط صدر أَذام ، وحَفَض(٧) عن جماعة بنى صاهلة واستقبل التَّلاعة(٨) ، فوجد بها دارا من بنى نفاثة بن عدىّ ليس فيها إلا النساء ورجل واحد ، فبصر الرجلُ بتأبط شرا فى الضُّحَى وخشيه ، فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رءوسهن خُمُراً وجعلن

---

(١) فى الأغانى: شدد لنفس المرء مرة حزمه. وروى: شددت لصبر المرء . وروى: شددت لسبق المرء .

(٢) فى الأغانى : ما أنتَ فاعل .

(٣) فى الأغانى : ورفعت صاحبى .

(٤) السهب: الفلاة . وفى الأغانى : كيف زوله ودون الملا سهل من الأرض مائل .

(٥) فى الأغانى : هذى بتلك .

(٦) تميم بن سعد بن هذيل وهو غير تميم بن أد بن طابخه .

(٧) حفض القوم : طرحهم وراءه .

(٨) فى ت : البلاغة وفى ا : البلاعة. وفى ك اللاعة.

دروعهن أردية ، وأخذن عَمَد بيوتهن فجمان لهـا حمائل كالسيوف ، ثم تأبطنها ، ونهض ونهضن معه ، وأمرهن أن لا يَبرزن جِدًّا[١] وجعل هو يبرز للقوم ليروه ، وطَفِق يُغْرِى[٢] ويصيح على القوم ، حتى فزع تأبط شرا وأصحابه . وذلك فى بقية ليلة أوليلتين من الشهر الحرام ، فنهضوا فى شِعْب يقال له شِعْب وَرْثيل[٣] وتأبط شرًّا ينهض فى الشعب مع أصحابه ثم يقف فى آخرهم ويقول : ياقوم لكأنما يطرد كم النساء ، فيصيح أصحابه ويقولون : انجُ أدركك القوم ، فتأبى نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم ، فقال تأبط شرًّا فى ذلك :

أبعد النُّفاثِيِّين أزجرُ طائرا ... وآسى على شىء إذا هو أدْبرا

أُنهْنِهُ رَحـلى عنهم وإخالهم ... من الذلّ يَعْرًا بالتلاعة أعفرا[٤]

وإن نالت الـكَفَّانِ أصحاب نوفل ... بِمَهْمَهَةٍ من بين ظَىّ فَعَرْعَرَا[٥]

قال : ثم أطلعوا الصَّدَر حين أصبحوا ، فوجدوا أهل بيت شاذٍ من بنى قُرَيم ابن أنمار[٦]، فظلّ يراقبهم حتى أمسوا ، قال: وقد كانت وَلِيدة قالت لمولاها ساعدة : يا مولاى إنى قد رأيت اليوم القومَ أو النفر بهذا الجبل ، فبات الشيخ حذرا قائما بسيفه بساحة أهله ، وانتظر تأبط شرّا وأصحابه أن يغفل الشيخ ، وذلك آخر ليلة من الشهر ، فلما خَشُوا أن يفضحهم الصبح ولم يقدروا على غِرّة منه مشوا إليه وغرُّوه ببقية الشهر الحرام ، وأعطوه من مواثيقهم ما أقنعه وشكوا إليه الجوع ، فلما اطمأن

---

(١) فى الأغانى : خدا .

(٢) تقرأ أيضا فى المختار يغزى .

(٣) فى الأغانى : وشل .

(٤) اليعر : الجدى يربط عند زبية الأسد أو الذئب ليصاد به . وفى ت بالبلاغة وفى ا: بالبلاعة.

(٥) روى فى الأغانى : من بين ظن. من بين طر .

(٦) فى بقية أشعار الهذليين ص ٤٥ ذنب نمار. هذا، ونمار جبل.

إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابنا له صغيرا حين يمشى قال : ومضى تأبط إلى ابنٍ له صغير ذى ذؤابة كان أبوه قد أمره أن ينام وراء ماله ، يقال له سفيان بن ساعدة ، فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بمجنّة ، فلما خشى الغلام أن يناله تأبط شرا بسيفه وليس مع الغلام سيف وهو مُفَوِّق سهما ، رمى مِجَنَّ تأبط بحجر ، فظنّ تأبط أنه قد أرسل سهمه ، فحطّ مِجَنَّه ، فرماه الغلام بالسهم فلم يخطِئْ لَبَّته[1] حتى خرج منه السهم ، ووقع فى البطحاء حِذاءَ القوم وأَبُوه مُمْسَكٌ ، فقال أبو الغلام حين وقع السهم : أحاط به سفيانُ[2] فَحرِدَ القومُ فذلك حين قتلوا الشيخَ وابنَه الصغير . ومات تأبط شرا ، فانطلق أصحابه وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات ، فاحتملته هذيل فألقته فى غار رَخْمان ، فذلك حين تقول أمه ترثيه :

نِعْمَ الفتى غادرتم بِرَخْمانْ بثابتِ بنِ جابرِ بن سُفيانْ
يُجَدِّل القِرْن ويَرْوِى النَّدْمانْ فى مأْقِطٍ يحمى وراء الإخوانْ[3]

وقالت أيضاً :

وابناه وابن الليلْ ليس بِزُمَّيْلْ[4]
شروب للقَيْلْ[5] رَقود بالليْلْ
بِعُرْضِ الغَوْلْ[6] بوادٍ ذى هَوْلْ

(١) فى ا : البتة .
(٢) فى الأغانى : أخاطه سفيان .
(٣) المأقط : الموضع الذى يقتتلون فيه .
(٤) الزميل : الضعيف .
(٥) القيل : اللبن الذى يشرب فى منتصف النهار .
(٦) الغول : المفازة .

أجرد باللَّيــلِ(١) يَجــرُّ الذَّيْــلِ(٢)
يَضرِب بالذَّيْلِ(٣) بِرَجْــلٍ كالثَّوْل(٤)

وكان تأبط يقول قبل ذلك :

ولقد علمتُ لتعدُونّ عليّ شيمٌ كالحسائل(٥)
يأكُلن أوْصالا ولحـ ـما كالشكاعَى غير خاذل(٦)
يا طـير كُلْنَ فإننى سمٌّ لـكُنَّ وذو دَغَاوِلِ(٧)

---

(١) فى الأغانى : أجزت بالليل .

(٢) الذيل هنا : طرف الثوب .

(٣) الذيل هنا : آخر الجيش .

(٤) الرجل اسم جمع للرجل أو جمع له والثول : جماعة النحل والدبر .

(٥) الشيم : السود . والحسائل : الرذال من كل شىء ويريد بالشيم التى كالحسائل : الطيور والوحوش .

(٦) الشكاعى : شجرة صغيرة ذات شوك . وفى الأغانى : غير جاذل والجاذل : المنتصب ، وفى المختار : كالنباعى . ولعل النباعى جمع كالنوائع وهى الغصون الموائل .

(٧) الدغاول : الدواهى . وروى بهامش ا ، ك أيضا : وذو دغائل فتكون جمع الدغيلة وهى ما يدخل فى الأمر ويفسده .

حرف الجيم

جَرْول الحُطيئة(١)

الحُطَيْئة لَقَبُ لُقِّب به ، واسمــه جَرْول بن أوس بن مالك بن جؤيّة بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الريس بن غطفان بن سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار .

هو من فحول الشعراء ومقدّميهم وفصحائهم ، مُتصرّف فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد فى ذلك أجمع ، وكان ذا شرّ وسفه ونسبُه مُتَدَافَع بين قبائل العرب. كان ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين وهو مُخضرم : أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم ، ثم ارتدّ وقال فى ذلك(٢) :

أَطَعْنا رسول الله إذ كان بَيْنَنَا … فيا لَعِبادِ الله ما لِأَبى بَكْرِ

أَيُورِثُها بَكْرًا إذا مات بعده … فتلك لعمرُ الله قاصمةُ الظهرِ

وكنية الحُطيئة أبو مُلَيكة ، وغلب الحطيئة عليه لِقصره وقربه من الأرض ، وقال أبو نصر بن الأعرابى(٣): سُمِّىَ الحطيئةَ لأنه ضرط ضرطة بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إنما هى حَطْأَة(٤) فسمّى الحُطيئة .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٢/١٥٧. وينظر فيه ص١٥٥ ودار الثقافة ٢/١٢٠ وينظر ١٢٨ وبولاق ٢/٤٣ . والساسى ٢/٤١ والتجريد ٢٢٢ .

(٢) انظر الطبرى حوادث سنة ١١ منسوبان للخطيل بن أوس أخى الحطيئة ضمن أبيات .

(٣) فى الأغانى : « أبو نصر الأعرابى » أما مخطوطات المختار الثلاثة فكما أثبت .

(٤) فى أغلب أصول الأغانى حطأة كما هنا فى نسخ المختار وفى نسخة من مخطوطات الأغانى : حطيئة. هذا ، والحطأة : الضرطة .

وكان إذا غضب على بنى عبس قال : أنا من ذُهْل ، وإذا غضب على بنى ذهل قال: أنا من عبس .

وقال ابن الكلبى : كان الحطيئة مَغموزَ النسب ، وكان من أولاد الزّناء الذين شرفوا .

وقال الأصمعى : كان الحطيئة يضرب بنسبه إلى بكر وائل ، فقال فى ذلك :

قَومى بنو عوفِ بن عَمْـــرٍ وإن أراد العــلمَ عالمْ
قوم إذا ذهبت خَضَــا رمُ منهم خَلَفتْ خَضَارِمْ[(١)]
لا يفشلون ولا تَبيـت على أنوفهمْ الخاطمْ

وقدم [على][(٢)] الكوفة فنزل فى بنى عوف بن عامر بن ذهل فسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال فى ذلك :

سيرى أُمَامَ فإن المال يَجمعهُ سَيْبُ الإله وإقبالى وإدبارى
إلى معاشر منهم يا أُمامَ أبى من آلِ عوفٍ بُدُوءٍ[(٣)] غير أشرار
تمشى إلى ضوء أحساب أضأن لنا ما ضوّأتْ ليلةُ القَمراء للسارى

وكان أوس بن مالك تزوَّج بنت رِباح بن عوف بن عمرو[(٤)] بن الحارث بن سَدُوس ابن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة وكانت لها أَمَة يقال لها الضَّرَّاء ، فأعلَقها بالحطيئة

---

(١) الخضارم : جمع الخضرم : وهو الجواد الكثير العطية . أو هو السيد الحمول .

(٢) زيادة فى ت و ك .

(٣) البدوء جمع البدء : وهو السيد أو الشاب المستجاد الرأى المستشار. وفى أصول الأغانى « بدور » مثل (ت) واعتمدت ما فى مخطوطى ا ، ك مثل الديوان ص ١٩٢ طبع أوربا و٨٩ طبع التقدم بشرح السكرى .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : بنت رباح بن عمرو بن عوف .

ورَحَل عنها ، وكان لبنت رِباحٍ أخ يقال له الأفقم ، وكان طويلا أفقم (١) صغير العينين مضغوط اللَّحْيَين ، فولدت الضراء الحطيئة فجاءت به شبيها بالأفقم ، فقالت لها مولاتها : من أين هذا الصبي ؟ قالت : من أخيك ، وهابت أن تقول لها من زوجك ، فشبّهته بأخيها . وقالت : صدقت ، ثم مات الأفقم (٢) وترك ابنين من حرة وتزوّج الضرّاءَ رجلٌ من بني عبس ، فولدت له رجلين ، فكانا أخوى الحطيئة من أمّه ، وأعتقت بنت رباح الحطيئة وربته ، فكان كأنه أحدهم ، وترك الأفقم نخلا باليمامة ، فأتى الحطيئة أخويه من أوس بن مالك فقال لهما: أفردا لى من مالكما قطعة ، فقالا : لا ، ولكن أقِمْ معنا ونحن نواسيك وقد كانت أمّه لما أعتقتها بنتُ رباح اعترفت بأنها علقت من أوس بن مالك ، فقال الحطيئة :

أألمرتمانى أن أقيما عليكما ... كلَّا لعمرُ أبيكما الخنَّاقِ (٣)
عبدان خَيْرُهما يَشُلّ مَضِيفَه ... شَلَّ الأجيرِ قلائصَ الرَّزّاق (٤)

وسأل الحطيئة أمّه عن أبيه فخلطت عليه فقال :

تقول لى الضرّاء لست لواحدٍ ... ولا اثنين فانظرْ كيف شرْكُ أولئكا
وأنت امرؤٌ تبغى أباكَ ضَلَلْته (٥) ... هَبِلْتَ ألَمَّا تستفقْ من ضلالكا

فغضب عليها ولحق بأخويه من الأفقم ، فلم يدفعوه ولم يقبلوه فسألهم عن ميراثه من الأفقم ، فأعطوه نخلات من نخل أبيهم تدعى نخلات أمّ مُليكة امرأةِ الحطيئة ،

---

(١) الأفقم من الفقم : وهو أن تدخل الأسنان العليا . أو أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه ويقال لكل معوج : أفقم .

(٢) فى المخطوطات الثلاثة للمختار وثلاثة مخطوطات للأغانى : ثم مات الأفقم . كما أثبت ، وغيرهامحققو الأغانى بدار الكتب إلى : ثم مات أوس .

(٣) فى الأغانى : الحباق كالديوان ص ١١٣ .

(٤) الشل : الطرد وفى ا وك: يشل بضيفه وفى الأغانى : يشل بضبعه .. الوراق

(٥) فى الأغانى : أباً قد ضللته .

فلم تقنعه النخيلات وأقام فيهم زمانا ، فسألهم عن ميراثه مُـكملاً من الأفقم، فلم يعطوه شيئا وصرفوه(١) فغضب عليهم وقال :

تمنَّيت بـكْرًا أن تكون عِمارتى(٢) ... وقومى وبـكرٌ شرُّ تلك القبائلِ
إذا قلت بَـكْرِيًّا نَبَوْتُم بحـــاجتى ... فياليتنى من غير بكر بن وائل

فعاد إلى بنى عبس ، وانتسب إلى أوس بن مالك .

وقال الأصمعى : لما أتى الحطيئةُ القُرَيَّةَ وهم بنو ذهل يطلب ميراثه من الأفقم مدحهم فقال :

إن اليمامةَ خـيرُ ساكنها ... أهلُ القُرَيَّة مِن بنى ذُهْلِ
الضامنون لجـــار بيْتِهِمُ ... حـتى يتم نواهض البقْلِ(٣)
قوم إذا انتسبوا ففرعُهُـمُ ... فرعى وأثبت أصلهم أصلى

فلم يعطوه شيئا فقال يهجوهم :

إن اليمامة شرّ ساكنهـا ... أهل القُرَيَّة من بنى ذُهْلِ

والقُرَيَّة منازلهم ، ولم يثبت الحطيئة فى هؤلاء .

وكان الرجل الذى تزوج أمّ الحطيئة أيضا ولد زنا اسمه الـكلب بن الـكُبيش(٤) ابن جابر بن قَطَن بن نَهشل ، وكان الـكبيش يزنى بأَمةٍ لزرارة يقال لها رُشَيَّة ، فولدت له الـكلْبَ ويربوعا ، فطلبهما من زرارة ، فمنعه منهما ، فلما مات طلبهما(٥)

---

(١) فى الأغانى : كاملا . . . وضربوه .
(٢) العمارة أصغر من القبيلة .
(٣) نواهض البقل : ما استوى منه. وفى الأغانى : الضامنون لمال جارهم كالديوان ص ٩٠ « التقدم » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : كنيس .
(٥) فى الأصول والأغانى : « فطلبهم . . منهم » وجاء بعد ذلك : فمنعه منهما .

من ابنه لقيط ، فمنعه منهما ، وقال لقيط فى ذلك من أبيات :

أفى نصف شهرٍ ما صبرتم لحقِّنا ... ونحن صبرنا قبل ذاك سنينا

فتزوج الكلبُ الضرّاءَ أمّ الحطيئة فهجاه الحطيئة وهجا أمه فقال :

ولقد رأيتُكِ فى النساء فسُؤْتنى ... وأَبا بَنيكِ فساءنى فى المجلسِ
إن الذليل لمن تَزورُ ركابُه ... رهطَ ابْنِ جَحْشٍ فى مَضيق المحبِس (١)
قبح الإلهُ قبيلةً لم يمنعوا ... يوم المُجَيْمِرِ جارهم من فقعس (٢)
أَبلِغْ بنى جَحْشٍ بأن نِجَارَهمْ ... لؤمٌ وأن أباهمُ كالهِجرِس (٣)

وقال يهجو أمه أيضا :

جزاكِ اللهُ شرًّا من عجوزٍ ... ولقّاكِ العقوق من البنينِ
فقد أهلكت أمرَ بنيك حتى (٤) ... تركتِهمُ أدقَّ من الطحينِ (٥)

وقال فيها أيضا :

تَنحَّىْ فاجلسى منى بعيداً ... أراحَ اللهُ منكِ العالمينا
أغِرْبالا إذا استُودِعْتِ سرًّا ... وكانونا على المتحدِّثينا (٦)
حياتك ما علمتُ حياةُ سوء ... وموتك قد يسرُّ الصالحينا

---

(١) فى نسخ من الأغانى : « فى الخطوب الحوس » أما مخطوطات المختار ونسخة من الأغانى وديوان الحطيئة النسخة المخطوطة بدار الكتب ٣ أدب ش وص ٥٥ مطبعة التقدم فكما أثبت .

(٢) المجيمر : جبل أو أرض ذكره ياقوت وفقعس : حى من أسد .

(٣) الهجرس : ولد القرد أو الثعلب ، وقد يوصف اللئيم بالهجرس .

(٤) فى الأغانى : « أملكت أمر بنيك » وفى اللسان مادة سوس وديوانه ص ٦١ : لقد سوست .

(٥) بعده فى الأغانى بيتان .

(٦) الغربال كناية عن النمام والكانون كناية عن الثقيل الوخم .

وكان الحطيئة جشعا سؤولا ، مُلحفا ، دنيّ النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر ، رث الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدين ، وماتشاء أن تقول فى شعرِ شاعرٍ عَيْبا إلَّا وُجد فيه ، وقلَّما تجد ذلك فى شعره .

وقال أبو عبيدة : بخلاء العرب أربعة : الحطيئة ، وحُميد الأرقط ، وأبو الأسود الدُّؤَلى ، وخالد بن صفوان . وكان الحطيئة بَذيًّا هجَّاء ، فالتمس ذات يوم إنسانا يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلك ، فجعل يقول :

أبتْ شفتاىَ اليومَ إلَّا تكلُّماً   بشرٍّ فما أدرى لمن أنا قائلُهْ

وجعل يُدَهْوِر هذا البيت فى أشداقه ولا يرى إنسانا ، إذ اطَّلع فى رَكِىّ أو حوض فرأى وجهه فيه فقال :

أرى لِىَ وجْها شَوَّه اللهُ خَلْقَه[1]   فقُبِّح من وَجْهٍ وقُبِّح حامِلُهْ

ولما قدم الحطيئةُ المدينةَ أرصدتْ له قريشٌ العطايا ، والناس فى سنة مُجدبة وسخطةٍ من خليفة ، فمشى أشراف المدينة بعضهم إلى بعض فقالوا : قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر ، والشاعر يظن فيحقِّق وهو يأتى الرجل من أشرافكم فيسأله ، فإن إعطاه جَهَد نفْسَه وبَهَرها[2] ، وإن حرمه هجاه ، فأجمع رأيُهم على أن يجعلوا له شيئا مُعَدًّا يجمعونه بينهم له ، فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين دينارا ، حتى جمعوا له أربعمائة دينار ، وظنوا أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا : هذه صلة آل فلان[3] فأخذها ، وظنوا أنهم كفُّوه عن المسألة ، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام ماثلا[4] ينادى : من يحملنى على بغلين وقاه الله كبَّة جهنم .

(١) فى ديوانه ١٢٠ « التقدم » قبح الله مثله .
(٢) بهرها : أوقع عليها البهر وهو الإعياء . وفى الأغانى جهد نفسه بهرها .
(٣) فى الأغانى : « هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان » .
(٤) ماثلا : قائما .

وكان الحطيئة متين الشعر شرود القافية دنىّ النفس ، وبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير ، وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير ، فقال له : لقد علمت روايتى لكم وانقطاعى إليكم وقد ذهب الفحول غيرى وغيرك ، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضعنى موضعا بعدك ، تبدأ بنفسك فيه ثم تُثَنّى بى ، فإن الناس لأشعاركم أَرْوَى وإليها أسرع ، فقال كعب :

فمن للقوافى شَانَهَا من يَحُوكها ... إذا ما ثوى كَعبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ

كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى من الناس واحدا ... تنخّل منها مثل ما نتنخل

نَقول فلا نَعْيا بشىء نقوله ... ومِن قائليها من يُسىء ويَعملُ(٢)

نُثَقّفها حتى تَلين مُتونُها ... ويَقصُرُ عنها كلُّ ما يُتَمَثَّلُ(٣)

فاعترضه مزرد بن ضرار أخو الشماخ ، واسمه يزيد ، وكان عرِّيضاً فقال :

فباستك أنْ خلّفتنى خلف شاعر ... من الناس لم أُكْفِئْ ولم أتنحَّلِ (٤)

فإن تَخْشبا أَخْشِب وإن تَتَنَخَّلا ... وإن كنت أفتى منكما ـ أتنخّلِ (٥)

فلستَ كحسَّانَ الحُسام بنِ ثابتٍ ... ولستَ كشمَّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ

قال أبو عبيدة : بينا سَعيد بن العاص يُعَشّى الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أَوَّلًا فأَوَّلًا إذ نظر على بساطه رجلا قبيح المنظر رثّ الهيئة جالسا مع أصحاب سمره . فذهب الشرط يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاته فقال : دعوه ، فتركوه ، وخاضوا فى حديث العرب وأشعارها مَلِيًّا ، فقال لهم الرجل(٦) : والله

(١) فوز: مات.
(٢) فى الأغانى : ويجمل وفى ديوان كعب ص ٦٠ : يقول فلا يعيا كعب .
(٣) تختلف روايته فى ديوان كعب .
(٤) الإكفاء من عيوب الشعر وهو من المخالفة بين حركات الروى .
(٥) خشب الشعر : لم يتأنق فيه .
(٦) فى الأغانى : «الحطيئة» هذا، والرجل هو الحطيئة

ما أصبتم جيِّد الشعر ولا شاعِرَ العرب ، فقال له سعيد : أفتعرف[١] من ذلك شيئا ؟
فقال : نعم . قال : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لا أعدُّ الإقتار عُدْماً ولكن ... فَقْدُ من قَدْ رُزِئْتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ، فقال له : من يقولها ؟ قال : أبو دُوَاد الإيادى . قال : ثم من ؟ قال : الذى يقول :

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُدْرَكُ بالـ ... جهلِ وقد يُخَدَّعُ الأرِيبُ[٢]

ثم أنشدها حتى فرغ منها ، قال : ومن يقولها ؟ قال : عَبيد بن الأبرص ، قال : ثم من ؟ قال : حسبك والله بى عند رغبة أو رهبة ، إذا رفعت إحدى رجلىَّ على الأُخرى ، ثم رفعت عقيرتى بالشعر ، وعويت فى أثر القوافى عواء الفصيل الصادى إلى الماء ، قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئة . قال : فرحب به سعيد ثم قال : أسأت بكتمانك نفسك منذ الليلة ، ووصله وكساه ، ومضى لوجهه إلى عُيَينة بن النَّهَّاس العِجلى ، فقال له : ما أنا على عمل فأُعطِيَك ، ولا فى مالى فضل عن قومى ، قال له : فلا عليك ، وانصرف ، فقال له بعض قومه : لقد عرَّضتنا ونفسَك لشرٍّ ، قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الحطيئة ، وهو هاجينا أقبح هجاء ، قال : رُدُّوه ، فردُّوه إليه ، فقال : كتمتنا نفسك كأنك تطلب العِلل علينا ، اجلس فلك عندنا ما يسرّك ، فجلس ، فقال له : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عِرْضه ... يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشتم يُشتَمِ

فقال له عيينة : هذا من مقدِّمات أفاعِيك ، ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السوق

---

(١) فى (ت) أفتروى .

(٢) أفلح من الفلاح وهو البقاء أى عش بما شئت من عقل وحمق فقد يرزق الأحمق ويحرم العاقل . أو أفلح من الفلاح : وهو الفوز والظفر .

فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته ، فجعل يعرض عليه الخزّ ورقيق الثياب فلا يريدها ويومئ إلى الكرابيس[١] والأكسية الغلاظ فيشتريها له ، حتى قضى أربه ، ثم مضى ، فلما جلس عيينة فى نادى قومه أقبل الحطيئة ، فلما رآه عيينة قال: هذا مقام العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ، فقال: قد كنت قلت بيتين فاسمعهما ، ثم أنشأ يقول :

سئلتَ فلم تَبخل ولم تُعطِ طائلا ... فسيّانِ لا ذمٌّ عليك ولا حَمْدُ
وأنت امرؤٌ لا الجودُ منك سجيَّةٌ ... فتعطِى ولا يُعْدِى على النائلِ الوُجْدُ[٢]

ثم ركض فرسه وذهب .

قال أبو صفوان : ما من أحد إلّا لو شاء أن أجد فى شعره مطعنا لوجدته إلا الحطيئة .

قال حماد : وسمعت أبى يقول ، وقد أنشد قول الحطيئة :

وفتيانِ صِدْقٍ من عَدِيٍّ عليهمُ ... صفائحُ بُصْرَى عُلِّقَتْ بالعواتِقِ
إذا ما دُعُوا لم يَسألوا من دعاهمُ ... ولم يُمْسِكوا فَوقَ القلوبِ الخوافقِ
وطاروا إلى الجُرْد العتاق فألجموا ... وشَدُّوا على أوساطهمْ بالمناطقِ
أولئك آباءُ الغريبِ وغاثَةُ الصَّريـ ... ـخِ ومأوى المُرْمِلين الدَّرَادِقِ[٣]
أحلُّوا حياضَ المجد[٤] فوق جباههمْ ... مكانَ النواصى من وجوه السوابقِ

فقال: ما أزعم أن أحداً بعد زُهيرٍ أشعرُ من الحطيئة .

---

(١) الكرابيس جمع الكرباس : وهو الثوب من القطن الأبيض .

(٢) يعدى : يعين . والوجد اليسار والسعة .

(٣) أرمل القوم : نفد زادهم وافتقروا . والدرادق : الصبيان الصغار واحدهم دردق وفى الديوان ١١٧ أولئك آساد العرين .

(٤) فى ا ، ك ، وبعض نسخ الأغانى كما أثبتنا . وفى ك وبعض نسخ الأغانى « حياض الموت » لكن فى ك مضروب عليها وبالهامش كتبت « المجد » وفى الديوان ١١٧ حياض الموت وروى حياض المجد .

ولما قال ابنُ ميَّادة :

* تمشَّى به ظِلْمانُهُ وجآذرُه *

قيل له : قد سبقك الحطيئة إلى هذا ، فقال : ماعلمت أن الحطيئة قال هذا قط ، والآن علمت أنى شاعر حين واطأْت الحطيئة .

وقال الأصمعى — وقد أنشد شيئا من شعر الحطيئة — أفسد هذا الشعر الحسنَ بهجاء الناس وكثرة الطمع .

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر(١) : لقيت الحطيئة بذات عِرْق ، فقلت له : أبا مُلَيكة ، من أشعر الناس؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحيَّة ثم قال : هذا إذا طمع.

وقف أعرابىٌّ على حسان بن ثابت ، وهو ينشد ، فقال له حسان : كيف تسمع يا أعرابى ؟ قال : ما أسمع بأسا ، قال حسان : أما تسمعون إلى الأعرابى ؟ ما كنيتك أيها الرجل ؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : ما كنتَ قط أهونَ علىَّ منك حين اكتنيت بامرأة ، قال : وما اسمك ؟ قال : الحطيئة ، فأطرق حسان ثم قال له : امض بسلام.

مر ابنُ الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفنائه ، فقال : السلام عليكم ، قال : قلتَ ما لا ينكر ، قال: إنى خرجت من أهلى بغير زاد ، قال: ما ضمنتُ لأهلك قِراك ، قال : أفتأذن لى أن آتى ظِلَّ بيتك فأتفيَّأ فيه ؟ قال : دونك الجبل يَفِىءُ عليك ، قال : أنا ابن الحمامة ، قال : انصرف وكن ابن أىِّ طائر شئت .

أتى الحطيئةَ رجلٌ وهو فى غنم له ، فقال : يا صاحب الغنم ، فرفع الحطيئة العصا وقال : إنها عَجراء من سَلَمٍ ، فقال الرجل : إنى ضيف ، فقال : للضيفان(٢) أعددتها ، فانصرف عنه .

---

(١) فى بعض نسخ الأغانى : « بكرة » .

(٢) فى الأغانى : « للطراق » .

ولم ينزل ضيف قطّ بالحطيئة إلا هجاه ، فنزل به رجل من بنى أسد يقال له صَخْر ابن أَعْيَا بن طريف[١] بن عمرو بن قُعَيْن فسقاه شربة من لبن ، فلما شربها قال :

رأيتُ ابنَ أعيا جاءنى يبتغى القِرَى[٢] … وإن ابنَ أَعْيَا لا محالةَ فاضِحى
شددتُ حَيازِيم ابنِ أعْيا بشَرْبةٍ … على ظَمأٍ سَدَّتْ أصولَ الجوانحِ
ولم أكُ مثلَ الكاهلىِّ وعرسِه … بغى الوُدَّ من مَطْروفَةِ العَيْنِ طامحِ[٣]
غدَا باغياً يَبْغِى رِضاها وودَّها … وغابتْ له غيبَ امرئٍ غير ناصحِ
دَعَتْ رَبَّها ألَّا يزالَ بفاقةٍ … ولا يَغْتدى إلَّا رَأَى جَدَّ بارِحِ[٤]

فأجابه صخر بن أَعْيَا فقال :

ألَا قبح اللهُ الحطيئةَ إنه … على كلّ ضَيْفٍ ضافَه هو سالحُ
دَفَعْتُ إليه وهو يَخنُق كَلْبه[٥] … ألا كُلّ كلبٍ لا أبا لكَ نَابحُ
بَكَيْتَ على مَذْقٍ خَبيثٍ قَرَيْتَه … ألا كلُّ عَبْسِىٍّ على الزادِ شائحُ[٦]

قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من قول الحطيئة :

مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَهْ … لا يذهبُ العُرْف بين اللهِ والناسِ

فقيل له : فقول طرفة :

ستُبدى لك الأيّامُ ما كنت جاهلا … ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

---

(١) فى الأغانى : بن أعيا الأسدى أحد بنى أعيا بن طريف .

(٢) فى الأغانى والديوان ص ٦٣ : لما رأيت إنما يبتغى القرى .

(٣) المطروفة من النساء : التى قد طرفها حب الرجال. أى أصاب طرفها فهى تطمح وتشرف لكل من أشرف لها .

(٤) الجد : الحظ . والبارح من الطير والوحش تتطير به العرب وتتشاءم . وفى الأغانى والديوان ١٣ : إلاعلى حد بارح . هذا، وتقدم هذا البيت على سابقه فى ت .

(٥) دفع إلى المكان ودفع « بالبناء للمجهول » انتهى إليه .

(٦) لبن مذق : مخلوط بالماء . والشائح : الحذر.

فقال : من يأتيك بها ممن زَوَّدْتَ أكثر ، وليس بيتٌ مما قالته العربُ إلا فيه مطعن إلا بيت الحطيئة :

* لا يذهبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ *

وسمع كعبُ الأحبار رجلا يُنشد هذا البيت فقال : والذى نفسى بيده إن هذا البيت لمكتوب فى التوراة « لا يذهب العُرْف بين الله والعباد » .

قال أبو عدنان : لما حضرت عبيدَ الله بن شدّادٍ الوفاةُ دعا ابنَه محمدا فأوصاه وقال : يا بنىّ أرى داعى الموت لا يُقلِع ، ويَحِقّ(١) أن من مَضى لا يَرْجِع ، ومَن بَقِى فإليه يَنْزِع ، يا بنىّ ، ليكُنْ أَوْلَى الأمور بك تقوى الله فى السرّ والعلانية ، والشكرَ لله ، وصدقَ القول(٢) والنيّة ، فإن للشكرِ مزيداً ، والتقوى خيرُ زاد . كما قال الحطيئة :

ولستُ أرى السعادةَ جمع مالٍ ... ولكنَّ التقىَّ هو السَّعيدُ
وتقوى اللهِ خيرُ الزادِ ذُخراً ... وعنـدَ اللهِ للأتقى مَزيدُ
وما لابدَّ أنْ يأتى قريبٌ ... ولكنَّ الذى يَمضِى بَعيـدُ

لما جمع أبو موسى الأشعريُّ جيشاً للغزو امتدحه الحطيئة فقال :

جمعتَ من عامر فيها ومن أسدٍ ... ومن تميمٍ ومن حاء ومن حَامِ(٣)
فما رَضيتهمُ حتى رَفدتهمُ ... بوائل رهط ذى الجَدَّيْن بِسطامِ(٤)

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : ويحق

(٢) فى الأغانى: وصدق الحديث .

(٣) حاء: حى من مذحج . انظر ديوانه ص ٣٥ بشرح السكرى مطبعة التقدم.

(٤) رفدتهم: أعنتهم . وفى ديوانه ص ٣٥ من وائل رهط بسطام بإصرام . هذا وفى المختار: حتى وفدتهم .

مُستَحقِباتٍ رَوَاياها جَحافِلها يسمُو بها أشعريٌّ طرفُه سامِي[١]

فوصله أبو موسى ، فكتب إليه عمر رضى الله عنه يلومه على ذلك ، فكتب إليه: إنى اشتريت عرضى منه بها ، فكتب إليه عمر : إن كان هكذا فإنما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للفخر والمدح فقد أحسنت .

قال مكحول: سبق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على فرس له ، فجثا على ركبتيه وقال « إنه لبَحْرٌ » فقال عمر رضى الله عنه : كذب الُحطيئةُ حيث يقول :

وإن جياد الخيـل لا تستفزّنا ولا جاعلاتُ الرَّيْطِ فوق المعاصمِ[٢]

لو ترك ذلك أحد تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عبيدة : أراد الحطيئة سفرا فأتته امرأته وقد قدّمت راحلته ليركب فقال[٣] :

عُدّى السنينَ إذا رحلتُ لعَوْدَتى وذَرِى الشهورَ فإنهنّ قِصارُ

فقالت امرأتُه :

اذكُرْ تحنُّنَنَا إليك وشوقَنا واذكُرْ بناتِك إنهن صغارُ

فقال : حُطُّوا ، لا رحلت لسفرٍ أبدا .

قال رجل : ضِفت قوما فى سفر وقد أضللت[٤] الطريق فجاءونى بطعامٍ أجدُ طعمه فى فمى وثقلَه فى بطنى . ثم قال شيخ منهم لشابّ : أنشِدْ عمّك ، فأنشدنى :

---

(١) مستحقبات: حاملات والروايا : الإبل التى تحمل الأزواد والجحافل جمع الجحفلة وهى من الخيل بمنزلة الشفة من الإنسان والضمائر تعود على الإبل والخيل فى أبيات قبله ويريد أن الخيل تجنب إلى الإبل فتضع جحافلها على أعجاز الإبل .

(٢) الريط جمع الريطة : وهى كل ملاءة ذات لفقين أو كل ثوب لين رقيق .

(٣) جملة: فقال والبيت الذى قاله ليست فى الأغانى .

(٤) فى أصول المختار وأصول الأغانى هكذا «أضللت» وفى اللسان: إذا ضللت المكان قلت: ضللته. وإذا سقط من يدك شىء قلت : أضللته .

عفا من سُلَيْمى مُسْحُلان فحامِرُهْ تمشَّى به ظُلمانُه وجآذِرُهْ[١]

فقلت له : أليس هذا الحطيئة ؟ فقال : بلى ، وأنا صاحبه من الجن .

قال ابن شُبْرُمة: أنا والله عالم بجيد الشعر، ولقد أحسن الحطيئة حيث يقول :

أقلّوا عليهم لا أبَا لأبيكمُ
من اللَّوْم أو سُدُّوا المكان الذى سَدُّوا[٢]

أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى
وإن عاهدوا أَوفَوْا وإن عَقدوا شَدُّوا

وإن كانت النعماء فيهم جَزَوْا بها[٣]
وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كَدُّوا

وإن قال مولاهمْ على جلِّ حادثٍ
من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامكمْ رَدُّوا[٤]

مطاعينُ فى الهيْجا مكاشيف للدُّجى[٥]
بَنَى لهمُ آباؤهم وبَنَى الجدُّ

سأل أبو عدنان الأصمعىَّ : ما واحد البُنَى ؟ قال : بِنْية ، قال : أتجمع فِعْلَة على فُعَلْ ؟ قال : نعم ، مثل رِشْوَة ورُشاً وحِبْوة وحُباً .

---

(١) مسحلان: موضع وكذلك حامر وذكر ابن السكيت أنهما واديان. انظر معجم البلدان «حامر» والظلمان: النعام. والجآذر أولاد البقر.

(٢) هذا البيت والبيت الخامس لم يردا فى الأغانى فى ترجمته .

(٣) فى ديوانه ص ٢٠ : وإن كانت النعمى عليهم .

(٤) بعده فى الديوان بيتان .

(٥) فى ا : « مكاشف للأخى » ولعلها تحريف فإن الآخية وهى حلقة تشد بها الدابة: تجمع على أواخى وأخايا .

روى المفضل أن الحطيئة أقحمتْه السَّنةُ[١] فنزل ببنى مُقَلَّد بن يربوع ، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إنهذا الرجل لا يسلم من لسانه أحدٌ فتعالوا نسأله عما يُحِبّ أن نفعله وما يحب أن نَتَنَاهى عنه[٢] ، فقالوا له : يا أبا مُليكة إنك اخترتنا على سائر العرب ، ووجب حقُّك علينا، فَمُرْنا بما تحب أن نفعله وما تحب أن نتناهى عنه ، فقال: لا تُكثِروا زيارتى فتملُّونى ، ولا تقطعوها فتوحشونى ، ولا تجعلوا فِناءَ بيتى مَجلسا لكم ، ولا تسمعوا بناتى غِناءَ شبانكم؛ فإن الغناء رُقْية الزنا ، فأقام عندهم ، وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أُمُّكم الطلاقُ لئن تَغَنَّى أحدٌ والحطيئةُ مقيم بين أظهرنا لأضربنَّه ضربة بسيفى أخذتْ منه ما أخذتْ ، فلم يزل مقيما فيما يَرْضَى حتى انجلَت عنه السَّنَة، فارتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مُقَلَّدٍ فحمِدْتُهم ... إذْ ليس كلُّ أخى جِوارٍ يُحْمَدُ
أيَّامَ مَن يرِدِ الصنيعةَ يَصطَنِعْ ... فينا ومن يُرِدِ الزهادةَ يَزْهَدِ

وأما خبره مع الزِّبرقان فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد ولى الزِّبرقان بن بَدْر ابن امرئ القيس بن خَلَف بن بَهْدَلة بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مناةَ بن تميمٍ عملاً[٣] وأقره أبو بكر رضى الله عنه ، ثم قدم على عمر فى سَنَة مُجدِبة ليؤدّى صدقاتِ قومهِ فلقيه الحطيئةُ بِقَرْقَرَى ، ومعه ابناه أوس وسوادة ، وامرأته وبناته ، فعرفه الزبرقان ولم يعرفه الحطيئة ، فقال له الزبرقان : أين تريد؟ قال : العراق ؛ فقد حطمتنا السنة ، قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددْت أنى أصادف بها رجلا يكفينى مُؤْنة عيالى وأُصفيه مدحى أبدا. قال الزبرقان : قدأصبته ، فهل لك فيه يُوسِعُك لبنا وتمرا ويُجاورك

(١) أقحمته السنة: أوقعته فى شدة ومشقة. والسنة تطلق على الجدب أيضا.

(٢) فى الأغانى : عما يحب فنفعله وعما يكره فنجتنبه فأتوه فقالوا .

(٣) بهامش ا ، ك : «الزبرقان : القمر . والزبرقان : الرجل الخفيف اللحية » وجاء ذلك فى صلب الأغانى عن الأصمعى .

أحسن جوار وأكرمه؟ فقال له الحطيئة: هذا وأبيك العيشُ وما كنت أرجو هذا كلّه ، قال: فقد أصبته، قال عند من؟ قال: عندى، قال : ومن أنت ؟ قال الزبرقان بن بدر، قال: وأين محلك ؟ قال : اركب هذه الإبل واستقبل مَطْلع الشمس وسل عن القمر حتى تأتى منزلى . وكان اسم الزبرقان الحصين بن بدر ، وإنما سمى الزبرقانَ لحسنه ، شُبّه بالقمر ، وقيل: بل لبس عِمامة مُزَبرَقة[1] بالزّعفران ، فسُمِّىَ بذلك ، وقيل : بل قال له : سرْ إلى أم شَذْرة وهى أم الزبرقان وعمة الفرزدق ، فكتب إليها: أن أحسنى إليه وأكثرى له من اللبن والتمر ، وقيل : بل وكَلَه إلى زوجته وهى هُنَيدة[2] بنت صعصعة بن ناجية المجاشعية ، وقيل بل كانت أمه ، وذلك فى عام ٍ صَعْب مُجدِب ، فأكرمته المرأة وأحسنت إليه ، فبلغ ذلك بَغيض بن عامر بن شَمَّاس بن لأىِ ابن جعفر — وهو أنف الناقة — بن قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وبلغ إخوته وبنى عمه وكانوا يغضبون من أنف الناقة . وإنما سمى جعفرٌ أنفَ الناقة لأن أباه قُرَيعاً نحر ناقة فقسمها بين نسائه ، فبعث جعفراً هذا أُمُّه وهى الشموس من وائل ثم من سعدِ هُذَيم ، فأتى أباه ولم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها ، فقال : شأنك وهذا، فأدخل يده فى أنفها ليجرَّها ، فسُمِّىَ أنفَ الناقة ، وذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة فقال :

قومٌ همُ الأنفُ والأذناب غيرهمُ ومن يُسَاوِى بأنف الناقة الذَّنَبا[3]

فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا ، وكان بغيضٌ وإخوتُه وأهله ينازعون الزبرقانَ الشرفَ وهم أشرفُ منه إلا أنه استعلى بنفسه . وكان الحطيئة دميا سَيِّىء الخُلْق

---

(١) مزبرقة : مصبوغة .

(٢) فى ا و ت عبيدة وبهامش ك: عبيدة . وهنيدة . وفى الأغانى: هنيدة. وستأتى فى المختار هنيدة .

(٣) فى الأغانى : ومن يسوى .

لا تأخذُه العَيْنُ ومعه عيال كذلك ، فلما رأتهم أمُّ شذرة هان عليها وقصَّرت به . ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة ما تصنعُ به أم شذرة ، فأرسلوا إليه أن ائْتِنا . فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصيرَ والغَفْلَةَ ، ولست بالذى أحمل على صاحبها ذَنْبا . فلما ألحَّ عليه بنو أنف الناقة ، وكان رسولهم إليه شَمَّاس بن لأى وعَلقمة بن هَوْذة وبَغِيض بن شَمَّاس والمُخَبَّل الشاعر . قال لهم[(١)] : لست بحامل على الرجل ذنبَ غـيره ، فإن تُرِكت وجُفِيت تحوَّلت إليـكم . فاطمَعُوه ووعدوه وعداً عظيما . وقيل : إنه لما لم يجبهم دَسُّوا إلى هُنَيدة زوجة الزبرقان : إن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنتَه مُلَيـكة . وكانت جميلة كاملة ، فظهرتْ للحطيئةِ من المرأةِ جَفوةٌ وهى فى ذلك تُداريه . ثم أرادوا النُّجْعَةَ فقالت له هُنيدة : قدحَضرت النُّجْعة فاركبْ أنت وأهلُك هذا الظَّهْر إلى مكان كذا وكذا ثم ارْدُدْه إلينا حتى نلحقك به ، فإنه لا يَسَعُنا جميعا ، فأرسل إليها : بل تقدَّمى ، فأنت أحقُّ ، ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردّ الظَّهر إليه ، فتركته يومين أو ثلاثة ، وألحَّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا : قد تُرِكْتَ بِمَضِيعَةٍ[(٢)] وكان أشدهم فى ذلك بَغِيض بن شَمَّاس وعَلْقمة بن هَوْذة ، وكان الزبرقان قال فى عَلْقمة :

لى ابْنُ عَمٍّ لا يزا ... ل يَعيبنى ويَعِيبُ عائبْ[(٣)]
وأُعينــــه فى النائبا ... ت ولا يُعين على النوائبْ
تَسرِى عقــــاربُه إلـ ... ىَّ ولا تَدِبُّ له عَقارِبْ
لاهِ ابنُ عمّك لا يخا ... ف المُخْزِيات من العواقبْ[(٤)]

---

(١) فى المختار : فقال لهم .

(٢) المضيعة بكسر الضاد مفعلة من الضياع والاطراح والهوان كوزن معيشة ويقال أيضا بضيعة ومضيعة بفتح الميم وسكون الضاد .

(٣) هذا فى نسخ المختار ونسخ الأغانى ما عدا نسخة واحدة فإنها : ويعين عائب .

(٤) فى الأغانى : المخزنات من العواقب .

فكان علقمة ممتلئا غيظا عليه ، فلما ألحُّوا على الحطيئة أجابهم وقال : أما الآنَ فنعم ، إنى صائرٌ معكم ، فتحمَّل معهم ، فضربوا له قبَّة ، ورَبطوا بكلِّ طُنُب من أطنابها جُلَّة هَجَرِية(١) ، وأراحوا عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لِقَاحاً(٢) وكُسْوة ، فلما قدم الزِّبرقان سأل عنه فأُخبر بقصته ، فنادى فى بنى بَهْدَلَة ابنِ عوف ، وهم لِأُمٍّ دون قُرَيع ، أمهم السَّفْعاء بنت غَنْم بن قُتيبة من باهلة ، فركب الزبرقانُ فرسَه . وأخذ رمحه ، وسار حتى وقف على نادى بنى عبد شمس(٣) القُرَيعيين . فقال : رُدُّوا عَلَىَّ جارى. قالوا : ما هُوَ لك بجار وقد اطَّرَحْته وضَيَّعته فأعلمهم أن يكون(٤) بين الحيين حَرْب . فحضَرَهم أهلُ الحِجَا من قومهم . فلاموا بَغِيضا وقالوا له : اردُدْ على الرجل جاره ، فقال : لست مُخرِجَه وقد آوَيْتُه ، وهو رجلٌ حرٌّ مالكٌ لأمرِه . فخيِّروه ، فإن اختارنى لم أُخرِجه ، وإن اختاره لم أُكرِهه ، فخيروا الُحطيئةَ فاختار بَغِيضاً ورَهْطَه . فجاء الزبرقان فوقف عليه وقال له : يا أبا مُليكة . أفارقت جِوارى عن سخط وذم ؟ قال : لا . فتركه وانصرف .

وقيل : كان بين الحيَّين تَلاحٍ وشِجاجٌ(٥) وقيل : إن الزبرقان استعدَى عُمَر ابن الخطاب رضى الله عنه على بَغِيض ، فحكم عمرُ بأن يخرج الُحطيئة حتى يُقام فى موضعٍ خالٍ بين الحيّين وحده ، ويُخلى سبيلُه ويكون جارَ أيِّهما شاء واختار(٦) ، ففُعِل ذلك فاختار القُرَيعِيِّين . وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان ،

---

(١) الجلة: وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر. وفى ك وضع تحت الحاء علامة إهمال لكن السياق يدل على الجلة .

(٢) اللقاح : جمع اللقوح : وهى الناقة الحلوب .

(٣) هذا فى نسخ المختار وفى الأغانى : نادى بنى شماس .

(٤) فى الأغانى : « فألم أن يكون » أى فقرب أن يكون .

(٥) التلاحى : التنازع وفى الأغانى : تلاح وتشاح .

(٦) فى ا ، ك ونسخ الأغانى « أيهما اختار » والزيادة فى « ت » فقط .

وهم يَحضُّونه عليه ويحرّضونه ، فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمِر بن قاسط يقال له دِثار بن شيبان ، فهجا بغيضا فقال :

أرى إبلى بِجوفِ الماءِ حَنَّتْ ... فأَعْوَزَها بــه المـاءُ الرَّواءُ(١)
وقد ورَدَتْ مياهَ بنى قُرَيعٍ ... فَما وصلوا القرابةَ إذْ أساءُوا(٢)
تُحَلَّا يومَ وِرْدِ الناسِ إبْلِى ... وتصـــدر وهى مُحْنِقة ظِماءُ(٣)
ألم أكُ جــارَ شَمَّاسِ بن لأْيٍ ... فأسلَمنى وقـــد نزلَ البَلاءُ
فقلتُ تَحَوَّلى يا أُمَّ بــكرٍ ... إلى حيثُ المكارمُ والعَـــلاءُ
وجَدْنا بيتَ بَهْدَلَةَ بنِ عمرٍو ... تعالَى سَمْـكُه وَدَحا الفِنـــاءُ(٤)
وما أضحى لشمَّاس بن لأْيٍ ... قـــديمٌ فى الفَعَال ولا رَبَاءُ(٥)
سوى أن الحطيئة قال قَوْلًا ... فهذا من مقالته جَـــزَاءُ(٦)

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض قصيدته التى يقول فيها :

واللهِ ما معشرٌ لاموا امرأً جُنُباً ... من آلِ لَأْيِ بن شَمَّاسٍ بأَكْياسِ

الجنب : الغريب .

ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبا لكم ... فى بائسٍ جاء يَحْدُو آخرَ الناسِ
لقــد مَرَيْتُكم لو أنَّ دِرَّتَكم ... يوما تَجىء على مَسْحى وإبساسى(٧)

---

(١) نسب هذا البيت فى اللسان مادة روى للطيئة .

(٢) فى الأغانى : مذ أساءوا .

(٣) تحلا أصلها تحلأ أى تمنع . ومحنقة : ضامرة .

(٤) دحا الفناء : عظم واتسع .

(٥) الرباء . المنة والفضل .

(٦) فى ديوان الحطيئة ٢٥ قصيدة على وزنها وقافيتها ويرد بها أو تالها قبل هذه وفى هذا البيت ما يدل على أن الحطيئة سبق بكلام .

(٧) مرى الناقة: مسح ضرعها . والإبساس: أن يسكنها عند الحلب . وفى الأغانى والديوان ٥٢: يجىء بها مسحى .

وقد مدحتكم عَمْدًا لأُرشدكم ... كيما يكون لكم مَتْحى وإمراسى [١]
لما بدا لِيَ منكم عَيْبُ أنفسكم [٢] ... ولم يكن لجراحى منكمُ آسى
أزمعتُ يأسا مُبينا عن نَوالكمُ ... ولن تَرَى طارِدا للحُرِّ كاليَاسِ
جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ مَنزِلِه ... وغادروهُ مُقيما بين أرماسِ
مَلُّوا قِراه وهَرَّته كلابهمُ ... وجرَّحوه بأنيابٍ وأضراسِ [٣]
دعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لبُغْيَتِها ... واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسى
مَن يَفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَه ... لا يَذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ
ما كان ذنبيَ أنْ فَلَّتْ مَعاوِلَكم ... من آلِ لَأْيٍ صَفاةٌ أصلُها راسى
قد ناضلوك فسَلُّوا من كِنانتهمْ ... مَجْدًا تليدا ونَبْلًا غيرَ أنكاسِ [٤]

فاستعدى عليه الزبرقانُ عمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه ، فرفعه عمر إليه واستنشده ، فأنشده ، فقال عمرُ لحسَّان : أتراه هجاه ؟ فقال : نعم ، وسَلَح عليه . فحبسه عمر .

وقال عبد الله بن عيَّاش عن الشَّعْبي : شهدت زِياداً وقد أتاه عامرُ بن مَسعود بأبى عُلَاثَة التيمى [٥] فقال له : إنه هجانى ، قال : وما قال لك ؟ قال : قال :

وكيف أُرَجِّى ثَرْوَها ونَماءَها [٦] ... وقد سار فيها خُصيةُ الكلبِ عامرُ

---

(١) المتح : جذب الدلو من فوق. والإمراس : إن يقع الحبل فى جانب البكرة ليخرجه .

(٢) فى الأغانى : غيب أنفسكم وكذلك فى ديوانه .

(٣) جاء فى ت وبأصل ك : وجر جروه بأنياب . وصوبت بهامش ك وجاءت صوابا فى ا والأغانى .

(٤) الأنكاس جمع النكس من السهام وهو أضعفها . وفى اللسان مادة نكس « وعزا غير أنكاس » وفى الديوان ٥٥ فأبدوا من كنائنهم.

(٥) فى الأغانى : التيمى .

(٦) فى المختار : « ثراها ونماءها » ولا يستقيم البيت. والثرو يكون مصدرا من ثرا المال يثرو إذا كثر . ولم يرد الثرو فى اللسان وجاء فى الأغانى

فقال أبو عُلاثة : ليس هكذا قلت ، قال : كيف قلت ؟ قال : قلت :

وإنى لأرجو ثَرْوَها ونَماءها وقد سار فيها ناجذُ الحقِّ عامرُ[(١)]

فقال زياد : قاتل الله الشاعر ، يَنقلُ لسانَه كيف شاء . والله لولا أن يكون سُنَّة[(٢)] لقطعت لسانك . فقام قَيس بن فَهْد الأنصاريُّ فقال : أصلح الله الأمير ، ما أدرى مَن الرجلُ ، فإن شئت حدَّثتك عن عمر بما سمعتُ منه — وكان زيادٌ يعجبه أن يسمع الحديثَ عن عُمر رضى الله عنه — قال : هاتِه ؛ قال : شهدتُه وقد أتاه الزِبرقانُ بن بدر بالحُطيئة فقال : هجانى ، قال : وما قال لك ؟ قال : قال :

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسى

فقال عمر رضى الله عنه : ما أسمع هجاء ، لكنى أرى معاتبة ، فقال الزبرقان : أوَ ما بلغ من مُروءتى إلا أن آكل وألبس[(٣)] ، فقال عمر : علىَّ بحسان ، فجىء به ، فسأله ، فقال : لم يهجه ولكن سَلَح عليه ويقال إن عمر رضى الله عنه سأل لَبيدا عن ذلك ، فقال ما يَسرُّنى أنه لحقنى من هذا الشعر ما لحقه ، وأن لى حُمْرَ النَّعَم ، فأمر به عمر فجُعِل فى نَقير[(٤)] فى بئر ثم أُلْقِىَ عليه شىء ، فقال :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى أَمَرٍ[(٥)] زُغبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجرُ
ألقيت كاسِبهمْ فى قَعرِ مُظْلمةٍ فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمام الذى من بَعْدِ صاحِبه[(٦)] ألقى إليك مَقاليد النُّهَى البَشرُ

---

(١) فى ك : يأخذ الحق عامر .

(٢) فى ك ، ت : سبة .

(٣) فى المختار : إلا أن آكل وأشرب . وصوبت من الأغانى .

(٤) النقير : ما نقر من حجر أو خشب .

(٥) ذوأمر : موضع ذكره ياقوت فى « أمر » وفى « مرخ » هذا ، وفى مرخ قال : إن الرواية المشهورة : بذى أمر . هذا ، وفى بعض أصول الأغانى . بذى مرخ وكذلك فى الديوان ص ٨١ .

(٦) فى المختار : لم يعد صاحبه والتصويب من الأغانى وديوانه ص ٨١ .

لم يُؤثِروك بها إذ قدَّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الخِيَرُ(١)

فأخرجه وقال : إياك وهجاء الناس ، قال : إذًا يموت عيالي جوعا وعطشا ، ومكسبي هذا ، ومنه معاشي ، قال: فإياك والقُذع من القول. قال: وما القذع؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقول فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ، قال : فأنت والله أهجى مني ثم قال : لولا أن تكون سُنَّة لقطعت لسانه ، ولكن اذهبْ فأنت له، خذْه يا زبرقان فألقى الزبرقان فى عُنقه عمامةً فاقتاده بها ، وعارضته غطفان فقالوا له : يا أبا شذرة ، إخوتك وبنو عمك هَبْه لنا ، فوهبه لهم ؛ فقال زيادُ لعامر بن مسعود : قد سمعتَ ما رُوِيَ عن عُمر وإنما هى السُّنَن فاذهب به فهو لك ، فألقى فى عنقه عمامةً أوحبلا ، وعارضته بكر بن وائل فقالوا له: إخوتك(٢) وجيرانك فوهبه لهم .

وقال أبو عبيدة : إن الحطيئة قال لما حبسه عمر وهى أول ما قال له :

أعوذ بجدِّك إنى امرؤٌ ... سَقتْنى الأعادى إليك السِّجالا(٣)

فإنك خير من الزبرقان ... أشدُّ نكالاً وأرجى نوَالا

تحنَّنْ علىَّ هداك المليكُ ... فإن لكلّ مقامٍ مقالا

ولا تأخُذَنْى بقَوْلِ الوُشاةِ ... فان لكلّ زمانٍ رِجالا

فإن كان ما زعموا صادقا ... فسِيقتْ إليك نِسائى رِجالاَ(٤)

حَوَاسِرَ لا يَشتكِين الوَجَا ... يُخفِّضْنَ آلًا ويرفعن آلا(٥)

فلم يتلفت عمر إليه حتى قال :

* ماذا تقول لأفراخ بذى أَمَرٍ *

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : كانت بك الأثر . والديوان كما أثبت .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : أخوالك وجيرانك .

(٣) السجال جمع السجل وهو الدلو العظيم .

(٤) رجالا: جمع رجلة أى راجلة غير راكبة

(٥) الوجا : الحفا والآل : الذى تراه فى أول النهار وآخره وهو السراب .

ولما حُبس الحطيئة كلّم عمرُو بنُ العاص فيه عمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه ، فأخرجه ، فأنشده قوله :

* ماذا تقول لأفراخ بذى أَمَرٍ *

فبكى عمر رضى الله عنه .

فقال عمرو بن العاص : ما أظلّت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء أعدل من رجل يبكى على تركه الحطيئة . فقال عمر : علىّ بالكُرْسىِّ فأُتِى به ، فجلس عليه ثم قال : أشيروا علىّ فى الشاعر ، فإنه يقول الهُجْرَ ، ويَنْسُبُ بالُحرَم ، ويمدح الناس ويذمهم بغير مافيهم ، ما أُرانى إلّا قاطعا لسانه ، ثم قال : علىّ بالطَّسْت ، فأُتى به ، ثم قال : علىّ بالمِخْصَف ، عَلَىَّ بالسِّكين ، لا ، بل علىّ بالمُوسى فهو أَوْحَى(١) ، فقالوا : لا يعود يا أمير المؤمنين وأشاروا إليه أن قلْ لا أعود ، فقال : لاأعود ياأمير المؤمنين فقال له : النَّجاءَ . فلما ولّى قال له عمر : ياحُطيئة ، كأنى بك عند فتى من قريش قد بسط لك نُمرُقَةً(٢) ، وكسر لك أخرى وقال : غَنِّنا ياحُطيئة . فطفِقْت تغنيه بأعراض الناس . قال الراوى : فرأيت الُحطيئة بعد ذلك عند عُبيد الله بن عُمَر ، وقد بسط له نُمرقة وكسر له أخرى وقال : غنّنا يا حطيئة . فجعل يُغَنِّيه ، فقلت له : ياحُطيئة ، أتذكر قول عُمَر ؟ ففزع من ذلك وقال : يرحم الله ذلك المَرْء ، أما لو كان حيّا لما فعلتُ . قال : ثم قلت لعُبيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا ، فكنتَ أنت ذلك الرجل .

ولما اطلقَ الُحطيئةَ أراد أن يُؤَكّد عليه الُحجّة ، فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم . فقال الحطيئة فى ذلك :

---

(١) أوحى : أسرع .

(٢) النمرقة : الوسادة .

وأخذتَ أطرافَ للكلام فلم تَدَعْ　　شَتْماً يضرُّ ولا مَديحاً يَنفعُ

وحَمَيْتَنِي عِرْضَ اللئيم فلم يَخَفْ　　ذَمِّي وأَصبحَ آمناً لا يَفزعُ

ولم يزل الحطيئةُ فى بنى قُرَيع يمدحُهم ، حتى إذا أَحْيَوْا[١] قال لِبَغِيض : فِ لى[٢] بما كنت ضمنت[٣] ، فأتى بَغيضٌ علقمةَ بن هَوْذَةَ فقال له : قد جاء اللهُ بالحَيَا ، فَفِ لى بما قلت — وقد كان ضَمِنَ له مائة بعير — وأبرِئني ممّا كنت ضَمَّنته عهدى[٤] ، فقال : نعم ، سَلْ فى بنى قُرَيع ، فمهما فضَل بعد عطاياهم أن يُتِمَّ مائة أتممتهُ له ، ففعل ، فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيرا . كان الرجل يُعطيه على قَدْر ماله البعيرَ والبعيرين ، فأتمها علقمةُ له مائةً وراعِيَيْن ، فدُفعت إليه ، فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم إلى أن رحل عنهم ، فقال :

لا يُبعِـد اللهُ إذ ودَّعتُ أرضَهمُ　　أخى بَغيضاً ولـكنْ غيرُه بَعِدَا

لا يُبعد اللهُ من يعطى الجزيلَ ومَن　　يَحْبو الجليل وما أكدى ولا نَكِدَا

ومن تُلاقِيه بالمعروف مُبتهجا　　إذا اُجْرَهَدَّ صَفا المذموم أو صلَدا[٥]

لاقَيتـه فَلَجا[٦] تَنْدَى أناملُه　　إنْ يُعطِك اليوم لا يَمْنَعْك ذاك غَدَا

إنى لرافدُه وُدِّى ومَنْصَرَتى　　وحافظٌ غَيبه إن غاب أو شَهِدا

---

(١) أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .

(٢) فى المختار : أوف لى .

(٣) فى الأغانى : تضمنت .

(٤) فى الأغانى : مما تضمنته عهدتى .

(٥) اجرهدت الأرض : لم يوجد فيها نبات ولا مرعى والصفا: جمع صفاة وهى الصخرة الملساء. وصلد صلودا : لم يور .

(٦) فى الأغانى : « ثلجاً » ومعناها فرحا مبتهجا . هذا، والفلج من معانيه النهر الصغير أو الماء الجارى والصبح وفى ت : لاقيته ماجدا، وفى الديوان ١١٩ كالأغانى ولـكنه تذييل للديوان وليس من أصله .

بينا ابنُ عبَّاس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ما كُفَّ بصرُه ، وحوله ناسٌ من قريش إذ أقبل أعرابىٌّ يَخْطِر وعليه مِطرَفُ خَزٍّ وَجُبَّةُ خَزٍّ وعمامةُ خَزٍّ ، حتى سلَّم على القوم ، فردُّوا عليه السلام ، فقال : ياابن عمِّ رسول اللهِ أَفتِنى . قال : فى ماذا ؟ قال : أتخاف علىَّ جُناحا إن ظلمنى رجل فظلمتُه ، أو شتمنى فشتمتُه ، وقصَّر بى فقصَّرت به ؟ فقال : العفو خير ، ولمن انتصر فلا جُناح عليه ، فقال : يا ابن عم رسول الله ، أرأيت امْرَأً أتانى فغرَّنى ، ووعدنى ، ومنَّانى ثم أخلفنى ، واستخفَّ بحرمتى أَيسَعُنى أن أهجوه ؟ قال : لا يصلح الهجاء ، لأنه لابدَّ لك أن تهجو غيره من عشيرته ، فتظلم من لم يظلمك ، وتشتم من لم يشتمك ، وتبغى على من لم يبغ عليك ، والبغى مَرْتَعٌ وخيم ، وفى العفو ما قد علمتَ من الفضـل . قال : صدقتَ وبَرِرْتَ ، فلم يَنْشَبْ أن جاء(١) عبد الرحمن بن سَيْحان المُحاربىّ حليفُ قريش ، فلما رأى الأعرابىَّ أجلَّه وأعظمه ، وألطف فى مَسْأَلته وقال : قرَّب الله دارك أبا مايـكة . فقال ابن عباس : أجَرْول ؟ قال : جَرْوَل ، فإذا هو الحطيئة ، قال ابن عباس : لله أنت أىّ مِرْدَى قذَاف وذائد عن عشيرة ومُثْنٍ بعارفة تؤتاها أنت يا أبا مليـكة ، ولو كنت عَرَكْت بجنبك(٢) بعضَ ما كرهتَ من أمر الزبرقان كان خيرا لك . ولقد ظلمتَ من قومه من لم يَظلمك وشتمت من لم يشتمك ، قال : إنى والله بهم يا ابن العبَّاس لعارف(٣) . قال : ما أنتَ أعلم بهم من غيرك ، قال : بلى والله يرحمك الله . ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ بَجدَتِهم عِلما وتَجرِبةً(٤) فاسأَلْ بسعْدٍ تَجدْنى أعلم الناسِ

---

(١) فى الأغانى : أن أقبل .

(٢) فى ا : « لجنبك » بدون نقط .

(٣) فى الأغانى : «يا أبا العباس لعالم» وعلق عليه بأن أبا العباس كنية عبد الله بن العباس

(٤) «ابن بجدتها» يقال للعالم بالشىء المتقن له والبجدة : دخلة الأمر وباطنه .

سعدُ بن زيد كثيرٌ إنْ عَدَدْتَهُمُ ‏ ‏ ورأسُ سعدِ بن زيدٍ آلُ شَمَّاسِ
والزبرقانُ ذُنَابَاهم وشرُّهمُ ‏ ‏ ليس الذُّنَابى أبا العباس كالرَّاسِ[(١)]

فقال له ابنُ عباس : أقسمت عليك بالله أن تقول إلا خيراً قال : أفعل ، ثم قال ابنُ عباس : يا أبا مليكة . من أشعر الناس ؟ قال : من الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذى يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دُونِ عِرْضه ‏ ‏ يَفِرْه ومن لا يتّق الشتمَ يُشْتَمِ

وما بدونه الذى يقول :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه ‏ ‏ على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المُهَذَّبُ

ولكنَّ الضراعةَ أفسدته كما أفسدت جَرْوَلًا — يعنى نفسه — واللهِ يا ابن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنتُ أشعر الماضين ، أما الباقون فلا تَشُكَّنَّ أنى أشعرهم وأَصْرَدُهم سهما إذا رَميت[(٢)] .

قال أبو عبيدة : إن عبد الله بن أبى ربيعة لما قدم من البَحْرَيْن نزل على الزبرقان بمائه فحَلَأَه عنه[(٣)] وهو الماء الذى يقال له بُنْيان[(٤)] فنزل على بنى أنف الناقة بمائهم وهو الذى يقال له وَشِيع ، فأكرموه وذبحوا له شاة ، وقالوا : لو كانت إبلنا منا قريبةً لنحرنا لك . فراح من عندهم يتغنى فيهم بقوله :

---

(١) انظر الهامش قبل السابق . والذنابى : الذنب .

(٢) أصردهم : أنفذهم . وفى ت وأجذلهم سما إذا رضيت .

(٣) حلأه عن الماء : منعه وحبسه عن الورد . وفى المختار : فحذاه . وكلمة عنه فى ت فقط

(٤) فى المختار والأغانى : «تبيان» وليس فى معجم البلدان إلا تبنان وهو واد «وبنيان» وذكر البيت : « مقيم على بنيان » ونسب للحطيئة وليس فى ديوانه .

وما الزبرقانُ يوم يمنَــعُ ماءه بمُحتَسِبِ التَّقْوى ولا مُتوكِّلِ
مقيمٌ على بُنْيــانَ يمنــع ماءه وماءُ وَشيعٍ مُطْمَئِنٌّ لُمْرِمِــلِ (١)

فركب الزبرقان إلى عمر فاستعداه على عبد الله وقال : هجانى ، فسأل عمر عن ذلك عبدَ الله فقال : إنى نزلت على مائه فحَلَّأنى عنه ، فقال عمر : يا زبرقان ، أتمنع ماءك من ابن السبيل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا أمنع ماءً حَفَر آبائى مجارِيه ومُستقرَّه ، وحفرتُه أنا بيدى ؟ فقال عمر : والذى نفسى بيده إن بلغنى أنك منعت ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتَنى بنجدٍ أبدا ، فقال بعض بنى أنف الناقة يعيّر الزبرقانَ بما فعله :

أتدرى من منعتَ وُرودَ حوضٍ سَليلَ خَضارِمٍ منَعوا البِطَاحا (٢)
أزادَ الرَّكْبِ تمنع أم هِشــاما وذا الرُّمحين أمنعَهم سِــلَاحا (٣)
هُمُ منعوا الأباطــحَ دون فِهْرٍ ومَنْ بالخَيْفِ والبُدْنَ اللِّقَاحَا
بضرْبٍ دُون بَيضَتِهم طِلَخْفٍ (٤) إذا اللهوف لاذَ بهم وصــاحا
وما تَــدرى بأيِّهِم تُــلاقى صُدُورَ المَشرفيَّةِ والرِّمــاحا

لما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ اجتمع إليه قومه فقالوا : يا أبا مُليــكة ، أوْصِ . فقال : ويلٌ للشِّعر من رَاويةِ السوء . قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطىءُ قال : من الذى يقول :

---

(١) فى الأغانى : « ماء ظمآن مرمل » وفى معجم البلدان : ماء عطشان مرمل . هذا ، والمرمل الذى فقد زاده .

(٢) الخضارم : جمع الخضرم وهو الجواد الكثير العطية مشبه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء أو هو السيد الحمول .

(٣) «زاد الركب» لقب أبى أمية بن المغيرة عم عبد الله بن أبى ربيعة ولقب مسافر بن أبى عمرو ابن أمية ولقب زمعة بن الأسود؛ قيل لهم: أزواد الركب. لأنهم كانوا إذا سافروا يطعمون كل أحد يكون معهم ويكفونه الزاد. انظر اللسان مادة «زود» وهامش الأغانى عند هذا البيت . وذو الرمحين: أبو ربيعة بن المغيرة والد عبد الله بن أبى ربيعة .

(٤) طلخف : شديد .

إذا أَنبضَ الرّامونَ عنها ترنّمتْ ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعتها الجنائزُ[١]

قالوا: الشمَّاخ، قال: أبلغوا غَطَفان أنه أشعر العرب ، قالوا : ويحك أهذه وصية؟ أوصِ بما ينفعك . قال : أبلغوا أهلَ ضابئ أنه شاعر حيث يقول:

لكلّ جديدٍ لذّةٌ غير أنني وجدتُ جَديدَ الموت غير لذيذ

قالوا : أوصِ ويحك بما يَنفعُك . قال : أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول :

فيالكَ من ليلٍ كأنّ نُجومَه بكلّ مُغارِ الفتْلِ شُدَّت بِيَذْبُلِ

قالوا : اتق الله ودَعْ عنك هذا . قال : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم[٢] أشعر العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ لا يَسألون عن السَّوادِ المُقبلِ

قالوا : إن هذا لا يُغنى عنك شيئا ، فقل غير ما أنت فيه ، فقال :

الشِّعرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقى فيه الذى لا يَعلَمُهْ
زلّتْ به إلى الحضيضِ قدَمُهْ يُريد أن يُعْرِبه فيُعْجِمُهْ

قالوا : هذا مثل الذى كنت فيه ؛ فقال :

قد كنتُ أحياناً شديدَ المُعْتَمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخصْمِ ألَدّ
فوردَتْ نفسى وما كانتْ تَرِدْ[٣]

فقالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكنى أجزع على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلا . قالوا : فمن أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فمه وقال :

---

(١) انبض القوس : جذب وترها لتصوت .

(٢) فى الأغانى : « أن صاحبهم » هذا ، والمراد به حسان بن ثابت .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وما كادت ترد » وكذلك فى الديوان ص ١١١ .

هذا الُجحَير ، إذا طمع فى خَير . واستعبر باكيا . قالوا له : قل : لا إله إلا الله . قال :

قالت وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بِرَبِّى منكمُ وحُجْرُ[(١)]

فقالوا له : ما تقول فى عَبيدك وجَوَاريك[(٢)] ؟ فقال : هم عبيد قِنٌّ ما عاقب الليل النهار ، قالوا : فأوصِ للفقراء بشىء ، قال : أُوصيهم بالإلحاح فى المسألة ، فإنها تجارة لا تبور ، وأستُ المسئول أضيق . قالوا : فما تقول فى مالِك ؟ قال : للأنثى مِثْلَا حَظِّ الذَّكَر ، قالوا : ليس هكذا قضى الله عزّ وجل ، قال : لكنى أنا هكذا قضيت . قالوا : فما توصى لليتامى ؟ قال : كلُوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم . قالوا : فهل شىء تَعهده فينا غير هذا[(٣)] ؟ قال : نعم ، تحملونى على أتانٍ وتتركونى راكبَها حتى أموت ، فإن الكريم لا يموت على فراشه ، والأتانُ مَركبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قط . فحملوه على أتانٍ وجعلوا يذهبون به عليها ويجيئون حتى مات ، وهو يقول :

لا أحدٌ أَلْأَمُ من حُطَيَّهْ هَجَا بَنِيهِ وهَجَا الْمُرَيَّهْ
من لُؤْمِهِ مات على فُرَيَّهْ

الفُرَيَّة : الأتانُ[(٤)] .

قال حمادٌ الراوية : دخل رجل على الُحطيئة وهو مضطجع على فراشه ، وإلى جانبه جارية سوداء ، قد خرجت رِجلاها من تحت الكساء ، فقال له : ويحك، أفى رِجلك خُفٌّ ؟ قال : لا والله ولكنها رِجْلُ سوداءَ ، أتدرى من هى ؟ قال : لا ، قال : هى التى أقول فيها :

---

(١) حيدة : صدود ونفور . وحجر : دفع ومنع.
(٢) فى الأغانى : وإمائك. هذا ، وفى المختار : وجوارك .
(٣) فى الأغانى : فهل شىء تعهد فيه غير هذا .
(٤) الفرية تصغير الفرا : وهو حمار الوحش .

وآثرتُ إدلاجى على لَيْلِ حُرَّةٍ هَضِيمِ الحشا حُسَّانةِ المُتجرَّدِ[١]
تُفَرِّق بالمِدْرَى أَثِيثًا نَباتُه على واضِحِ الذِّفْرَى أَسيلِ المُقَلَّدِ[٢]

والله لو رأيتَها يا ابن أخى ماشربتَ الماء من يدها . قال: فجعلت تسبُّه أقبح سبٍّ وهى تضحك[٣] .

لما أُنشد عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قولَ الحطيئة :

متى تأتِه تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِه تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

قال : كذب ، بل تلك نار موسى نبى الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم .

قال رجل من كعب : جئت سوق الظهر ، وإذا بكُثَيِّرٍ والناسُ مجتمعون عليه[٤]، فخلصت إليه حتى[٥] دنوت منه فقلت : أبا صخر ، فقال : ما تشاء ؟ قلت : مَن أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

وآثرتُ إدلاجى على لَيْلِ حُرَّةٍ هَضِيمِ الحشا حُسَّانةِ المُتَجَرَّدِ

قال : فقلت : هذا الحطيئة ، قال : هو ذاك .

---

(١) الحسانة : الشديدة الحسن .

(٢) المدرى : شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لم يكن له مشط . والأثيث : الكثيف الكثير . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . والأسيل: الطويل . والمقلد : العنق

(٣) فى الأغانى : وهو يضحك .

(٤) فى الأغانى : «متقصفون عليه» أى مزدحمون .

(٥) فى الأغانى : فتخلصت حتى .

جرير[1]

هو جَرير بن عَطِيّة بن الخَطَفى ، والخَطَفى لقب ، واسمه حُذَيفة بن بدر[2] بن سَلَمة بن عَوْف بن كُلَيب بن يَربوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيد مناةَ بن تميم ابن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر ، كُنيته أبو حَزْرَة . ولُقِّب الخَطَفى[3] بقوله :

يَرْفَعْن باللَّيْلِ إذا ما أَسْدَفَا   أَعناقَ جِنَّانٍ وهــاماً رُجَّفَا[4]

وعَنَقاً بعد الكَلالِ خَيْطَفَا[5]

هو والفرزدق والأخطل مُقدَّمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية ، ومختلف فى أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلّا تعرَّض لهم فافتضح وسَقط وبَقُوا يتصاولون . ودخل الأخطلُ بين جريرٍ والفرزدقِ فى آخر أمرهما وقد أسَنّ ونَفِد أكثرُ عُمره ، وهو وإن كان له فضله وتقدمه فليس بَجْرُه من بحار[6] هذين فى شىء .

---

(١) الأغانى : دار الكتب جـ ٨ ص٣ ودار الثقافة ٨/٣ وبولاق ٧/٣٨ والساسى ٧/٣٥ والتجريد ٩١٥ .

(٢) فى ا ، ت زيد .

(٣) أى لقب جده الخطفى بقوله .

(٤) فى الأغانى واللسان مادة خطف : رجفا . هذا، وفسر اللسان «الجنان» بأنها جنس من الحيات إذا مشت رفعت رءوسها .

(٥) خيطف : سريع. والعنق نوع من المشى والسير .

(٦) فى الأغانى : « فليس نجره من نجار هذين » هذا، ونسختا ا ، ك لم تنقطا والنقط فى ت والنجر: الأصل .

ووُلد جريرٌ لسبعة أشهر ، وبذلك كان الفرزدق يعيره فيقول :

* وأنت ابنُ صُغْرى لم تتمَّ شهورُها[١] *

وأمُّ جريرٍ أمُّ قيس بنتُ سعد[٢] بن عُمير بن مسعود بن حارثة بن كليب[٣] ابن يربوع ، وأمُّ عطيَّة : النَّوَارُ بنت يَزيد بن عبد العُزَّى بن مسعود بن حارثة بن عَوْف ابن كليب .

واتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وقيل : إن الراعيَ معهم فى طبقتهم ولـكنه آخرهم .

قال يونس : ما شهدت مَشْهداً قطُّ ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدها . وكان يونس فرَزدقِيًّا .

وكان أبو عمرو يُشبّه جريراً بالأعشى ، والفرزدق بزُهير ، والأخطل بالنابغة .

وكان جرير أكثرَهم لفنون الشعر وأسهلهم ألفاظا ، وأقلهم تـكلّفاً وأرقهم نسيبا وكان دَيِّنا عَفيفا ، وبهذه الفنون احتجَّ من يُقدِّمه .

قال محمد بن سلام : رأيت أعرابيا من بنى أُسيد من بنى سَلامة أعجبنى ظَرفُه وأدبُه[٤] ، فقلت له : أيُّما أشعر[٥] عندكم ؟ قال : بيوت الشّعر أربعة : فَخر ومَديح ونَسيب وهِجاء ، وفى كُلِّها غلب جرير . فالفخر قوله :

إذا غضبت عليـك بنو تميمٍ حسبتَ النـاسَ كلَّهمُ غِضَاباً

---

(١) لم أعثر على أوله لا فى ديوانه ولا فى النقائض .

(٢) كذا فى أصول الأغانى وأصول المختار . وفى النقائض ص٧ : « معيد » بالتصغير وأوله ميم

(٣) فى الأغانى : بن حارثة بن عوف بن كليب ويؤيده نسب أم عطية وهى النوار .

(٤) فى الأغانى : « ورأيت أعرابيا من بنى أسد أعجبنى ظرفه وروايته » وانظر طبقات ابن سلام ١٩ م فهو كالمختار .

(٥) فى الأغانى : أيهما .

والمديح قوله :

أَلستمْ خيرَ من ركبَ المَطايا وأنــدى العالمين بُطُونَ راحِ

والهجاء قوله :

فغُضَّ الطرفَ إنـك من نُمَيرٍ فــلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاباَ

والنسيب قوله :

إن العيون التى فى طرفها حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثم لم يُحيين قَتْلانا

وقيل : إن بيت النسيب هو قوله :

فلما التقى الحيَّانِ أُلقِيَتِ العَصَا وماتَ الهوى لما أُصيبتْ مَقاتلُهْ

قال الأصمعى : وكان جريرٌ يَنهشه ثلاثةٌ وأربعون شاعرا ، فنبذهم وراء ظهره ، يرمى بهم واحدا واحدا ، وثبت الفرزدق والأخطل .

وقال جرير : والله ما يهجونى الأخطل وحـده ، وإنه ليهجونى معه خمسون شاعرا ، كلُّهم عربىّ ليس بدون الأخطل ، وذلك أنه إذا أراد هجائى جمعهم على شراب فيقول هذا بيتا وهذا بيتا ، وينتحل هو القصيدة بعد أن يتمّموها .

وكان الفرزدق يقول : إنى وإياه لنغرف من بحر واحد ، ويضطرب دَلْوُه عند طول النهر .

مرّ راكبٌ بالرّاعى وهو يغنى بيتى جرير :

وعاوٍ عَوَى من غـير شىء رَميتهُ بقارعـــةٍ أَنفاذها تَقْطُرُ الدّما

خَروجٍ بأفـــواهِ الرُّواةِ كأنها قَرَا هُنْدُوانىٍّ إذا هُــزَّ صَمَّما(١)

فأتبعه الراعى رسولا يسأله : لمن البيتين ؟ فقال : هما لجرير ، فقال الراعى : لو اجتمع على هذا الإنسُ والجنُّ ما أغنوا فيه شيئا . ثم قال لمن حضره : ويحكم ، ألام على أن يغلبنى مثل هذا ؟

(١) القرا : الظهر . والهندوانى : نسبة للهند ويراد به السيف .

دخل بعض موالى بنى هشام على الفرزدق وهو على شراب ، فقال : حاجتَك يا ابن أخى ، فسأله عنه وعن جرير . فقال : أعن ابن الخطَفى تسألنى ؟ ثم تنفس حتى قلت : انشقت حَيازِيمُه[1] . ثم قال : قاتله الله فما أخشن ناحيتَه ، وأشرد قافيتَه ! والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ، ولكنهم هَزُّوه[2] فوجدوه عند الهِراش نابحا وعند الجِراء قارحا ، وقد قال بيتا لأن أكون قلتُه أحبُّ إلىَّ مما طلعت عليه الشمس :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ ... حسبتَ الناس كلَّهم غِضابا

قال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدِم جرير المدينة ، فبينا نحن ذات يوم عنده إذ قام لحاجة ، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ قلنا : قام آنفا ، ما تريد منه ؟ قال : أُخزيه ، واللهِ إن الفرزدق لأشعر[3] منه وأشرف [قلنا له : لا تُرِدْ ذلك . فلم ينشب أن جاء جرير فقال له الأحوص : السلام عليك ، قال : وعليك السلام . قال : يا ابن الخطَفى ، الفرزدق أشعرُ منك وأشرف][4] فأقبل جرير علينا فقال : من الرجل ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن الأقلح . قال : هذا الخبيث ابن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت :

يَقَرُّ بعينى ما يقرُّ بعينها ... وأحسن شىء مابه العينُ قَرَّتِ

فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر فيقر ذلك بعينك . وكان

(١) الحيازيم جمع الحيزوم : وهو الصدر أووسطه .

(٢) كذا فى أصول المختار وأصول الأغانى . وفى شرح شواهد التلخيص ص ٢٠٤ طبع بولاق «هروه» لكن يقال : أهره جعله ينبح ، ومنه : شر أهرذا ناب . وقوله : وجدوه عند الهراش نابحا يؤيد أهروه إذا كانت وحدها ، أما مع قوله : وعند الجراء قارحا فإنها تؤيد هزوه : أى حاولوا اختباره فوجدوه . . ووجدوه . .

(٣) فى ت : أخبره والله أن الفرزدق أشعر .

(٤) ما بين معقوفين ساقط من الأغانى .

الأحوص يرمى بالأبنة فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة ، وأقبلنا نسأل جريرا وهو فى مؤخَّر البيت وأشعب عند الباب . وأقبل أشعب يسأله ، فقال له جرير : والله إنك لأقبحهم وجها ، وما أراك[1] أطولهم حسبا ، وقد أَبْرَمْتَنى . قال : أنا والله أنفعهم لك فانتبه جرير له وقال : وكيف ؟ قال : لأنى أُملِّح شعرك . واندفع يغنيه ، وكان أشعب أحسن الناس صوتا :

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ ... قبلَ الفِراقِ وقبل عَذْلِ العُذَّلِ

لو كنت أعلم أن آخرَ عهدكمْ ... يوم الرَّحيلِ فعلتُ ما لم أفعلِ

قال : فأدناه حتى ألصق ركبته بركبته ، ثم قال : أجل والله إنك لأنفعهم لى وأحسنهم تزيينا لشعرى ، أعِدْ ، فأعاد . وجعل جرير يَبكى حتى اخضلَّت لحيتُه ، ثم وهب لأشعب دراهمَ كانت معه ، وكساه حُلَّة من حُلَل الملوك ، وكان يرسل إليه طولَ مُقامِه بالمدينة فيغنيه ، ويُعطيه جريرٌ شِعرَه فيغنى فيه .

كان راعى الإبل يقضى للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعى الإبل قد ضخم أمرُه ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال لهم : هل تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق علىَّ ، وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم ، قال جرير : وصوَّبت رأيى فيه . ثم خرج جرير ذات يوم يمشى ولم يركب دابّته وقال : والله ما يسرنى أن يعلم بى أحد ، وكان للفرزدق ولراعى الإبل ولجلسائهما حلقة بأعلى المِرْبد بالبَصْرة يجلسون فيها ، فخرجت أتعرض له لألقاه من حِيَال حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مُهْرٍ له أحوى محذوفِ الذَّنَب وإنسان يمشى معه ، فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشمالى على مَعْرَفة بغلته ،

---

(١) فى الأغانى : « ولكنى أراك » ولكن ما فى المختار أنسب .

ثم قلت : يا أبا جندل ، إن قولك يُسمع وإنك لتفضل الفرزدق عليَّ تفضيلا قبيحا ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمى عليك[١] ، ويكفيك من ذلك هَيّنٌ إذا ذُكرنا أن تقول: كلاهما شاعر كريم ، فلا تحمل منه لائمة ولا منى . قال : فبينما أنا وهو كذلك واقفا عليَّ وما رَدَّ شيئا حتى لحق ابنهُ جندل ، فرفع كَرْمَانِيَّةً[٢] معه وضرب بها عَجُز بغلته ثم قال : أراكَ[٣] واقفا على كلب من بنى كُلَيْب ، كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا ، وضرب البغلة ضربة ، فزحمتنى زحمة[٤] وقعتْ منها قَلَنْسوتى ، فوالله لو يُعرّج عليَّ الراعى لقلتُ: سَفِيهٌ غَوِىٌ ، يعنى جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاجَ عليَّ . وأخذت قلنسوتى فمسحتها ثم أعدتها على رأسى ثم قلت :

أجندلُ ما تقــول بنو نُمَيرٍ إذا ما الأيرِ فى است أبيك غابا

فسمعت الراعى يقول لابنه : أما والله لقد طرحتَ قلنسوته طرحةً مَشْئومة . قال جرير : ولا والله ما القلنسوةُ بأغيظِ أمره إليَّ لو كان عرّج عليَّ[٥]. فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى عِلِّيَّــة[٦] له قال : ارفعُوا لى باطيــةً من نبيذ وأَسْرِجوا لى ، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيــذ ، فجعل يُهَيْنِم[٧] ، فسمعتْ صوته عجوزٌ فى الدار فطلعت فى الدَّرَجة حتى نظرت إليه ، فإذا هو يحبو

---

(١) كلمة « عليك » ليست فى الأغانى .

(٢) الكرمانية لعلها سوط أو نسبة شاذة للكرم فيكون قطعة من فروع كرم يستعملها كالسوط .

(٣) فى الأغانى : لا أراكَ .

(٤) فى الأغانى : فرمحتنى رمحة وفى النقائض ٤٣١ كالمختار .

(٥) فى الأغانى : عاج علي .

(٦) فى الأغانى : بمنزله فى علية، هذا والعلية : الغرفة فتكون « بمنزله » أصوب .

(٧) يهينم : يصوت صوتا خفيا .

على فراشه عُريان ، لما هو فيه ، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون، رأيت منه كذا وكذا، فقالوا لها: اذهبى لِطِيَّتِك[١] ، نحن أعلم به وبما يمارس ، فما زال كذلك حتى السحر، ثم إذا هو يُكَبِّر قد قالها ثمانين بيتاً فى بنى نمير ، فلما ختمها بقوله[٢] :

فغضَّ الطرفَ إنك من نُمَير فلا كعباً بلغتَ ولا كِلاباَ

[فذاك حين][٣] كبر ، ثم قال : أخزيتُه وربِّ الكعبة . ثم أصبح حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمِرْبد وهو يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دَعَا بدُهْنٍ فادَّهَنَ وكَدَّ رأسَه[٤] وكان حسن الشَّعَر ، ثم قال: ياغلام أَسْرِجْ لى ، فأسرج له حِصانا ، ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان بموضِع السلام لم يُسَلِّم ، ثم قال : ياغلام قل لعُبيد: أبعثتك نِسوتُك تكسبهن المالَ بالعراق ؟ أما والذى نفس جرير بيده لترجعنَّ إليهن بِمَيْرٍ يسوءهن ولا يَسرّهن . ثم اندفع فيها فأنشدها وأولها :

أقلِّى اللَّوْمَ عاذِلَ والعِتابا وقُولى إن أصبتُ لقد أصابا

فنكّس الفرزدق وراعى الإبل رأسيهما وأَزَمَّ القوم[٥] حتى إذا فرغ منها سار، ووثَبَ راعى الإبل ساعتئذ وركب[٦] بغلته بِشَرٍّ وعُرّ ، وخلا المجلس حتى أوفَى إلى مَنزله[٧]، ثم قال لأصحابه : رِكابَكم، فليس لكم هاهنا مُقام. فضحكم واللهِ جريرٌ ، فقال له بعض القوم : ذلك شؤمك وشؤم ابنك . فما كان إلا تَرحُّلُهم . قال : فسِرْنا

---

(١) ذهب لطيته : مضى لوجهه الذى يريده ووطره .

(٢) البيت فى النقائض هو السابع والسبعون والقصيدة ١١٢ بيتا .

(٣) ما بين معقوفين ليس فى الأغانى .

(٤) كذا فى نسخ المختار وهى بعيدة المعنى بالنسبة للشعر . وفى الأغانى: وكف شعره. ومعناها جمعه وضم أطرافه .

(٥) أزم: من معانيها أمسك وغيرها محققو الأغانى إلى أرم : أى سكت.

(٦) فى الأغانى : وثبت راعى الإبل ساعة ثم ركب .

(٧) فى الأغانى : حتى ترقى إلى منزله . وفى أصول أخرى : حتى أتى إلى المنزل الذى ينزله .

إلى أهلنا سَيراً ما ساره أحد ، وهم بالشُّرَيف ، وهو أعلى دارِ بنى نُمير ، فيحلف بالله راعى الإبل إنا وجدنا فى أهلنا :

فغُضَّ الطرْفَ إنك من نُمَيرٍ فــلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

وأقسَمَ بالله ما بلغه قطُّ إنسىٌّ ، وإن لجريرٍ أشياعا من الجن فتشاءَمَتْ به بنو نمير وسبُّوه وابنَه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن .

وقيل : إنه لما شرع فيها لم يزل حتى بلغ قوله :

فغض الطرف إنك من نمير .

وهو يملى على مولًى لبنى كُلَيْب بن يربوع ، فجعل يردِّد هذا النِّصف وهو لا يزيد عليه ، حتى نام الذى كان يُمْلى عليه ، وإذا بجرير قد وثب حتى أصاب رأسُه السَّقْف ، فكبَّر ثم صاح : أخزيتُه والله ، اكتب :

فلا كعبا بلغت ولا كلابا .

غَضَضْتُه وقدَّمْتُ إخوته عليه ، والله لا يُفلح بعدها . فكان والله كما قال ، ما أفلح هو ولا نميرىٌّ بعدها .

قال أبو عبيدة : الْتقَى جريرٌ والفرزدق بِمنًى وهما حاجَّانِ ، فقال الفرزدق لجرير :

فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنَى فَخَارًا فخبِّرنى بمن أنت فاخرُ

فقال جرير : لبَّيْك اللهمَّ لبيك . فكان الناس يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون به .

قال عِكرمة بن جرير : قلت لأبى : ياأَبَت ، من أشعر الناس ؟ قال : فى الجاهلية تريد أم فى الإسلام ؟ قلت : أخبرنى عن الجاهلية ، قال : شاعر الجاهلية زُهير . قلت : فالإسلام ؟ قال : نبعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صِفة الملوك ويُصيب نَعْتَ الخمر ، قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دعنى فإنى نحرت الشعر نحراً .

ولما وقف الفرزدق على جرير وهو ينشد قصيدته التى هجا بها الراعى ، فلما وصل إلى قوله :

فغضَّ الطرفَ إنك من نُمَــير   فــلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا

أقبل الفرزدق على راويته فقال : غَضَّه واللهِ فلا يجيبه ولا يفلح بعدها أبدا ، فلما بلغ إلى قوله :

لها بَرَصٌ بإحدى إسْكتيها[١] .

وضع الفرزدقُ يدَه على فِيه فغطَّى عَنْفَقَته . فقال جرير :

كَعنْفقة الفرزدقِ حين شابا فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم أخْزِه ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكنى طمعت فى ألا يأبه له ، فغطَّيت وجهى ، فما أغنانى ذلك شيئا .

قال يونس: ما أرى جريرا قال هذا المِصراع إلا حين غطَّى الفرزدقُ عَنفقتَه ، فإنه نبَّهه عليها بتغطيتها .

وقيل : إن الراعى كَمِد لمّا سَمعها فمات كَمَدا . وبنو نمير يزعمون أن الراعى حلف لا يجيب جريرا عنها سنة غضبا على ابنه ، فمات قبل أن تمضى سنة[٢] .

صنع عبدالملك للناس طعاما فأكثر وأطاب ، فأكل الناس ، فقال بعضهم: ما نرى أن أحدا رأى أكثر من هذا الطعام ولا أكل أطيب منه . فقال أعرابى من ناحية القوم : أما أكثرُ فلا ، وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه ، وطفقوا يضحكون

---

(١) الإسكتان : جانبا الفرج. وفى الأغانى : بها برص.. وفى النقائض ٤٤٠ « ترى برصا بمجمع إسكتيها » قال: ويروى : « لها برص » .

(٢) قوله « وقيل إن الراعى كمد . . . إلى قوله قبل أن تمضى سنة » هذان النصان لم يردا فى ترجمة جرير وإنما جاءا فى ترجمة الراعى ج ٢٠ ص ١٧١ بولاق والمجلد ٢٣ دار الثقافة على أن النصوص السابقة فى الراعى وجرير وردت كلها فى ج ٢٠ والمجلد ٢٣ .

من قوله فأشار إليه عبد الملك فَأَدْنِىَ منه ، فقال :ما أنت بمُحِقٍ فيما تقول إلا أن تخبرنى بما يتبيّن به صدقك . قال : نعم ياأمير المؤمنين بينا أنا فى هَجَر فى بَرْثٍ[١] أحمر فى أقصى حَجْر إذ تُوفِّى أبى وترك كَلًّا[٢] وعيالا ، وكانت له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تَمْرَها أخفافُ الرِّباع[٣] ولم يُرَ تمرٌ قطُّ مثلها لا أغلظ لِحًا[٤] ولا أصغر نَوًى ولاأحلى حلاوةً منها ، وكانت تَطْرُقُها أتانٌ وَحشية قد ألفتها، تأتى إليها بالليل تأوِى تحتها ، فكانت تُثْبت رِجليها فى أصلها ، وترفع يديها، وتقطع بفِيها ، فلا تترك فيها إلا النَّبْذَ[٥] والمتفرق فأعظمنى ذلك ووقع منى كلَّ موقِع ، فانطلقت بقوسى وأسهمى وأنا أظن أنى أرجع من ساعتى ، فمكثت يوما وليلة لا أراها ، فلما كان السَّحَر أقبلتْ فتهيأْتُ لها فرشقتُها فأصبتها وأجهزتُ عليها ، ثم عمَدْت إلى سُرَّتها فافتريتها[٦] وعمدت إلى حطب جَزْل فجمعته إلى رَضْف[٧] وعمدت إلى زَنْدى فقدحتُ وأضرمت النار فى ذلك الحطب ، وألقيت سُرَّتها فيها ، وأدركنى نومُ الشَّباب فلم يُوقظنى إلا حرُّ الشمس فى ظهرى ، فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قَذًى وسواد ورماد ، ثم قلبتُ مثل الملاءةِ البيضاء ، فألقيت عليها من رُطَب تلك النخلة المجزِّعة والمنصِّفة[٨] فسمعت لها أَطِيطا[٩] كتداعِى عامرٍ وغَطَفان.

---

(١) البرث: الأرض اللينة السهلة .
(٢) الكل : العيال والثقل .
(٣) الرباع: جمع الربع وهوالفصيل ينتج فى الربيع .
(٤) اللحا القشر ويراد به ثمرتها الخارجة أو لعلها «لحما» . ولم ترد الكلمة فى الأغانى .
(٥) النبذ : القليل .
(٦) افتريتها: من فرى الشيء: شقه. وفى الأغانى فاقتددتها.
(٧) الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .
(٨) المجزعة: التى بلغ الإرطاب نصفها أو ثلثيها والمنصفة: التى أرطب نصفها .
(٩) الأطيط : الصوت .

ثم أقبلت تناول الشحمة واللحمة فأضعهما بين تمرتين وأهْوِى بها إلى فمى ، فأحلف أنى ما أكلت طعاما مثله قط . فقال عبد الملك : لقد أكلت طيّبا ، فمن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتنى عَنعنةُ تميم وأسد وكشكشة ربَيعة وحُوشِيُّ أهل اليمن وإن كنت منهم. قال : فمن أيّهم ؟ قال: من أخوالك ياأمير المؤمنين[1] من عُذرة ، قال : أولئك فصحاء الناس ، فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سَلْنى عما بدا لك . قال : أى بيت قالته العرب أمدح؟ قال: قول جرير:

ألستمْ خيرَ من رَكب المطايا — وأنـدى العالمين بُطُونَ راحِ

قال : وجرير فى القوم ، فرفع رأسه وتطاول لها ، قال : فأى بيت قالته العرب أفخر ؟ قال : قول جرير :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ — حسبتَ الناسَ كلَّهم غضابا

قال: فتحرك جرير . ثم قال : أى بيت قالته العرب أهجى ؟ قال قول جرير :

فغضَّ الطرف إنك من نُميرٍ — فلا كعبـا بلغتَ ولا كلابا

قال : فاستشرف لها جرير . قال : فأى بيت قالته العرب أغزل ؟ قال : قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حَوَرٌ — قتلْنَنا ثم لم يُحيين قتـلانا

قال : فاهتز جريرٌ وطرب . قال : فأى بيت قالته العرب أحسن تشبيها ؟ قال : قول جرير :

سَرَى نحوهم ليلٌ كأن نُجومه — قناديلُ فيهن الذُّبَال المُفَتَّلُ[2]

فقال جرير : جائزتى للعُذرِىّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلها

---

(١) جملة « ياأمير المؤمنين » ليست فى الأغانى .

(٢) الذبال : الفتائل التى توضع فى القنديل .

من بيت المال ولك جائزتك لا تنقص شيئا . وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحُملان والكُسوة . فخرج العذرىّ ومعه ثمانية آلاف درهم ورِزْمة ثياب .

قال عامر بن شبل : قدِم جريرٌ على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير المُرّان(١) فكنا نغدو عليه كلّ يوم فيخرج(٢) إلينا وَيجلس فى بُرْنُس خزٍّ له لا يكلّمنا كلمة حتى يجىء طبّاخ عبد العزيز(٣) إليه بقدح من طِلَاء مُسخّن يفور ، وبكُتلة من سَمْنٍ كأنها هامةُ رجل ، فيخوضها فيه ، ثم يدفعه إليه فيأتى عليه ، ويُقبل علينا فيحدّثنا فى كل فنّ ، وينشدنا لنفسه ولغيره حتى يحضر غَدَاء عبد العزيز فنقوم إليه جميعا ، وكان يختم مَجلسه بالتسبيح فيُطيل ، فقلنا له : ما يغنى عنك هذا التسبيح مع قَذْفك المُحصَنات ، فتبسّم ثم قال : « خَلَطُوا عَمَلًا صالحا وآخرَ سَيِّئا عَسَى اللهُ أن يَتوبَ عليهم »(٤) والله يَبْدَءُنى ثم لا أَحلُم .

قال الفرزدق : أَبَقَ غلامانِ لرجلٍ منا يقال له الخَضِر ، فحدّثنى قال : خرجت فى طلبهما وأنا على ناقة لى كَوْماء عَيْسَاء(٥) أريد اليمامة فلما صِرتُ فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصَّرْصَرانُ ارتفعت سحابةٌ فرعَدت وأبرقت وأرخت عَزَاليها(٦) ، فعدَلْت

---

(١) فى الأغانى: دير مران « بدون ألف ولام » وكذلك هو فى معجم البلدان .

(٢) فى الأغانى : نغدو إليه بكرا فنخرج .

(٣) فى ا « طباخ عبد الملك » وهو تحريف وسهو فيها .

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٢ .

(٥) الكوماء: العظيمة السنام. والعيساء: التى يضرب لونها إلى الأدمة. وفى المختار «عنساء» ولا يوجد إلا العنسى وهى القوية .

(٦) يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر « قد حلت عزاليها وأرسلت عزاليها » ومنه يقال : أرخت عزاليها. هذا، والعزالى جمع العزلاء : وهو فم المزادة الأسفل. فشبه اتساع المطر واندفاقه بالذى يخرج من فم المزادة .

إلى بعض ديارهم ، وسألت القِرَى فأجابوا ، فدخلت داراً لهم فأنخت الناقة وجلستُ تحت ظُلَّة لهم من جَرِيد النخل ، وفى الدار جُوَيرية سوداء ، إذ دخلت جارية كأنها سَبِيكة فِضّة ، وكأن عينيها كَوكبانِ دُرِّيَّان ، فسألَتِ الجارية : لمن هذه العَنْساء(١)؟ ـ تعنى ناقتى ـ فقالت : لضيفكم هذا ، فعدلَتْ إلىَّ فقالت : السلام عليك . فرددت عليها السلام ، فقالت لى : ممن الرجل ؟ فقلت : من بنى حنظلة . قالت : من أيهم ؟ فقلت : من بنى نَهشل ، فتبسمت وقالت : أنت إذاً ممن عَناه الفرزدق بقوله :

إن الذى سَمَكَ السماءَ بنَى لنا ... بَيْتاً دعائمُه أعـزُّ وأطولُ
بيتاً بناه لنا المَليك وما بَنَى ... مَلِكُ السماءِ فإنـه لا يُنْقَلُ
بيتاً زُرارةُ مُحْتَبٍ بفنائـه ... ومجاشعٌ وأبو الفوارس نَهْشَلُ

قال : فقلت : نعم ، جعلنى الله فداكِ . وأعجبنى ماسمعت منها ، فضحكت وقالت : فإن ابن الخطَفَى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى تفخرتم به حيث يقول :

أخزَى الذى رفـع السماءَ مجاشعاً ... وبَنَى بناءَكَ بالحضيض الأسفلِ
بيتا يُحَمِّمُ قَينُكُم بفنائـه ... دَنِسٌ مقاعدُه خبيثُ المدخـل(٢)

قال : فوجَمت ، فلما رأت ذلك فى وجهى قالت : لا عليك ، فإن الناس يُقال فيهم ويَقولون ، ثم قالت : أينَ تَؤُمُّ ؟ قلت : اليمامةَ ، فتنفّست الصُّعَداء ثم قالت : ها هى تلك أمامك ، وأنشأت تقول :

تُذَكِّرنى بـلاداً خيرُ أهلى ... بها أهـلُ المودَّة والـكَرَامَهْ(٣)
ألَا فَسَقَى الإلهُ أجشَّ صَوْتٍ(٤) ... يَسُحُّ بِدَرِّه بـلدَ اليمامـهْ

---

(١) فى المختار : العنساء .

(٢) كذا فى المختار . وفى الديوان ص ٤٤٤ والنقائض ص ٢١٤ : دنسا .

(٣) فى الأغانى : أهل المروءة .

(٤) الأجش : الصوت الذى فيه شدة وغلظة ويقال : رعد أجش : شديد الصوت . وفى الأغانى : أجش صوباً . والصوب : نزول المطر .

وحيًّا بالســـلام أبا نُجَــيْدٍ   فأهــلٌ للتحيّة والســـلامهْ

قال : فأنست بها ثم قلت : أذاتُ خِدْرٍ(١) أم ذاتُ بعل ؟ فأنشأت تقول :

إذا رَقَدَ النِّيَامُ فإن عَمْرًا   تُؤَرِّقه الهمومُ إلى الصَّباحِ

تُقَطِّع قلبَه الذِّكرى وقلبي   فلا هو بالخليِّ ولا بصــاحِ

سقى اللهُ اليمــامةَ دارَ قومٍ   بها عَمْرٌو ونحنُ إلى الرَّوَاح(٢)

فقلت لها : مَن عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول :

سألتَ ولو علمتَ كَفَفْتَ عنه   ومن لك بالجواب سوى الخبيرِ

فإن تك ذا قَبولٍ إن عَمْرًا   لـكالقمرِ المضيء المستنيرِ(٣)

وما لى بالتَّبَعُّلِ مُســـتراحٌ   ولو ردَّ التَّبَعُّل لى أسيرى

ثم سكتت سكتة كأنها تتسمع إلى كلامٍ ، ثم تهافتت وأنشأت تقول :

يُخَيَّل لى هَيَا عمرُو بنُ كعبٍ   كأنك قد حُملت على سريرِ

يَسير بك الهُوَيْنا القومُ لمَّا   رماكَ الحبُّ بالعَلَقَ العَسيرِ(٤)

فإن تكُ هكذا يا عمرُو إنى   مُبَـكِّرة عليك إلى القبـــورِ

قال : ثم شهقت شهقة فخرَّت ميتة ، فقلت لهم : مَن هذه ؟ قالوا : هذه عَقِيلة بنت الضحّاك بن عمرو بن مُحَرِّق بن النُّعمان بن المنــذر بن ماء السماء . فقلت لهم : فمن عمرو هذا ؟ قالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن مُحَرِّق بن النُّعمان . فارتحلت ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هــذا فإذا هو قد دُفِن فى الوقت الذى قالت فيه ما قالت .

---

(١) فى الأغانى : « أذات خدن » وما هنا أصح لأنه لا يسألها هل لها علاقة بأحد خفية وإنما يسألها : أهى غير متزوجه أو متزوجة؟ فذات الخدر كأنها لم تخرج من خدرها إلى زوج.

(٢) فى الأغانى : نحن إلا الرواح .

(٣) فى الأغانى : « هو القمر المضىء المستنير » ففيه إقواء .

(٤) العلق : الهوى والحب يكون للرجل فى المرأة .

غدا عبدُ الله بن مسلم بن جندب الهذلى[١] على أبى السائب المخزومى فى منزله ، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير :

إن الذين غَدَوْا بلُبِّك غادَرُوا وشَلًا بعَيْنك لا يزال مَعِينا[٢]

غيَّضْنَ من عبراتهنّ وقلنَ لى[٣] ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فحلف أبو السائب لا يردُّ على أحد سلاما ولا يكلمه إلا بهذين البيتين حتى يرجع إلى منزله ، فخرجا فلقيهما عبد العزيز بن المطَّلب وهو قاضٍ وكانا يُدْعَيان القَرِينَيْنِ لملازمتهما ، فلما رآهما قال : كيف أصبح القَرِينان ؟ فأنشده أبو السائب البيتين ولم يردّ سلاما ، وجعل يَغمِز ابنَ جُندب على أن يخبره بالقصّة وابنُ جندب يتغافل ، فقال عبد العزيز لابن جنـــدب : ما لأبى السائب ؟ فجعل أبو السائب يتعتعه أى أخبِرْه[٤] بيمينى . فقال ابن جندب : أحمد الله إليك ، ما زلتُ مُنـكرا لعقله منذ اليوم . فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخُصوم ينتظرونه ، فصرفهم[٥] ودخل مُغتمًّا ، فلما أتى أبو السائب منزله وبرّت يَمينهُ[٦] خرج إلى ابن جندب فقال : اذهب بنا إلى ابن المطلب فإنى أخاف أن يَرُدّ شهادتى ، فاستأذنا عليــه فأذن لهما ، فقال له أبو السائب : قد علمت أعَزّكَ الله شِدَّة غرامى بالشعر ، وإن هذا الضالَّ جاءنى حيث خرجتُ فأنشدنى بيتين ، فحلفت ألا أردَّ على أحد سلاما ولا أكلمه إلا بهما . فقال ابن المطلب : اللهم غَفْراً ، لا تترك المجون يا أبا السائب .

---

(١) هذا النص لم يجى فى ترجمة جرير وإنما جاء فى ترجمة أحمد بن المكى فى ج ١٥ ص ٦٨ بولاق وفى المجلة دار الثقافة .

(٢) الوشل : الماء القليل . والمعين : الماء الجارى .

(٣) غيضن : كففنها ومسحنها حتى تغيض .

(٤) التعتعة : الحركة العنيفة . وفى الأغانى : يغمز ابن جندب أن يخبره .

(٥) فى ا ، ك : « فعرفهم » وهو تحريف .

(٦) فى المختار : وبرئت يمينه .

شهد رجلٌ[١] عند قاضٍ بشهادة ، فقيل له : مَن يعرفك ؟ قال : ابن عَتِيق ، فبعث إليه يسأله عنه ، فقال له : عَدْلٌ رِضًا ، فقيل له : أ كنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا ، ولكنى سمعته ينشد :

غيَّضْنَ من عبراتهنَّ وقُلْنَ لى   ماذا لقيتَ من الهوى ولَقِينا

فعلمت أن هذا لا يَرْشَح إلا من قلب مُؤمن فشهدت له بالعدالة .

قال عبد المطلب بن عبد العزيز[٢] : أنشدت أبا السائب قول جرير :

غيَّضْن من عبراتهنَّ وقلْنَ لى   ماذا لَقيت من الهوى ولَقِينا

فقال : يا ابن أخى ، أتدرى ما التغييض ؟ قلت : لا ، قال : هكذا . وأشار بإصبعيه إلى جَفنَيه كأنه يأخذ الدمع ثم يَنضحه .

لما ولى[٣] عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء[٤] فجعلوا لا يصلون إليه ، فجاء عَون ابن عبدالله بن عُتبة بن مسعود وعليه عمامته قد أرخى طرفها فدخل ، فصاح به جرير:

يا أيها القارِئُ المُرْخِى عِمامتَه   هذا زمانُك إنى قد مَضى زَمَنِى
أبلِغْ خليفتَنا إن كنتَ لَاقِيَه   أنى لدى الباب كالَمصْفُود فى قَرَنِ[٥]

فدخل على عمر فاستأذن له فأدخله عليه ، وقد كان هيّأ له شعرا ، فلما دخل إليه غيَّره فقال :

إنا لنرجو إذا ما الغَيْثُ أَخلفنا   من الخليفـةِ ما نرجو من المَطَرِ
نال الخلافةَ إذْ كانت له قَدَرا   كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

---

(١) هذا النص أيضا لم يأت فى ترجمة جرير بل جاء بعد الخبر السابق له فى الموضع المشار إليه.
(٢) وهذا النص أيضا أتى بين سابقيه فى الموضع المشار إليه .
(٣) فى الأغانى : لما استخلف .
(٤) فى نسخ المختار : « جاءه الأنصار » والتصويب من الأغانى .
(٥) الصفود : الموثق . والقرن: الحبل .

أأذكرُ الجهدَ والبلوى التى نزلتْ ... أم تكتفى بالذى بُلِّغْتَ من خَبَرِ
ما زِلْتُ بعدك فى دارٍ تعرَّقُنى (١) ... قد طال بَعدك إصعادى ومنحدرى
لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنَا ... ولا يَجود لنا بادٍ على حَضَرِ
كم بالمواسم من شَعثاءَ أرمَلة ... ومِن يتيم ضعيفِ الصوْتِ والبَصَرِ
يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به ... خَبْلًا من الجنّ أو مَسًّا من البَشَرِ
ممّن يَعُدُّك تَكْفِى فَقْدَ والدِه ... كالفرْخِ فى العُشّ لم ينهض ولم يَطِرِ

قال: فبكى عمر ثم قال : يا ابن الخطفى ، أمِنْ أبناء المهاجرين فنعرِفَ لهم حقهم أم من أبناء الأنصار فيجبَ لك ما يجبُ لهم ؟ أم من فقراء المسلمين فنأمُر صاحبَ الصدقات من صدقات قومك فيَصلَك بمثل ما يصلُ به قومك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أنا بواحد من هؤلاء ، وإنى لمن أكثر قومى مالًا وأحسنِهم حالا، ولكنى أسألك ما عوَّدنيه الخلفاء: أربعةَ آلاف درهم وما يتبعها من كُسوة وحُملان . فقال له عمر : كل امرئٍ يَلْقى فِعْله ، فأما أنا فلا أرى لك فى مال الله تعالى من حَقّ ولكن انتظرْ يَخرُجُ عطائى فأنظرُ ما يَكفى عِيالى منه سنة فأدّخره لهم ، ثم إنْ فَضَل فَضْلٌ صرفناه إليك . فقال جرير : لا ، بل يُوفَّر يا أمير المؤمنين وتُحْمد . وأخرج راضيا . قال : فذاك أحبُّ إلىَّ نخرج ، فلما ولّى قال عُمر : إن شر هذا ليُتَّقَى ، رُدُّوه إلىّ . فردُّوه فقال له: إن عندى أربعين دينارا وخِلْعَتَين إذا غُسلت إحداها لبستُ الأخرى ، وأنا أقاسمك ذلك ، على أن الله عزّ وجلّ يعلم أن آلَ عمر أحوجُ إلى ذلك منك ، فقال له : قد وفَّرك الله يا أمير المؤمنين ، وأنا والله راضٍ . قال: أمَّا (٢) إذْ حلفتَ فإنَّ ما وفَّرته

---

(١) التعرق: نهش اللحم بالأسنان. ويريد هنا أنها لاتترك له شيئاً.
(٢) فى الأغانى : أما وقد حلفت .

عليَّ ولم تُضَيِّق به معيشَتنا آثر عندى من المدح(١) فامضِ مُصاحَباً . فخرج ، فقال له أصحابه وفيهم الفرزدق : ما فعل بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرة ؟ قال : خرجت من عند رجل يُقرِّب الفقراء ويباعد الشعراء ، وأنا مع ذلك عنه راضٍ . ثم وضع رجله فى غَرْز راحلته ، ثم أتى قومه فقالوا : ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حرْزة ؟ فقال :

تركتُ لكم بالشام حَبْل جماعةٍ ... أَمِينَ القُوَى مُستحْصِدَ العَقْدِ باقياَ(٢)

وجدْتُ رُقَى الشيطان لا تَستفزُّه ... وقد كان شيطانى من الجنِّ راقيا

وقيل : إنه لما دخل على عمر قال له : يا أمير المؤمنين ، أنا ابن سبيل ، قال : لك ما لأبناء السبيل زادُك ونفقةٌ تُبلِّغك وتُبدَّل راحلتُك إن لم تَحْمِلك . فألَحَّ عليه ، فقال له بنو أمية : يا أبا حَزْرَة ، مَهْلًا عن أمير المؤمنين ونحن نُرضيك من أموالنا عنه ، فخرجَ وجمعتْ له بنو أميةَ مالاً عظيما ، فما خرج من عند خليفةٍ بأكثر مما خرج به من عند عمر . رحمه الله تعالى(٣) .

---

(١) فى الأغانى : آثر فى نفسى من المدح .

(٢) المستحصد : المستحكم .

(٣) جملة رحمه الله تعالى . ليست فى الأغانى ولا فى ا ولا فى ك وإنما هى زيادة فى « ت » .

وأما يوم الجَوْنَيْن[1]

هذا اليوم الذى ذكره جرير فى قصيدة من مناقضات الفرزدق فقال :

ألم تَشْهَدْ الجَوْنَينِ والشِّعْبَ ذَا الغضَا[2]
وكرَّاتِ قيسٍ يوم دَيْرِ الجماجِمِ

هو يوم الرَّغام وهو اليوم الذى أغار فيه عُتيبة بن الحارث بن شهاب فى بنى ثعلبة على بنى كلاب ، فأطرد إبلهم ، وكان أنس بن العباس الأصمُّ أخو بنى رِعْل من بنى سُلَيم مجاورا فى بنى كِلاب ، وكان بين بنى ثعلبة بن يربوع وبين بنى رِعْل عهدٌ ألا يُسْفك دمٌ ولا يُؤْكل مال. فلما سمع الكلابيون الدَّعْوَى : يال ثَعلبة يال عُبيد يالَ جعفر ، عرفوهم فقالوا لأنس بن العباس: قد عرفنا ما بين بنى رعل وبنى ثعلبة ابن يربوع، فأدركْهم واحبِسهم علينا حتى نلحق. فخرج أنس فى آثارهم حتى أدركهم، فلما دنا منهم قال عتيبة لأخيه حنظلة : أَغْنِ عنَّا هذا الفارس . فاستقبله حنظلة فقال له أنس : إنما أنا أخوكم وعَقيدكم[3] وكنت فى هؤلاء القوم فأغرتم على إبلى فيما أغرتم عليه، وهى معكم، فرجع حنظلة فأخبر أخاه عتيبة الخبر ، فقال له : حيَّاك الله . هلمَّ فوَالِ إبلك ، أى اعزِلْها . قال : والله ما أعرفهـا ، وبنو أخى وأهل بيتى معى ، وقد أمرتهم بالركوب فى أثرى وهم أعرفُ بها منى ، فطلع فوارس بنى كلاب، فاستقبلهم حنظلة بن الحارث فى فوارس ، فقال لهم أنس : إنما هم بَنِيّ وبنو أخى ،

---

(1) الأغانى : دار الكتب ١٥/٣٤٥ ودار الثقافة ١٥/٢٧٧ وبولاق ١٤/٨٦ والساسى ١٤ / ٨٣ وجاء به ابن منظور ضمن ترجمة جرير ثم عاد إلى جرير مرة أخرى .

(2) فى الأغانى : ذا الصفا . وفى ت: والغضا .

(3) عقيدكم : معاهدكم .

وإنما يُرِيد تَرَبُّثهم[1] لتلاحق خيل بنى كلاب ، فلحقوا، فحمل الحوثرة بن قيس بن جَزْء ابن خالد بن جعفر على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سَلَمة أخو بنى ضَبَارِىَ[2] بن عبد[3] ابن ثعلبة على الحوثرة هو وابنُ امرأته[4] أخو بنى عاصم بن عبد[3] [فأسراه ودفعاه إلى عتيبة][5] فقتله صبرا وهزِم الـكلابيون ، ومضى بنو ثعلبة بالإبل وفيها إبلُ أنس ، فلم تَقِرَّ أنساً[6] نفسُه حتى تبعهم رجاء أن يصيب منهم غِرَّة وهم يسيرون فى شَجْراء[7] فتخلَّف عُيَينـة لقضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فلم يَشعر إلا بأنس قد مرَّ فى آثارهم ، فتغفله حتى وثب عليه وأسره ، وأتى به عيينةُ أصحابَه ، فقال له بنو عُبَيد : قد عرفتَ أن لَأْمَ بنَ سلمة وابن امرأته قد أسرا الحوثرة ، فدفعاه إليك فضربت عنقه ، فأعقِبْهما من أنس بن عبّاس ، فمن قتلتَه خيرٌ من أنس . فأبى عيينة أن يقتله حتى افتدى نفسه بمائتى بعير ، فقال العباس بن مرداس يعيِّر عتيبة ابن الحارث بفعله :

كثر الضَّجاج وما سمعتُ بغادرٍ كعتيبة بن الحـارث بن شِهابِ
جَلَّلْتَ حَنظلةَ المحَارةَ والخَنَا[8] ودنِسْتَ آخرَ هـــذه الأعقابِ

---

(١) تربثهم: تباطؤهم وتمـكثهم . وفى الأغانى: وإنما يربثهم .
(٢) هكذا الضبط فى الأغانى دار الثقافة ١٥ / ٢٧٧ والاشتقاق ٣٥٢ وضبط فى دار الـكتب ١٥ / ٣٤٦ خطأ .
(٣) فى الأغانى : عبيد .
(٤) فى طبقة الدار والنقائض ٤١١ : وابن مزنة .
(٥) زيادة من الأغانى .
(٦) فى المختار : أنس .
(٧) الشجراء : الأرض الملتفة الشجر .
(٨) المحارة : النقصان . وفى الأغانى : المخانة « وهى الخيانة » .

وأجرتم أنسا فما حاولتمُ   أنسا وجاركم بنى المِيقابِ[1]
بأُستِ التى ولدَتْكَ واستِ معاشرٍ   تركوكَ تمر معهم من الأحقاب

فقال عتيبة يُجيبه :

غَدرتم غدرةً وغدرتُ أُخرى   فليس إلى تَوافِينا سبيلُ
كأنكمُ غداةَ بنى كِلابٍ   تفاقدتمْ علىَّ لكم دَليلُ

قوله : تفاقدتم ، دعاء عليهم بفقد بعضهم بعضا .

قال[2] أبو عبيدة : رأت أمُّ جرير وهى حَاملٌ به كأنها ولدت حبلا من شَعر أسود ، فلما سقط منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرة ، فانتبهت فزعة فأَوَّلت الرؤيا ، فقيل لها : تلدين غلاما شاعرا ذا شَرٍّ وشدّة وشَكيمة وبلاء على الناس ، فلما ولدته سمّته جريرا ، باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها ، والجرير : الحبل .

وقال رجل لجرير : من أشعر الناس ؟ فقال له : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيّة وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وهو يَمَصّ ضَرْعها ، فصاح به : اخرجْ يا أبَتِ ، فخرج شيخ دميم رثُّ الهيئة ، وقد سال لبنُ العنز على لِحيته وقال : أترى هذا ؟ فقال : نعم ، فقال : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا أبى ، أفتدرى لم كان يشرب من ضَرْع العنز ؟ قال : لا . قال : مخافة أن يُسمع صَوتُ الحلْب فيُطْلَب منه لبن . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هـذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم وغلبهم جميعا .

---

(١) الميقاب : التى تلد الحمق . وفى نسخ من الأغانى « وأسرتم أنسا » وما أثبت كنسخة من الأغانى وكالنقائض . وفى الأغانى : فما حاولتم بإسار جاركم .

(٢) من هنا عاد إلى ترجمة جرير التى جاءت فى الجزء الثامن من الأغانى .

وكان لجرير أخوان : أبو الورد وعمرو .

قال رجل من بنى دارم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فراس ، هل تعلم اليوم أحدا يرمى معك ؟ فقال : لا والله ما أعرف نابحا إلا وقد استكن[1] ، ولا ناهشا إلا انْجَحَر إلا القائل :

فإن لم أجد فى البعد والقرب حاجتى تَشَأَّمْتُ أم حَوَّلْتُ وجهى يَمانِيا
فرُدِّى جِمالَ الحىِّ ثم تحمَّلى فما لَكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا
لقد قادنى الجيرانُ يوماً وقُدْتُهم وفارقتُ حتى ماتَحِنُّ جِماليا[2]
وإنى لمغرور أُعَلَّلُ بالمُنى ليالىَ أرجو أنَّ مالَك ماليا
وقائلةٍ والدَّمع يَحْدِر كُحْلَها أبَعدَ جَريرٍ تُكرِمون المَواليا
بأىِّ سِنان تَطْعنُ القومَ بعد ما[3] نَزعتَ سِنانا من قَناتك ماضيا
بأىِّ نِجادٍ تَحملُ السيفَ بعد ما قَطعْتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا
لِسانى وسيفى ماضِيانِ كِلاهما ولَلسَّيْفُ أَشوى وَقْعةً من لسانيا[4]
وإنى لعفُّ الفقْرِ مُشتَرَكُ الغِنَى سريعٌ إذا لم أرضَ دارى انتقاليا
جَرِىءُ الجَنانِ لا أُهالُ من الرَّدَى[5] إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانيا

---

(١) فى الأغانى : استكان .

(٢) الشعر جاء فى الترجمة فى موضعين. والسياق الأول لم يجئ فيه هذا البيت . وجاء فى موضع آخر بدون البيت الأول من هذه القطعة ورواه : حتى ما تصب جماليا .

(٣) فى نسخة من الأغانى : قطعن القرم .

(٤) أشوى : أهون، من قولهم: شوى بمعنى هين ويقال أيضا: رماه فأشواه. إذا لم يصب مقتله وفى الأغانى : لسانى وسيفى صارمان . وروى فى الديوان ص ٦٠١ : وليس لسيفى فى العظام بقية .

(٥) فى الأغانى : لا أهاب من الردى .

كان يزيدُ بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه ، لأن جريرا لم يكن اشتهر شعره حينئذ ، فقدم جريرٌ على يزيد فى خلافته ، فاستأذن له مع الشعراء ، فأمر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلَّا مَن قد عَرَف شِعره ، فقال جرير : قولوا له : أنا القائل :

فرُدِّى جِمال الحىّ ثم تحمَّلى ... فما لَكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا

فأمر بإدخاله . فلما أنشده قال يزيد: لقد فارق أبى الدنيا وما يحسب إلَّا أنى قائلها . وأمر له بجائزة وكسوة .

جلس جرير يُملى على قوم[1] :

ودِّعْ أُمامة حان منك رحيل ... إن الوداع لمن تحبُّ قَليلُ

فمروا عليه بجنازة فقطع الإنشاد وجعل يبكى ثم قال : شيبتنى هذه الجنائز . قال أبو عمرو : فقلت له : فعلام تقذف المحصنات منذ كذا وكذا ؟ فقال : إنهم يبدؤوننى ثم لا أعفو .

أتى الفرزدق مجلس بنى الهُجَيْم فى مسجدهم ، فأنشدهم ، وبلغ ذلك جريرا فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق ، فقال له شيخ منهم : يا هذا اتق الله فإن المسجد إنما بُنِى لذكر الله وللصلاة . فقال جرير : أقررتم للفرزدق ومنعتمونى . وخرج مغضبا وهو يقول :

إن الهُجَيْم قبيلةٌ ملعونةٌ ... حُصُّ اللِّحَى مُتشابِهو الألوانِ[2]

يتورّكون بنيهم وبناتِهم[3] ... صُعْرُ الأنوف لريح كل دخانِ

لو يسمعون بأكلةٍ أو شربةٍ ... بعُمانَ أصبح جمعهمْ بعُمانِ

(١) فى الأغانى . يملى على رجل قوله .

(٢) الأحص : القليل الشعر .

(٣) فى الأغانى : هم يتركون .

قال : وحصص(١) اللحى فى بنى الهجيم ظاهر . وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بنى الهجيم خصّ اللحى ؟ قال : إن الفحل واحد .

قال الوليد يوما لجرير : من أشعر الناس ؟ فقال : ابن العشرين، يعنى طَرَفة . قال: فما رأيك فى ابنَىْ أبى سَلْمَى(٢) ؟ قال : كان شعرهما نيّرًا يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول فى امرئ القيس ؟ قال : اتخذ الخبيث الشعر نعلين، وأقسم لو أدركته لرفعت ذلاذله(٣) قال : فما تقول فى ذى الرُّمة ؟ قال : قَدَر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد . قال : فما تقول فى الأخطل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابن النصرانية ما فى صدره من الشعر حتى مات . قال: فما تقول فى الفرزدق ؟ قال : فى يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعة الشِّعر قد قبض عليها . قال : فما أراك أبقيت لنفسك شيئا . قال : بلى والله يا أمير المؤمنين إنى لمدينة الشِّعر التى منها يخرج وإليها يعود : نَسَبْتُ فأطْربت . وهجوتُ فأرديت. ومدحت فأسنيت(٤) وأرملتُ فأغْزرت ، ورجزتُ فأبحرت . وأناقلتُ ضروب الشعر . وكل واحد منهم قال نوعا منها . قال: صدقت.

قال مسعود بن بِشْر : قلت لابن مُناذر بمكة : من أشعر الناس . قال : من إذا شئتَ لَعِبَ وإذا شئت جَدَّ ، فإذا لعب أطمعك لَعِبُه ، وإذا رُمْته بَعُد عليك ، وإذا جَدَّ فيما يَقصد له أيأسك من نفسه ، قلت : مثلُ مَن ؟ قال : مثل جرير إذ يقول حين لعب(٥) :

إن الذين غدَوْا بلُبِّك غادَروا   وشَلًا بعينك لا يزال مَعِينـا

---

(١) فى المختار : وحص اللحى . وفى الأغانى : وخفة اللحى .. ظاهرة

(٢) لعله يراد بهما زهير بن أبى سلمى وابنه كعب بن زهير بن أبى سلمى .

(٣) ذلاذل القميص : ما يلى الأرض من أسافله ، وكأنه يريد : لخدمته .

(٤) أسنيت : رفعت .

(٥) فى الأغانى : مثل جرير حين يقول إذا لعب .

ثم قال حين جدّ :

إن الذى حرم المكارم تغلباً جعل النبوّة والخلافة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم يا خُزرَ تغلِبَ من أبٍ كأبينا(١)

هذا ابنُ عمّى فى دِمشقَ خليفةٌ لو شئتُ ساقكمُ إلىّ قطينا(٢)

قال أبو عمرو : لما بلغ عبدَ الملك قولُ جرير :

هذا ابن عمى فى دمشقَ خليفةٌ لو شئتُ ساقكُم إلىّ قطينا

قال : ما زاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطيا ، أمَا إنه لو قال :

* لو شاء ساقكمُ إلىّ قطينا *

لسقتهم إليه كما قال .

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل عنده داخل ، وقد كانا تهاجيا ولم يرِ أحدٌ منهما صاحبه ، فلما استأذنوا عليه لجرير أذِن له ، فدخل فسلم ، وقد عرفه الأخطل فطمَح طرْفُ جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظرا شديدا . فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذى منعت نومك وتهضّمت قومك . فقال له جرير : ذلك أشق لك ، كائنا من كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك فقال له : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ جعلنى الله فداءك ، قال : فضَحِك ثم قال : هذا الأخطل ، باأبا حَزْرة . فردَّ إليه بصره ثم قال له : لا حيّاك الله ياابن النّصرانية ، أمّا منعُك نومى فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك ، وأما تهضُّمك قومى فكيف تهضمهم وأنت ممن ضُرِبت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله وأعطى الجزية(٣) عن يد وهو صاغر .

---

(١) فى الأغانى : يا آل تغلب. والخزر : الضيقو العيون جمع أخزر .

(٢) القطين : الخدم .

(٣) فى الأغانى أورد الخبر مرتين وفيه : وأدى الجزية .

وكيف تهضم ـ لا أمَّ لك ـ قوما فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبد مأمور ومحكوم عليه لا حاكم ؟ ثم أقبل على عبد الملك فقال : ائذنْ لى يا أمير المؤمنين فى ابن النصرانية . فقال : أمّا بحضرتى فلا[١] فوثب جرير مغضبا ، فقال عبد الملك : قم يا أخطل مع صاحبك فإنما قام غضبانَ علينا[٢] . فنهض الأخطل . فقال عبد الملك لخادم له : انظر مايصنعان إذا برز له الأخطل . فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حصانا له أدهم . فركبه وهدر ، والفرس يهتزّ من تحته ، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه ، ولم يزل واقفا حتى مضى جرير . فدخل الخادم فأخبر عبد الملك خبرها . فضحك[٣] وقال : قاتل الله جريراً : ما أنحله ! أما والله لو كان ابن النصرانية[٤] برز له لأكله .

حدّث من سأل نُصَيبا قال : قلت له : يا أبا مِحْجَن بيتاً قلته نازعك فيه جريرٌ وجَميل ، فأحب أن تخبرنى أيكم فيه أشعر . قال : وما هو ؟ قلت : قولك :

أضرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها ... أكبَّ عليها حازِرٌ مُتعرِّقُ[٥]

وقال جميل :

أضرَّ بها التهجير حتى كأنها ... بقايا سُلالٍ لم يَدَعْها سُلالُها

وقال جرير :

إذا بلغوا المنازلَ لم تُقَيَّدْ ... وفى طُول الكَلالِ لها قُيودُ

---

(١) فى الأغانى : « لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتى » وفى الرواية الأخرى :لايكون ذلك بين يدى .

(٢) فى الأغانى : قم يا أخطل واتبع صاحبك فإنما قام غضبا علينا فيك .

(٣) فى الأغانى: فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره فضحك.

(٤) فى الأغانى : لو كان النصرانى .

(٥) المتعرق : الذى يزيل اللحم من العظم .

فقال له نُصيب : قاتل اللهُ ابنَ الخَطَفى : ما أشعره ! فقال له الرجل : أما أنت فقد فضَّلته . فقال : هو ما أقول لك .

كان الحجّاج بن يوسف قد أنفذ[١] ابنه محمدا إلى عبدالملك بن مروان وأوفد عليه جريراً معه ، ووصاه به وأمره بمسألة عبد الملك فى الاستماع منه ومعاونته عليه ، فلما وردا استأذن له محمد بن الحجاج على عبد الملك فلم يأذن له ، وكان لا يستمع من شعراء مضر ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زُبَيْرِيَّة ، فلما استأذن له محمد على عبدالملك فلم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأل فى أمره ويقول : إنه لم يكن ممن مَالأ ابنَ الزبير[٢] ولا نصره بيده ولا لسانه ، وقال له محمد : يا أمير المؤمنين إن العرب تتحدث أن عَبدك وسيفك الحجاج شفع فى شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته فرددته . فأذن له فدخل ، فاستأذن له فى الإنشاد ، فقال له : وما عساك أن تقول فينا بعد قولك فى الحجاج :

مَن سَدَّ مُطَّلَعَ النفاقِ عليكمُ أم مَنْ يصولُ كصولةِ الحجَّاجِ

إن الله لم ينصر الحجاج بِرًّا منه به ، وإنما نصر[٣] دينه وخليفته ، أوَلست القائل :

أمسى يَغار على النساء حفيظةً[٤] إذْ لا يَثِقْن بغَـيْره الأزواجُ

ياعاضَّ بظر أمه[٥] ، والله لهممت أن أطير بك طَيرة بَطيئا سُقوطُها . اخرُجْ عنى : فأُخرِجَ بشَرّ ، فلما كان بعد ثلاث شفع محمد لجرير إليه وقال له : ياأمير المؤمنين إنى أدَّيت رسالةَ عبدك الحجاج وشفاعته فى جرير ، فلما أذنت له خاطبته بما أطار لبه

(١) فى الأغانى : أوفد .
(٢) فى ت : ممن مال . وفى الأغانى : ممن والى .
(٣) فى الأغانى : إن الله لم ينصرنى بالحجاج وإنما نصر .
(٤) فى الأغانى : أم من يغار .
(٥) فى الأغانى : ياعاض كذا وكذا من أمه .

وغضّ منه[1] وأشمت عدوَّه به ، ولو لم تأذن له لـكان خيرا له مما سمع ، فإن رأيت أن تهب كل ذنب له لعبدك الحجاج ولى فافعل . فأذن له فاستأذنه فى الإنشاد فقال : لا تُنشدنى إلّا فى الحجاج ، فإنما أنت للحجاج خاصة ، فسأله أن ينشده مديحه فيه فأبى وأقسم ألا ينشده إلا من قوله فى الحجاج ، فأنشده وخرج بغير جائزة ، فلما أزف الرحيل قال جرير لمحمد : إن رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع منى ولم آخذ منه جائزة سقطتُ آخر الدهر ، ولستُ بارحاً من بابه أو يأذن لى فى الإنشاد أو أموت ، فارحلْ أنت وأُقيم أنا . فدخل محمد إلى عبـــد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له ، وسأله أن يسمع منه ، وقبّل يده ورجله ، فأذِن له ، واستأذن فى الإنشاد ، فأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال له محمد : أنشِدْ ويحك ، فأنشـده قصيدته التى يقول فيها :

ألستمْ خيرَ من ركب المطايا ... وأندى العـالمين بُطونَ راحِ

فتبسم عبد الملك ثم قال: كذلك نحن وما زِلنا كذلك . ثم اعتمد على ابنِ الزُّبير فقال :

دعوتَ المُلْحِدين أبَا خُبَيْبٍ[2] ... جِماحاً هل شُفِيتَ من الجِماح

وقد وَجدوا الخليفةَ هِبْرِزِيًّا ... ألَفَّ العِيصِ ليس من النَّواحى[3]

وما شجراتُ قومك من قريش ... بِعَشَّاتِ الفروعِ ولا ضَوَاحى[4]

---

(١) جملة « وغض منه » ليست فى الأغانى .

(٢) أبو خبيب : كنية عبد الله بن الزبير .

(٣) الهبرزى : الخامس . والألف : الملتف . والعيص : الأصل .

(٤) العشة : الشجرة الدقيقة القضبان. وفى المختار: «بعشاب الفروع» فتكون من عشب الرجل كان قصيرا دميا . والضواحى : البادية العيدان . وفى الأغانى : وما شجرات عيصك .

ثم مرّ فيها حتى أتى إلى ذكر زوجته فقال :

تَعَزَّتْ أمُّ حزرة ثم قالت   رأيتُ المُورِدِين ذَوِى لِقَاحِ

تُعَلِّلُ وهى ساغبةٌ بَنيها   بأنفاسٍ من الشَّبِم القَرَاحِ (١)

مِن الرحمنِ تَرْجو كلَّ خَيْرٍ   ومِن عنـد الخليفةِ بالنجاحِ (٢)

فقال عبد الملك : فهل تَرويها مائة لِقْحة ؟ قال : إن لم يروِها ذلك فلا رَواها الله . فهل إليها — جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين — من سبيل ؟ فأمر له بمائة ناقة (٣) وثمانية رُعاة ، وكانت بين يديه جامات من ذهب فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، تأمر لى بواحدة منهن تكون محلبا ؟ فضحك ودَكَس (٤) إليه واحدة بالقضيب فدحاها إليه وقال : خذها ، لا نفعتك ، فأخذها وقال : بلى والله يا أمير المؤمنين لتنفعَنِّيَه ، وكلّ ما منحتنيه (٥) . وخرج من عنده . وقد ذكر جرير ذلك فى شعره فقال يمدح يزيد بن عبد الملك :

أَعطَوْا هُنيدةَ يَحْدُوها ثمانيةٌ (٦)   ما فى عطائِهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

---

(١) الأنفاس جمع نفس : وهو جرعة الماء . والشبم : البارد والقراح : الخالص .

(٢) لم يذكر هذا البيت فى الأغانى فى ترجمة جرير ، هذا، وروايته المشهورة : ثق بالله ليس له شريك ومن عند ...

(٣) فى الأغانى : بمائة لقحة .

(٤) كذا فى نسخ المختار ، ودكس الشىء : حشاه. والحثو : الرمى بالتراب، فيكون المراد هنا رماها إليه. وقد ذكر الدكس بمعنى الحثو فى القاموس. أما فى اللسان فذكر دكسه : حشاه وفى المعيار: « دكسه: حشاه ، وفى بعض النسخ حثاه » ، هذا، وفى الأغانى « فضحك وفدس » وذلك نقلا عن ديوان جرير المخطوط ص ٢٠ وفى أصول الأغانى «ودحس» ولعلها «دكس» وفى بعضها : ودس انظر هامش الأغانى. وكلمة «دحس» و«دس» تؤيدان «ودكس» وهذا التعبير يؤيد القاموس بأن الدكس: الحثو .

(٥) فى الأغانى : « لينفعنى كل ما منحتنيه » هذا، والهاء فى « لتنفعنيه » هاء السكت .

(٦) هنيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها .

قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بحَزِيز البصرة[1] : ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباجَ والخزّ ، وقعد فى قبّته . وشاور جريرٌ دُهاة بنى يربوع فقالوا : ما لباس آبائنا إلا الحديد . فلبس جرير دِرْعا ، وتقلّد سيفا ، وأخذ رمحا ، وركب فرسا يُقال له المنحاز[2] لعبيد بن الحُصين[3] وأقبل فى أربعين فارسا من بنى يَربوع ، وجاء الفرزدق فى هيئته . فقال جرير :

لبستُ سلاحى والفرزدقُ لُعبـةٌ ... عليـه وشاحا كُرَّجٍ وخَلاخِلُه[4]

أَعِدُّوا مع الخزِّ المَلَابَ فإنمـا ... جريرٌ لـكم بَعْـلٌ وأنتم حلائلُه[5]

قال هِشام بن عبد الملك يوما لشَبَّة بن عِقال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير : ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأَغْرَوْا بين عشائرهم فى غير خيرٍ ولا بِرٍّ ولا نفع أيهم أشعر ؟ فقال شَبّة : أما جريرٌ فيغرِفُ من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر . فقال هِشام : ما فسّرت لنا شيئاً نُحَصِّله ، فقال : ما عنـدى غير ماقلت . فقال لخالد بن صفوان : صِفْهم لنا يا ابن الأهتم ، فقال : أما أعظمهم فخرا ،

---

(١) فى المختار : « بجزيرة البصرة » وفى بعض أصوله بدون نقط . هذا، وفى مادة حزيز بمعجم البلدان : والحزيز غير مضاف موضع بالبصرة .

(٢) فى المختار : « المنحار » وفى القاموس مادة نحز : المنحاز: فرس عباد بن الحصين .

(٣) كذا فى المختار : عبيد بن الحصين . وانظر الهامش السابق . وفى الأغانى: عباد بن الحصين

(٤) كذا فى المختار . وفى اللسان مادة كرج : « كرج وجلاجله » وكذلك فى النقائض ص ٦٥٠ وديوانه ٤٨٢ . هذا والكرج يتخذ مثل المهر يلعب عليه .

(٥) فى بعض أصول الأغانى: « أعدوا مع الحلى الملاب » كالنقائض ٦٥٠ وديوانه ص ٤٨٢ والملاب: ضرب من الطيب ونوع من العطر أو يقال ذلك للزعفران. انظر اللسان مادة لوب .

وأبعدهم ذِكْرا ، وأحسنهم عُذرا ، وأشدُّهم ميلا[١] ، وأقلّهم غَزلا ، وأشردهم مثلا[٢] ، وأحلاهم عِلَلا ، الطامى إذا زَخَر ، والسامى إذا خَطَر ، والحامى إذا زَأَر ، الذى إن هدر قال ، وإن خَطَر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العِنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نَعْتا وأمدَّهم بيتا[٣] وأقلهم فَوْتا ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رَفع ، فالأخطل . وأما أغزرهم بحرا ، وأرقّهم شعرا ، وأهتكهم لعدوّه سِتْرا ، الأغَرُّ الأبلق ، الذى إن طَلَب لم يُسْبَق وإن طُلِب لم يُلْحَق ، فجرير . وكلّهم ذَكِىُّ الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزّناد . فقال هشام[٤] بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ فى الأوّلين ولا رأينا فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفا ، وألينهم عِطْفا ، وأعفّهم مقالا ، وأكرمهم فَعالا . فقال خالد : أتمّ الله عليكم نِعَمه ، وأجزل لديكم قِسَمَه ، وآنَسَ بكم الغُرْبة ، وفرّج بكم الكُرْبة . وأنت والله يا أيها الأمير كريم الغِراس عالمٌ بالناس ، جَوادٌ فى المَحْل ، بسّام عند البَذْل ، حَليم عند الطَّيْش ، فى ذِرْوَةِ قريش ، ولُباب عبد شمس ، ويومك خير من أمس . فضحك هشامٌ وقال : ما رأيت كتخلّصك يا ابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا وسَلِمْتَ عليهم[٥] .

---

(١) جملة « وأشدهم ميلا » ليست فى الأغانى « واندمجت بجملة « وأشردهم مثلا » فحدث تحريف فى الأغانى فقالوا « وأشدهم مثلا » ولعلها «وأسدهم مثلا» وغيرت فى الأغانى طبع دار الكتب إلى « وأسيرهم مثلا» .

(٢) انظر الهامش السابق .

(٣) فى الأغانى «وأمدحهم بيتا» .

(٤) فى الأغانى : مسلمة .

(٥) كذا فى نسخ المختار . وفى الأغانى : «سلمت منهم» وذلك عن نسخة واحدة أما نسخ الأغانى الباقية فكالمختار .

وتزوّج الفرزدقُ حَذْراء بنت زِيق بن بِسطام بن قَيس على حُكْم أبيها ، فاحتكم مائةً من الإبل ، فدخل على الحجّاج [يسأله ذلك][1] فعذله وقال له : أتتزوّج امرأة على حكم أبيها[2] ؟ فقال عَنبسةُ بن سعيد — وأراد نَفْعَه — : إنما هى من حَوَاشى إبل الصّدقة أيها الأمير[3] فأمر له الحجاج بها ، فوثب جرير فقال :

يا زِيقُ قد كنتَ من شيبان فى حَسبٍ
يا زِيقُ ويحك مَن أنكحتَ يا زِيقُ
أنكحت ويحك قَيْناً باسْته حَمَمٌ
يا زِيقُ ويحك هل بَارَتْ بك السُّوقُ
غاب المُثَنّى فلم يَشْهَد نَجِيَّكُمُ
والحوْفَزَانُ ولم يشهدْكَ مَفرُوقُ[4]
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها
لا الصِّهرُ رَاضٍ ولا ابنُ القين معشوقُ
أين الأُلى استنزلوا النُّعمان ضاحيةً
أم أين أبناءُ شيبانَ الغَرانيقُ

فلم يجبه الفرزدق عنها[5] ، وجرت بينهما مناقضات أخرى منها قول جرير من أبيات :

---

(١) زيادة من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « حكمها » هذا مع تقدم قوله على حكم أبيها .

(٣) جملة « أيها الأمير » ليست فى الأغانى .

(٤) المثنى هو المثنى بن حارثة. والحوفزان : هو الحارث بن شريك الشيبانى. ومفروق : هو النعمان بن عمرو الشيبانى .

(٥) فى النقائض ص ٨١٩: فأجابه الفرزدق فقال :

إن كان أنفك قد أعياك مَحْمِلُه   فاركبْ أتانك ثم اخطبْ إلى زِيقِ

وهنَّ كماء المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى
وكانت ملاحاً غَيْرَهنَّ المشاربُ
فلا أنا معطى الحكْم عن شِفِّ مَنْصِبٍ[١]
ولا عن بنات الحَنْظَلِيِّين راغبُ
ولو كنتَ حُرًّا كان عَشْرًا سِياقُكُمْ
إلى آلِ زِيقٍ والوَصِيفُ المقاربُ[٢]

فقال الفرزدق :

فنَلْ مثلها من مثلهم ثم لُمْهُمُ[٣] على دارِمىٍّ بين لَيْلى وغالبِ
هُمُ زَوَّجُوا قَبْلِى لقيطا وأنكحوا ضِراراً وهم أكفاؤنا فى المناسبِ
ولو قَبِلوا منى عَطِيَّة سُقته إلى آل زِيق من وَصيفٍ مُقاربِ[٤]

وما كانت امرأة من بنى حنظلة إلا تَرفعُ لجرير اللَّوِيَّة فى تَطَوُّفه بها[٥] لقوله :

وهُنّ كماء المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى وكانت مِلاحاً غيرَهُنَّ المشارِبُ

اللوِيّة : الشريحة من اللحم أو الفِدْرة من التَّمر ، أو الكُبَّة من الشحم ، أو الحفنة من الأَقِط فإذا ذهبت الألبان وضاقت المعيشة كانت طُرفة عندهم .

---

(١) الشف هاهنا النقصان كما فى النقائض ٨٠٧ هذا ، والبيت فى النقائض والأغانى مقدم على سابقه .

(٢) هذا البيت هو التاسع عشر من القصيدة فى النقائض ٨٠٧ — ٨١٢ والسياق يراد به هنا المهر والمقارب يراد به الدون .

(٣) فى المختار : « فقل مثلها فى مثلهم » والتصويب من النقائض ٨١٥ والأغانى . والقصيدة ١٩ بيتا فى النقائض .

(٤) فى الأغانى بعده بيت .

(٥) فى الأغانى : اللوية فى عظمها لتطرفه بها .

وقال جرير أيضا :

أثائرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُرَّ بالنَّقا   وهل لأبى حَدْراءَ فى الوِتْرِ طَالِبُ(١)

أتثأرُ بِسطـاماً إذا ابتلّت اُسْتُها   وقد بَوَّلت فى مِسْمَعَيْـه الثعالبُ

النَّقا الذى ذكره جرير هو الموضع الذى قتلتْ فيه بنو ضَبَّةَ بسطاماً وهو بسطام ابن قيس .

وكرهت بنو شيبان أن يهتك جريرٌ أعراضَهم ، فلما أراد الفرزدق نَقْلَ حَدْراء اعتلُّوا عليه وقالوا: إنها ماتت . فقال جرير :

فأُقسم ما ماتَتْ ولـكِنَّما الْتَوى   بِحدراءَ قومٌ لم يَرَوْكَ لها أَهْلَا

رأَوْاأنَّ صِهْرَ القَـيْنِ عارٌ عليهمُ   وأنَّ لبِسطام على غالبٍ فَضْلَا

إذا هى حَلَّت مُسْحُلَانَ وحاربت   بشيبانَ لاقَى القَيْنُ من دونها شُغْلَا(٢)

لما نُعِى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله . وجريرٌ عنده قال جرير :

مات الفرزدق بعد ما جَدَّعتُهُ   ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس لعمرُ اللهِ ما قلت فى ابن عمك ، أتهجو ميتا أما واللهِ لو رَثَيْتَه لـكنتَ أكرم العرب ، وأشعرها . قال : فإن رأى الأمير أن يـكتمها علىَّ فإنها سَوْءَة ثم قال :

فلا وضَعتْ بعد الفرزدق حاملٌ   ولا ذاتُ بَعْـلٍ عَنْ نفاسٍ تَعَلَّتِ

هُو الوافدُ الميمونُ والرَّاتِق الثَّأَى(٣)   إذا النَّعْـلُ يوما بالعشـيرةِ زَلَّتِ

ثم بكى وقال : والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحدا ،

---

(١) فى النقائض ص٨١٢ «وهل فى بنى حدراء للوتر غالب» .

(٢) هذا البيت لم يرد فى الأغانى وهو فى ديوانه ص ٤٢٠ : إذا فوزت عن مسحلان ودافعت

(٣) الثأى : الفتق والفساد .

وكلٌّ واحدٍ مشغولٌ بصاحبه ، وقلَّ ما ماتَ ضِدٌّ أو صديق إلا تبعه صاحبه . فكان كذلك . مات بعده بسنة .

لما احتضر جريرٌ دخل عليه نفرٌ من قريش يعودونه ، فالتفت إليهم وقال :

أهلاً وسهلا بقوم زَيَّنوا حسبي ... وإن مَرِضت فهم أهلي وعُوَّادى

إن تَجر طيرٌ بأمْر فيه عافيةٌ ... أو بالفراق فقد أحسنتمُ زادى

لو أن لَيْثاً أبا شِبْلَيْنِ أوْعَدَنِي ... لم يُسْلِمُونى لِلَيْثِ الغابةِ العادى

جميل العذرى[1]

هو جميلُ بن عبد الله بن مَعمر بن الحارث بن ظبّيان بن جَزْء بن ربيعة[2] ابن حَرَام بن ضِنَّة بن عَبْد بن كثير بن عُذْرة بن سعد ـ وهو هُذَيْم سمى بذلك إضافة لاسمه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه ـ بن زَيْد بن سود بن أَسْلَم ابن الحاف بن قضاعة .

والنسابون مختلفون فى قضاعة ، فمنهم من يزعم أن قضاعةَ ابنُ مَعَدٍّ وهو أخو نزار بن معد لأبيه وأمه ، وهى مُعَانة بنت جَوْسَم بن جُلْهُمة بن عامر بن عَوْف ابن عَدِىّ بن دُبّ بن جُرْهُمْ ، ومنهم من يزعم أنهم من حِمْيَر وقد انتسب جميلٌ فى شعره مَعَدِّيًّا فقال :

أنا جميلٌ فى السَّنام من مَعَدْ ... فى الأُسْرة الحَصْداءِ والعِيصِ الأسَدْ[3]

وقال راجز قضاعةَ ينسبهم إلى حِمْير :

قضاعة الأَثْرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ
قضاعةُ بن مالك بن حِمْيَرِ
النسبُ المعروفُ غيرُ المُنْكَرِ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٨/٩٠ وانظر ص ٨٩ ودار الثقافة ٨/٩٠ وانظر ص ٨٩ وبولاق ٧/٧٧ والساسى ٧/٧٢ والتجريد ٩٣٠ .

(٢) فى الأغانى : جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان وقيل ابن معمر بن حن بن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة .

(٣) الحصداء : الشديدة الفتل المستحكمة الصنعة . والعيص : الأصل . والأسد : من قولهم: سد السهم. إذا استقام. وفى الأغانى : الأشد. وانظر ديوانه ص ٥٧ .

وقضاعة اليوم تنسب كلّها فى حِمْير ، وتزعم أن قضاعة ابنُ مالكٍ بن مُرَّة بن زيد ابن مالك بن حِمْير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . واسم سبأ عامر ، وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سَبَى النساء ، وكان يقال له عَبُ[١] الشمسِ أى عَدِيل الشمس سُمِّى بذلك لحسنه . ومن زعم أن قضاعة ليس ابن معد ذكر أن أمه عُكَيْرة[٢] ــ امرأة من سبأ ــ كانت تحت مالك بن عمرو ، فمات عنها وهى حامل ، فخلفه عليها معدُّ بن عدنان ، فولدت قُضاعةَ على فراشه . قال مُؤَرِّجُ بنُ عمرو : هذا قول أحدثوه وصنعوا شعرا ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول ، وهو :

يا أيها الدّاعى ادْعُنا وأَبْشِرِ ... وكُن قُضَاعِيًّا ولا تَنَزَّرِ[٣]
قضاعةُ الأَثْرَوْنَ خيرُ مَعْشرِ ... قضاعةُ بن مالك بن حِمْيَرِ[٤]

وقال مؤرج : شُعراء قضاعة كلّها فى الجاهلية والإسلام تنتمى إلى مَعَدّ . قال جميل :

وأبى مَعَدٌّ كان فَىْءَ رِماحهم[٥] ... كما قد أفأنا والمُفاخِرُ مُنْصِفُ

وقال زِيادةُ بن زيد يهجو بنى عمّه بنى عامر رَهْطَ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم :

وإذا مَعَدٌّ أوقدَتْ نِيرانَها ... للمَجْدِ غَضَّتْ عامرٌ وتَضعضعوا[٦]

وجميل شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية ، وكان راوية هُدبة بن خَشْرَم ، وكان هُدبة شاعرا راويةَ الحطيئة ، وكان الحُطيئة شاعرا راوية زُهيرٍ وابنه ،

(١) عب الشمس : ضوء الشمس .
(٢) فى الأغانى : عكبرة وفى صبح الأعشى ج١ ص ٣١٥ سماها جكرة .
(٣) بجانب كلمة «ولا تنزر» بالهامش : « ولا تنتسب إلى نزار » وذلك فى ا ، ك .
(٤) بعده فى الأغانى : «النسب المعروف غير المنكر» وأضاف أيضا وقال مؤرج: وهذا شىء قيل فى آخر أيام بنى أمية .
(٥) فى الأغانى: وأبى معد كان فىء رماحهم .
(٦) فى الأغانى : أغضت عامر .

وآخر من اجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر ، كان كُثَيِّر راويةَ جميل ، وجميل راوية هُدْبة ، وهُدبة راوية الحُطيئة ، والحطيئة راوية زهير .

كان جميل يهوى بثينة بنت حَبَأ بن ثعلبة بن الهون[1] بن عمرو بن الأحب ابن جَزْء[2] بن ربيعة فى النسب[3] ، وكان صادق الصَّبابة والعِشق ، ولم يكن كُثَيِّر بعاشق ولـكنه يتقَوَّل . وكان الناس يستحسنون بيت كُثَيِّر فى النسيب :

أُريد لأنسى ذِكْرها فكأنما ... تَمَثَّلُ لى ليلى بكلِّ سبيلِ

وفى الناس من يفضل عليه بيت جميل :

خَليليَّ فيما عِشتما هل رأيتما ... قتيلًا بكَى من حُبِّ قاتله قَبْلِى

وبيتُ كُثَيِّر أخذه من جميل حيث يقول :

أُريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تَمَثَّلُ لى ليلى على كُلِّ مَرْقَبِ

لقى الفرزدقُ كُثَيِّراً فقال له : ما أشعرك يا كُثَيِّر فى قولك :

أُريد لأنسى ذِكْرها فكأنما ... تَمَثَّلُ لى ليلى بكلِّ سبيل

يُعرِّض له بسرقته من جميل :

أُريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثَّل لى ليلى على كلِّ مرقب

فقال له كُثَيِّر : وأنت يافرزدق أشعر الناس فى قولك[4] :

ترى الناسَ ماسِرْنا يسيرون خَلْفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وَقَّفوا

وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق ، فقال لـكثير : أ كانت أُمُّك مَرَّت بالبصرة ؟ قال : لا ، ولـكن أبى وكان نزيلا لأُمِّك .

---

(١) فى الأغانى : الهوذ .

(٢) فى الأغانى : حسن .

(٣) كذا فى أصول المختار . وفى تجريد الأغانى : بن ربيعة تلتقى هى وجميل فى حن بن ربيعة فى النسب

(٤) فى الأغانى : وأنت يا أبا فراس أفخر الناس حين تقول .

قال طلحةُ بن عبيد الله : إنى لأعجب بجواب كُثَيِّرٍ هذا ، على أنه ما رأيت أحداً أحمق منه قط .

ذُكِرَ جميلٌ لِكُثَيِّر فقالوا : ماتقول فيه ؟ فقال : من علَّمَ الله .

سئل نُصيب : أجميل أنسب أم كُثيِّر ؟ فقال : أنا سألت كُثيِّرا عن ذلك فقال : وهل وَطَّأَ لنا النَّسيب إلا جميل ؟

وكان نُصيب يقول : جميلٌ إمام المُحبين .

وكان جميلٌ يَنسب بأُم الُجسَير . وكان أول ما علق بُثينة أنه أقبل يوما بإبله حتى أوردها واديا يقال له بَغِيض ، فاضطجع وأرسل إبله مُصْعِدة ، وأهلُ بثينةَ بِذَنب الوادى ، وأقبلت بثينة وجارةٌ لها واردتين الماء ، فمرّتا على فِصَالٍ له بُرُوكٍ فعَرَّمَتهنَّ بثينة — يقول : نفَّرتهنّ — وهى إذ ذاك جُوَيرة صغيرة ، فسبَّها جميل فافترَتْ عليه ، فملُح إليه سِبابُها فقال :

وأوّلُ ما قاد المودَّة بيننا بوادِى بَغِيض يا بُثينَ سِبَابُ
فقلنا لها قوْلًا فجاءتْ بمثله لكلِّ كلامٍ يا بُثينَ جوابُ

وكانت بُثينةُ عند نُبَيه بن الأسود العُذرى . وإياه عنى جميل بقوله :

لقد أنكحوا جَهْلًا نُبَيْهاً ظعينةً
لطيفةَ طَىِّ البطنِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ (١)

ولما أُخبرت بثينةُ أن جميلا نَسَب بها حلفت بالله لا يأتيها على خَلاء إلا خرجت إليه ولا تتوارى منه ، فكان يأتيها غَفلاتِ(٢) الرجال ، فيتحدَّث إليها ومع أخواتِها

---

(١) الخدل : الممتلئ والشوى : الأطراف .

(٢) فى الأغانى : عند غفلات .

حتى نُمِى إلى رجالها أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم ، وكانوا غُيُراً(١) ، فرصدوه بجماعة نحوِ بِضعةَ عشرَ رجلًا ، وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بثينة وأمِّ الجُسَير وهما يحدثانه . وهو ينشدهما :

حلفتُ بربِّ الراقصات إلى مِنًى ... هُوِىَّ القَطَا يَجْتَزْنَ بَطنَ دَفِينِ(٢)

لقد ظنَّ هذا القلبُ أنْ ليس لاقياً ... سُلَيْمَى ولا أمَّ الجُسَيْرِ لحينِ

فليت رجالًا فيكِ قد نَذَرُوا دَمِى ... وهَمُّوا بقَتْلِى يا بُثينَ لَقُونِى

إذا ما رأونى طالعاً من ثَنِيَّةٍ ... يقولون من هذا وقد عَرَفونى(٣)

وأعينهم شُزْراً إلىَّ كأنّها ... حُرُوف سيوف فى غُموضِ جفون

يقولون لى أهلا وسهلا ومرحباً ... ولو ظفروا بِى ساعةً قتلونى

فكيف ولا تُوفى دماؤُهمُ دمى ... ولا مالُهم ذو نُدْهَةٍ فيَدُونى(٤)

تجنَّى علىَّ الذنب أهلى وأهلُها ... ولو عَرَفوا وَجْدى بها عَذَرونى

لحى اللهُ من لا يَنفعُ الوُدُّ عنده(٥) ... ومن حَبْلُه إنْ مُدَّ غيرُ مَتينِ

ومَن هو ذو لَوْنينِ ليس بدائمٍ ... على العهد خَوَّان لكل أمينِ

فبينما هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسبقت به وهو يقول :

إذا جمع الأَبْنَانُ جمعا رميتهم(٦) ... بأركانها حتى تُخَلَّى سبيلُها

---

(١) ضبطها فى ا و ك : غيرا بتشديد الياء مفتوحة.

(٢) دفين : موضع .

(٣) هذا البيت وما بعده ليس فى الأغانى عند ترجمته وأضيف بهامش ك وصلب ا .

(٤) الندهة : الكثرة .

(٥) فى ت : من لا يعرف الود عنده .

(٦) كلمة الأبنان غير واضحة فى المختار إلا أن فوق النون نقطتها. وفى الأغانى جعلت «الاتنان» هذا، والأبنان تكون ذا العداوة من الأبنة وهى العداوة يقال بينهم أبن أى عداوات أو تكون الأتنان أى المقارب الخطو من قولهم: أتن الرجل : قارب الخطو، ويريد بذلك ضعفه لكبر .

وكان هذا أول المهاجاة بينه وبين عبد الله بن قطنة[١] .

وكان جميل[٢] قد خطب بثينة وهى ابنة خالته ، وكان نُبيه ابنُ عمّها قد سبقه إلى خِطبتها ، فوعده أبوها ولم يعقِد نكاحها لأنها كرهته ، وكان قبيحا دميا ، فى إحدى عينيه نكتة بياض ، فخرج وابنا عمٍّ له يقال لهما مَسْعدة ورَوْق ، وخرج معهم نُبيه إلى الصيد ، فمر بهم رجل من خُزاعة يكنى أبا عباية ، وكان شديدا يتعاطى الصِّراع . فقال له نُبيه : هل لك يا أبا عباية فى مصارعتى ؟ قال : ذلك إليك ، فاتَّحدا[٣] فصرعه أبو عباية وجلس على صدره ، فضحك جميل وصاحباه من ذلك ، فقام إلى أبى عباية وقال له : عاوِدْنى ، فقال : لا أفعل ، فتعلق به ، فقال له جميل : ماذا تريد من الرجل ؟ طالبتَه بالصّراع فصرعك ، والمعاودةُ إليه إن أرادها وإلّا فلا سبيل لك عليه . قال : أفتصارعنى أنت يا جميل ؟ قال : وما تريد بذلك ؟ قال : أُحبّه وأشتهيه . قال : واللهِ ما لَكَ فيه خير ، فإن أحببته على ذلك فهلُمَّ ، فاتحدا فصرعه جميل ، ثم سأله المعاودة فعاوده فصرعه ثانية ، ثم سأله المعاودة فصرعه ثالثة ، وضرط نُبيه من تحته ، ثم قام فانصرف إلى الحى مُغضبا ، وسأله فتيانُ العشيرة عن سبب رجوعه فقال : دعانى جميل إلى الصراع فكرهت ذلك ، ثم ألحَّ علىَّ فصارعتُه فصرعتُه ووثب علىَّ ابنا عمّه فنحَّيانى عنه وألقياه على صدرى فرجعت مغضبا. فقالوا له : ما كان ينبغى لك أن تصارع ابن عمك وهو نازل فى حَيِّك وإذ قد جرى ذلك فلا ينبغى لك أن تُفيض فى ذِكره ولا أن تعيده ، فقالت بثينة : كذب واللهِ نُبيه ، لو صرع جَمِيلًا لأَتَمّ وَجْهَه[٤] ، ولكن جميلا صرعه فغضب وانصرف ،

---

(١) فى الأغانى : عبد الله بن قطبة .

(٢) هذا النص بطوله لا يوجد فى ترجمة جميل فى الأغانى .

(٣) تكتب مرة فى المختار : اتحذا ومرة اتخذا .

(٤) الكلمة غير منقوطة وأتم وجهه تريد لظل فى الصيد بقية يومه مع صحبه .

وتضاحكت به هي ونساء الحيّ ، وعاد جميلٌ وصاحباه فتحدثوا في الحيّ بالحديث على جهته ، ولجَّ نُبيه منذ يومئذ في تزويج بثينة وبذل لهم مالا عظيما، وكان كثير المال، فزَوَّجها ودخل بها على كره منها . ولما تزوجت جزع جميل جزعا عظيما وأسف أسفا شديدا ، وقطع زيارة بثينة وهجرها ، وطالت المدة في هجره إياها ، ثم قال لمَسعدة ورَوْق ابنَيْ عمه ، وكانا له صَفِيَّين : قد طال هجرى بثينة وتجلُّدى على بعدها ، وإن ذلك لقاضٍ عليّ أوْ دافعي إلى أن أرى منها ما يُسْخِن عيني ، فقالوا له : اتق الله تعالى وأبقِ على نفسك إن كنت لا تُطيق السُّلُوَّ عنها ، واصبر على بعض ما تكره ، وأَلْمِم بها إلمامة لعلك تستريح إليها . فأجمع على ذلك ومضى معهما ، فلقى جارية لها حبشية ، فلم يكلمها ولا أعلمها أنه يريد بثينة ، ولكنه جلس مع ابنَيْ عمّه مستظلًّا بشجرة ، ومطاياهم معقولة كأنهم يريدون أن يُريحوا ، فبادرت الأَمَة إلى بثينة فأخبرتها ، فجاءت هي وأُمُّ الُجسير وليلى وأم منظور ، فلما رأينه سلّمن عليه وعلى صاحِبَيه وجلسن إليهم ، فقالت له أمّ منظور : أين كنت بَعْدنا ؟ وأين كانت غيبتك ؟ لقد طال شوقنا إليك ، فقال : اغتربت عنكن في أهلى وافترقنا فرأيت التباعُدَ مع ما حدث أجمل ، فبكت بثينة وقالت : ما تباعدنا عنك ولا زادتنا الليالى إلا شوقاً إليك وتجديداً لمودتك . وتحدَّثا بقية ليلتهما وتشاكيا حتى أصبحا فقال جميل في ذلك[1] :

ألا طال كِتمانى بثينةَ حاجةً ... من الحاج ما تدرى بثينة ماهيا

أخاف إذا أنبأتها أن تُضيعها ... فتترُكها ثِقْلاً عليّ كما هيا

أغرَّكِ أنى لا بخيلٌ عليكمُ ... ولا مُفحِشٌ فيما لديكِ التقاضيا

---

(١) هذه القصيدة بترتيبها وطولها لم ترد في الأغاني في ترجمة جميل بل جاءت بعض أبيات منها مع غير سياق هذا الخبر .

أعدُّ الليالى ليلةً بعد ليلةٍ   وقد عِشت دهرا لا أعد اللياليا[1]

ذكرتُك بالدَّيرين يوما فأشرفَتْ   بناتُ الهوى حتى بَلغْنَ التَّراقيا

إذا اكتحلت عينى بعَينك لم أزَلْ   بخيرٍ وَجلَّتْ غمرةً عن فؤاديا

فأنت الذى إن شئتِ أشقيتِ عيشتى[2]

وإن شئت بعد الله أنعمتِ باليا

وأنت الذى ما من صديقٍ ولا عِدًا[3]

يرَى نِضْو ما أبقيتِ إلَّا رَثَى ليا

إذا خَدِرتْ رجلى وقيل شفاؤها   دعاءُ حبيب كنتِ أنت دعائيا

وما زادنى النأْىُ المفرِّقُ بيننا   سُلُوًّا ولا طولُ التلاقى تقَالِيا

ولا زادنى الواشون إلَّا صَبابةً   ولا كثرةُ الناهين إلَّا تمادِيا

ألمْ تعلمى يا عذبة الريق أننى   أظلُّ إذا لم ألقَ وَجهك صَادِيا

لقد خفتُ أن ألقى المنِيَّة بَغْتةً   وفى النفس حاجاتٌ إليك كما هيا

وخبرتمانى أن تيماءَ منزلٌ   لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا

فهذى شهورُ الصيف عنِّى قد انقضتْ

فما للنوى ترمى بلَيْلى المَراميا

وإنى لتثنينى الحفيظةُ كلَّما   لقيتُك يوما أن أبثَّك ما بيا

وإنى لأستحييكِ أن أذكر الصِّبا   إليك فأُنسى القلبَ ما ليس ناسيا

وما زلتمُ يا بثنُ حتى لو أننى   من الشوق أستبكى الحمامَ بكَى ليا

---

(١) هذا البيت ورد فى شعر مجنون ليلى فى الأغانى وكذلك بعض أبيات من القصيدة وفى الأغانى فى ترجمة جميل إشارة إلى أن شعرا نسب للمجنون وانظر ديوان مجنون ليلى تحقيق وديوان جميل.

(٢) فى الأغانى : « وأنت التى إن شئت كدرت عيشتى » وهذا البيت مما ينسب للمجنون .

(٣) فى الأغانى : وأنت التى .

تيماء خاصة منزل لبنى عذرة وليس من منازل بنى عامر ، ولا يروى هـذا الشعر للمجنون إلّا من ليس يعلم .

ومن شعره فيها :

أَلَا هل إلى إلمامة أن أُلِمَّها بُثَينةُ يوما فى الحياة سبيلْ
فإن هى قالت لا سبيلَ فقلْ لها عناءٌ على العُذْرِىِّ منكِ طويلْ

شـكا زوجُ بثينة إلى أبيها وأخيها إلمام جميل بها ، فوجّهوا إلى جميل فأعذروا إليه وشـكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم وتوعّدوه وإيّاهم[1] ، فلامه أهله وعنفوه وقالوا: سنُخلصك إليهم[2] ونتبرأ منك ومن جريرتك ، فأقام مُدَّة لا يُلِمّ بها ، ثم لقى ابنَىْ عمه رَوْقاً ومَسعودا[3] فشـكا إليهما ما به . وأنشدهما قوله :

زُورَا بثينةَ فالحبيبُ مَزُورُ إن الزيارة للحبيبِ يَسيرُ
إن الترحُّلَ ليس يُلْبِثُ أَمْرَنا وإعتاقنا قَدَرٌ أُحِمَّ بكورُ[4]
إنى عشيةَ رُحتُ وهى حزينةٌ تشـكو إلىَّ صَبابةً لصبورُ
وتقول بِتْ عندى فديتُك ليلةً أشـكو إليك فإن ذاك يَسيرُ
غرّاء مِبسامٌ كأنّ حديثهـا دُرٌّ تحدَّرَ نَظْمُه مَنثـورُ
مَحْطُوطةُ المتنينِ مُضْمَرَةُ الحشا رَيَّا الروادفِ خَلْقُها مَمْكُورُ[5]

---

(١) فى الأغانى ٨/١٢٧: وأتاهم. وجاء فى رواية أخرى ج ٨ ص ١٤٨ كما هنا .

(٢) فى الأغانى٨/١٢٧: وقالوا إنانستحلف إليهم.وفى ج ٨ ص ١٤٨ :أستخلص إليهم وذلك مثل نسخة ت .

(٣) سبق أن ابن عمه مسعدة . لـكن فى الأغانى ٨/١٢٧ ونسختى ا وك: ومسعودا أما نسخة ت فهى « ومسعدة » وكذلك فى الأغانى ٨/١٤٨ ومسعدة . وجاء بالشعر الذى هنا. أما فى ج ٨ ص ١٢٧ فشعر قافيته عين .

(٤) فى الأغانى : « إن الترحل إن تلبس أمرنا » وفى ا : أحم مكور .

(٥) محطوطة المتنين : ممدودتهما وممكور : ممتلىء .

لا حُسْنها حُسْن ولا كدلالها　　دَلٌّ ولا كوقارها توقيرُ[1]

ولئن جزيتِ الوُدَّ منى مثلَه　　إنى بذلك يا بثينَ جَــديرُ

فقال له روق: إنك لعاجز ضعيف فى استكانتك لهذه المرأة وتركك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود مَن هو أجمل منهــا ، وإنك فيها بين فجورٍ أرفعك عنه ، أو ذُلٍّ لا أُحبه لك ، أو كَمَدٍ يُؤدِّيك إلى التاف. ومخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تعرَّضت لها بعد إعذارهم إليك ، وإن صرفت نفسك عنها وغلبتَ هواكَ فيها وتجرَّعت مرارةَ السلوان فذلك الحزم[2] حتى تألفها وتَصْبِرَ نفسَك عليها طائعةً وكارهةً أَلِفْتَ ذلك وسلوت . فبــكى جميل وقال : يا أخى ، لو ملــكتُ اختيارى لــكان ما قلتَ صوابا ، ولــكنى لا أملك الاختيار ، ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ، وقد جئتك لأمر أسألك ألا تــكدِّر فيه ما رجوتُه عنــدك بلومٍ ، وأن تحمِل على نفسك فى مساعدتى ، فقال له : فإن كنت لابدَّ مُهْلِــكاً نفسك فاعمل على زيارتها ليلا ، فإنها تخرج مع بنات عمٍّ لها إلى مَلْعب لهنّ ، فأجىء معك حينئذ سرًّا ، ولى أخٌ من رَهْط بثينة من بنى الأَحَبِّ نَأْوِى عنده نهارا ، وأسأله مساعدتَك على هــذا ، فنُقيم عنده أياما نهارا وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقضِيَ أَرَبَك . فشكره ، ومضى روق إلى الرجل الذى من رهط بثينة ، فأخبره الخبر ، واستعهده كِتمانه ، وسأله مساعدتَه فيه ، فقال له : لقد جئتنى بإحدى العظائم ، ويحك ! إن فى هذا معاداتى الحىَّ جميعا إن فُطِنَ به . فقال : أنا أتحرّز فى أمره من أن يظهر . فواعَدَه لذلك ، ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة ، فأتيا الرجلَ ليلا فأقاما عنده ، وأرسل إلى بثينة بوليدةٍ له بخاتم جميل ، فدفعته إليها ، فلما رأته عرفته ، فتبعتها وجاءته ، فتحدثا ليلتهما ،

---

(١) لاحسنها : أى لا كحسنها . هذا ، وبعده فى الأغانى بيت.

(٢) فى الأغانى : وتجرعت مرارة الحزم .

وأقام موضعَه ثلاثة أيام ثم ودَّعها فقال لها : عن غير قِلًى والله يابثينةُ ولا مَلَل كان وداعى إياك ، ولكنى قد تذمَّمت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسَه لقومه ، وقد أقمت عنده ثلاثا ، ولا مزيد على ذلك . ثم انصرف ، وقال فى عَذْلِ رَوْقٍ ابنِ عمه إياه :

لقد لامنى فيها أخٌ ذو قرابةٍ … حبيبٌ إليه فى ملامته رُشْدِى
فقال أَفِقْ حتى متى أنت هائمٌ … بثينة فيها قد تُعيد وقد تُبْدِى
فقلت له فيها قَضَى اللهُ ما ترى … علىَّ وهل فيما قضى الله من رَدِّ(١)
لقد لجَّ ميثاقٌ من الله بيننا … وليس لمن لم يُوف بالله مِنْ عَهْد(٢)
فلا وأبيها الخيرِ ما خُنتُ عهدَها … ولا لِيَ عِلْمٌ بالذى فَعلتْ بَعْدِى
وما زادها الواشون إلَّا كرامةً … علىَّ وما زالت مودَّتُها عندى
أفى الناسِ أمثالى أحبُّوا فحالُهمْ … كَحالِىَ أمْ أَحببتُ من بينهم وَحْدِى
وهل هكذا يَلْقَى المُحبُّون مِثلَ ما … لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحد وَجْدِى
إذا ما دَنَتْ زِدْت اشتياقاً وإن نأتْ … جَزِعْتُ لِنأْىِ الدار منها وللبُعْدِ(٣)
أَبَى القلبُ إلَّا حبَّ بثنةَ لم يُرِدْ … سواها وحبُّ القلبِ بثنةَ لا يُجْدِى

وكان رهطُ بثينة قد ائتمنوا عليها عجوزا منهم يثقون بها يقال لها أمّ منظور ، فجاءها جميل فقال لها : يا أم منظور ، أرينى بثينة ، قالت : لا والله لا أفعل ، قد ائتمنونى عليها ، فقال : أمَا والله لأضرَّنَّكِ إذاً ، فقالت : المضرَّةُ والله أن أُرِيَكَها ، فخرج من عندها وهو يقول :

---

(١) بعده فى الأغانى بيت .

(٢) فى الأغانى : يوف لله .

(٣) هذا البيت والذى بعده لم يجيئا فى الخبر، هذا الذى ورد فى ج ٨ ص ١٥٠ وإنما جاءا وحدهما فى ج ٨ ص ١١١ .

ما أَنسَ لا أَنْسَ منها نظرةً سلفتْ · بالحِجْرِ يوم جَلَتْها أُمُّ منظورِ
ولا انْسِلابتَها خُرساً جبائرُها · إِلىَّ من ساقط الأرواق مستورِ[1]

فما كان إلا قليلا[2] حتى انتهى إليهم خبر هذين البيتين ، فذكروا ذلك لأم منظور[3] ، فحلفت لهم بكل يمين فلم يقبلوا منها .

ولما بلغت هذه الواقعةُ مُصعبَ بن الزبير قال : وددت أنى عرفت كيف جلتْها ، فقيل له : إن أم منظور حيَّة ، فكتب فى حَمْلها إليه مُكرَّمة ، فحُمِلت إليه ، فقال لها : أخبريني كيف كانت الجَلْوة ؟ قالت : ألبستها قلادةَ بَلَحٍ ومِخْنَقَةَ بَلَحٍ[4] فى واسطتها تُفَّاحة ، وضفرت شعرها ووضعت فى فَرْقِها شيئا من خَلُوق ، ومرّ بنا جميل راكبا ناقته ينظر إليها بمُؤْخِرِ عينه ويلتفت حتى غاب عنها ، فقال لها مصعب : أقسم عليك إلَّا جَلَوْتِ عائشةَ بنتَ طلحة مثل ما جلوتِ بثينة . ففعلت ، وركب مصعب ناقته وأقبل ينظر إليها بمؤخر عينه ويلتفت حتى غاب عنها ثم رجع .

جاء جميل إلى بثينة وقد أخذ ثيابَ راع لبعض الحيّ ، فوجد عندها ضِيفاناً لها ، فانتبذ ناحية ، فسألته : من أنت ؟ فقال : مسكينٌ مُكاتَبٌ[5] فجلس وحده ، فعشَّت ضيفانها وعشَّته وحده ، ثم جلست هى وجارية لها على صِلائهما[6] ، واضطجع القوم مُنْتَحِين ، فقال جميل :

---

(١) الانسلاب هنا يراد به التسلل. والجبائر جمع جبيرة ومن معانيها السوار والدملج. والأرواق: الفساطيط . وفى المختار وأغلب نسخ الأغانى : من ساقط الأوراق. فتكون هنا بمعنى الأوراق الجافة المتساقطة على الأرض تسير فوقها حذرة .

(٢) فى الأغانى : « إلا قليل » وهنا المعنى: فما كان الأمر أو الزمن إلا قليلا .

(٣) فى الأغانى : فتعلقوا بأم منظور .

(٤) المخنقة القلادة .

(٥) المكاتب من يجعل عليه سيده أقساطا إذا أداها صار حراً .

(٦) الصلاء: النار. ويراد أنهما تستدفئان أو توقدان.

هل البائسُ المقرور دانٍ فمُصْطَلٍ   من النارِ أو مُعْطًى لِحافاً فلابسُ

فقالت لجاريتها : صوتُ جميل واللهِ ، اذهبي فانظري ، فرجعت إليها فقالت : هو واللهِ جميل ، فشهقت شهقة سمعها القوم ، فأقبلوا يجرون إليها ، فطرحت بُرْداً لها حِبَرَةً فى النارِ وقالت : احترق بُرْدى . فرجع القوم ، وأرسلت جاريتَها إلى جميل فجاءتها به ، فحبسته عندها ثلاث ليال ، ثم سلم عليها وودَّعها وخرج عنها[1] .

كانت بثينة قد واعدت جميلا أن يلتقيا فى بعض المواضع ، فأتى لوعدها ، وجاء أعرابىٌّ يستضيف القومَ ، فأنزلوه وقَرَوْه ، فقال لهم : قد رأيت فى بطنِ هذا الوادى ثلاثة نفَرٍ متفرّقين مُتوارِين فى الشجر، وأنا خائف عليكم أن يَسُلُّوا[2] بعضَ إبلكم ، فعرفوا أنه جميل وصاحباه ، فحرَسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده ، فلما أسفر الصبح انصرف كئيبا سَيِّءَ الظن بها ، فرجع إلى أهله ، فجعل نساء الحى يُقرِّعْنه بذلك ويقلن له : إنما حَصلتَ منها على الغدر والباطل ، وغيرُها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يحظى بها . فقال فى ذلك :

أبثينَ إنك قد مَلَكت فأَسْجِحى   وخذى بحظِّك من كريمٍ واصلِ[3]

فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصْلَها   بالجدِّ تَخلِطه بقول الهازلِ

فأجبتُها بالقول بعد تستُّرٍ   حُبِّى بثينةَ عن وِصالك شاغلى

لو كان فى قلبى كقدر قُلامةٍ   فَضْلًا وصلتُكِ أو أتتكِ رسائلى

ويقلن إنك قد رَضيتَ بباطلٍ   منها فهل لك فى اجتنابِ الباطلِ

ولباطلٌ ممَّن أحبُّ حديثَه   أَشهَى إلىَّ من البغيض الباذلِ

---

(١) فى الأغانى : ثم سلم عليها وخرج .

(٢) السل : السرقة خفية .

(٣) أسجح : أحسن العفو .

لِيَزِلْنَ عنكِ هوايَ ثم يَصِلْنني ... وإذا هَوِيتِ فما هوايَ بزائلِ

صادتْ فؤاديَ يا بثينَ حِبالُكم ... يومَ الحَجُون وأخطأتكِ حبائلي

مَنَّيْتِني فَلَوَيْتِ ما مَنَّيْتِني[(١)] ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ

وتثاقلتْ لمَّا رأتْ شغفي بها ... أحبِبْ إليَّ بذاك من مُتثاقلِ

وأطعتِ فِيَّ عواذِلًا فهجرتِني ... وعصيتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذِلي

حاوَلْنني لِأَبُتَّ حَبْلَ وصالكمْ ... مِنِّي ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ[(٢)]

فرددتُهنَّ وقد سعينَ بهجرِكمْ ... لمَّا سَعَيْن له بأسهُمِ ناضِلِ[(٣)]

يَعْضَضْنَ من غيظٍ عليَّ أناملًا ... ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جنادلِ

ويقلن إنكِ يا بثينَ بخيلةٌ ... نفسي فداؤكِ من ضَنِينٍ باخلِ

وقال في هذا الوعد من أبيات :

إني لأحفظ غيبكمْ ويَسُرُّني ... لو تَذْكرِين بصالحٍ أن تَذْكُري

ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلًا ... أو نلتقي فيه عليَّ كأشهُرِ

يا ليتني ألقَى المنيَّةَ بغتةً ... إن كان يومُ لقائكمْ لم يُقدَرِ

أو أستطيع تجلُّدًا عن ذِكركمْ ... فيُفيقُ بعضُ صبابتي وتذكُّري[(٤)]

إني إليكِ لما وعدتِ لناظرٌ ... نَظَرَ الفقيرِ إلى الغنيِّ المُكْثِرِ

---

(١) لواه: طواه وستره وأخفاه .

(٢) بته : قطعه .

(٣) الناضل : الغالب فى النضال . وفى الأغانى : «بأفوق ناصل» والسهم الأفوق : الذى به ميل والناصل : الذى لا نصل له .

(٤) بعده فى الأغانى خمسة أبيات .

تَعِدُ الديونَ وليس تُنْجِز وَعْدَها(١) هــذا الغريمُ لنا وليس بِمُعْسِرِ
ما أنتِ والوَعْدَ الذى تَعِدِينَنى إلَّا كبرقِ سحابةٍ لم تُمْطِرِ(٢)

وقال أيضاً فى إخلافها هذا الوعد من أبيات :

أَلَا ليت شِعرى هل أبيتنَّ ليلةً بوادِى القُرَى إنى إذًا لسعيدُ
وهل أَلقيَنْ فَرْدًا بثينــةَ مرةً تجودُ لنــا من وُدِّها ونجودُ
عَلِقْتُ الهوى منها وَلِيداً ولم يَزَلْ إلى اليــوم يَنمِى حُبُّها ويَزِيدُ
وأفنيتُ عمرى بانتظارِىَ وَعْدَها وأَبْلَتْ بذاك الدَّهْرَ وهو جَدِيدُ(٣)
فلا أنا مردودٌ بما جِئتُ طالباً ولا حُبُّها فيما يَبِيــدُ يَبِيدُ
وما أنس مِ الأشياء لا أنسَ قولَها وقد قَرَّبتُ نِضْوِى أَمِصْرَ تُرِيد(٤)
ولا قولَها لولا العيونُ التى تَرَى لزرتُك فاعذِرْنى فَدَتْك جُدودُ(٥)
يقولون جاهِدْ يا جميــلُ بغَزوةٍ وأىَّ جهــادٍ غيرَهنّ أُريدُ
لــكلّ حديث بينهنّ بشاشةٌ وكلُّ قتيــلٍ بينهنّ شَهِيدُ
إذا قلتُ مابى يابثينةُ قاتِــلى من الحبّ قالت ثابتٌ ويَزِيدُ
وإن قلتُ رُدِّى بعضَ عقلى أَعِشْ به مع الناس قالتْ ذاك منك بعيدُ(٥)
إذا فــكَّرتْ قالت قد أدركْتُ وُدَّهُ وما ضرَّنى بخلى فــكيف أجودُ
فلو تُــكشف الأحشاء صُودِفَ تحتَها لبثْنَةَ حُبٌّ طــارف وتَليــدُ(٥)
وقــد تَلْتقى الأشتاتُ بعد تَفَرُّقٍ وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهى بَعِيدُ

(١) فى الأغانى : يعد الديون وليس ينجز موعدا .
(٢) بعده فى الأغانى بيت .
(٣) فى الأغانى : وأبليت فيها الدهر :
(٤) النضو : المهزول من الحيوان ، ويريد ناقته .
(٥) بعده فى الأغانى بيت .

لقى جميلٌ بثينةَ بعد تهاجرٍ كان بينهما ، فتعاتبا طويلا ؛ فقالت له : ويحك ياجميل ، أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول :

رَمى الله فى عَيْنَىْ بثينةَ بالقَذَى وفى الغُرِّ من أنيابهـا بالقوادِحِ

قال : فأطرق طويلا يبكى ثم قال : بل أنا الذى أقول :

ألَا ليتنى أعمى أَصمُّ تقودنى بثينةُ لا يَخفى عـلىَّ كلامُها

فقالت : وما حَمَلَك على هذا ؟ أَوَ ليس فى سَعَةِ العافية ما يسعنا جميعا[١] ؟

وشَتْ أَمَةُ بثينة إلى أبيها[٢] وأخيها فقالت لهما : إن جميلا عندها الليلة ، فأتيا مُشتمِلَيْن على سيفين ، فرأياه جالسا حَجْرَةً[٣] منها يحدّثها ويشـكو إليها بَثَّهُ ثم قال لها : يا بثينة ، أرأيتِ وُدِّى إياكِ وشغفى بك ألَا تجزينه ؛ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابَّيْن ، فقالت له : يا جميل ، أهذا تَبْغِى ؟ والله لقد كنتَ عندى بعيدا منه ، ولئن عاودْتَ تَعريضا بريبة لارأيتَ وجْهى أبدا . فضحك ثم قال : والله ما قلتُ لك هذا إلّا لأعلم ما عندكِ ، ولو علمتُ أنك تُجيبيننى إليه لعلمت أنـك تجيبين غيرى ، ولو رأيت منك[٤] مساعدةً عليه لضربتُك بسيفى هذا ما استمسكَ فى يدى إن أطاعتنى نفسى أو لهجرتك أبدا[٥] ، أو ما سمعت قولى :

وإنى لأرضى من بثينةَ بالذى لو استيقن الواشى لقرّت بلابلُه[٦]

بِـلَا وبأن لا أستطيع وبالمُنى وبالأملِ المرجُوِّ قـد خاب آمله

وبالنظرةِ العَجْلَى وبالحَوْلِ تنقضى أَوَاخِرُه لا نلتـقى وأوائلُـهْ

---

(١) فى الأغانى : ما كفانا جميعا .

(٢) فى الأغانى : سعت أمة لبثينة بها إلى أبيها .

(٣) حجرة : ناحية .

(٤) فى ا : ولو علمت .

(٥) فى الأغانى : لهجرتك هجرة الأبد .

(٦) فى الأغانى : لو ابصره الواشى .

قال : فقال أبوها لأخيها : قم بنا فما ينبغي لنا بعد هذا اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها . فانصرفا وتركاهما .

بلغ جميلا أن رهط بثينة يقولون إن جميلا ليس مع بثينة ، وإنما هو مع أمةٍ لها ، وذلك أن بثينة كانت قد أرسلت إليه : إن رجالى قد نذروا دمك فلا تأتنى والقَ أمتى ، فإن أمتى هذه تأتيك برسالتى وترسلها إلىّ فيما تريد ، ففعل ذلك حين كَثُر ما يُوجد مع الأمة ، فقال بعضهم لبعض : ظلمتم بثينة وشهرتموها ، وإنما يتبع جميلٌ أَمتَها . فقال جميل لأمتها : عِدِيها فى بُرْقة[1] ذى ضالٍ فإنى سآتيها ونتحدث ، حتى إذا جاءها الكَرَى قلتُ : تنام ساعة ثم أُرخى لها فأوسع لها بردى فتنام وأنسلُّ فإذا أصبحت فقومى بوضوئها فقولى : أين بثينة . ففعل ذلك وفعلت الجارية فأشارتْ إليها أمُّ بثينة وهى تُصلّى : أن اسكتى ، فلما انصرفتْ حلفتْ على الجارية لتعاقِبَنَّها إن لم تُخبرها أين هى ؟ فأخبرتها ، فقالت : اذهبى بالوضوء وَجْهاً غير وَجْهِها ، إنهم سَيتبعونك ، ففعلتْ ماأمرتها ، فتبعوها ، ونهضت أمها فأيقظتها وخالفتهم إلىالبيت ، فلما رجعوا اتبعوا أثرهما من حيث جاءت ، فوجدوا ملتقاهما ، فافتضحت وقال جميل فى ذلك :

فمن كان فى حُبِّى بثينةَ يَمْتَرِى   فَبُرقةُ ذِى ضالٍ علىَّ شَهيدُ
لئن كان فى حُبِّ المُحِبِّ حَبيبَهُ   حدودٌ لقــد حَلَّتْ علىَّ حُدودُ
ألَا أيُّها الغيرانُ فى أَنْ أُحِبَّهــا   بِسخْطك يَنْمِى حُبُّها ويَزيدُ
فلو مِتُّ كلَّ المَوْتِ كَى يَخْلُقَ الهوَى[2]
لهــا فى فؤادى مُتُّ وهو جَــديدُ

---

(١) فى الأغانى : برقاء ذى ضال ولكن القصة فى الأغانى مختلفة مختصرة وكذلك شعرها.
(٢) يخلق : يبلى .

وَيَحْسَبُ نِسوانٌ إذا جئت زائرا بثينةَ أنى بَعْضَهُنَّ أُرِيدُ
فياليتَ أن الريح فى ذاتِ بَيْنِنا إذا نحن شئنا يا بُثينَ بَرِيدُ
إذا بلَّغتكمْ حاجةً رَجَعت لنا إليكمْ بأُخرى مِثلِها فتعودُ

فغضبت بثينة عليه وآلت لا تظهر له ، وقالت : فضحتنى ، وهجرَته فاستَحْيَا ومَضَى إلى الشام ، وعند[١] ذلك واصلت حُجْنَة[٢] الهلالى ، وكان ابنَ سُرِّيَّة ، فقال لها : لا أرضى أو تُعلمى جميلا أن قد استبدلتنى به ، فجاءها جميل فقالت :

ألم ترَ أن الماء غُيِّرَ حاضراً وأن شِعابَ القُلْب بعدك حُلَّتِ[٣]

فقال جميل :

فإن تكُ حُلَّت فالشِّعابُ كثيرةٌ وقد نَهِلت منها قلوصى وعَلَّت

فقالت بثينة : عرَّضتنى لجميل تجعلنى حديثا ويُسَمِّع بى ، لا أطيعك إليه بشىء بعد هذا أبدا ، وقالت لجميل : إنه استنزلنى فأنْشُدُك بالله أن تكشف ما تحت ثوبى وتذكره ، فإنها كانت هفوة وأثرك تعفوه الرياحُ أحبُّ إلَىَّ منه ، فقال جميل[٤] :

أيا بثنُ إن واصلتِ حُجْنَة فاصرِمى حبالى، وإن صارَمْتِه فَصِلينى
ولا تجعلينى أسوةَ العَبْدِ واجْعَلى مع العبدِ عَبْدًا مثله وذَرِينى
أحاذِر ما لا تَحذرين وأتَّقى على قَرَنِى مَن ليس لى بقرينِ[٥]

---

(١) هذا الخبر ليس فى الأغانى وانظر الخزانة ٣/٩٤ فإنه يفهم أنه ذكر فى الأغانى .

(٢) وردفى ا، ك حجية وكذلك الخزانة ٣/٩٤ ولكن الشعر يقتضى حجنة كالأغانى ٨/١١٩ حيث ورد اسمه مضبوطا. وفى الخزانة حجبة .

(٣) فى المختار : «وأن شعار» وجاءت صحيحة فى بيت جميل فى نسخة ا والقلب جمع قليب: وهى البئر. والشعاب جمع الشعب: وهو مسيل الماء فى بطن الأرض . أو تكون القلب «بفتح القاف» أى نواحى القلب وانظر الخزانة ٣/٩٤ وديوانه ص ٣٩ .

(٤) هذا الشعر وخبره لم يرد فى الأغانى وانظر الخزانة ٣/٩٤ .

(٥) القرن : المقرون بآخر

رأيتُ بِعَيْنَيَّ اليقينَ فما الذى تَعَمَّى على عَيْنَيَّ بعد يَقينِ

فانصرف عنها وتركها ، وذلك حين يقول فيها :

رمى اللهُ فى عَيْنَىْ بثينةَ بالقَذَى وفى الغُرِّ من أنيابها بالقوادِحِ

ولما[1] قدم جميلٌ من الشام مكث يروم زيارة بثينة أياما فلم يقدر عليها ، لشدة مراعاة أبيها وزوجها وأخيها لها، وهو مع ذلك يراسلها ويجتهد فيها فلا يمكنه لقاؤها، فمرّ به فِتيةٌ من قريش ذات يوم ، فنزلوا به وباتوا عنده ، فقراهم أكرم قِرًى ، وحدّثهم حتى ملأ قلوبهم ، وعرّفهم نفسه وحاله ، فقال له بعضُهم : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، تَنزل بأبى بثينة وتَبيت عنده ، فإذا وجدتَ غفلةً قلت له : إن غريما وَعدنى وحلف ألّا أطلبَه ولا أُرسِلَ إليه إلّا أتانى ، وقد طال مَطْلُه إياى، وهو رجل منكم ، وأريد أن تعينونى عليه ، فإنها ستُجيبك بوَعْدٍ تُحَصِّله ، ففعل القرشى ذلك وخاطب أباها ، فقالت بثينة : يا أبتِ ، قد رأيت هذا الفتى القرشىّ ملازما لرجل يطلبه بحقٍّ له عليه فى وقت مساء تحت شجرات بأعلى الوادى ، ولست أعرف الرجل بعينه لأنه كان فى وقت مظلم ، فقال له أبوها : إذا غدوتَ عليه وطالبتَه عاونتُك وكرامةً ، فلما أصبح مضى إلى جميل وأخبره بالوعد ، فلما أمسى أتى الشجرات ، فوافته بثينة للوعد ومعها أترابها : أمّ الجسير وأمّ منظور وليلى ، فسلمت عليه وتعاتبا ، وقال لها فى بعض قوله : اجعلى بينى وبينك حَكَما من أخواتِك أحاكمك إليها . فقالت : قد رَضيتُ بأمّ منظور ، فقال لها : إن بثينة قد عاهدتنى ألّا أُوَجّه إليها أبدا إلا أجابتنى ، ولا أَسُومها شيئاً ، وقد وجّهْتُ إليها مرارا فلم تأتنى ولا وَفَتْ بعهدها، فقالت لها أمّ منظور : ما تقولين ؟ قالت : ما فعلتُ. فسألته البيِّنة ، فقال: لا شاهد إلا الله عز وجل، فقالت بثينة: ماعاهدتك على هذا قط ،

---

(١) هذا الخبر لم يرد فى الأغانى مع طوله ولا وردت القصيدة مع طولها .

ولكنى على ذلك، وما جاءتنى رسالتك إلا سارعت إليك ، ولا تأخَّرتُ إلا من عذر . فغضب جميل لُجحودها[1] وأطرق وما راجَعَها حرفا واحدا حتى برق الصبح ، فلما أرادا الافتراق ودّعتْه فلم يودِّعها ، وكلّمته فلم يُجِبْها ؛ فلم تزل تجتهد به أن يكلمها فلم يفعل ، فانصرفت ؛ والتفتت فرأته جالسا فرجعت فأكبّت عليه وقالت له : إن الحيَّ راحلٌ ، ولعلنا لا نلتقى مُدَّة ، وأنا الآن أشهد أخواتى على ما أردت ، فودَّعها ، وبكى ، ورحلَ فَريقُها إلى الشام[2] منتجعين ، فجمل يطوف ديارهم ، ويتتبع آثارهم ، ويبكى ويتذكر محادثته بثينة إلى أترابها ، وأنشأ يقول:

أشاقَتْك المعـارِفُ والطُّلولُ ... عَفَوْنَ وخَفَّ منهنّ الْحُمولُ
نَعمْ فذكرتُ دُنْيَا قد تقضَّتْ ... وأىُّ نعيمِ دُنيـا لا يَزولُ
أسائلُ دارَ بَثنـةَ أين حلَّتْ ... كأن الدارَ تُخْبِرُ ما أقـولُ
فمَنْ هـذا يُبلِّغها رسـولًا ... كذاك لكلِّ ذى حاجٍ رَسولُ
فيسألها وينظر هـل إليها ... لَخلْوةِ ساعـةٍ منها سَبيلُ
أقول لهـا اعتللْتِ بغيرِ ذنبٍ ... وشرُّ الناس ذو العِلَل البَخيلُ
تُقاضِينى إلى حَـكَمٍ من أهْلِى ... وأهلِك لا يَحيفُ ولا يَميلُ
فوَلَّينا الحـكومةَ ذا وفاءٍ ... أخا عـدلٍ له طَرْفٌ كَحِيلُ
فقلتُ له قُتِلتُ بغـيرِ ذنبٍ ... وَغِبُّ الظلمِ مَرْتَـعُه وَبيـلُ
فسلْ هَذِى متى تَقضى ديونى ... وهل يَقضيك ذوالعِدَة المَطولُ
فقالت كلُّ ذا كَذبٌ ومَيْنٌ ... وزُورٌ من خُصومته طَويـلُ
أأَقتلُه ومالى من سـلاحٍ ... ومالى لو أُقاتِلُه حَوِيـلُ[3]

(١) فى ت : من جحودها .

(٢) فى ا : « ورحل معها إلى الشام .

(٣) الحويل هنا بمعنى القوة ، من الحول أو هو القدرة على دقة التصرف .

ولم آخــذْ له مالًا فَيلْقَى ... له دينٌ عــلىَّ كما يقــولُ
وآلتْ حَلْفةً أن ليس عندى ... نَقِــيرٌ يدَّعيــه ولا فَتِيــلُ[1]

ولما نزلوا[2] إلى الشام دخل أبو بثينة إلى عبد الملك بن مروان فى حاجة له ، وكان ذا جاه عنده ، فشـكا إليه جميلا ، فتبسّم عبد الملك وقال : أعيا الداءُ الدواءَ ، فقال : أَنْشُدكَ الله يا أمير المؤمنين أن تقول هذا فيجترى علينا، فقال : قد أبحتكم دمه إن وجدتموه ، وبلغ ذلك جميلا فقال :

مَنع النومَ شِدَّةُ الإشفاقِ ... وادِّكارُ الحبيبِ يومَ الفراقِ
ليت شعرى إذا بثينةُ بانتْ ... هل لنا بعد بَيْنِها من تَلاقِ
ولقد قلتُ يوم نادى المُنادى ... مُستَحِثًّا برِحْلَةٍ وانطلاقِ
ليت لى اليومَ يا بثينةُ منكمْ ... مَجلِساً للوداع قبـل الفِراقِ
حيث ما كنتُم وكنتُ فإنى ... غــيرُ ناس للعهدِ والميثاقِ

نظر[3] جميلٌ إلى مُصعَب بن الزُّبير وهو غلام شاب فى ثوبين أسودين من ثياب اليمن على الجَبَل بعرَفة ، فعرفه فقال : إن ها هنا لَجَمالا أكره أن تراه بثينة .

خرج[4] جميلٌ ذات يوم مع أصحاب له إلى الصيد ، فعنَّتْ لهم ظبية يتبعها خِشْفٌ، فلما رأتهم نفَرَتْ ولم يقدر أن يَنْجُوَ الخِشفُ لصغره ، فوقفت تنظر إليهم وتخافهم ولا تهرب إشفاقاً عليه ، فحلف جميلٌ ألَّا يكلِّمَ أحداً منهم إن رماها أو رمى الخِشف فتركوها وانصرفوا عنهما ، فلحق الخِشف بأمه ، فقالوا لجميل : ما حملك على هذا ؟ فقال : شبهتها ببثينة وتلفُّتِها إلىَّ عند الوداع ، ثم قال :

---

(١) النقير : النكتة فى ظهر النوا .
(٢) هذا الخبر وشعره ليس فى الأغانى .
(٣) هذا الخبر لم يرد فى الأغانى .
(٤) هذا الخبر لم يرد فى الأغانى والقصيدة لم ترد فى ديوانه .

عَلَى الدار التى لَبِسَتْ بِلَاها قِفَا يا صاحِبَىَّ فسائلاها
وما يُبكيك من عَرَصاتِ دَارٍ تقادَمَ عهدُها وبَدَا بِلَاها
ذكرت بها التى تَرْمى فتُورِى إذا ما أرسلَتْ سَهْماً شَوَاها(١)
أُتيحَتْ لى ونفسى قد تجلَّتْ عَمَايةُ غَيِّها ورأَتْ هُداها
وزايَلَها السَّفاهُ فليس منها وثابَ الحِلْمِ واجتنبتْ صِبَاها
وقد طالبتُها حتى مَلَلْنَا مواعِدَها وأعيانا مُنَاها
فما جادت لنا حتى وردْنا(٢) حياض الموت أوْ كِدْنا نَراها
ذكرتُكِ إذ رأينا أُمَّ خِشف بذِى ضالٍ تَرِيع إلى طَلَاها(٣)
رأتنا قاصِدِينَ لها فولَّت أَمامَ الخِشْفِ مُضطَرِباً حَشَاهَا
وقد حفَّ الرماةُ بجانبيها وكلُّهمُ على حَنَقٍ يَرَاهَا
فجالتْ ساعةً ثم استظلَّتْ إلى سَنَدٍ تُحاول مُلْتَجاها
إليه تارةً تَرْمى بطَرْف وأُخرى نَحْونا قلقا حَشَاها
وقد أليتُ خَشيتَهم عليها أُكَلِّمُ منهم رَجُلًا رَمَاها
فقالوا ما دهاك فقلت نفسى وبيتِ الله تعلم ما دهاها
وما بى فاعْلموا من حُبِّ ظبيٍ ولكنى ذكرتُ به سِواها
ألاَ يا شِبْه ذاتِ الخال قِرِّى بأَرضِك لن تُرَاعى فى رُبَاها
فقد أشبهتِ ذاتَ الخال إلَّا مَناطَ القُرْط منها أو شَوَاها

---

(١) الشوى : الأطراف .
(٢) فى ت : حتى وصلنا .
(٣) تريع : ترجع . والطلى : ولد الظبية .

وساقُك حَمْشَة والساق منها ... خَدَلَّجَـة يَغَصُّ بهـا بُرَاهـا[1]
ولو ماشَيْتِهـا لَعَجلْتِ عنهـا ... وذاتُ الخال مقصورٌ خُطَـاها
ولـكن الذى أشبهتِ منهـا ... مُقَلَّدُها العتيقُ ومُقلتـاهـا[2]

كان جميل قد هاجَى جَوَّاسَ بن قُطبة[3] بن ثعلبة وسافر جواسٌ إلى يهود تيماء: فقالوا لجميل : قلْ فى نفسك ما شئت، فأنت الشاعر الجميل الوجه ، وقلْ أنت يا جَوَّاسُ فى نفسك وفى أبيك ما شئت ، ولا تذكر أنت يا جميل أباك فى نحر، لأنه كان يسوق معنا الغنم بتيماء عليه شَمْلة لا توارى استه ، ونفرَّوا عليـه جَواساً ونَشِب الشرُّ بين جَميلٍ وبين جواس ، وكان جوّاس من رهط بثينة ، وكانت تحته أم الجسير أخت بثينة ، فغضب لجميل نفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جوّاس ليلا وهو فى بيته فضربوه وعَرُّوا امرأته أم الجسير فى تلك الليلة وزاد الشر بين جميل وجواس وتهاجيا .

وكانت بثينة امرأة حسناء[4] كثيرة اللحم حُلوة العينين ، بأعلى حاجبيها أثر كأنه هلال طالع فى وجهها .

التقى جميل والأحوص[5] فتحادثا وتناشدا ، وجعل جميل يشكو إلى الأحوص ما يلقى من بثينة وضيقَ السبيل عليه فى إتيانها فقال له الأحوص : هل لك أن تَرْتَدِف

---

(١) حمشة : دقيقة ؛ وخدلجة : ممتلئة. والبرى : جمع البرة وهى كل حلقة من سوار وقرط وخلخال ويراد هنا الخلخال . وفى المختار يعض بها براها .

(٢) العتيق من معانيه الكريم والرائع . ولعلها أيضا العنيق وتكون صفة من عنق عنقا طال عنقه ولـكن الذى ورد هو أعنق .

(٣) فى ا و ت : قطنة وفى ك بدون نقط هذا ، والخبر لم يرد فى الأغانى .

(٤) فى ك : وكانت جميلة امرأة حسناء وفى ت : وكانت امرأة جميلة حسناء وأثبت ما فى ا .

(٥) هذا الخبر لم يرد فى ترجمة جميل فى الأغانى .

خلفى وأغشى منازل بثينة وأهلها عَشِيًّا فأنتسب لهم وأهلها غيب وأنزل بأبيها فإنه وَدٌّ لى[1] ولن يستريب بك . وتلتحف أنت التحاف المرأة ليظن أنك امرأة معى فيضرب لى[2] هناك بيتا وأقيم فيه ثلاثة أيام حتى أريح جسمى وبعيرى ثم أرتحل، ويكون بينك وبين صاحبتك ما تحبّ فقال: والله لقد أشرت برأى، فقم بنا ، فركب الأحوص وارتدفه جميل ، ومضيا ، وجاء الأحوص حتى نزل ببنى الأحبّ وسأل عن أبى بثينة فدُلّ على منزله ، وأتاه فنزل عليه وقصده ، فسلّم كل واحد منهما على صاحبه ، وأفرد له أبو بثينة بيتا فى ناحية من بيته وبعث إليه بوليدة تخدمه ، فدفع إليها جميلٌ خاتَمَه وقال : أعطيه بثينَة ففعلت فلما هدأ الليل جاءته فجلست معه ومع الأحوص فقالت : أنشدنى قولك :

يا بيتَ عاتِكَةَ الذى أتعزّل ... حَذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ موكّلُ

فقال لها : بل ينشدكِ جميلٌ فهو أنجع وأبلغ فيما قصدنا له ، فإذا قضى وطراً من ذات نفسه أنشدتك حينئذ ، ثم أقبلت على جميل فقالت له : أنشدنى يا أخى ما قلت فأنشدها:

أبلغْ بثينةَ أنى لست ناسيهـا ... ما عشت حتى تُجيبَ النفسُ دَاعِيها[3]
قامت تَرَاءَى لنا والعينُ ساجيةٌ ... يومَ الرحيل وقـد أوْدَت أماقِيها
تَرنو بعينَىْ مَهاةٍ أقصدَت بِهِما ... قَلْبى عشيَّةَ تَرمينى وأرميهـا
هيفـاءُ مقبـلةً عجزاءُ مـدبرةً ... رَيَّا العظامِ بلا عيبٍ يُرَى فيها
من الأوانسِ مِكسالٌ مُبَتَّلَةٌ ... خَوْدٌ غَذاها بلِينِ العيشِ غَاذِيها[4]

---

(١) الود من معانية المحب .

(٢) فى ا : فيصير لى .

(٣) لم يرد الشعر فى الأغانى ولا فى ديوانه .

(٤) امرأة مبتلة الخلق : منقطعة الخلق عن النساء لها عليهن فضـل أو التامة الخلق ، والخود : الشابة. وفى ت: مكسال مسلمة .

بانتْ فلا القلبُ يَسلو من تذكُّرِها ... يوما ولا نحن فى أمرٍ نلاقيها

فليتَها ومـوالى أمرِهـا قبِـلُوا ... جهْدَ الغـلاء بهـا منى فأُغْلِيها

أَوْليتَ جُون القَطَا حَلَّقْن بى وبها ... إلى السماء فَكُنَّا فى خَوافيها

أَكثرتُ لَيْتًا لو انَّ اللَّيْتَ ينفعُنى ... ومن مُنَى النفسِ ما يُعْيِى تَمَنِّيها

وأقاموا عندهم ثلاثا ثم قال جميل للأحوص : يا أخى قد قَضيتَ حقاً وأوجبتَ شُكرا وسَلَيت هَمًّا ، ولست آمنُ أن يَفْشُوَ الحديث وتلحقنا مَعَرَّة من القوم فارْتَحِل بنا . فودَّعهم الأحْوص وخرج عنهم سَحَرا . والتفت جميلٌ فنظر أبياتهم وقد بعد عنها فقال[١] :

وإن زمانًا يا بثين أشَتَّكُمْ ... وأخْلاكِ عن أوطانِنا لَذَميمُ

وإنَّ مَليكًا فيك أَلْوَى بِحُجَّةٍ ... علىَّ وما خاصمتُه لَخَصِيمُ

ثم بكى حتى كاد يسقط عن راحلته ، فقال الأحْوَص : مهلا يا أخى . فقال: إنى على ماترَى منى ومن صبوتى لجليد .

حدث[٢] بعض الرواة قال : دخلتُ حمَّاما بِمصرَ يقال له حمام السِّرِّ ، فإذا برجل لم أر من خلق الله تعالى أحسن منه ، فظننته قرشيًّا ، فأعظمته وسألته : من هو ؟ فقال : أنا جميل ، فقلت : صاحب بثينة ؟ فضحك وقال : نعم ، وإنى لأراها تغلب على نسبى كما تغلب على عقلى . قال : فقلت له : فأنت القائل :

لهـا النظرة الأولى عليهنّ بسطـةً ... وإن كرَّت الأبصارُ كان لها العَقْبُ[٣]

---

(١) البيتان ليسا فى ديوانه .

(٢) الخبر وشعره ليسا فى الأغانى .

(٣) فى ا : وإن كلت الأبصار . وانظر ديوانه ص ٢٦ .

قال : نعم ، قال [قلت] : وأنت القائل :

ترى الزُّلَّ يكرهن الرياح إذا جرت[١] وبَثْنة إن هَبَّت لهـا الرِّيح تَمْرَحُ

قال : نعم ، قال : فقلت له : لقـد ملأت بلاد الله تنويهاً بذكرها ، وإنى لأظنها حَدِيدة العرقوب ، رَقيقة الظُّنبوب[٢] ، كثيرة وسخ المِرْفَق ، إذا كلت شُفرة الحىِّ ذَكَّوْا بعرقوبها . فضحك حتى استلقى ثم قال : لا تقل ذلك يا ابن أخى ، فوالله لو رأيتها لأحببت أن تلقى الله عز وجل منها بنَيـكةٍ مُصِرًّا فيها على الزنا أبدا .

أرسلت عائشة[٣] بنت طلحة إلى كُثَيِّر ، فلما أتاها أدخلته إليها وقالت له : يا ابن أبى جُمْعة ، ما الذى يدعوك إلى أن تقول فى عزة من الشعر ما قلتَ وليستْ من الحسن على ما تصف ، ولو شئتَ لصرفتَ ذلك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ومثلى ؟ فإنى أشرف وأجمل وأوصل من عزّة ، فقال :

إذا ما أرادت خُلَّةٌ أن تَزِيلَنا أَبَيْنَا وقُلْنا الحاجبيَّةُ أَوَّلُ

سنُوليك عُرْفا إن أردتِ وِصالنا ونحن لتلك الحاجبيَّةِ أَوْصَلُ

لها مَهَلٌ لا يستطاع ادِّرَاكُه وسابقةٌ فى الُحبِّ لا تَتَحَوَّلُ

فقالت له عائشة : أخطأتْ اُستُك الُحفرة[٤] يا أبا صخر . لقـد سمَّيتنى خُلَّة وما أنا لك بخُلَّة ، وعرضت علىَّ وَصلك وما أُريده ولو أردتَه أنت لكرهتُه أنا ، وإنما أردت أن أبلو ما عندك قولًا وفِعلا فما أفلحتَ ولا أنجحْتَ ، هلا قلت كما قال سيّدُك جميلٌ :

---

(١) الزل جمع زلاء : وهى الخفيفة الوركين .
(٢) الظنبوب : حرف عظم الساق من الأمام .
(٣) هذا الخبر ليس فى ترجمة جميل بالأغانى .
(٤) هذا مثل يضرب فيمن رام شيئاً فلم ينله .

ويقُلْن إنّى قد رَضيتُ بباطلٍ   منها فهل لك فى اجتنابِ الباطلِ
ولباطلٌ ممن أُحِبُّ حَديثَه   أشهى إلىَّ من البغيضِ الباذلِ

حدَّث جماعةٌ من بنى عُذرة أن جميلا رَصَد بثينةَ ذاتَ ليلة فى نُجعة لهم ، حتى إذا صادف منها خلوة تنكَّر ودنا منها ، وذلك فى ليلة ظلماء ذات غيم ورعد وريح ، فحَذَفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ، ففزعت وقالت : ما حذفنى فى هذا الوقت إلا الجن ، فقالت بثينة وقد فطنت : إن جميـلًا فعل ذلك فانصرفى ناحيَةً إلى منزلك(١) حتى ننام ، فانصرفت وبقى مع بثينة أم الجسير وأم منظور ، فقامت إلى جميل فأدخلته الخباء معها ، وتحدّثا طويلا ، ثم اضطجع واضطجعت إلى جنبه فذهب النومُ بهما حتى أصبحا، وجاءها غلامُ زوجها بِصَبوح من اللبن بعث به إليها ، فرآها نائمة مع جميل ، فمضى لوجهه حتى يخبر سيِّدَه . ورأته ليلى والصبوحُ معه وقد عرفتْ خبر جميل وبثينة ، فاستوقفته كأنها تسأله عنه حاله ، وبعثت بجاريتها وقالت : حَذِّرى بثينة وجميلا . فجاءت الجارية فنبهتهما ، فلما تبينت بثينةُ الصبحَ قد أضاء(٢) والناس منتشرين ارتاعت وقالت : يا جميل ، نفسَك نفسَك ، فقد جاءنى غلام نُبَيْهٍ بالصبوح من اللبن ورآنا نائمين ، فقال لها جميـل وهو غير مكترث بما خوّفته منه :

لَعمرُكِ ما خوَّفتِنى من مخافةٍ   بُثينَ ولا حَذَّرْتِنى موضعَ الحَذَرْ
وأُقسم لا يُلْفَى لى اليومَ غِرَّةٌ(٣)   وفى الـكَفِّ منى صارِمٌ قاطعٌ ذَكَرْ

فأقسمت عليه أَن يُلْقِىَ نفسَه تحت النَّضَد وقالت : إنما أسألك خوفاً على نفسى

---

(١) فى ت : فانصرفى يا أخية إلى منزلك .
(٢) فى ت : فلما تنبهت بثينة رأت الصبح قد أضاء .
(٣) فى ت : لا يلقى لى القوم غرة .

من الفضيحة لا للخوفِ عليك . ففعل ذلك ونامت كما كانت ، واضطجعتْ أمُّ الجسير إلى جانبها ، وذهبتْ جارية ليلى[1] إليها بالخبر ، فتركت العبد فمضى إلى سيده والصبوحُ معه وقال : رأيت بثينة نائمة وجميلٌ إلى جنبها . فجاء زوجها[2] إلى أبيها وأخيها فأخذ بأيديهما وعرّفهما الخبر ، فجاءوا بأجمعهم إلى بثينة وهى نائمة ، فكشفوا الثوب عنها ، وإذا أمُّ الجسير إلى جانبها . فخجل زوجها وسبَّ عبده ، فقالت ليلى لأخيها ولأبيها : قبحكما الله ، أفى كلّ وقت تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكلّ قبيح ؟ قبحه الله وإياكما ، فجعلا يسبَّان زوجها ويقولان له كل قول قبيح . وأقام جميل عند بثينة حتى جنه الليلُ ، ثم ودعها وانصرف . وحذرته[3] بثينة لما جرَى من لقائه إياها فتحامَتْه مُدَّة . وقال فى ذلك من أبيات :

ولستُ بناسٍ أهلها حين أقبلوا ... وجَالُوا علينا بالسيوف وطَوَّفُوا

وقالوا جميل بات فى الحيِّ عندها ... وقد جَرَّدوا أسيافَهمْ ثم وقَّفُوا

وفى البيتِ ليثُ الغاب لولا مخافةٌ ... على نَفْسِ بثن والإلهِ لَأَرْعِفوا[5]

همَمْتُ وقد كانت مرارًا تطلَّعَتْ[6] ... إلى حَرْبهم نفسى وفى الكفِّ مُرْهَفُ

وما سرَّنى غيرُ الذى كان منهمُ ... ومنِّى وقد جاءوا إلىَّ وأَوْجَفُوا

وكم مُرتجٍ أمراً أُتيحَ له الرَّدَى ... ومن خائفٍ لم يَنتقِصْه التخَوُّفُ

---

(١) فى الأغانى : خادم ليلى .

(٢) فى الأغانى : بثينة مضطجعة وجميل إلى جنبها فجاء نبيه .

(٣) فى الأغانى : وحذرتهم .

(٤) فى الأغانى أبيات كثيرة قبل أول بيت هنا .

(٥) أرعفوا : أعجلوا . هذا، وفى ا ، ك والأغانى : على نفس جُمل والإله لأرعفو . وأثبت ما فى ت .

(٦) فى الأغانى : وقد كادت مرارا .

أَمُنصفتى بَثْنٌ فتعْدِلَ بيننا إذا حكمَتْ والحاكمُ العَدْلُ يُنْصِفُ(١)
تعلَّقْتُها والجسمُ منى مُصحَّحٌ فما زال يَنْمِى حبُّ بَثْنٍ وأَضْعُفُ(٢)
إلى اليومِ حتَّى سَلَّ جسمى وشَفَّنى وأنكرتُ من نفسى الذى كنتُ أعرفُ

قال الهَيثم بن عَدِىّ : قال لى صالح بن حسان : هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابىٌّ فى شَمْلةٍ وآخره مُخَنَّثٌ يتفكَّكُ من مخنَّثى العَقيق ؟ قلت : لا أدرى ، قال : قد أَجَّلْتُك حَوْلًا . فقلت : لو أَجَّلْتَنى حَوْلَيْن ما علمتُ . فقال لى : ويحك ، هو قول جميل(٣) :

* أَلَا أيُّها النُوَّامُ ويحكمُ هُبُّوا *

فهذا أعرابى فى شملة ، ثم قال :

* أسائلكمْ هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ *

كأنه والله من مخنَّثى العَقيق .

كان لأبى نُفَيْس(٤) جاريةٌ مُغنية ، وقد كلف بها فتى عثمانىٌّ ، فكان يبيع عُقدةً عُقدةً(٥) من ماله وينفق ثمنها عليها ، فابتُلِىَ برجل إفريقى غَشِىَ منزل أبى نَفيس ، فجعل(٦) يكسو الجارية وأهلها ويبرُّهم حتى حظى عندهم وغلب عليهم ، وتثاقلوا عن العثمانى ، فاتفق أن اجتمعا عشيةً فى منزل الجارية ، فنزع الإفريقىُّ خُفَّه ، فتناثر المسكُ منه وجلسوا ساعة ، فقال الإفريقى : غنى بشعر جميل :

---

(١) هذا البيت والبيتان بعده مقدمان فى الأغانى على أول هذه القصيدة هنا . وفى ا ، ك ، والأغانى : « أمنصفتى جُمل فتعدل بيننا » وأثبت ما فى ت .

(٢) فى المصادر السابقة ما عدا « ت » : حب جُمل وأضعف .

(٣) فى الأغانى : ما علمت . قال: قول جميل .

(٤) فى الأغانى : ابن نفيس .

(٥) العقدة : الضيعة .

(٦) فى الأغانى : من أهل إفريقية ومعه ابن له فغشى ابن الإفريقى بيت ابن نفيس فجعل . .

فبَيْنَا حِبالٌ ذاتُ عَقْدٍ لبثْنَةٍ أُتيح لها بعْضُ الغُواةِ فَحَلها
فعُدْنا كأنا لم يكن بيننا هَوًى وصار الذى حَلّ الحبالَ هَوًى لها
وقالوا نَراها يا جميلُ تبدَّلَتْ وغيَّرها الواشى فقلتُ لعلَّها

يُعَرِّض بالعثمانىّ . فقال العثمانى : لا حاجة لنا فى هذا ، ولكن غنى :

ومَنْ يَرْعَ نجداً يَلْقَنى قد رَعَيْتُه بِحُمَّته الأُولى ويُورِدْ على وِرْدِى[1]

قال : فنكّس الإفريقىُّ رأسه ، وخرج العثمانىُّ فذهب ، وخَمِد أهلُ البيت فما انتفعوا ببقية يومهم .

دخلت بثينة على عبد الملك بن مَرْوَان ، فرأى امرأة مُولِّية خَلَقاً[2] ، فقال لها : ما الذى رأى فيك جميل ؟ قالت : الذى رأى فيك الناس حتى استخلفوك . فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها .

لما هَدَرَ السلطانُ دمَ جميل لرهط بثينة إن غَشِى دُورَهم حَذِرهم مدّة ، ثم وجدوه عندها فأعذروا إليه وتوعَّدوه ، وكرهوا أن تَنْشَبَ بينهم وبين قومه حَرْبٌ فى دمه ، وكان قومه أعزَّ من قومها ، فأعادوا شكواه فطُلِب طَلبا شديدا[3] ، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدة ، حتى عُزِل ذلك الوالى عنهم ، وانتجعوا ناحية الشام فرحل إليهم ، ثم إن مَشْيخة الحىِّ مشوا إلى أبى جميل — وكان يلقَّب صُبَاحًا وكان ذا مال وفضل وقَدْر فى أهله وشكوا جميلا إليه وناشدوه الرَّحِم ، وسألوه كفَّ ابنه عما يتعرّض لهم ويفضحهم فى فتاتهم ، فوعدهم كفَّه ومَنْعَه ما استطاع ، ثم انصرفوا ، فدعاه

---

(١) الحمة : السواد ولون بين الدهمة والكتمة ويراد على اخضراره الشديد الأول وفى بعض نسخ الأغانى : بجنبته الأولى. وفى بعضها : بحبته .

(٢) فى الأغانى : «خلفاء» وفسرت بالهامش أنها الحمقاء . وهنا يراد أنها بالية كبيرة وتتفق مع مولية .

(٣) فى الأغانى : فأعادوا شكواه إلى السلطان فطلبه طلبا شديدا.

وقال له : يا بنى ، حتى متى أنت عامِهٌ فى ضلالك ، لا تأنف من أن تتعلق ذاتَ بعل يخلو بها ويَنْكِحها وأنت عنها بمَعزِل ، ثم تقوم من تحته إليك فتغرُّك بخِداعها ، وتُريك الصفاء والمودة ، وهى تضمر لبعلها ما تضمره الحرَّة لمَن مَلَكها ، فيكون قولها لك تَعليلا ، وغُرورا ، فإذا انصرفتَ عنها عادتْ إلى بعلها بحالة المبذولة(١) ، إن هذا لذلٌّ وضَيْم ، ماأعرف أخيب سهما ولا أضيعَ عُمراً منك أَنشُدُك اللهَ إلَّا كففت وتأملْتَ أمركَ ، فإنك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ ، ولو كان إليها سبيل لبذلتُ ما أملكه فيها ، ولكن هذا أمرٌ قد فات واستبدّ به مَنْ قُدِّرَ له . وفى النساء عِوَضٌ ، فقال له جميل : الرأىُ ما رأيتَ والقولُ ما قلتَ ، فهل رأيتَ أحداً قَبْلى قَدَر أن يدفع قَلْبَه عن هواه(٢) ، ومَلَك أن يُسْلِىَ نفسه ، أو استطاع أن يدفع ماقضى اللهُ عليه ، واللهِ لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبى أو أُزيل شخصها عن عينى لفعلت ، ولكن لا سبيل إلى ذلك ، وإنما هذا بلاء بُلِيت به لِحَيْنٍ قد أُتيح لى ، وأنا أمتنع من طروق هذا الحىِّ والإلمامِ بهم ولو متُّ كَمَداً ، وهذا جهدِى ومبلغُ ما أقدِر عليه . وقام وهو يبكى ، فبكى أبوه ومن حضر جَزَعاً لما رأوا منه ، فذلك حين يقول جميل :

ألَا مَن لقلبٍ لا يَمَلُّ فَيذْهَلُ ... أَفِقْ فالتَّعَزِّى عن بثينةَ أجملُ
سلا كُلُّ ذى وُدٍّ علمتُ مكانَه ... وأنت بها حتى المماتِ مُوكَّلُ
فما هكذا أحببتَ من كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضى كنتَ تَفعلُ
فيا قلبُ دعْ تَذكارَ بثنةَ إنها(٣) ... وإن كنت تهواها تَضنُّ وتَبخلُ
وقد أيأست من نَيْلِها وتجهَّمت ... ولَلْيأسُ إن لم يقدَرِ النَّيْلُ أَمثلُ

---

(١) فى الأغانى : على حالتها المبذولة .
(٢) فى الأغانى: أن يدفع عن قلبه هواه .
(٣) فى الأغانى : دع ذكرى بثينة .

وإلّا فسلها نائلا قبـــل بَيْنها ... فأَبْخِلْ بها مسئولةً حين تُسْأَلُ
وكيف تُرجِّى وَصْلَها بعد بُعْدِها ... وقد جُذَّ حبلُ الوصلِ ممن تُؤَمِّلُ
وإن التى أحببتَ قد حِيلَ دونَها ... فـكن حازما فالحـــازم المتحوِّلُ
فنى اليأس مايُسْلِى وفى النَّاسِ خُلَّةٌ ... وفى الأرض ممن لا يواتيك مَعْدِلُ[(١)]
بَدَا كَلَفٌ منى بهـــا فتثاقلتْ ... ومالا يُرَى من غائبِ الوَجَدِ أَجْمَلُ[(٢)]
هبينى بَرِيئاً نِلْته بظُلامــةٍ ... عَفَاها لـكم أو مُذنبا يتنصَّـــلُ
قَنَاةٌ من المُرَّانِ[(٣)] ما فوق حَقْوها ... وما تحتـــه منهـا نَقًا يتهيَّـلُ

لما أراد جميل الخروج إلى الشام هجم ليلا على بثينة ، وقد وجد غفلة ، فقالت له : أهلـكتنى وأهلـكتَ نفسك ، ويحك ، أما تخاف ؟ فقال لها : هذا وَجْهى إلى الشام ، وإنما جئتك مودِّعا ، فحادثها طويلا ثم ودَّعها وقال : يا بثينة ، ما أرانا نلتقى بعدها ، وبكيا طويلا ، وقال وهو يبكى :

ألَا لا أُبالى جَفوةَ الناسِ ما بَدَا ... لنا منكِ رأىٌ يا بثينَ جَميلُ
وما لم تُطيعى كاشحاً أو تبدَّلى ... بَدِيلا بنا أو كان منـــك ذُهولُ
وإنى وتَـكرارى الزيارةَ نحوكمْ ... لبينَ يَدِى هَجْرٌ بُثَيْنَ طَويلُ
وإنَّ صباباتى بـكم لـكثيرةٌ ... بُثَيْنَ ونسيانى لـــكم لَقَليـــلُ[(٤)]

قالوا : ولم يمدح جميلٌ أحداً قطّ .

---

(١) المعدل : المصرف . وفى الأغانى : معزل .
(٢) فى الأغانى : أفضل .
(٣) المران : شجر يتخذ منه الرماح اللدنة فى صلابة .
(٤) فى الأغانى : ونسيانيكم لطويل .

قال متمّم العبدى[(١)] : خرجت من مكة حرسها الله تعالى زائراً قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنى لبسوق الجحفة إذا بجويرية تسوق بعيرا وتترنم بصوت طَيِّب فى شعر جميل :

ألا أيها البيتُ الذى حِيل دُونه ... بنا أنتَ من بيتٍ وأهلك من أهلِ
بنــا أنت من بيتٍ دُخولُك لذّةٌ ... وظلّك لو يُسْطَاع بالبارِد السَّهْلِ
ثلاثة أبيـــات فبيتٌ أُحبُّه ... وبيتان ليسا من هواى ولا شكلى

فقلت : لمن هذا الشعر يا جُويرية ، فقالت : أما ترى الـكُوَّة المُوَقَّاة بالـكِلَّة الحمراء ، قلت : أراها ، قالت : من هناك نهض هذا الشعر ، قلت : أو قائله فى الأحياء؟ قالت : هيهات ، لو أن لميت أن يرجع من طول غيبته لـكان ذلك ، فأعجبتنى فصاحةُ لسانها ورقَّة ألفاظها ، فقلتلها : ألك أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرهماوأجلَّهما ولى أمٌّ. فقلت : أين أمك ، قالت : بمرأًى منى ومسمع ، وإذا امرأة تبيع الخرز على الطريق بالجحفة ، فأتيتها فقلت : يا أمَّتاه استمعى منى ، قالت . حياك اللهُ ، هِيه ، هل لك من حاجة ؟ قلت : هذه ابنتُك؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلت : أتزوِّجيننيها ؟ قالت : لِعِلَّة رغبت فيها . فما عندها جمالٌ ولا لها مال، قلت : لحلاوة لسانها وحسن عقلها، قالت: أيُّنا أملكُ بها؟ أنا أم هى بنفسها قلت: بل هى بنفسها . قالت: فإياها نخاطب. فقلت : لعلها أن تستحى من الجواب عن مثل هذا، قالت: ماذاك عندها، أنا أخبَرُ بها . فقلت:ياجارية ، أتسمعين ما تقول أمُّك ؟ قالت : قد سمعتُ . قلت : فما عندك ؟ قالت : أو ليس حسبُك أن قلتَ إنى أستحى من الجواب فى مثل هذا ؟ فإذا كنت أستحى من شىء فلم أفعله ؟ أتريد أن تـكون الأعلى وأكون بساطك ؟ لا واللهِ لا يشُدُّ رجلٌ

(١) هذا الخبر لم يرد فى ترجمة جميل وإنما جاء فى المجلد ٢٢/٣٣٩ دار الثقافة فى عقب ترجمة عبد بنى الحسحاس .

علىّ حِواء[١] وأنا أجد مَذْقة[٢] لبن أو بقلة ألين بها مِعَاى . قال : فورد علىّ أعجبُ كلام على ظهر الأرض فقلت لها : أنا أتزوجك والإذن إليك وأعطى الله تعالى عهدا ألّا أقربَك إلّا عن إرادتك[٣] ، قالت : إذاً والله لا يكون لى إرادة فى هذا أبدا ولا بَعْد الأَبدِ إن كان بعدَه بعدٌ . فقلت : قد رَضيت بذلك ، فتزوجتها وحَملتُها وأمَّها معى إلى العراق ، فأقامت معى ثلاثين سنة ما ضممتُ عليها حِوَائِى قطُّ ، وكانت قد عَلِقت من أغانى المدينةِ أصواتا كثيرة ، فكانت ربما ترنمت بها فأشتهيها ، فقلت : دعينى من أغانيك هذه فإنها تبعثنى على الدنُوِّ منك ، فما سمعتها رافعة صوتها بعد ذلك حتى فارقت الدنيا ، وأمها عندى حتى الساعة . فما دار فى سمعى حديث امرأةٍ أعجب من حديثها .

اجتمع جميل بعمر بن أبى ربيعة بالأبطح فأنشد جميلٌ قصيدته:

لقد فرح الواشون أن صرمَتْ حبلى ... بثينةُ أو أبدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولون مهلاً يا جميلُ وإننى ... لأُقسم ما بِى عن بثينةَ من مَهْلِ
أحِلماً فقبلَ اليوم كان أوانُه ... أم أُخشى فقبل اليومِ أُوعدْت بالقتل
لقد أنكحوا جَهْلاً نُبَيها ظعينةً ... لطيفةَ طَىِّ البطنِ ذات شَوًى خَدْلِ[٤]
وكم قد رأينا ساعياً بيمينه ... لآخَر لم يعجل بكفٍ ولا رِجل[٥]
إذا ما تَراجعتُ الذى كان بيننا[٦] ... جرى الدمعُ من عَيْنَىْ بثينةَ بالكُحْلِ

---

(١) الحواء : أخبية يدانى بعضها بعضا . ويراد هنا معنى المضاجعة .
(٢) المذقة من اللبن : الممزوجة بالماء .
(٣) فى ا : إلا بإرادتك .
(٤) فى الأغانى : « لقد أنكحوا حربى نبيها » والشوى: الأطراف والخدل: الممتلىء.
(٥) فى الأغانى : وكم قد رأينا ساعيا بنميمة ... لآخر ... لم يعمد
(٦) فى الأغانى : إذا ما تراجعنا .

كلانا بكى أو كاد يَبـكى صَبابةً ... إلى إلفه واستعجَلَتْ عبرةٌ قَبْلِى
فلو تركتْ عقلى معى ما طلبتُها ... ولـكن طلابيها لما فات من عَقلى
فيا ويح نفسى حسب نفسى الذى بها ... ويا ويح أهلى ما أُصيب به أهلى (١)
خليلىَّ فيما عِشتما هــــل رأيتما ... قَتيــلا بكى من حُبٍّ قاتله قَبْلِى

قال : وأنشد عمر بن أبى ربيعة :

جرى ناصحٌ بالُحبِّ بينى وبينها ... يُقرِّبنى يوم الحِصاب إلى قتـلى (٢)
فما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ موقفى ... ومَوقفَها يوما بقارِعة النَّخــلِ
فلما تواقفنا عرفتُ الذى بهـا ... كمثل الذى بى حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعلِ
فقلنَ لها هــذا عِشاءٌ وأهلُنــا ... قريبٌ أَلَمَّا تَسأَمِى مَرْكَبَ البَغْلِ
فقالت فما شئتُنَّ قُلْنَ لهـا انزلى ... فَلَلأَرض خير من وُقوفٍ على رَحْلِ (٣)
وأقبلنَ أمثـال الدُّمَى فاكتنفنَها ... وكلٌّ يُفَدِّى بالمودَّة والأهــلِ
فسلَّمتُ واستأنستُ خِيفة أن يَرى ... عدُوٌّ مكانى أو يرى كاشحٌ فِعلى
فقالت وألقت جانب الستر إنمـا ... معى فتحدَّثْ غير ذى رِقبةٍ أهلى
فقلت لها ما بى لهم من تَرَقُّبٍ ... ولـكنَّ سِرِّى ليس يحمله مثلى
فلمـا اقتصرنا دُونهنَّ حَديثَنا ... وهُنَّ طبيبات بحاجة ذى الشَّـكْلِ (٤)
عرفن الذى نهوى فقلنَ ائذنى لنا ... نَطُفْ ساعة فى بَرْدِ ليل وفى سَهْلِ (٥)
فقالت فلا تلبثْن قلن تحـدَّثى ... أَتيناكِ وانسَبْن انسيابَ مَهَا الرَّمْلِ
فقُمْن وقد أفهمْن ذا اللُّبِّ إنمـا ... أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

(١) بعده فى الأغانى خمسة أبيات .

(٢) فى الأغانى : جرى ناصح بالود ... فقربنى.

(٣) فى المختار : على رجل .

(٤) الشكل : الأمر المشكل . وفى الأغانى دار الـكتب غيرت عن ديوانه ذى التبل .

(٥) فى الأغانى : وفى سهل .

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا سَجِيس[١] الليالى ، وما خاطب النساء أحد مخاطبتك . وقام مشمرًّا .

قال كُثَيِّر : لقيت جميلا العذرِىّ مرة فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبى الحبيبة — أعنى بثينة — فقال : وإلى أين تمضى ؟ قلت : إلى الحبيبة — أعنى عزة — فقال : لابد من أن ترجع عَوْدَكَ على بَدْئك وستجِدَّ لى موعداً من بثينة ، فقلت له : عهدى بها الساعةَ ، وأنا أستحى أن أرجع ، قال : لابد من ذلك ، فقلت له : فمتى عهدكَ ببثينة ؟ قال : فى أول الصيف وقعت سحابةٌ بأسفل الوادى المعروف بوادى الدَّوْم، فخرجتْ ومعها جارية لها تغسل ثيابها ، فلما أبصرتنى أنكرتنى، فضربت بيدها إلى ثوب فى الماء فالتحفت به ، وعرفتْنى الجاريةُ فأعادت الثوب فى الماء ، وتحدثنا حتى غابت الشمس ، فسألتها الموعِدَ فقالت : أهلى سائرون ، وما لقيتها بعد ذلك[٢] ولا وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها . فقال له كُثَيِّر : فهل لك أن آتى الحىَّ فأنزِع بأبيات من شِعْر أذكر فيها هذه العلامة ؟ قال : إذا لم تقدر على الخَلْوَة بها قال : فذلك الصواب[٣] . فخرج كُثَيِّر حتى أناخ بهم ، فقال له أبوها : ما رَدَّكَ يا ابن أخى ؟ قال : قلت أبياتاً عرضَتْ لى ، قال : هاتها ، فأنشدته وبثينةُ تسمع :

فقلتُ لها يا عَزَّ أرسلَ صاحبى ... إليكِ رسولا والمُوَكَّلُ يُرْسَلُ
بأن تجعلى بينى وبينك مَوْعِدًا ... وأن تأمرينى بالذى فيه أفعلُ
وآخِرُ عهدى منك يوم لَقِيتنى ... بأسفلِ وادى الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ

---

(١) سجيس الليالى : طول الليالى .

(٢) جملة « وما لقيتها بعد ذلك » ليست فى الأغانى .

(٣) فى الأغانى : أذكر فيها العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها ، قال : ذلك الصواب .

قال : فضربت بثينة جانب خِدْرِها وقالت : اخسأْ اخسأْ[١] ، فقال أبوها : مَهْيَمْ[٢] يا بثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوَّمَ الناسُ من وراء الرابية . ثم قالت للجارية : ابغِينا من الدَّوْمات حطبا لنذبحَ لكُثَيِّرٍ شاةً ونَشوِيَها له . فقال كُثَيِّرٌ : أنا أعجلُ من ذلك . وراح فأخبره ، فقال له جميل : الوعد منها الدَّوْمات . فقالت بثينة لأم الجسير[٣] وليلى [ونُجَيَّا][٤] بنات خالتها : رأيتُ في نَشيد كُثَيِّرٍ أن جميلا معه . وخرج جميلٌ وكُثَيِّر حتى أتيا الدَّوْمات، وجاءت بثينةُ ومن معها . فما بَرِحوا حتى بَرَق الصبحُ . فقال كُثَيِّر : مارأيت مجلسا قطُّ أحسن من ذلك المجلس ولا مِثل عِلْمِ أحدهما بضمير صاحبه[٥] ، وما أدرى أيهما كان أفهم ؟

وكان الوالى على وادى القُرى لما هَدَر السلطانُ دَمَ جميل دَجاجةُ بن رِبْعِيّ . فلما هدر دَمَه ومُنع منها ضاقت به الدنيا ، فكان يصعد بالليل على قُورِ رَمْلٍ[٦] يتنسم الريحَ من نحو حيّ بثينة ، ويتنفس الصُّعَداء ويقول :

أيا ريحَ الشمالِ أمَا تَرَيْنِي ... أَهيمُ وأنني بادِى النُّحولِ
هَبِى لى شَمَّةً من ريح بَثْنٍ ... ومُنِّى بالْهبوب على جَميلِ
وقولى يا بثينةُ حَسْبُ نفسى ... قَليلُكِ أو أقلُّ من القليلِ

فإذا بدا الصباح انصرف ، وكانت بثينة تقول لجوارى الحيِّ : ويحكنّ ، إنى أسمع أنين جميل فى بعض القيران . فيقلن لها : اتقى الله ، فهذا شيء يُخَيِّله لك الشيطان لا حقيقة له .

---

(١) فى المختار : أحس أحس .
(٢) مهيم : ما أمرك وما شأنك .
(٣) فى الأغانى : أم الحسين وفى ا : لأم الخير . وفى ت: لأم الكثير . وأثبت ما فى ك .
(٤) زيادة من الأغانى .
(٥) فى الأغانى : بضمير الآخر .
(٦) القور : الأكام العظيمة جمع قارة .

زار جميل بثينة ذات يوم فنزل قريبا من الماء يترصَّد أَمة لها حبشية معها قربة ، وكانت بما بينهما عالمة ، فسلمت عليه وجلست معه ، وجعل يحدثها ويسألها عن أخبار بثينة ويحدثها بخبره بعدها ويُحَمِّلها رسائله ، ثم أعطاها خاتمه وسألها دفعه إلى بثينة وأخْذَ موعدٍ عليها . ففعلت وانصرفت وقد أبطأت عليهم ، فلقيها أبو بثينة وزوجُها وأخوها ، فسألوها عما أبطأ بها ، فالتوَتْ عليهم ولم تخبرهم وتعللت ، فضربوها ضربا مُبَرِّحا ، فأعلمتهم حالها مع جميل ، ودفعت إليهم خاتمه ، ومر بها فى تلك الحال فَتَيانِ من بنى عُذرة ، فسمعاها تُحدِّث ، وعلما القصة وعرفا الموضع الذى فيه جميل ، فأحبا أن يُثَبِّطا عنه ، فقالا للقوم : إنكم إن لقيتم جميلا وليست بثينة معه ثم قتلتموه ألزمكم ذلك كلَّ مكروه ، وأهلُ جميل أعِزّاء عُذرة ، فدَعُوا الأَمة تُوصِّل خاتمه إلى بثينة ، فإذا زارته ليلا أتيتموهما جميعا[١] ، فقالوا : صدقتما لعمرى أن الرأى هذا ، فدفعوا الخاتم إلى الأمَة وأمروها بإيصاله إلى بثينة وحذرُوها أن تخبر بثينة بالقصة ، ففعلت ، ولم تعلم بثينة بما جرى . ومضى الفتيانِ فأنذرا[٢] جميلا ، فقال : والله ما أرهبهم ، إن فى كنانتى ثلاثين سهما ، والله لا أَخطأت بكلٍّ واحد منها رجلا منهم ، وهذا سيفى والله ما أنا به رَعِشُ اليَدِ ولا جَبانُ الجنانِ . فناشداه الله وقالا : البَقِيَّةُ أصلح ، فتقيم عندنا فى بيوتنا حتى يهدأ الطلب ، ثم نبعث إليها فتزورك وتقضى من لقائها وطرا وتنصرف سليما غير مَوتور[٣] فقال : أما لأَبعثَنَّ مَن ينذرها[٤] ، فأتياه براعية لهما وقالا : قُلْ حاجتك ، قال : ادخلى إليها وقولى لها : إنى أردت اقتناص ظبى فحَذَّره ذلك جماعة

---

(١) فى الأغانى : فإذا زارها بيتموهما جميعا.

(٢) ساق المختار الكلام هنا وبعد ذلك على الجماعة : فأنذروا . . . إلخ .

(٣) فى الأغانى : « غير مؤبن » أى غير معيب .

(٤) فى الأغانى : فقال: أما الآن فابعثا إليها من ينذرها.

من القناصين(١) ففاتني الليلةَ ، فمضت فأعلمتها ما قال لها ، فعرفت قصتها وبحثت فعلمتها(٢) فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ، ورصدوها فلم تَبْرَح من مكانها ، ومضوا يقتصّون أثره ، فرأوا بعرَ ناقته في الموضع ، فعرفوا أنهم لا يدركونه ، وأنه قد فاتهم(٣).

فقال جميل فى ذلك :

خليليَّ عُوجا اليوم حتى تُسلِّما ... على عَذْبَة الأنياب طَيِّبَةِ النَّشْرِ
ألِمّا بها ثم اشفعا لى وَسَلِّما ... عليها سقاها الله من سَبَل القَطْرِ
وبُوحا بذكرى عند بثنة وانظرا ... أترتاح يوما أم تَهشُّ إلى ذِكْرِى
هى البدر حُسْنا والنساء كواكبٌ ... وشتان ما بين الكواكبِ والبَدْرِ(٤)
لقد فُضِّلَتْ ليلى على الناس مثلما(٥) ... على ألفِ شَهْرٍ فُضِّلَت ليلةُ القَدْرِ

قال أيوب بن عَبَاية : خرجت من تيماء فى أغباش السَّحر ، فرأيت عجوزا على أتان ، فتكلمت فإذا أعرابية فصيحة ، فقلت : ممن أنت ؟ قالت : عُذْرِيّة ، فأجرَيت ذِكْرَ جميلٍ وبثينة ، فقالت : والله إنَّا لعلَى ماء لنا بالجناب وقد تنكّبْنا الجادّة(٦) لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشام تريد الحجاز ، وقد خرج رجالُنا لسفر وخلّفوا معنا أحداثنا ، فانحدروا ذات عَشِيَّة إلى صِرْمٍ(٧) قريب منا يتحدثون إلى جَوَارٍ منهم ، فلم يبق غيرى وغير بثينة إذ انحدر علينا مُنحدِرٌ من هضبة تلقاءنا ، فسلم ونحن مستوحشون وَجِلون فتأمّلته ورددت السلام فإذا جميل ، فقلت: أجميل؟

---

(١) فى الأغانى : جماعة اعتوروه من القناص .

(٢) فى الأغانى : فعرفت قصته وبحثت عنها فعرفتها .

(٣) فى الأغانى : بعر ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم .

(٤) هذا البيت وتاليه جاءا فى الأغانى فى موضع آخر فى غير القصة هذه وذلك فى ج٨ ص ١٥١

(٥) فى الأغانى : لقد فضلت حسنا على الناس .

(٦) الجادة : الطريق .

(٧) الصرم : الجماعة من الناس .

فقال : إى واللهِ ، وإذا به لا يتماسك ، فقمت إلى قَعْبٍ لنا فيه أَقِط مَطحون ، وإلى عُكَّةٍ[١] فيها سَمن ورُبّ[٢] فعصرتها على الأقِط ثم أدنيتها منه ، فأصاب منها ، وقمت إلى سِقاء فيه لبن فصببت عليه ماء باردا ، فشرب منه وتراجعت نفسه ، فقلت له : لقد بلغتَ ولقيتَ شرًّا ، فما أمرك ؟ قال: أنا والله فى هذه الهضبة التى ترين منذ ثلاث ما أَريمها ، أنتظر أن أرى فُرْجَةً ، فلما رأيت مُنحَدَر فتيانكم أتيتكم لأودعكم ، وأنا عائد[٣] إلى مصر . فتحدثنا[٤] ساعة ثم ودعنا وشخص ، فلم تطل غَيْبَتُه أن جاءنا نَعيُه . فحدَّث رجل شهده لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له: هل لك فى أن أعطيك كل ما أُخَلّفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك ؟ قال : فقلت : اللهم نعم ، قال : إذا أنا متُّ فخذ حُلَّتى هذه التى فى عَيْبتى فاعْزِلْها جانبا ، وكلُّ شىء سواها لك ، وارحل إلى رهط بنى الأَحَبِّ من عُذرة حىِّ بثينة ، فإذا صرتَ إليهم فارْحَلْ ناقتى هذه ثم اركبها ، والبَس حُلَّتى هذه وشُقَّها ثم اعْلُ على شَرَفٍ وصح بهذه الأبيات وخلاك ذمٌّ ، وأنشد :

صَرَخَ النَّعِىُّ وما كَنَى بجميلِ[٥] ... وثَوى بمصرَ ثواءَ غيرِ قفولِ
ولقد أجرُّ الذَّيل فى وادى القُرى ... نشوانَ بين مزارعٍ ونَخيلِ
قُومى بثينةُ فاندُبى بِعَويلِ ... وابكى خَليلَك دونَ كُلِّ خليلِ
بَكَر النَّعِىُّ بفارسٍ ذى بَهجةٍ ... حُلوِ الشمائل للرجال قَبولِ[٦]

(١) العكة : زق صغير للسمن .
(٢) الرب : ما يطبخ من التمر .
(٣) فى الأغانى : وأنا عامد .
(٤) فى الأغانى : فتحدثنا .
(٥) فى الأغانى : صدع النعى .
(٦) لم يرد هذا البيت فى الأغانى وروايته فى ديوانه ص ١٨٣ :
... بطل إذا حمل اللواء مديل

فلما قَضَى وواريته أتيت رهط بثينة وفعلت ما أمرنى به جميل ، فما استتممتُ الأبيات حتى برزت امرأة تتبعها نسوة قد فرَعتهنّ طولا وبرزت أمامهن كأنها بدرٌ قد برق[1] فى دُجُنَّة وهى تتعثر فى مِرْطِها ، فقالت لى : يا هذا ، إن كنت صادقا فقد قتلتَنى ، وإن كنت كاذبا فقد فضحتنى ، فقلت : لا والله بل صادقا[2] . وأخرجتُ حُلَّته ، فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكَّت وجهها ، واجتمع نساء الحى يبكين معها ويَندُبنَه حتى صَعِقَتْ[3] فمكثت مغشياً عليها ساعة ، ثم قامت وهى تقول :

وإن سُلُوِّى عن جميل لساعةٌ ... من الدهر ما آبت ولا حانَ حِينُها[4]

سَواءٌ علينا يا جميلُ بنَ مَعْمَرٍ ... إذا متَّ بأْساءُ الحيـاةِ ولِينُها

قال : فما رأيت أكثر من ذلك اليوم باكيا وباكية[5] .

قالت جميلة[6] : حدثتنى بثينة ــ وكانت صَدُوقة اللسان جميلة الوجه حسنة البيان عفيفة البطن والفرج ــ قالت : والله ما أرادنى جميل رحمه الله بريبة قط ، ولا حدّثت أنا نفسى بذلك قط منه ، وإن الحىَّ انتجعوا موضعا ، وإنى لفى هودج لى أسير إذا أنا بهاتف يُنشد أبياتا ، فلم أتمالك أن رميت بنفسى وأهـلُ الحىِّ ينتظرون ، فسميت[7] أطلب المنشد فلم أقف عليه ، فناديت : أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منه ؟ فإنى لأَحسِبُه قد مضى لسبيله . فلم يجبنى مجيب ، فناديت ثلاثا ، فى كل ذلك

---

(١) فى الأغانى: قد برز.

(٢) فى الأغانى : والله ما أنا إلا صادق .

(٣) فى المختار : حتى ضعفت .

(٤) فى الأغانى : من الدهر ما حانت .

(٥) فى الأغانى : فلم أر يوما كان أكثر باكيا وباكية منه يومئذ .

(٦) هذا الخبر لم يجئ فى ترجمة جميل وإنما جاء فى ترجمة جميلة ج ٨ ص ٢٠٢ .

(٧) فى الأغانى : فبقيت .

لا يردُّ عليَّ شيئا . فقال صويحباتى : يا بثينة أصابك طائف من الشيطان ؟ فقلت : كلا ، لقد سمعت قائلا يقول فقلن نحن معك ولم نسمع . فرجعت فركبت مطيَّتى وأنا حيرى والهة العقل كاسفة البال ، ثم سِرْنا . فلما كان فى الليل إذا ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينه ، فرميت بنفسى وسعيت إلى الصوت ، فلما قَرُبت منه انقطع ، فقلت : أيها الهاتف ارحَمْ حيرتى ومسكنتى[١] وسكِّن عبرتى بخبر هذه الأبيات ، فلم يردّ عليَّ شيئاً ، فرجعت إلى رحلى فركبت وسرت وأنا ذاهبة العقل ، وفى كل ذلك لا يخبرنى صُوَيحباتى أنهن يسمعن شيئاً ، فلما كانت الليلة القابلة نزلنا ، وأخذ الحىُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين إذا بهاتف يهتف بى ويقول : يا بثينة أَقبِلى إلىَّ أُحدِّثك عما تريدين ، فأقبلت نحو الصوت ، فإذا شيخ كان من رجال الحىِّ ، فسألته عن اسمه ونسبه[٢] فقال : دعى هذا وخذى فيما هو أهمُّ إليك . فقلت له : فإن هذا مما يهمنى ، فقال : اقنعى بما قلتُ لك ، قلت : أنت تنشد الأبيات ؟[٣] قال : نعم ، قلت : فما خبر جميل ؟ قال : فارقته وقد قضى نَحْبه وصار إلى حفرته ، رحمه الله ، فصرخت صرخة آذنتُ منها الحىَّ ، وسقطت لوجهى وأُغمى علىَّ ، فكأن صوتى لم يسمعه أحد ، وبَقيتُ سائر ليلتى ، ثم أفقت بعد طلوع الفجر وأهلى يطلبوننى ولا يقفون على موضعى ، ورفعت صوتى بالعَويل والبكاء ، ورجعت إلى مكانى ، فقال لى أهلى : ما خبرك ؟ وما شأنك ؟ فقصصت عليهم القصة ، فقالوا : رحم الله جميلا . واجتمع نساء الحى وأنشدتهن الأبيات ، وأسعفننى[٤] بالبكاء ، فلم نزل كذلك لا يفارقننى ثلاثا

---

(١) كلمة « ومسكنتى » ليست فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : وبيته .

(٣) لعلها : منشد الأبيات وفى الأغانى : أنت المنشد الأبيات .

(٤) فى الأغانى : وأسعدنى .

وتحزن(١) الرجال أيضاً وبكوه ورثوه وقالوا كلهم : يرحمه الله فإنه كان عفيفاً صدوقاً فلم أكتحل بعده بإثمد ولا فرقت رأسي بمَخِيط(٢) ولا مِشط ، ولا دهنته إلا من صُداع خفتُ منه على بصري ، ولا لبست ثوبا(٣) مصبوغا ولا إزارا ، ولا أزال كذلك أبكيه إلى الممات . قالت جميلة : والشعر الذى سمعت الهاتف ينشده هو :

أَلَا مَن لقلبٍ لا يَمَلُّ فيَذهَلُ   أَفِقْ فالتعزِّى عن بُثينَةَ أجمَلُ
فما هكذا أحببتَ مَن كان قَبْلها   ولا هكذا فيما مضى كنتَ تفعلُ
وإن التى أحببتَ قد حِيل دونَها   فكُن حازِما والحازِم المتحَوِّلُ

---

(١) فى ا : وتحرق الرجال .
(٢) كذا فى المختار والأغانى .
(٥) فى الأغانى : ولا لبست خمارا .

جميـــــلة[1]

مولاة بنى سُليم[2] ثم مولاة بَطن منهم يقال لهم بنو بَهْز ، وكان لها زوج من موالى بنى الحارث بن الخزرج ، وكانت تنزل فيهم ، فغلب عليها ولاء زوجها ، وقيل : إنها مولاة الأنصار وقيل : كانت لرجل من الأنصار ينزل بالسُّنْح[3] ، وهو الموضع الذى كان ينزله أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وقيل : هى مولاة الحجّاج بن عِلاط السُّلَمىّ ، وهى أصلٌ من أصول الغناء . أخذ عنها مَعْبَد وابنُ عائشة وسلّامةُ القَسّ وغيرهم ولم يَدَّعِ أحدٌ مقاربتها فى الغناء ، وكل مكى ومدنى يشهد لها بالفضل . وفيها يقول عبد الرحمن بن أرطاة :

إن الـــدَّلالَ وحَسنَ الغِنا ... ءِ وسْط بيوت بنى الخَزْرَجِ
وتلك جميـــلةُ زينُ النسا ... ءِ إذ هى تَزْدَانُ للمَخْرَجِ
إذا جئتَها بذلتْ وُدَّهـــا ... بوجْهٍ مُنيرٍ لهـــا أبلجِ

قال أبو عباد : أتيت جميلة يوما وكان لى موعد ظننتُ أنى سبقتُ الناس إليها وإذا منزلها[4] غاصٌّ ، فسألتها أن تعلمنى شيئا فقالت لى : إن غيرك قد سبقك ، أفيجمل تقديمك على سواك[5] ؟ فقلت : جُعلتُ فداك ، إلى متى تفرغين ممن سبقنى ؟ قالت : هو ذاك ، الحقُّ يَسعُك ويسعهم ، فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر

---

(١) الأغانى: دار الكتب ٨/ ١٨٦ ودار الثقافة ٨/ ١٨٨ وبولاق ٧/ ١٢٤ والساسى ٧/ ١١٨ والتجريد ٩٦٣ .

(٢) فى ا : « مولاة بنى جميل » وهو سهو .

(٣) السنح: موضع قرب المدينة.

(٤) فى الأغانى : فإذا مجلسها .

(٥) فى الأغانى : ولا يجمل تقديمك على من سواك . وفى ت : على من سواك .

فإنه لأوّل يوم لقيته وآخره ، وكنت صغيرا كَيِّسا . وكانت جميلة شديدة الفرح بى ، فقامت وقام الناس فتلقته وقبّلت رجليه ويديه ، وجلس فى صدر المجلس وأصحابه حوله وأشارت إلى من عندها بالانصراف ، فتفرّق الناس عنه ، وغمزتنى ألا أبرح فأقمت ، وقالت : يا سيدى وسيّد آبائى وموالىَّ ، كيف نَشِطت أن تنقل قدميك إلى أَمَتك ؟ قال : يا جميلة قد علمتُ ما آليتِ أنك لا تغنين أحدا إلا فى منزلك ، وأحببت الاستماع منك ، وكان ذلك طريقا مَادًّا . قالت : جُعِلت فداك ، فأنا أصير إليك وأُكَفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك ، وبلغنى[١] أنك تغنين بيتين لامرئ القيس تجيدين الغناء فيهما ، وكان الله عز وجلّ أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : ياسيدى ، نعم . فاندفعت فغنّت بعُودها ، فما سمعت منها قبل ذلك ولا بعده إلى أن ماتت مثله ، فسبّح عبد الله بن جعفر والقوم معه ، وهما :

ولما رأتْ أنَّ الشريعةَ هَمُّها وأن البياضَ منْ فرائصها دَامِى[٢]
تيمَّمت العَيْنَ التى عنـد ضارجٍ يَفِيءُ عليها الظلُّ عَرْمَضُها طامِى[٣]

فلما فرغت قالت : يا سيدى أزيدك ! قال : حسبى ، هذا شعر أنقذَ اللهُ به جماعة من المسلمين ، فقال بعض من كان معه : جُعلت فداك وكيف أنقذ الله عز وجـل بهذين البيتين جماعة من المسلمين ؟ قال : نعم أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فأضلّوا[٤] الطريق ووقعوا على غيرها ، ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على

(١) فى ا سقطت جملة طويلة ونصه : وأحببت الاستماع منك وبلغنى .

(٢) الشريعة : مورد الماء . وهمها : طلبها والفريضة وجمعها فرائض : اللحم الذى بين الكتف والصدر والفرائض أيضا العروق .

(٣) ضارج : اسم موضع . والعرمض : الطحلب . وانظر اللسان ضرج وعرمض .

(٤) هكذا فى المختار وأصول الأغانى . والمعروف ضلوا الطريق وعن الطريق إذا أخطئوا موضعها ويقال أضللت الشىء إذا ضاع منك قال أبو عمرو إذا لم تعرف المكان قلت ضللته وإذا سقط من يدك شىء قلت أضللته قال : يعنى أن المكان لا يضل وإنما أنت تضل عنه .

الماء وجعل الرجل منهم يَسْتَذْرِى(١) بفيء السَّمُرِ والطَّلح يأسا من الحياة إذ أقبل راكب على بعير له ، فأنشد بعضُ القوم هذين البيتين . فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قال : امرؤُ القيس . قال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندكم . وأشار لهم إليه فجثَوْا على الرُّكَب فإذا ماء عـذب ، وإذا عليه العَرْمَض والظلُّ يَفِيءُ عليه ، فشربوا منه رِيَّهُم ، وحملوا ما اكتفوا به حتى بلغوا الماء ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عز وجلّ ببيتين من شعر امرىء القيس . وأنشدوه الشعر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذاك رجلٌ مذكور فى الدنيا شريف فيها منسِيٌّ فى الآخرة خامل فيها ، يجىء يوم القيامـة معه لواء الشعراء إلى النار » ثم نهض عبدُ الله بن جعفر ونهض القوم ، فما رأيت مجلسا أحسن منه .

زار مَعْبَدٌ مالكَ بنَ أبى السَّمح ، فقال له : هل لك أن نَصيرِ إلى جميلة ؟ فمضيا جميعا فقصداها فدخلا ، فأخرجت إليهما رُقعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بعث بهذه الرقعة إلىَّ فلانٌ أغنِّى بها . فقال مَعْبَد : فابتدئى . فابتدأت جميلة فغنت فى شعر الأحوص :

إنَمـــا الذلفاءُ هَمِّى فلْيُلُمْنى من يـــلومُ(٢)

فغنى معبد :

أحسنُ الناسِ جَميعاً حين تمشي أو تقومُ

فغنت جميلة :

حَبَّبَ الذلفاءَ عندى منطقٌ منها رَخيمُ

فغنى معبد :

أصِلُ الحبـــل إليها وهى للحبل صَرُومُ

---

(١) يستذرى : يستظل .

(٢) فى الأغانى : فليدعنى من يلوم .

فغنت جميلة :

حبُّها فى القلب داءٌ   مُستَكِنٌّ ما يَرِيمُ

هذه الدلفاء هى التى فُتِن بها أهل المدينة ، وقال فيها بعض من كانت عنده وطلقها :

لا باركَ اللهُ فى دارٍ عَدَدْتُ بها   طلاق ذلفاء من دارٍ ومن بَلَدِ

فلا يقول ثلاثا قائلٌ أبداً   إنى وجدتُ ثلاثا أنكدَ العَدَدِ

وكان إذا عدّ شيئا قال: واحد اثنان أربعة ، ولا يقول ثلاثة.

لمّا حَجّت جميلةُ حجّ معها خمسون قينة مُشَيّعات لها ومعظمات لقدرها، وجّهَهنّ مواليهن معها، وأعطوهن النفقات وحملوهن على الإبل فى الهوادج والقِباب ، فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فمانوه حتى رجعن ، وحج معها أيضا رجال من المغانى جماعة، ومن غير المغانى ابنُ أبى عَتِيق والأحْوَص وكُثَيِّر ونُصَيب وغيرهم، وتَخايَر من مَعها فى اتخاذ اللِّباس العَجيب الظريف، وكذلك فى الهوادج والقِباب ، وقال أهل المدينة : إنهم ما رأوا سفرا مثل ذلك طِيبا وحسنا وملاحة . ولما قاربوا مكة تلقّاهم ابن سُريج والغَريض ومَعْبد وابن مُحْرِز وجماعة من الأشراف من المغنين من أهل مكة، ومن غير المغنين عمر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى والعَرْجىّ ، فدخلت جميلةُ مكة وما بالحجاز مغنٍّ حاذقٌ ولا مغنيةٌ إلّا وهو معها وجماعة من الأشراف ، وخرج أبناء مكة من الرجال والنساء ينظرون جَمعها وحُسنَ هيئتهم فلما قضت حجّها سألها المكّيّون أن تجعل لهم مجلسا ، فقالت : أللغناء أم الحديث ؟ فقالوا لها : لهما جميعا ، فقالت : ما كنت أخلِط جِدًّا بهزل، وأبت أن تجلس للغناء قال : فقال عمر بن أبى ربيعة : أقسمت على من كان فى قلبه حبٌّ لسماع غنائها إلّا خرج معى إلى المدينة فإنى خارج ، فخرجت مِن مكة فى جمع أكثر من جمعها بالمدينة، فلما قدمت المدينة تلقّاها الناس والأشراف، ودخلتها بأحسن مما

خرجت منها وخرج النساء والرجال من بيوتهم فوقفوا على أبوابهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها ، فلما دخلت منزلها وتفرّق الجمع إلى منازلهم ونزل أهـل مكة على أقاربهم أتاها الناس يسلمون عليها ، وما استنكف لذلك كبير ولا صغير ، فلما مضى لمَقدَمها عشرةُ أيام جلست للغناء ، وقالت لعمر بن أبى ربيعة : إنى جالسة لك ولأصحابك فإذا شئتَ فمدّ الناس ، فغَصّت الدار بالأشراف من الرجال والنساء ، وابتدأت جميلة فغنت فى شعر عمر بن أبى ربيعة (١) .

ما أنس لا أنس يوم الخَيْفِ مَوْقِفَها ... ومَوقفى وكِلانا ثَمَّ ذو شَجَنِ
وقولَها للثُّرَيَّا وهى باكيـةٌ ... والدمعُ منها على الخدَّين ذو سَنَنِ (٢)
باللهِ قُولى له فى غَـيرِ مَعْتبةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْث فى اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دُنْيا أو ظَفِرْتَ بها (٣) ... فما أَصبتَ بتَرْكِ الحجِّ من ثَمَنِ

فضجّ القومُ لحسن ما سمعوا ، وما سمعوا غناء أحسن من غنائها هذا الصوت ، ودمعت عينُ عمر حتى جرى دمعه على ثيابه ولِحيته . ثم أقبلت على ابن سُرَيج ، فقالت : هاتِ ، فاندفع يُغنّى لحنه فى شعر عمر :

أليسَتْ بالتى قالتْ ... لمولاةٍ لهـا ظُهُرَا
أشيرِى بالسـلامِ له ... إذا هو نحونا نَظَرَا
وقولى فى مُلاطفةٍ ... لزينبَ نَوِّلى عُمَرَا
أهذا سِحْرُكِ النسـ ... ـوانَ قد خبَّرْنَنى الخَبَرَا

ثم غنّى فى ذلك المجلسِ كلُّ من حضَر باقتراح منها ، وهى تُحَسِّن لهـذا

---

(١) فى الأغانى أبيات قبل بدء هذا الشعر هنا أربعة أبيات .

(٢) فى ت : ذوهتن .

(٣) فى الأغانى : أو نعمت بها .

وتُمَلِّحُ لهذا وتستطيب من هذا ، ثلاثة أيام ، ثم عاد كل إنسان إلى وطنه فما رُئى أحسنُ من تلك الأيام ولا من جمعها .

جلست جميلة يوما على كرسى لها وقالت لآذنتها : لا تحجُبى اليوم عنى أحدا ، واقعدى بالباب ، فكلُّ من يمرُّ بالباب اعْرِضى عليه مجلسى ، ففعلت ذلك حتى غَصَّت الدارُ بالناس ، فقالت جميلة : اصعدوا إلى العَلَالِى ، فصعدت جماعةٌ حتى امتلأت العَلَالى والسُّطوح فجاءت بعض جواريها فقالت لها : يا سيدتى إن تمادى أمرُك على هذا لم يبق فى الدار موضع(١) إلا سقط ، فأظهرى ما تريدين ، قالت لها : اجلسى ، فلما تعالى النهار واشتدّ الحرُّ واستسقى الناس دَعتْ لهم بالسَّوِيق(٢) فشرب من أراد ، فقالت : أقسمتُ على رجل أو امرأة دخل منزلى إلّاشرب ، فلم يبق فى سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إلا شرب ، وقام على رءوسهم الجوارى بالمناديل والمراوح الكبار ، وأمرت جواريها فقُمْن على كراسىّ صغارٍ فيما بين كلّ عشرة(٣) نفرٍ جارية تُرَوِّح ، ثم قالت : إنى رأيت رُؤْيا فى منامى أفزعتنى وأرعبتنى ولست أعرف ما سبب ذلك ، وقد خِفت أن يكون قَرُبَ أجلى ، وليس ينفعنى إلا صالح عملى ، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهةَ أن يلحقنى منه شىء عند ربى عزّ وجل ، فقال قوم منهم وفَّقك الله وثبَّتَ عَزْمَك ، وقال آخرون : بل لا حَرَج عليك فى الغناء . وقال شيخ منهم ذو سِنٍّ وعلم وفقه وتَجْرِبة : قد تكلمت الجماعة ، وكلُّ حزب بما لديهم فَرِحون ، ولم أعترض عليهم فى قولهم ، ولا شَرِكْتُهم(٤) فى رأيهم ، فاستمعوا الآن لقولى وأَنصِتوا ولا تَشْغَبُوا إلى وقت انقضاء كلامى ، فمن قَبِل قولى فالله موفقه

---

(١) فى الأغانى: حائط .

(٢) السويق : شراب يتخذ من الحنطة والشعير ولعله ما يقال له الآن « السوبية » .

(٣) فى المختار : عشر نفر .

(٤) فى ن : ولا شاركتهم .

ومن خالفنى فلا بأس عليه إذا كنت فى طاعة ربى فسكت القوم جميعا ، وتـكلم الشيخ فحمِد الله عزَّ وجـلَّ وأثنى على النبى [١] صلى الله عليه وسلم ثم قال : يامعشر أهـل الحجاز ، إنـكم متى تجادلتم فشلتم وإذا فشلتم وثب عليـكم [٢] عدوُّكم وظفر بكم فلا تفلحوا بعدها أبدا ، إنـكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممن لم يزل ينـكر عليـكم ما هو وارثه عنـكم لا يُنـكره عالمـكم ، ولا يدفعه عابدكم ، بشهادة شريفـكم ووضيعكم ، يندُب إليه كما يندُب جُموعَـكم وشرَفـكم وعزَّكم ، فأكثر ما يكون عند عابدكم فيه الجلوس لا للتحريم لـكن للزهد فى الدنيا ، لأن الغناء من أكبر اللذات وآسَرُ [٣] للنفوس من جميع الشهوات ، يُحيِي القلب ، ويَزيد فى العقل ، ويَسُرُّ النَّفس ، ويُفسح فى الرأى ، ويتيسر به العسير ، وتُفتح به الجيوش ، ويذَلَّلُ به الجبارون حتى يَمْتهنوا أنفسهم عنـد استماعه ، ويُبرِئُ المرضى ومَن مات قلبُه وعقله وبصُره ، ويزيد أهل الثروة غِـنًى وأهل الفقر قناعةً ورضًا باستماعه ، فينصرفون [٤] عن طلب الأموال ، ومَن تمسك به كان عالما ، ومَن فارقه كان جاهلا ، لأنه لا منزلة أرفع ، ولا شىء أحسن منه ، فـكيف يُسْتَصْوَبُ تركُه ؟ وكيف لا يستعان به على عبادة ربنا عز وجل ؟ وقال كلاماً كثيراً غير هذا ، فما ردّ عليه أحد ، ولا أنـكر ذلك منهم بشر ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه ، وأقر بالتفضيل له . ثم قال لجميلة : أَوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع فى نفسك ما ذكرتُ ؟ قالت : أجلْ ، وأنا أستغفر الله تعالى ، فقال لها: فاختمى مجلسنا وفرِّقى جماعتنا بصوت فقط ، فأخذت عودها وغنّت:

---

(١) فى الأغانى : وأثنى عليه وصلى على النبى .

(٢) فى الأغانى : تخاذلتم فشلتم ووثب عليكم .

(٣) ضبطت فى تحقيق دار الـكتب وأسر وفضلت هذا الضبط لأنه أدق فالغناء أشد أسرا للتقوى من جميع الشهوات . وبخاصة جاء بعد ذلك ويسر النفس .

(٤) فى ا ، ك : فيعرفون .

أفى رَسْم دارٍ دَمْعُك المترَقرِقُ ... سَفَاهاً وما استنطاقُ ماليس يَنطِقُ
بحيث التقى جمعٌ وأقصى مُحَسّرٍ ... مَغَانِيه قد كادَتْ على العَهْد تَخْلَقُ(١)
مُقامٌ لنا بعــد العشاء ومنزلٌ ... به لم يُكَدِّره علينا مُعَوِّق

فقال الشيخ : حسنٌ واللهِ ، أمثل هذا يُترَك ؟ لا والله لا يترك هذا ولا كرامة لمن خالف الحق ، ثم قام وقام الناس معه وقال : الحمد لله الذى لم يفرِّق جماعتنا على اليأسِ مِن الغناء ولا على جحود فضيلته ، والسلام .

(١) جمع : علم للمزدلفة ، ووادى محسر : موضع بين منى والمزدلفة .

جرادتا عبد الله بن جُدْعان[1]

هما أمتان يقال لهما الجرادتان ، كانتا لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . سمّاهما بجرادَتَىْ عادٍ .

وكان ابن جدعان سيِّدا جَوادا يصل الرَّحِم ويُطعم المسكين ، وكان أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلْت الثقفىُّ قد امتدحه بقصيدته التى هى :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حَيَاؤُك إن شيمتَك الحياء

فأعطاه الجاريتين كما نذكره ها هنا فيما بعد .

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله إن ابن جُدْعان كان فى الجاهلية يَصِل الرَّحم ويُطعم المسكين، فهل ذلك نافعه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لا ، إنه لم يقل يوما : ربِّ اغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

ولما قدم أُمَيّةُ بن أبى الصلت على عبد الله بن جُدْعان ودخل عليه قال له عبدالله : أمرٌ ما أتى بك . فقال أُمَيّة : كلابٌ غُرماءُ قد نبحتنى ونهشتنى ، فقال له عبد الله : قدمتَ وأنا عليلٌ من حقوقٍ لزمتنى ، فأنظرنى قليلا ، وقد ضمنت وفاء دينك ولا أسألك عن مبلغه . فأقام أميّةُ أياما ثم أتاه فقال :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤُكَ إن شيمتك الحياءُ

وعِلْمُك بالأمور وأنت قَرْمٌ ... لك الحسبُ المُهذَّبُ والسَّنَاءُ

كريمٌ لا يُغَيِّره صَباحٌ ... عن الخُلُق الجميل ولا مَساءُ[2]

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٨/٢٢٧ ودار الثقافة ٨/٣٢٩ وبولاق ٨/٢ والساسى ٨/٢ والتجريد ٩٩٢ .

(٢) فى الأغانى : عن الخلق السنى .

يُبارِى الريحَ مَكْرُمةً وَمجدا إذا ما الكلْبُ أجحَره الشِّتَاء
إذا أثنَى عليك المرء يوما كفاهُ من تَعَرُّضِكَ الثناء[(١)]
إذا خلَّفْتَ عبدَ الله فاعْلم بأنَّ القوم ليس لهم جَدَاء[(٢)]
فأرضك كُلُّ مَكْرُمةٍ بَنَاها بنو تَيْمٍ وأنت لهم سماء[(٣)]
وهل تخفى السماء على بَصيرٍ وهل بالشمسِ طالعةً خَفاء

فلما أنشده أميَة هذا الشعرَ قال لأمية : خُذْ أيَّ من شِئت من هاتين القينتين ، وأشار إلى الجرادتين[(٤)] ، فأخذ إحداها وانصرف ، فمرَّ بمجلس من مجالسِ قريش ، فلاموه على أخذها وقالوا له : لقد ألفيته عليلًا ، فلو رددْتَها عليه فإن الشيخ محتاج إلى خدمتها فكان ذلك أقرب لك عنده وأكثر من كلِّ حقٍّ ضَمِنه . فوقع الكلام من أُميَّة موقعا ، وندم ، فرجع إليه ليردَّها عليه ، فلما أتاه بها قال له ابنُ جُدْعان : لعلك إنما ردَدْتَها لأن قريشا لاموك على أخذها ووصف لأُميّةَ ما قال القوم ، فقال أمية : ما أخطأتَ يا أبا زُهير . قال : فما الذى قلتَ فى ذلك ؟ فقال أُميّةُ :

عطاؤُكَ زَيْنٌ لامرىءٍ إن حَبَوْتَه بِبَذْلٍ وما كلُّ العطاء يَزِينُ
وليس بِشَيْنٍ لامرىءٍ بذلُ وَجْهِه إليك كما بعضُ السؤالِ يَشِينُ

فقال عبد الله لأمية : خذ الأخرى . فأخذها وخرج .

---

(١) فى الأغانى : من تعرضه . وسيأتى فى المختار مرة أخرى : من تعرضه، ويكون هنا من التعرض لك .

(٢) الجداء : الغناء . وفى الأغانى : « الجزاء » وما هنا أصوب .

(٣) بعده فى الأغانى بيت .

(٤) جملة « وأشار إلى الجرادتين » ليست فى الأغانى .

قال الُحسين بن الَحسن المَرْوَزِىّ : سألتُ سفيانَ بنُ عُيينة فقلت : يا أبا محمد ، ما تفسيرُ قولِ النبي صلى الله عليه وسلم « كان من أكثرِ دعاء الأنبياء قبلى بِعَرَفَة لا إله إلّا اللهُ وحْدَه لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » وإنما هذا ذِكْرٌ وليس فيه من الدعاء شيء ، فقال لى : أعرفت حديث مالك ابن الُحوَيرِث[١] يقول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه « إذا شَغَل عبدى ثناؤُه علىّ عن مسألتى أعطيته أفضل ماأُعطى السائلين » قلت : نعم ، أنت حَدّثتنيه عن مَنصور ابن مالك[٢] بن الُحويرث . قال : فهذا تفسير ذلك ، ثم قال : أما علمت ما قال أمية ابن أبى الصلت حين خرج إلى ابن جُدْعان يطلب نائله وفَضْله ؟ قلت : لا أدرى . قال : قال له :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حَياؤكَ إن شيمتك الَحياءُ
إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تَعَرُّضه الثناءُ

قال سفيان بن عيينة : فهذا مخلوق يُنسَب إلى الُجودِ قيل له : يكفينا من مسألتك أن نُثنى عليك ونسكتَ حتى تأتى على حاجتنا ، فكيف بالخالق أكرم الأكرمين[٣]؟ قال أبو الزناد[٤] : ما مات أحد من كبراء قريش فى الجاهلية حتى ترك[٥] الخمر استحياء مما فيها من الدَّنَس ، ولقد عابها ابنُ جدعان قبل موته وقال فى ذمِّها شعرا[٦]

---

(١) فى الأغانى : الحارث . هذا ، ومالك بن الحويرث صحابى نزل البصرة ، انظر تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ١٤ وفيه أيضا مالك بن الحارث ثلاثة أشخاص .

(٢) كذا فى نسخ المختار وفى الأغانى : « عن منصور عن مالك بن الحارث » هذا ، وسفيان روى عن منصور بن المعتمر . كما فى تهذيب التهذيب ترجمة منصور بن المعتمر .

(٣) كلمة « أكرم الأكرمين » ليست فى الأغانى .

(٤) الذى فى الأغانى : ابن أبى الزناد .

(٥) فى الأغانى : إلا ترك .

(٦) ذكر فى الأغانى الشعر وهو ثلاثة أبيات .

وكان سبب تركه الخمر أن أميـة بن أبي الصلت شرب معه فلطم عينه[١] فأصبحت مُخْضَرَّةً يخاف عليها الذهاب ، فقال له عبد الله : ما بالُ عينك ؟ فسكت أمية ، فألحّ عليه ، فقال له : أنت صاحبها أصبتها البارحـة ، فقال : وبلغ منى الشراب ما بلغ به هذا الحدّ[٢] ! لا جَرَم ، لأُدِيَنَّها دِيَةَ عَيْنٍ . فأعطاه[٣] عشرة آلاف درهم وقال : الخمرُ علىَّ حرام أن أذوقها أبدا . وتركها من يومئذٍ.

---

(١) جملة « فلطم عينه » ساقطة من الأغانى .
(٢) فى الأغانى : أو بلغ منى الشراب الذى أبلغ معه من جليسى هذا .
(٣) فى الأغانى : لأُدينها لك ديتين فأعطاه .

جذيمة الأبرش[1]

هو جذيمة بن فَهْم بن غانم بن دَوْس بن عُدْثَان[2] الأزدىّ ، وقيل له الأبرش لبرص كان به وهو أول من ملك قُضاعة بالحِيرة ، وأول من حذا النعال ، وأُدْلج من الملوك ورُفع له الشمع . قال يوما لجلسائه : قد ذُكر لى عن غلامٍ اسمه عدىٌّ من لخْم مقيم فى أخواله من إياد أن فيه ظَرفا ولُبًّا فلو بعثتُ إليه ليكون من نُدَمائى ووليّته كأسى والقيام بمجلسى كان الرأىُ . قالوا: الرأى ما يراه الملك . فليبعثْ إليه ، ففعل ، فلما قدم عليه فعل به ما أراده ، فمكث كذلك مدة طويلة ، ثم أشرفت عليه يوما رَقاشِ أخت جذيمة ، فلم تزل تراسله حتى اتصل بينهما ، ثم قالت له : يا عدى إذا سقيت القوم فامزُج لهم واسقِ الملك صِرْفا فإذا أخذت فيه الخمر فاخطبنى إليه فإنه يزوجك، وأشهِدِ القوم إن هو فعل ففعل الغلام ذلك وخطبها فزوّجها ، فانصرف الغلامُ بالخبر إليها فقالت : عرِّس بأهلك ، ففعل ، فلما أصبح غدا مُضَرَّجاً بالخلوق . فقال له جَذيمة : ماهذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثار العرس . قال : أى عرس ؟ قال: عرس رَقاشِ . قال : فتحير وانكَبَّ على الأرض ، فرفع عدىٌّ جَراميزَه[3] ، فأسرع جَذِيمة فى طلبه ، فلم يظفر به ، وقيل : إنه قتله . وكتب إلى أخته :

حدِّثينى رَقاشِ لا تَكذبينى ... أبحُرٍّ زَنَيْتِ أم بِهَجينِ
أم بعَبْدٍ فأنتِ أهلٌ لعبْدٍ ... أم بدُونٍ فأنتِ أهلٌ لدُونِ

---

(١) الأغانى : دار الكتب : ١٥ / ٣١٢ ودار الثقافة ١٥ / ٢٥٠ وبولاق ١٤ / ٧٢ والساسى ١٤/٦٩ . ويلاحظ أن ترتيب الجيم بالنسبة للأغانى الذى بين أيدينا يتقدم فيه على جذيمة هؤلاء الآتون وهم الحسين العذرى والجحاف السلمى وجعفر بن علبة الحارثى وجعفر بن الزبير وجبلة ابن الأيهم . وابن منظور لا يلاحظ الترتيب فى الحرف نفسه.

(٢) فى ت ، ك : غرثان أما « ا » فبدون نقط وانظر الاشتقاق ٤٩٦ .

(٣) الجراميز : ما انتشر من ثيابه ويريد أنه جمع ما انتشر من ثيابه ليجرى مسرعا ويقال أيضا : إن الجراميز هى قوائم الوحش ويقال : جمع جراميزه ، إذا تقبض ليثب .

فقالت : بل زوجتنى امرأً عربيا . فنقلها جذيمة إليه وحصّنها فى قصره ، واشتملت على حَبَل[1] فولدت غلاما وسمّته عمراً وربّته حتى ترعرع فعطّرته وحلّته وألبسته كُسْوة مثله ، ثم أرتْه[2] خاله فأعجب به ، وأُلقيت عليه محبّته . فخرج الغلمان فى سنة قد أكمأتْ [وخرج عمرو معهم وقد خرج جذيمة][3] فبُسِط له فى روضة ، وخرج الغلمان يجتنون الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيّبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، ثم أقبلوا يتعادَوْنَ وهو معهم يقدَمهم ويقول :

هذا جَنـاىَ وخِيارُه فيهْ ... إذ كلُّ جانٍ يدُه إلى فيهْ

فأكرمه جذيمة وحيّاه[4] وقرّبه من قلبه وحلّ منه بكلّ مكان ، ثم إن الجن استطارَتْ عَمْراً ، فلم يزل جذيمة يُرسل فى الآفاق فى طلبه فلم يَسْمع له بخبر ، فكفّ عنه ، ثم أقبل رجلان يقال لأحدهما مالك وللآخر عَقِيل ابنا فالجٍ ، وهما يريدان الملك بهديّة ، فنزلا على ماء ومعهما قَيْنة يقال لها أمّ عمرو ، فنصبت لهما قِدْرا ، وأصلحت لهما طعاما ، فبيناهما يأكلان إذ أقبل رجل أشعث أغبر قد طالت أظفاره وساءت حاله حتى جلس بمزجر الكلب[5] فمدّ يده ، فناولته القَينةُ شيئا فأكله ،

---

(١) فى الأغانى : على حمل .

(٢) فى بعض نسخ الأغانى أزارته .

(٣) زيادة من الأغانى .

(٤) فى الأغانى طبعة دار الكتب : وحباه . وفى طبعة دار الكتب ودار الثقافة : وقرب من قلبه .

(٥) يقال: هومنى مزجر الكلب: أى بتلك المنزلة، ويراد أنه فى موضع بحيث يكون فيه الكلب حين ينهنه .

ثم مد يده فقالت : إن يُعْط العبدُ كُراعا يبتغ[1] ذراعا . فأرسلتها مثلا ، ثم ناولت صاحبيها من شرابهما وأوكأت زِقًّا[2] فقال عمرو بن عدى :

صدَدْتِ الكأسَ عنَّا أمَّ عمرٍو — وكان الكأسُ مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو — بصاحبك الذى لا تَصْبَحينا

فقال الرجلان: من أنت ؟ فقال :

إن تُنْكِرانى وتُنكرا نَسبى — فإننى عمرٌو وعَدِىٌّ أبى

فقاما إليه فلثماه وغسلا رأسه وقلّما أظفاره وقصّرا من لِمَّته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ما كُنَّا لنُهْدِىَ إلى الملك هديّةً أنفس عنده ولا هو أحسن عليها صَفَدًا[3] من ابن أخته قد رده الله تعالى إليه . فخرجا حتى إذا دَفَعا[4] إلى باب الملك بشّراه به، فصرفه إلى أمه ، فألبسته ثيابا من ثياب الملوك وجعلت فى عُنقه طَوْقا كان يَلْبَسُه وهو صغير ، وأمرته بالدخول على خاله ، فلما رآه قال : شبَّ عمرٌو عن الطَّوْق ، فأرسلها مثلا ، وقال للرجلين اللَّذَين قدما به : احتَكِما فلكما حُكْمكما . قالا : منادمتك ما بقيت وبقِينا . قال : ذلك لكما . فهما نديما جَذِيمة اللذان ذكرهما مُتَمِّمٌ فقال :

وكُنَّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمة حِقْبَةً — من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا
فلما تفرَّقْنا كأنى ومالكا — لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معًا

وذكرهما الشعراء فقال أبو خِراش الهُذلىُّ يعنيهما :

أَلَمْ تَعلما أنْ قد تفرَّقَ قبلَنا — خَليلا صَفاء مالكٌ وعقِيلُ

---

(١) فى الأغانى طبعة دار الكتب : يلتمس .
(٢) أوكأت الزق : ربطته بالوكاء وهو الرباط . وفى الأغانى : وأوكأت زقها .
(٣) الصفد: العطية وفى طبعة دار الثقافة : صنعا .
(٤) يقال: دفعا ودفعا بالبناء للمعلوم وللمجهول .

وكان جَذِيمة من أفضل الملوك رأيا وأبعدهم مُغاراً وأشدهم نكاية ، وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق ، وكانت منازله بين الأنبار وبَقَّةَ وهِيتَ وعين التَّمر وأطراف البرّ والقُطْقُطَانةِ والحيرة ، فقصد فى جموعه عمرو بن ظَرِبِ بن حَسَّان [ابن] أذينة بن السَّمَيدَع بن هَوْبَرٍ العاملىّ من عَامِلة العَمَالِيق ، فخرج عمْرو فى جموعه ولقيه ، فقتله جَذِيمةُ وانفضّ من معه ، فملّكوا عليهم ابنته الزَّبَّاء ، وكانت من أحزم الناسِ[1] فخافت أن يغزوها مُلوكُ العرب ، فاتّخذت لنفسها نفقاً فى حِصْن كان لها على شاطىء الفرات وسَكَرت[2] الفراتَ فى وقت قِلَّة الماء وبنت فى بَطْنه[3] أَزَجاً[4] من الآجر والكِلْس متصلا بذلك النفق ، وجعلت نفقا آخر فى البَرِّيَّةِ متصلا بمدينةٍ لأختها ، ثم أجْرَت الماءَ عليه ، فكانت إذا خافت عدوًّا دخلت النفقَ. فلما استجمع[5] لها أمرها واستحكم مُلْكها جمعت لتغزو جذيمة[6] ثائرةً بأبيها . فقالت لها أختها — وكانت ذات رأى وحزم — إنك إن غزوتِ جَذِيمة فإنه أمرٌ[7] له ما بعده ، فإن ظفرت أصبت ثَأرَكِ ، وإن ظفر بك فلا بَقِيَّةَ لك ، والحربُ سِجالٌ ولا تدرين كيف تكون ، لك أم عليك ، ولكن ابعثى إليه فأعلميه أنك قد رغبت فى أن تتزوجيه وتجمعى مُلكَكِ إلى ملكه ، وسَلِيهِ أن يُجيبك إلى ذلك ، فإنه إن اغترّ وفعل ذلك ظَفِرْتِ به بغير مُخاطرة . فكتبت إلى جذيمة تقول له : إنها قد رغبت فى صِلَة بلادِها ببلاده ، وإنها فى ضَعْفٍ من سلطانها وقِلّةِ ضبطٍ لمملكتها ، وإنها

---

(١) فى طبعة دار الثقافة : النساء .

(٢) سكرت : سدت .

(٣) كلمة « فى بطنه » ساقطة من طبعة دار الكتب .

(٤) الأزج : البيت يبنى طولا .

(٥) فى طبعتى دار الكتب : اجتمع .

(٦) فى طبعة الدارين : أجمعت على غزو جذيمة .

(٧) فى طبعة دار الكتب : فإنه امرؤ له ما يصده !

لم تَجِدْ لمُلكها كُفُوًّا غيرَه . وسألته الإقبال إليها وجَمْعَ مُلكها إلى ملكه . فلما وصل ذلك إليه استخفَّه وطمع فيه ، وشاور أصحابه ، فكلٌّ صوَّبَ رأيه فى قَصْدِها وإجابتها إلا قصيرَ بنَ سعدِ بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نُمارة بن لَخْم فقال: هذا رأىٌ فاتر، وغدرٌ حاضر ، فإن كانت صادقة فلتُقْبِلْ إليك وإلَّا فلا تُمَكِّنْها من نفسك فتقَعَ فى حِبالها وقد وتَرْتَهَا فى أبيها ، فلم يوافق جَذِيمة ما قاله : وقال له: أنت امرؤٌ رأيك فى الكِنِّ لا فى الضِّحِّ[١] ورَحَل ، فقال له قصير فى طريقه : انصرف ودمُك فى وَجْهك . فقال له جذيمة : ببقَّةَ قُضِى الأمر . فأرسلها مثلا ، ومضى حتى إذا شارف مدينتها قال لقصير : ما الرأى ؟ قال : ببَقَّةَ تركت الرأى . قال : فما ظنُّك بالزَّبّاء ؟ قال : القول رِدَاف ، والحَزْمُ عِراف[٢] ، لا يُخاف ، واستقبلته رسلها بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ، كيف ترى ؟ قال : خَطَرٌ يَسير ، فى خَطْبٍ كبير. وستلقاك الخيول ، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أخذت جَنْبَتَيك وأحاطت بك فالقومُ غَادِرون . فلقيته الخيول فأحاطت به ، فقال له قصير : اركب العصا فإنها لا تسبَق ولا تُدْرَك ــ يعنى فرساً له كانت تُجْنَب ــ قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك ، فلم يفعل ، فجال قصير فى ظهرها ومرَّت به تعدو فى أوائل أصحاب جَذِيمة ، ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيرا على فرسه فى أول القوم فقال لَحَازِمٌ ما يُجْرِى العصا[٣] . فلم يقف حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فماتت[٤] هناك

---

(١) الكن : البيت . والضح: الشمس وضوؤها .

(٢) كذا فى نسخ المختار فيكون بمعنى المعرفة . وفى نسخ من الأغانى: والحزم عثراته تخاف وفى بعضها: عيرانة لا تخاف . وفى بعضها مثل ما فى المختار .

(٣) فى طبعة دار الكتب : «لحازم من يجرى العصا فى أول القوم» وفى طبعة دار الثقافة: الحازم من يجرى العصا فى أول القوم . وفى مجمع الأمثال : ويل أمه حزما على متن العصا .

(٤) فى الأغانى: فبالت . وفى مجمع الأمثال «ثم نفقت» يعنى ماتت، انظر فيه «خطب يسير فى خطب كبير».

فبنى على ذلك الموضع(١) بُرْج وسُمّى بُرْجَ العَصا ، وأُخِذ جَذِيمة فأُدخل على الزَّبّاء ، فاستقبلته وقد كشفت عن فَرْجها وإذا هى قد ضفرت الشَّعر عليه ، فقالت : يا جذيمة أَشَوَار عروس(٢) ترى؟ فقال: لا بل أرى مَتَاع أمةٍ(٣) لَكْعاء غير ذات خَفَر. ثم قال: بلغَ المَدَى وجَفَّ الثَّرَى ، وأمْرَ غَدْرٍ أرى . قالت : واللهِ ما ذاكَ من عَدَم مَوَاس ، ولا قِلّةِ أَواس(٤) ولكنها شيمةُ أُناس ، ثم قالت لجواريهـا : خُذن بعَضُد سيّدكنّ ، ففعلن ، ثم دعت بنِطْع وأجلسته عليه ، وأمرتْ بِرَواهِشِه(٥) فقُطِعت فى طَسْتٍ من ذهب ليسيل دمُه فيه ، وقالت : يا جذيمة لا تُضيِعَنّ من دمك شيئا فإنى أُريده للخَبْل(٦) . فقال لها : وما يَحْزُنُك(٧) من دم أضاعه أهلُه ؟ وإنما أرادت بذلك أن كاهنا قال لها : إن نقط من دمه شىء فى غير الطست أُدْرِكَ بثأره ، فلم يزل دَمه يجرى فى الطَّست حتى ضَعُف ، فتحرّكَ فنقطت نقطة من دمه على أُسطوانةِ رخامٍ فمات . والعرب تتحدث أن فى دماء الملوك شِفاء من الخَبْل. قال [المتلمس] :

من الدَّارِميِّين الذين دمـاؤُهم ... شِفاءٌ من الداءِ المُجِنَّة والخَبْلِ

وجعلت دمه فى بَرْنيَّة ، وجعلته فى خزانتها. ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الحُرِّ التنوخى فقال له : اطلب بدم ابن عمك وإلا سبّتك العرب ، فلم يحفِلْ بذلك ، فمضى قصير إلى عمرو(٨) ابنِ أخت جَذِيمة فقال له : هل لك فى أن أصرف الجنود إليك

---

(١) فى طبعة دار الكتب : الموضع برج يسمى العصا .

(٢) فى طبعة دار الكتب : « أذات عروس » هذا، والشوار : المنظر والزينة .

(٣) فى طبعة دار الثقافة : شوار أمة .

(٤) الأواسى جمع آسية وهى كناية عن الخاتن. والمواسى هى جمع الموسى الذى يحلق به الشعر.

(٥) الرواهش : عروق فى باطن الذراع .

(٦) الخبل : الجنون أو شبهه .

(٧) حزبه الغم : أصابه واشتد عليه. وفى الأغانى: ما يحزنك .

(٨) فى الأغانى : فخرج قصير إلى عمرو .

على أن تطلب بدم خالك[1] . فجعل له ذلك ، فأتى القادة والأعلام فقال : أنتم القادة والرؤساء وعندكم[2] الأموال والكنوز فانصرف إليه منهم خَلْق[3] كثير . فالتقى عمرٌو والتنوخيُّ[4] فلما صافُّوا[5] القتال تابعه التنوخي ومُلِّك عمرُو[6] بن عدى . فقال له قصير : انظر ما وعدتنى فى الزّباء، فقال : وكيف وهى أمنع من عُقاب الجوّ؟ فقال : أمّا إذا أبيت فإنى جادع أنفى ومحتال لقتلها فأَعِنّى وخَلاكَ ذمٌّ، فقال له عمرو: أنت أبصر . فجدع قصير أنفه وأذنيه ، ثم انطلق فدخل على الزباء . فقالت له : من أنت ؟ فقال : أنا قصير ، لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد أنصح لجذيمة منى ولا أغش لك حتى جدع عمرُو بنُ عدىّ أنفى وأذنى وقال: أنت أشرتَ على خالى بالمسير إليها . وقد عرفتُ أنى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك . فقالت : أىْ قصير ، نَقْبل ذلك منك ونُصرِّفك فى بضاعتنا ، فأعطته مالا للتجارة ، فأتى بيت مَال الحيرة فأخذ مما فيه بأمر عمرو بن عدى ما ظن أنه يرضيها ، وانصرف إليها به ، فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته ، ولم يزل بها حتى أنست به ، فقال لها يوما: ليس من ملك ولا ملكة إلا وقد ينبغى أن يتخذ له نفقا يهرب فيه عند حدوث حادثة يخافها ، فقالت : أمّا إنى قد فعلت واتخذت نفقا تحت سريرى هذا يخرج إلى نفقٍ تحت سرير أختى . وأرته إياه ، فأظهر سروراً بذلك ، وخرج فى تجارة كما كان يفعل ، وعرف عمرو بن عدى مافعله فركب عمرٌو فى ألفَىْ دارِع على ألف بعير فى الجواليق،

---

(١) فى الأغانى : بثأر خالك .

(٢) فى الأغانى : وعندنا .

(٣) فى الأغانى : بشر .

(٤) فى الأغانى : فالتقى بعمرو التنوخى .

(٥) فى بعض نسخ الأغانى : خافوا .

(٦) فى طبعة دار الكتب: ومالك بن عمرو .

حتى إذا صار إليها تقدم قصير فسبق الإبل ، ودخل على الزباء فقال لها : اصعدى على حائط مدينتك فانظرى إلى مالك وتقدَّمى إلى بوابك فلا يَعرِضْ لشىء من أعكامنا[١] ، فإنى قد جئت بمالٍ صامت وقد كانت أمِنته فلم تكن تتهمه ولا تخافه ، ففعلت كما أمرها[٢] ، فلما نظرت إلى ثقل مشى الجمال قالت : ــ وقيل : إنه مصنوع منسوب إليها ــ :

ما للجمال مَشْيها وئيدا أجَنْدَلا يحملن أم حديدا
أمْ صَرَفاناً بارِداً شديدا[٣] أم الرِّجالُ جُثَّماً قُعودا

فلما دخل آخر الإبل نخس البوابُ: عِكْما من الأعكام بِمِنخَسَةٍ معه ، فأصابت خاصرةَ رجل فضرط ، فقال البواب: شرٌ والله عَكَمْتُمْ فى الجواليق. فثاروا بأهل المدينة ضربا بالسيوف ودخلوا عليها قصرها ، فهربت تريد السَّرَب ، فوجدت قصيرا قائما عنده بالسيف[٤]، فانصرفت راجعة ، فاستقبلها عمرو بن عدى بالسيف فضربها ، وقيل : بل مصَّت خاتمها وقالت : بيدى لا بيد عمرو . وأُخربت المدينة ، وسُبِيت الذرارى ، وغنم عمرٌو كلَّ ما كان لأبيها ولها ولأختها .

وقالت الشعراء تذكر ذلك وما كان من قصير فى مشورته على جَذيمة وفى جدع أنفه ، فأكثروا ، فمن ذلك قول عَدِىّ بن زَيدٍ العِبادىّ :

ألا أيها المُرَجَى المُرَجِّى[٥] ألم تَسْمَع بخطبِ الأوَّلينا

---

(١) الأعكام جمع العكم : وهو العدل أو ما شد وجمع من ثوب أو سواد .

(٢) فى الأغانى : فصعدت كما أمرها .

(٣) الصرفان : الرصاص. والصرفان : الموت .

(٤) جملة « ودخلوا عليها قصرها . . . . عنده بالسيف » ساقطة من طبعة دار الكتب والسرب : الحفير تحت الأرض أى النفق .

(٥) فى الأغانى : ألا يا أيها المثرى المرجى .

دَعَا بالبَقَّةِ الأُمراءَ يوما ... جَذيمةُ عَصْرَ يَنْجُوهم ثُبِينَا[(١)]

فطاوَعَ أمرَهم وعصى قَصِيراً ... وكان يقول — لو نفع — اليقينا[(٢)]

وكان جذيمة الملك شاعرا، وكان يقال له الأبرش والوضّاح، لبرص كان به ووضَح، وكان يُعظم أن يسمى بذلك، فجعل مكانه الأبرش والوضاح، وهو الذى يقـول:

والمُلْكُ كان لذى نُوا ... سٍ حوله من ذى يُحَابِرْ[(٣)]

بالسابغـات وبالقنا ... والبيضِ تَبرُقُ والمَغافِرْ

أزْمانَ لا مَلِكٌ يُجيـ ... ـرُ ولا ذِمامَ لمن يُجاوِرُ

أزْمانَ عمـرانٌ وفَهْـ ... ـمٌ منهمُ بادٍ وحاضِرْ[(٤)]

أودَتْ بهم غِيَرُ الزما ... نِ فمُنْجِدٌ منهم وغَائِرْ

وقال المتلمس يذكر جدع قصير أنفه:

ومن حَـذَرِ الأيام ما جَذَّ أنفَه ... قَصيرٌ ورامَ الموت بالسيف بَيْهَسُ[(٥)]

(١) ينجوهم: يسارهم بما فى فؤاده من الأسرار والعواطف. وثبين: جمع ثبة ومرفوعها ثبون. والثبة: العصبة من الفرسان. ورواية أخرى بهامش ا، ك وبعض مخطوطات الأغانى: جذيمة ينتحى عصبا ثبينا.

(٢) فى مطبوع دار الكتب: لو سمع اليقينا.

(٣) يحابر: اسم أبى قبيلة من اليمن تنسب إليه وهو مراد وفى أغلب نسخ الأغانى تروى يحابر.

(٤) هذا البيت ساقط من مطبوع دار الكتب.

(٥) فى الأغانى: وخاض الموت بالسيف.

الجعد العُذرى (١)

هو الجَعْد بن مِهْجَع أحد بنى سَلَامان من عُذْرة .

قال حماد الراوية : أتيت مكة فجلست فى حلقة فيها عُمر بن أبى ربيعة ، فتذاكرُوا العُذريين ، فقال عمر : كان لى صديق من عُذرة يعرف بالجَعْد ، وكان يلقى مثل الذى ألقى من الصَّبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهرَ الخَلْوة ولا سَرِيع السَّلْوة ، وكان يوافى الموسم فى كل سنة ، ففمنى ذاتَ سنة إبطاؤه حتى قدم حُجَّاج عذرة ، فأتيت القوم أنْشُد صاحبى ، فإذا غلام قد تنفَّس الصُّعَداء ثم قال : عن أبى المُسْهِر تسأل ؟ قلت : عنه أسألُ وإياهُ أردتُ قال : هيهاتَ ! ! أصبح أبو المُسْهِر لا يُؤيَسُ منه فيهمل ، ولا يُرْجى فيُعَلَّل ، أصبح والله كما قيل :

لعمركَ ما حبى لأسمـاء تاركى أعيش ولا أَقضِى بـه فأموتُ

فقلت : وما الذى به ؟ فقال : مثل الذى بك من تَهوُّرِكما فى الضلال وجرِّكما أذيالَ الخسار ، فكأنما لم تسمعا بجنّة ولا نار . قلت : ومن أنت منه ؟ قال : أخوه ، فقلت : أما والله يا ابن أخى ما يمنعك أن تَسلك مَسلك أخيك من الأدب وأن تركَب منه مَرْكبه إلا أنك وأنه(٢) كالبُرْد والبِجاد(٣) لا تَرقعه ولا يَرقَعك . ثم صرفتُ وجه ناقتى وأنا أقول:

أرائحـةٌ حُجَّاجُ عُـذرةَ وجهةً ولمَّا يَرُحْ فى القوم جَعْدُ بن مِهْجَعِ
خليلانِ نشـكو ما نلاقى من الهوَى متَى ما يَقلْ أسمعْ وإن قُلتُ يَسمَعِ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١١/١٦٩ ودار الثقافة ١١/١٥٧ وبولاق ١٠/٥١ والساسى ١٠/٤٨ .

(٢) فى الأغانى : إلا أنك وأخاك .

(٣) البجاد : ثوب مخطط . وفى المختار : « والنجاد » والنجاد : حمائل السيف .

أَلَا ليتَ شعرِى أىُّ شىء أصابــه ... فلى زَفراتٌ هِجْنَ مِن بين أَضلُعى[١]

فــلا يُبْعِدَنْك اللهُ خِلاًّ وإننى ... سألقى كما لاقيتَ فى الُحبِّ مَصرعى[٢]

ثم وقفت[٣] موقفى من عرفات ، فبينا أنا كذلك إذا إنسان[٤] قد تغيّر لونه وساءت هيئته ، فأدنى ناقته من ناقتى حتى خالف بين أعناقهما ثم عانقنى وبكى حتى اشتدّ بكاؤه ، فقلت : ماوراءك ؟ فقال : بَرْحُ العَذْلِ وطولُ المَطْلِ ، ثم أنشأ يقول :

لئِن كانتْ عُدَيَّةُ ذاتَ لُبٍّ ... لقــد عَلِمَتْ بأنَّ الحــبَّ داء

ألم تَنظرْ إلى تَغيــيرِ جسمى ... وأنى لا يفــارقنى البــكاء

وإنى لو تــكلَّفت الــذى بى ... تَعَفَّى الــكَلْمُ وانــكشف الغِطاء[٥]

وإن معاشرى ورجالَ قــومى ... حُتوفُهمُ الصَّبابةُ واللِّقــاء

إذا العُذرِىُّ مات خَلِىَّ دِرْعٍ ... فــذاك العبدُ يبكيه النساء[٦]

فقلت: ياأبا المسهِر ، إنها ساعة تُضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها ، فلو دعوتَ كنت قَمِناً أن تظفر بحاجتك وأن تُنصَر على عدوّك . فتركنى وأقبل على الدعاء ، فلما تدلَّت الشمس للغروب وانفض الناس سمعته يتــكلم بشىء فأصغيت إليه ، فإذا هو يقول :

---

(١) فى الأغانى : ما بين أضلعى .

(٢) فى الأغانى : فى كل مصرع .

(٣) فى الأغانى : ثم أطلقت حتى وقفت .

(٤) فى الأغانى : إذ أنا بإنسان .

(٥) تعفى : انمحى واضمحل . وفى الأغانى : « لقف الــكلم» وقف : يبس . وفى: الفرج بعد الشدة ص ٤٢٦ نقلا عن الأغانى : لعف .

(٦) فى الأغانى : « يبكيه الرشاء . وكذلك فى : الفرج بعد الشدة .

يارَبَّ كلِّ غَـدْوَةٍ ورَوْحَـهْ من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحَى ولَوْحَهْ[١]
أنت حسيبُ الخطْبِ يوم الدَّوْحَهْ[٢]

فقلت له : وما يوم الدَّوْحَة ؟ قال : والله لأخبرنَّـك ولو لم تسألنى ، فيممنا نحو مزدلفة فقال : إنى رجل ذو مال كثير من نَعَم وشاء ، وذو المال لا يُصدِرُه القُلُّ ولا يُرْوِيه الثِّماد[٣] وإنى خَشيتُ عاماً أوَّلَ على مالى التلف[٤] ونصر الغيث[٥] أرض كلب ، فانتجعت أخوالى منهم ، فأوسعوا لى عن صدر المجلس ، وسقونى جُمَّة الماء[٦] ، وكنت فيهم فى خير حال ، ثم إنى عزمت على موافقة إبلى بماء لهم يقال له الحَوَدات[٧] ، فركبت فرسى وسَمَطْتُ[٨] خلفى شَرابا ، فلما كنت بين الحىّ ومرعى الغنم[٩] رُفِعتْ[١٠] لى دَوْحة عظيمة ، فنزلت عن فرسى وشددته فى بعض أغصانها[١١] ، وجلست فى ظلها ، فسطع غبار من ناحية الحىّ ، ورُفعت لى شُخوص

---

(١) اللوح : التغير .

(٢) فى الأغانى : أنت حسيب الخلق .

(٣) الثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل هذا ، وكلمة « القل » ليست فى الأغانى وموجودة فى : الفرج بعد الشدة .

(٤) جملة « وإنى خشيت عاما أول على مالى التلف » ليست فى الأغانى وموجودة فى : الفرج بعد الشدة .

(٥) نصر الغيث : الأرض عمها بالجود. وفى أصول الأغانى والمختار «ونضر» وهو تحريف وفى نسخة منه : وقطر .

(٦) جمة الماء : معظمه :

(٧) فى الأغانى : الحوذان .

(٨) سمط : علق .

(٩) فى الأغانى : النعم وكذلك فى ت .

(١٠) رفع له الشىء : أبصره من بعيد .

(١١) فى الأغانى : وشددته بغصن من أغصانها .

ثلاثة : فارس يطرد مِسْحَلًا(١) وأتانا ، وعليه دِرْع صفراء وعمامة خَزٍّ سوداء ، وإذا فروع شعره تَضْرِبُ خَصْرَه ، فقلت : غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته ، فما جاز عنّى إلا يسيرا حتى طعن المِسحَلَ طعنة وثنّى طعنة للأتان فصرعهما ، ورجع نحوى وهو يقول :

نطعنهمْ سُلْكَى ومخلوجةً   كَرَّكَ لَأْمَيْنِ على نابِلِ(٢)

فقلت : إنك تعبتَ وأتعبْتَ ، ولو نزلت استرحت ، فثنى رجله ونزل ، وشدّ فرسه بغُصن من أغصان الشجرة ، وألقى رمحه وجلس ، فجعل يحدّثنى حديثا ذكرت به قول أبى ذُؤَيب :

وإنَّ حديثا منكِ لو تَبذلينه   جَنَى النَّحْلِ فى ألبانِ عُوذٍ مَطافِلِ(٣)

فقمت إلى فرسى فأصلحت من أمره [ثم رجعت](٤) وقد حسر العمامة عن رأسه ، فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش ، فقلت : سبحانك اللهم ، ما أعظم قُدرَتك وأحسن صَنعتك . فقال لى : مم ذلك ؟ فقلت : مما راعنى من جمال وجهك وبهرنى من حسنك ، فقال : وما الذى يروعك من حَبِيس التراب وأكيل الدّواب فلا يدرى أينعم أم ييأس ؟ قلت : لا يصنع الله بك إلا خيرا . ثم تحدثنا ساعة فقال : ما هذا الذى سَمَطْتَ فى سرجك ؟ قلت : شراب أهداه إلىَّ بعض أهلك ، فهل لك من أرب ؟ فقال : أنت وذاك [فأتيتُه به](٤) فشرب منه وجعل يَنْكُت بالسوط

---

(١) بهامش ا ، ك : المسحل : الحمار الوحشى .

(٢) السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . والمخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال واللأم: السهم عليه ريش يلائم بعضه بعضا والنابل: صاحب النبل. أى كما ترد سهمين على رام رمى بهما. والبيت لامرئ القيس .

(٣) العوذ: جمع عائذ وهى الحديثة النتاج. والمطافل ذوات الأطفال .

(٤) زيادة من الأغانى.

على ثناياه ، وظلَّ السوطِ يتبين لى والله فيهن[١] فقلت له : مهلا ، فإنى خائف أن تَـكسِرهنّ . فقال : ولم ؟ فقلت : لأنهن رِقاق وهُنّ عِذاب . فرفع عقيرته وغنى :

إذا قبَّلَ الإنسانُ آخَرَ يَشتهِى ثناياه لم يأْثَمْ وكان له أَجرَا

فإن زادَ زاد اللهُ فى حسناته مَثاقيلَ يَمحو اللهُ عنه بها الوِزْرَا

ثم قام [إلى فرسه][٢] فأصلح من أمره ورجع ، فبرقت لى بارقة تحت الدّرع ، فإذا ثَهْدٌ[٣] كأنه حقٌّ عاج ، فقلت : نَشَدتُك الله أأنت امرأة ؟ قالت : إِى واللهِ إلّا أنى أكره العَشير العاهر ، وأحب الغزل . ثم جلست وجعلت تشرب معى ما أفقد من أنسها شيئاً ، حتى نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهاة مذعورة : فما راعنى إلا ميلُها على الدوحة سَـكْرَى ، فزُيِّن لى الغَدْرُ وحَسُن فى عينى، ثم إن الله عزّ وجلّ عصمنى منه ، فجلست حَجْرَةً[٤] منها ، فما لَبِسَتْ إلا يسيرا حتى انتبهت مذعورة ، فلاثَتْ عِمامتها برأسها ، وجالت فى مَـتْن فرسها وقالت: جزاكَ الله عن الصحبة خيرا ، فقلت : أتنصرفين ولما تزوِّدينى[٥] منك زادا ؟ فناولتنى يدَها فقبَّلتها ، فشممت منها رائحة المِسك المفتوت ، فذكرت قول الشاعر :

كأنها إذ تقضَّى النومُ وانتبهتْ سَيَابَةٌ ما بها عَيْنٌ ولا أَثَرُ[٦]

قلت : وأين الموعد ؟ قالت : إن لى إخوةً شُرْسًا وأباً غَيوراً ، ووالله لأنْ أسرّكَ أحبُّ إلىَّ [من] أن أضرّكَ . ثم انصرفت ، فجعلت أُتبعها بصرى حتى غابت ،

---

(١) فى الأغانى: فجعل والله يتبين لى ظل السوط فيهن.

(٢) زيادة من الأغانى .

(٣) فى الأغانى : ثدى .

(٤) حجرة : ناحية .

(٥) فى الأغانى : فقلت : أو ما تزودينى .

(٦) السيابة : الخمر . وفى الأغانى « سحابة » وما هنا أحسن وأصح .

فهى يا ابن أبى ربيعة أحلَّتنى هذا المحلّ . فقلت : يا أبا المُسهِر إن الغدر بك مع ما تذكر لمليحٌ ، فاشتدَّ بكاؤه ، فقلت : لا تَبْكِ ، فما قلتُ لك ما قلتُ إلا مازحا ، ولو لم أبلغ فى حاجتك بمالى لسعيتُ فى ذلك حتى أقدر عليه . فقال: جزاك الله خيرا(١)، فلما انقضى الموسم شَدَدْتُ على بعيرى وحملتُ عليه قُبَّة حمراء من أَدَم كانت لأبى ، وحملت معى ألف دينار ومِطْرَف خَزٍّ وأتينا بلاد كلب ، وسألنا عن أبى الجارية(٢) ، فوجدناه فى نادى قومه ، وهو سيِّد الحىّ ، والناس حوله ، فوقفت على القوم فسلّمت ، فردّ الشيخ السلام ثم قال : مَن الرجل ؟ قلت : عمر بن أبى ربيعة ، قال : المعروفُ غيرُ المُنْكَر ، ما الذى جاء بك ؟ قلت : خاطبا . قال : الكِفاء(٣) والرغبة . قلت : إنى لم آت ذلك لنفسى عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ، ولكنى أتيت فى حاجة ابن أختكم العذرى ، وها هو ذلك ، فقال : والله إنه لَكفىء الحَسَب رفيع النسبِ ، غير أن بناتى لا يقعن إلا فى هذا الحى من قريش ، فوجمت لذلك ، وعرف التغيُّرَ فى وجهى فقال : أما إنى صانع بك ما لم أصنع بغيرك ، فقلت : وما ذاك ؟ فمثلى من شكر قال : أخيِّرها ، فهى وما اختارت ، قلت : ما أنصفتنى إذ تختار لغيرى وتُوَلِّى الخيار غيرك . فأشار إلىَّ العذرىُّ أن دَعْه يُخَيِّرها ، فأرسل إليها إن من الأمر كذا وكذا ، فأرسلت إليه : ما كنت أستبدّ بأمرٍ دون القُرَشىّ والخيار له فى قوله وحكمه(٤) ، فقال لى : إنها ولَّتْك أمرها ، فاقضِ ما أنت قاض ، فحمدت الله عز وجل وأثنيت عليه وقلت : اشهدوا أنى قد زوجتها من الجعد بن مِهْجع وأصدقتها هذه الألف دينار وجعلت تكرِمتها العَبْدَ والبعير والقُبَّة . وكسوتُ

---

(١) فى الأغانى : فقال لى خيرا .

(٢) فى الأغانى : فنشدنا عن أبى الجارية .

(٣) الكفاء : المثل والنظير . وفى الأغانى : الكفء .

(٤) فى الأغانى : فى قوله ، حكمه .

الشيخ المطرَف وسألته أن يبنيَ عليه بها من ليلته ، فأرسل إلى أمها ، فأبت ذلك وقالت : تخرج بنتى كما تخرج الأَمَة ؟ فقال الشيخ : نخذى(١) فى جهازها ، فما برحتُ حتى ضُربت القُبَّة فى وسط الحريم ، ثم أُهدِيَتْ إليه ليلا ، وبتُّ أنا عند الشيخ ، فلما أصبحنا أتيت القبة فصبَّحت صاحبى(٢) ، فخرج إلىَّ وقد أثَّر السرور فيه ، فقلت : كيف كنت بعدى ؟ وكيف هى بعدك ؟ فقال : أبدت لى كثيرا مما كانت تخفيه عنى يوم لقيتها ، فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول :

كتمتُ الهوى لما رأيتك جازعا ... وقلت فتًى بعضَ الصديق يُريد(٣)
فورَّيتُ عما بى وفى داخل الحشا ... من الوَجْد بَرْحٌ ما علمتُ شَديدُ

فقلت : أَقِمْ على أهلك ، بارك الله لك فيهم وانطلقت وأنا أقول :

كَفَيْتُ أخى العذرىَّ ما كان نابَه ... وإنى لأعباء النوائبِ حَمَّالُ
أمَا استُحْسِنتْ منى المكارمُ والعُلا ... إذا طرقَتْ إنى لمالِىَ بَذَّالُ(٤)

فقال العُذرىُّ :

إذا ما أبو الخطاب خلَّى مكانَه ... فأُفٍّ لدنيا ليس من أهلها عُمَرْ
فلا حَىَّ فتيانُ الحجازَيْنِ بعده
ولا سُقِيَتْ أرضُ الحجازينِ بالمَطَرْ

---

(١) فى الأغانى : هجرى فى جهازها .
(٢) صبحه : حياه بالسلام صباحا . وفى الأغانى : فصحت بصاحبى .
(٣) بعده فى الأغانى بيت .
(٤) فى الأغانى : إذا طرحت إنى لمالى بذال .

الْجَحَّافُ السُّلَمِيُّ[1]

هو الجحّاف بن حَكِيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزَاعِيّ بن مَخْلد[2] ابن فالج بن ذَكوان بن ثَعلبة بن بُهْثَة بن سُلَيم بن مَنصور .

ولد بالبصرة ، وهو الذى قال لما أوقع ببنى تغلب يوم البِشْر :

لله درُّ عِصابةٍ صاحبتُهم … يوم الرُّصافَة مثلُهم لم يُوجَدِ
متقلّدِين صفائحا هِنديّةً … يتركْنَ من ضربوا كمَن لم يُولَدِ
وغدا الرجالُ الثائرون كأنما … أحداقهم قِطَعُ الحديد المُوقَدِ[3]

وكان السبب فى يوم البشر أن عمير بن الحباب لما قتله بنو تغلب بالحَشّاك ـ وهو إلى جانب الثرثار وهو قريب من تَكْرِيت ـ أتى تميمُ بنُ الحباب زُفَرَ بنَ الحارث فأخبره بمقتل عُمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكره ذلك وأباه عليهم[4] فسار تميم بمن معه من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن ربيعة[5] العُقيلى ، فلما توجّهوا نحو بنى تغلب لقيهم الهُذيل بن زُفر بن الهُذَيل ، فقال لهم : أين تريدون ، فأخبروه بما كان من زفر ، فقال: أمهلونى ألقَ الشيخ ، فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زُفَرَ فقال له : بئس ما صنعت ، والله لئن ظُفِرَ بهذه العصابة لعارٌ عليك ، وإن ظَفِروا إنه لأشدّ . قال زفر : فاحبِس علىّ القومَ وقام زفر فى أصحابه فحرّضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوْساً ،

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٢/١٩٨ وانظر ص ١٩٧ ودار الثقافة ١٢/١٩٥ وانظر ١٩٤ وبولاق ١١/٥٧ والساسى ١١/٥٥ والتجريد ١٣٩٦ .

(٢) فى الأغانى : محاربى . وفى المؤتلف والمختلف تحقيق ص ١٠٢ : ابن خزاعى بن محارب ابن هلال بن فالج .

(٣) فى الأغانى : أبصارهم قطع الحديد .

(٤) جملة « وأباه عليهم » ليست فى الأغانى .

(٥) فى الأغانى : مسلم بن أبى ربيعة : وجاء بعد ذلك صحيحا .

وسار حتى أتى الثرثار فدفنوا أصحابهم ثم وجّه زُفَرُ بنُ الحارث يَزيد بن حُمْران في خيلٍ فأسرى[1] إلى بنى فدَوْكس[2] من تغلب ، فقتل رجالَهم واستباح أموالهم، ولم يبقَ في ذلك الحيِّ غيرُ امرأةٍ واحدة يقال لها حُميدة بنت امرئ القيس ، عاذت بابن حُمْرَان ، فأعاذها ، وبعث الهُذيل إلى بنى كعب بن زهير ، وبعث مَسلم[3] ابن ربيعة إلى ناحية أُخرى، فكلٌّ منهم قتل ونهب ، وبلغ ذلك بنى تغلب والنَّمِر[4]، فارتحلوا يريدون عبور دجلة فلحقهم زفر بالكُحيل – وهو نهر أسفل من الموصل – مع المغرب ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقى زفرُ على بغْلٍ له فقتلوهم من ليلتهم وبَقَروا ما وجدوا من النساء ، وكان الذى غَرِق فى دجلةَ أكثرَ من الذى قُتِل بالسيف ، وكان الدم فى دجلة قريبا من رَمْية سهم [فلم يزالوا يقتلون من وجدوا][5] حتى أصبحوا ، ودخل زفر دِجلة ، وكانت فيه بُحَّة ، فجعل ينادى ولا يُسمع صوتُه ففقدوه أصحابه[6] وحسبوا أنه قتل فَتَذامروا[7] وابتغوه وقالوا : إنْ قُتِل شيخنا فما صنعنا شيئا ، فاتبعوه ، فإذا هو يصيح فى الماء بالناس ، وتغلب قد رَمَتْ بأنفسها فى الماء ، فخرج من الماء وأقام فى موضعه ، فهذه الوقعة الحَرِجيَّة ، لأنهم أحْرِجُوا[8] فألقوا أنفسهم فى الماء .

(١) فى الأغانى : « فأسراء » ويبدو أنها تحريف .

(٢) فى المختار : « دوكس » والتصويب من الأغانى والاشتقاق ص ٣٣٨ .

(٣) فى المختار : « مسلمة بن ربيعة » وتقدم «مسلم بن ربيعة» وفى الأغانى هنا : مسلم بن ربيعة .

(٤) فى الأغانى : « واليمن » وهو يبدو أنه تحريف .

(٥) زيادة من الأغانى .

(٦) كذا فى المختار وتكون على لغة أكلونى البراغيث. وفى الأغانى : ولا يسمعه أصحابه ففقدوا صوته . وفى نسخة من الأغانى : فلا يسمع صوته ففقده أصحابه .

(٧) تذامروا : حض بعضهم بعضا على القتال .

(٨) فى ا ، ت : أخرجوا .

ثم وجّه يزيدَ بن حُمران وتَميمَ بنَ الُحباب ومسلم بن ربيعة والهُذَيل بن زُفر، فى جماعة ، وأمرهم ألا يلقوا أحدا إلا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والنهب ، ثم مضى بجماعة من أصحابه يستقبل الشَّمال حتى أتى رأس الأُثَيل ، ولم يخلِّف بالكُحيل أحدا ، والكُحَيل على عشرة فراسخ من المَوْصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصَعِد قِبَل رأسِ الأثيل فوجد عسكرا من النَّمر[1] وتغلب ، فقاتلهم بقيَّة ليلتهم ، فهُزِمت[2] تغلب وصبرت النمر[1] .

هذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهَرِير وفى ذلك يقول زُفَرُ بن الحارث :

ولما أن نَعى الناعى عُمَيْراً　　حسبتَ سماءهم دُهِيَتْ بِلَيْلِ

دُهيت بليل: أى أظلمت نهارا كأن ليلا دهاها أى غشيها[3] :

وكان النجمُ يَطلُعُ فى قتامٍ　　وخاف الذلَّ من نَمِرٍ سُهَيْلُ[4]

وكانَ قُبَيْلَهَا يا أمَّ عَمْرٍو　　أُرَجِّل لِمَّتى وأجرُّ ذَيْلى

فلو نُبش المقابِر عن عُمَيرٍ　　فيُخْبَرَ مِنْ بلاء أبى الهُذَيْلِ

غداةَ يقارعُ الأبطال حتى　　جَرَى منهم دماً مَرْجُ الكُحَيْلِ

قَبيلٌ يَنْهَدُون إلى قبيلٍ　　تَساقَى الموتَ كَيْلًا بعد كَيْلِ

وفى ذلك يقول جَرير يُعَيِّر الأخطل :

أنسيتَ يومَك بالجزيرةِ بعدما　　كانت عواقبُه عليك وَبالَا

حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها　　شُعْثاً عوابسَ تَحمِلُ الأبطالا

---

(١) فى الأغانى : اليمن .

(٢) فى الأغانى : فهربتْ .

(٣) كلمة « أى غشيها » ليست فى الأغانى .

(٤) فى البيت إقواء وفى الأغانى : من يمن سهيل .

مازلت تحسب كُلَّ شيء بعدهمْ　　خَيْلًا تَكُرُّ عليهمُ ورِجالَا

زُفَرُ الرئيس أبو الهذيل أبارَكم(١)　　وسَبَى الرجالَ وأحرز الأموالا

فلما كانت سنة ثلاثٍ وسبعين ، وقُتِل عبدُ الله بن الزبير ، وهدأت الفتنة ، واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وتكافَّتْ قيسٌ وتغلب عن المغازى بالشام والجزيرة ، وظنّ كلٌّ واحد من الفريقين أن عنده فضلا لصاحبه ، وتكلم عبد الملك فى ذلك ولم يُحْكِم الصلح فيه ، فبينما هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبدَ الملك وعنده وجوه قيس :

ألَا سائلِ الجحَّاف هل هو ثائر　　بقتلى أُصيبتْ من سُلَيمٍ وعامرِ

يعنى اليوم الذى قتل فيه بنو تغلب عُمَيرَ بنَ الحُباب السُّلَمى(٢) .

أجحَّاف إن نَهبطْ عليك فتَلْتقى　　عليك بُحورٌ طاميات الزواخرِ

تكنْ مثل إبداء الحُباب الذى جَرى(٣)

بهِ البَحْرُ تَرميه رياحُ الصراصرِ

فوثب الجحاف يجرُّ مُطْرَفه وما يَعْلم من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلا قد أكسبت قومك شرًّا . وقيل : إن الجحاف أجابه فقال :

نعم سوف نبكيهم بكُلِّ مُهَنَّدٍ　　ونَبكى عُمَيراً بالرِّماح الخواطِرِ

ثم قال : ظننت أنك يا ابن النصرانية لا تجترئ علىّ ولو رأيتنى مأسوراً لك . وتوعَّده ، فما برِحَ الأخطلُ حتى حُمَّ فقال له عبد الملك : أنا جارك منه . قال : هَبْك أجرْتنى(٤) منه يقظانَ فمن يجيرنى منه نائما . ثم افتعل الجحَّاف عهداً من

---

(١) أبارَكم : أهلككم . وفى الأغانى : أبادكم.

(٢) هذا الشرح بين البيتين ليس فى الأغانى .

(٣) إبداؤه : ما أنشأه ويريد بذلك ابنه عميرا . وفى ديوانه: مثل إقذاء الحباب.

(٤) فى الأغانى : « هذا أجرتنى » وظاهر أنه تحريف .

عبد الملك على صَدقات بكر وتغلب ، فصحبه من قومه نحوُ ألفِ فارس ، فسار[١] بهم حتى بلغ الرُّصافة وبينها وبين شطّ الفرات ليلة ، وهى فى قِبْلة الفُرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شِعر الأخطل وقال لهم : إنما هو الثأر أو العار ، فمن صَبر فلْيُقْدِم ، ومن كَرِه فليرْجِعْ . قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبة ، فأخبرهم بما يريد ، قالوا : نحن معك فيما كنت فيه من خير أو شر . فارتحلوا فطرقوا صهر[٢] بعد رُوبَة من الليل[٣] — وهى فى قِبلة الرُّصافَة على ميل[٤] — ثم صبحوا عاجنة الرهُوب[٥] وهو واد لبنى تغلب[٦] فى قِبْلة صهر ، والبشر وهو واد لبنى تغلب فأغاروا على بنى تغلب ليلا فقتلوهم ، وبقروا بطون الحوامل من النساء ، وقتلوا من كانت غير حامل ، وقُتل فى تلك الليلة ابنٌ للأخطل يقال له أبو غِياث، ففى ذلك يقول جرير له :

شربتَ الخمر بعـد أبى غِياثٍ ... فلا نَعِمَتْ لك السَّوءاتُ بالَا

ويسمى هذا اليوم يوم البِشر ويوم عاجنة الرهوب ويوم مُخاشِن وهو جبل إلى جانب البِشر ، وقيل : إن الأخطل وقع فى أيديهم وعليه عباءة دنِسة ، فسألوه : من أنت ؟ فذكر أنه عبد ، فأطلقوه ، فقال ابن صمار[٧] فى ذلك :

لم يُنْجِ إلَّا بالتعبُّد نَفسَــه ... لمـا تيقَّن أنهم قَوْمٌ عِـــدَا
وتشابهت بُرْقُ العَباءعليهمُ[٨] ... فنَجا ولو عرفوا عباءته هَوَى

---

(١) فى الأغانى : فثار .

(٢) كذا فى المختار وفى ا ، ك فوق الصاد حرف « ط » وفى الأغانى : صهين .

(٣) الروبة من الليل : الطائفة منه ، وضبطت خطأ فى طبعة دار الكتب بالهمزة وفسرت بأنها القطعة .

(٤) فى الأغانى : وبينهما ميل .

(٥) فى الأغانى : الرحوب .

(٦) « وهو واد لبنى تغلب » لم تذكر فى الأغانى وهنا تكررت مع ما سيأتى .

(٧) فى الأغانى : ابن صقار .

(٨) البرق جمع الأبرق : وهو كل شىء اجتمع فيه سواد وبياض .

وصعِد الجحاف الجبلَ فجعل ينادى : من كانت حاملا فإلىَّ ، فصعدنَ إليه ، فجعل يَبْقَر بطونهنّ . ثم هرب الجحاف بعد فَعلته ، وفرَّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحقه عُبيدة بن هَمَّام التغلبى ، دون الدُّروب(١) ، فكرَّ عليه الجحاف فهزمه وهزم أصحابه وقتلهم ، ومكث زمانا بالروم حتى سكن غضب عبد الملك ، فكلمته القيسية فى أن يؤمنه فلَانَ وتَلكأ ، فقيل له : إنا والله لا نأمنه على المسلمين أن يأتى بالرُّوم فأمَّنه ، فأقبل ، فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحّاف :

أبا مالكٍ هل لُمْتَنى إذ حَضَضْتَنى ... على القتل أم هل لامنى لك لائمى(٢)
أبا مالك إنى أطعتــك فى التى ... حضضت عليها فِعلَ حَرَّانَ حَازِمِ
فإن تَدْعُنى أخرى أُجِبْك بمثلها ... وإنى لَطَبٌّ بالوَغى جِدُّ عــالمِ

فقيل: إن الأخطل قال له : أراك والله شيخ سوء . وقال فيه جرير :

فإنك والجحّــاف يــوم تَحضُّه ... أردتَ بذاك المُكْثَ والوِرْدُ أعجَلُ
بَــكى دَوْبَــل لا يُرْقِئُ اللهُ دَمْعَهَ ... ألا إنمــا يبكى من الذلِّ دَوْبَــلُ(٣)
وما زالت القتلى تَمــورُ دماؤها ... بِدِجْلةَ حتى ماءُ دجلةَ أشــكَلُ(٤)

فقال الأخطل : مَا لِجرير لعنه الله ! والله ما سَمَّتْنى أُمى دَوْبَلًا إلّا وأنا صبىٌّ صغير . ثم ذهب عنى ذلك . فقال الأخطل :

لقد أوقع الجحَّاف بالبِشْر وقعةً ... إلى الله منها المُشْتَــكى والمُعَوَّلُ

---

(١) فى الأغانى : الدرب .

(٢) فى المختار : « لك لائم » فيكون فيه إقواء كالمؤتلف والمختلف ١٠٢ وفى الأغانى كما أثبت، فلا إقواء.

(٣) الدوبل : الخنزير الذكر .

(٤) الأشكل : ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .

فسائِلْ بنى مروان ما بالُ ذِمَّةٍ ... وحَبْلٍ ضَعيفٍ لا يَزال يُوَصَّلُ
فإلَّا تغيِّرها قُرَيشٌ بِمَلْكِها ... يكن عن قريب مُستمَازٌ ومَزْحَلُ[١]

فقال عبد الملك : فإلى أين يا ابن النصرانية ؟ قال : إلى النار ، قال : أولى لك[٢] لو قلت غير ذلك .

ثم رأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم كأنه لم يُحْكِم الأمر ، فأمر ابنَه الوليد فحمل الدماءَ التى كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمَّن الجحافَ قتلَى البِشْر وألزمه إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الحَمَالات ، ولم يكن عند الجحّاف ما يَحْمِل ، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ، لأنه من هوازن ، فسأل الإذن على الحجاج فمنعه فلقى أسماء بن خارجة فعَصَب حاجتَه به ، فقال : إنى لا أقدر لك على منفعة ، وقد علم الأمير بمكانك فأبى أن يأذن لك . فقال : لا والله لا ألزمها غيرك أَنْجَحَتْ أم أكْدَت ، فلما بلغ الحجاجَ ذلك قال: ما له عندى شىء ، فأَبْلِغْه ذلك فقال: وما عليك أن تكون أنت الذى تُؤَيسه ، فإنه قد أبى ، فأذن له ، فلما رآه قال : أعهدتنى خائنا لا أبالَك ؟ قال له : أنت سيّد هوازن ، وقد بدأنا بك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين ، وعمالَتُك فى كلّ سنة خمسمائة ألف درهم ، ومابك بعدها حاجة إلى خيانة. قال : أشهد أن الله قد وفقك وأنك نظرتَ بنور الله ، صدقت ، ولك نصفُها العامَ ، فأعطاه وأدَّوُا البقيّة .

ثم إن الجحاف تألَّه[٣] بعد ذلك واستأذن فى الحج فأذن له ، وخرج فى المَشْيخة الذين شهدوا معه ، فلبسوا الصوف وأحرموا وأَبْرَوْا أُنُفَهم أى خزموها ، وجعلوا فيها البُرَى[٤] ،

---

(١) بملكها : بقدرتها والمستاز : الانفصال . والمزحل : البعد . وفى الأغانى : مستراد ومزحل .
(٢) أولى لك : الويل لك .
(٣) تأله : تعبد وتنسك .
(٤) البرى جمع البرة : وهى الحلقة فى أنف البعير .

ومشوا إلى مكة ، فلما قدموا المدينة ومكّة خرج الناس ينظرون إليهم ويعجبون منهم ، قال : وسمع ابنُ عُمر الجحّافَ وقد تعلّق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لى وما أراكَ تفعل . فقال له ابنُ عمر : يا هـذا لو كنتَ الجَحاف ما زِدتَ على هذا قال : فأنا الجحّاف ، فسكت ، وسمعه محمد بن على بن أبى طالب وهو يقول ذلك فقال : يا عبد الله قُنوطُك من عفوِ الله أعظم من ذنبك .

وكان قتل عُمير أن بنى تغلب وقيسا تحاشدوا لما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرْج راهط ، فكانوا يتغاورون ، فأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان فأتاهم منها شُعَيب بن مُلَيك[1] فى ألفى فارس . واستنصر عُميرٌ تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد . ولما توجّه شعيب إلى الثرثار نظر إلى دواخن[2] قيس فقال لثعلبة بن نياط : سِرْ بنا إليهم ، فقال له : الرأى أن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحدا . فقال شعيب : واللهِ لا تحدثت تغلب أنى نظرت دواخنهم ثم انصرفت عنهم ، فأرسل قوما من أصحابه قدّامه . وعمير يقاتل بنى تغلب ، وعلى تغلب حنظلةُ بنُ هَوْبَر ، فجاء رجل من أصحاب عُمَير إليه فأخبره أن طلائع شُعيب أتته ، وأنه قد عَدَل إليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكْفُونى قتالَ ابن هَوْبَر . ومضى هو فى جماعة من أصحابه فأخذ الذين قدّمهم شُعيب فقتلهم كلهم غيرَ رجل من بنى كعب بن زُهير يقال له قَتَبُ بنُ عُبيد ، فقال له عُمير : يا قَتَب ، أخبرنى مَن وراءك ؟ قال : قد أتاك شُعيب بن مُليك فى أصحابه .

وفارق ثعلبةُ بن نياطٍ شُعيبا ومضى إلى حنظلة بن هَوْبَر وقاتل معه القيسية فقُتِل،

---

(١) كذا فى المختار وأما فى الأغانى فهو مليل فى جميع مواضعه .

(٢) الدواخن : المداخن .

والتقى عُمير وشُعيب فاقتتلوا قتالا شديدا ، فما صُلِّيت العصرُ من يوم الخميس[١] حتى قُتِل شُعيب وأصحابه وقطعت رِجْل شُعيب يومئذ ، فجعل يقاتل وهو يقول :

قد علمتْ قيسٌ ونحن نعلمُ أن الفتى يَفْتِك وهو أجذم[٢]

فلما قُتِل شُعيب نزل أصحابه وعقروا دوابّهم ثم قاتلوا حتى قُتِلوا ، فلما رآه عُمير قتيلا قال : مَن سرَّه أن ينظر إلى الأسد عَقِيرًا فها هو ذا . وجعلت تغلب ترتجز وتقول وهى تقاتل :

انْعَوْا إياسا واندُبوا مُجاشعاَ كلاهما كان كريما فاجعاَ

إيهاً بنى تغلِبَ ضَرْباً ناقعا[٣]

وانصرف عمير إلى عسكره وبلغ بنى تغلب مقتل شُعيب فحميَتْ على القتال واجتمعت لذلك[٤] وتذامرتْ[٥] على الصبر ، فقال محصن بن جُبير[٦] : مضيت أنا ومَن أفلت من أصحاب شعيب بعد العصر ، فأتينا راهبا فى صومعةٍ ، فسألَنا عن خَبرنا ، فأخبرناه ، فأمر تلميذاً له فجاءنا بخرق فداوَى جِراحنا ، وذلك غداةَ الجمعة فأقمنا بمكاننا ، فلما كان آخر ذلك النهار أتانا خبر [مقتل] عمير وأصحابه وهرب من أفلت منهم .

---

(١) جملة « من يوم الخميس » ليست فى الأغانى .

(٢) الأجذم : الأقطع .

(٣) إيه: اسم فعل للاستزادة . وفى الأغانى : ويه بنى تغلب .

(٤) جملة : « واجتمت لذلك » ليست فى الأغانى .

(٥) تذامرت تحاضت .

(٦) فى الأغانى : محصن بن حصين بن جنجور .

جعفر بن علبة الحارثى(١)

هو جعفر بن عُلْبة بن ربيعـة بنِ عَبْدِ يغوث ـ الشاعرِ أسيرِ يوم الـكُلاب ـ ابن معاوية بن صلاءة بن المغفل بن تغلب(٢) بن الحارث بن كعب ، كنيته أبو عارمٍ ، وعارمٌ ابنٌ له ذكره فى شعره ، وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، شاعرٌ مقلٌ غزل فارس مذكور فى قومه ، وأبوه عُلْبة شاعر أيضا ، وكان جعفر قتلَ رجلًا من بنى عقيل فى شأن أَمَةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها ، وقيل : بل فى غارة ، [أغارها عليهم] . وقيل : بل كان يُحدِّث نساءهم فنهوه فلم ينتهِ ، فرصدوه فى طريقه إليهن فقاتلوه فقتلَ رجلًا منهم ، فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه(٣) .

شرب جعفرُ بن عُلْبَة حتى سكر . فأخَذه السلطان وحبسه ، فأنشأ يقول :

لقد زعموا أنى سَـكِرتُ وربما	يكون الفتى سكرانَ وهو حليمُ
لعمرُكَ ما بالسُّـكر عارٌ على الفتى	ولـكنَّ عارا أن يقال لئيمُ
أسجنٌ وقيدٌ واغترابٌ وعُسْرةٌ	وذكرُ حبيب إنَّ ذا لعظيمُ(٤)
وإن امرأً دامت مواثيقُ عهدِه(٥)	على دُونِ ما لاقيتهُ لـكريمُ

خرج جعفر بن عُلْبة الحارثىُّ ، وعلىُّ بن جُنْدَب والنّضرُ بن مُضارب وأغاروا على بنى عُقيل . وخرج بنو عُقيل فى طلبهم ، وافترقوا عليهم فى الطريق التى قدروا

---

(١) الأغانى : دار الـكتب ١٣/٤٥ وانظر ص ٤٤ ودار الثقافة ١٣/٤٤ وانظر ص ٤٣ وبولاق ١١/١٤٦ والساسى ١١/١٤١ والتجريد ١٤٥٤ .

(٢) فى الأغانى : بن المعقل بن كعب .

(٣) أقاد منه : قتله به .

(٤) هذا البيت لم يرد فى الأغانى فى ترجمته .

(٥) فى الأغانى : وإن فتى دامت .

أنهم يقصدونها[١] ، ووضعوا عليهم الأرصاد على المضائق ، فكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بنى نَهْد ، فرجع عنهم بنو عقيل ، وقد ضجروا وملُّوا وقد كانوا قتلوا فيهم حتى لحقوهم ، ورجع جعفر بن عُلْبَة عليهم فصنع فيهم ما صنع ، وقتل منهم قتيلا يقال له خُشَينة وهُزِموا وما وَقفوا له ، ففى ذلك يقول جعفر بن علبة :

ألا لا أبالى بعد يومٍ بسحْبَلٍ ... إذا لم أُعذَّب أن يجىء حِماميا

تركت بأعلى سَحْبَلٍ ومضيقِه ... مُراقَ دمٍ لن يبرح الدهر ثاويا

شفيتُ به غيظى وجُرِّبَ مَوطنى ... وكان سناءً آخر الدهر باقيا

أرادوا ليثنونى فقلتُ تجنَّبوا ... طريقى فمالى حاجةٌ من ورائيا

فدًى لبنى عَمٍّ أجابوا لدعوتى[٢] ... شَفَوْا من بنى القَرْعاء عمى وخاليا

كأن بنى القرعاء يوم لقيتهمْ ... فِراخُ القطا لاقَيْن صَقْرا يمانيا

أقول وقد أَجلَتْ من القوْمِ عَرْكَةٌ[٣] ... لِيَبْكِ العُقَيْلِيِّينَ من كان باكيا

فإن بقُرَّى سَحْبَل لأمارةً ... ونَضْحَ دماءٍ مِنهُمُ ومَحَابيا

المحابى : آثارهم ، حَبْوًا : ضعفا من الجراح التى بهم .

ولم أَتْرِكْ لى ريبةً غير أننى ... وددت مُعاذًا كان فيمن أتانيا

شَفَيتُ غليلى من خُشينةَ بعد ما ... كَسَوْتُ الهُذَيلَ المَشرفيَّ اليمانيا

أحقًّا عبادَ اللهِ أن لست رائيا ... صَحارِيَّ نجدٍ والرياحَ الذواريا

ولا زائراً شُمَّ العَرانِين يَنْتمى[٤] ... إلى عامرٍ يَحلُلْن رملًا مُعاليَا

---

(١) جملة « التى قدروا أنهم يقصدونها » ليست فى الأغانى .

(٢) يمكن قراءتها فى ا : فدى لبنى عمرو « ولكن لا توجد واو بعد الراء ».

(٣) العركة : المرة من المعركة . وفى الأغانى : أجلت من اليوم عركة

(٤) فى الأغانى : انتمى .

إذا ما أتيتَ الحارِثيّات فانْعَنى لهنَّ وخبِّرهنَّ أن لا تلاقيا
وقوِّد قَلوصى بينهنَّ فإنهـا ستُبْرِد أكبادا وتُبكى بَواكيَا
أُوَصِّيهمُ ـ إن متُّ يوماً ـ بعارِمٍ ليُغْنِيَ شَيْئاً أو يقـوم مقاميا(١)

ومما قال أيضاً من أبيات(٢) :

ألهفِى بِقُرَّى سَحْبَلٍ : حين أَجلبت علينـا الوَلَايا والعَدُوُّ المُبـاسِلُ(٣)

قُرَّى : ماء . وسَحْبَل وادٍ التقت فيه بنو عقيـل وبنو الحارث بن كعب . والولايا : القبائل جمع ولية . ويروى : أحلبت بالحاء المهملة: أى أعانت .

فقالوا لنـا ثِنْتَان لابدَّ منهما صدورُ رماحٍ أُشرِعت أو سَلاسِلُ
فقلنا لهم تلـكم إذًا بعـد كَرَّةٍ تُغادر صَرْعَى نَوْءها مُتخاذِلُ(٤)
ولم نَدْرِ إنْ جِضْنا من الموت جَيْضَةً(٥) كم العمـرُ باقٍ والمَدى مُتطاول(٦)
إذا ما ابتـدَرْنا مأزِقا فَرَجَتْ لنا بأيمانِنـا بِيضٌ جلَتْها الصياقلُ(٧)

ويروى : إذا القوم سدوا مأزقا .

لهم صَدْرُ سيفى يوم بَطحاء سَحْبَلٍ ولى منه ما ضُمَّت عليه الأناملُ

---

(١) تقدم أن كنية جعفر هى أبو عارم وعارم ابنه . وفى الأغانى : أو يكون مقاميا .

(٢) القصيدة فى الأغانى ١٣ بيتا .

(٣) فى الأغانى: عشية قرى سحبل إذ تعطفت علينا السرايا . وفى شرح التبريزى للحماسة ١/ ٢٢ مثل المختار .

(٤) النوء : النهوض . وفى الأغانى : نهضها متخاذل . وشرح التبريزى كالمختار .

(٥) هذا البيت لم يجىء فى الأغانى فى ترجمة جعفر بن علبة وجاء فى شرح التبريزى .

(٦) الجيض : العدول والانحراف ، جاض يجيض جيضا والجيضة : اسم مرة منه .

(٧) فى الأغانى : إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا . وفى شرح التبريزى كالمختار .

ومن شعره أيضا[١] :

لا يكشف الغمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ　　يرى غَمَرات الموت ثم يزورُها

نقاسِمُهم أسيافنا شَرَّ قسمةٍ　　ففينا غواشيها وفيهم صدورُها

غواشيها : قوائمها أو أغمادها .

وكان جعفرٌ شجاعا بطلا مقداما ، وكان مُقدّما فى قومه ، إلا أنه كان قد حبب إليه الغارات على سائر العرب ، وكان يَمضِى ويتلاحق الناسُ فلا يلحقه أحد إلا عطف عليه وأذاقه حِياض الموت ، فلما جرت له هذه الإغارة مع بنى عقيل استعدَوْا عليه السَّرِىَّ بن عبد الله الهاشمى عامل مكة لأبى جعفر ، فوجَّه فطلبهم فما قدر عليهم ، فأخذ عُلْبَة أبا جعفرٍ وحبسه حتى دفعهم وسار من كان معهم إليه ، فأما النضر فاستُقِيد منهم ، فلم يكن مطلوبا إلا بجراحة فاستُقِيد منه بها ، وأما علىٌّ[٢] ابن جُعدَب فإنه احتال بطريقة لطيفة ، وذلك أنه قال لرجل كان يدخل إليه الحبس : احتَلْ فى مِبرَدٍ ، فاحتال له فى مبرد وأدخله إليه ، فلم يزل يَبْرُد قيوده إلى أن قطعها وترك السجَّانَ حتى نام ، وأتى إلى باب الحبس وقد أُوثق بالأقفال ففتحها ، وخرج ليلًا[٣] وهم لا يعلمون ، فانتبه السجَّان فصادف الأقفال مُفَتّحة والبابُ مفتوحٌ ، فقال : ذهبتُ والله ثم فتّش الحبس فما فقد غير علىٍّ بن جُعْدَب . فأتى الأمير فعرّفه حيلته ، فعجب من إقدامه وسعة نفسه وشدّة بأسه ، وأمره بطلبه فأعجزه .

---

(١) هذا النص والبيتان ليسا فى الأغانى فى ترجمة جعفر بن علبة . وورد الشعر فى الحماسة شرح التبريزى عقب الشعر السابق

(٢) فى الأغانى : اختصار ونصه : فأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما على .

(٣) قصة هرب على بن جعدب وحيلته اللطيفة لم تذكر فى الأغانى وكل ما فيه هو وأما على ابن جعدب فأفلت من الحبس وأما جعفر بن علبة ..

وأما جعفر بن عُلْبَة فأقامت عليــه بنو عُقيل قَسَامَةَ[١] أنه قتل صاحبهم ، وأنــكر هو ، فقال لهم : إنه يُنــكر ، وقد شهدتم عليه ، أفأقتله ودمُه فى رقابكم ؟ فقالوا : نعم أيها الأمير ، فإن الله يشهد علينا وملائــكتُه وأنبياؤه ورسلُه أن جعفراً قتل أخانا . فلما سمع ذلك[٢] أُخرِج من الحَبْس ليُقْتَل فقال : أيها الأمير أتقتلنى بشهادة هؤلاء الظالمين وهم كاذبون علىّ ؟ فأمر به فضربت رقبته[٣] .

وقال جعفر وهو فى الحبس بمــكة :

هوایَ مع الركب اليَمانِينَ مطلَقٌ ... جَنيبٌ وجثمانى بمــكَة موثقُ[٤]
عجبت لمسراهــا وأنّى تخلّصتْ ... إلىّ ربابُ السجنِ دونىَ مُغلَقُ
ألمّت فحيَّت ثم ولّت فودَّعت ... فلما تولّت كادت النفسُ تزهَقُ
فــلا تَحْسَبى أنّى تخشّعت بعَدكم ... لشىء ولا أنى من المــوتِ أفرَقُ
ولا أن نفسى يَزْدَهِيها وَعيدُكم ... ولا أننى بالمشى فى القيْدِ أخرَقُ
وكيف وفى كفّى حسام مُذَلّقٌ[٥] ... يعضّ بهامات الرّجال ويَعْلَقُ
ولــكنْ عرتنى فى هــواكِ صَبابةٌ ... كما كُنتُ ألقى منك إذ أنا مُطلَقُ
فأما الهــوى والوُدُّ منى فطامحٌ ... يمــانٍ وجُثمانى بمــكّة مــوثَقُ[٦]

---

(١) القسامة : الجماعة يقسمون على الشىء أو يشهدون .

(٢) جملة . « وأنــكر هو فقال لهم .. فلما سمع ذلك » ليست فى الأغانى فى ترجمة جعفر.

(٣) جملة : « أخرج من الحبس ليقتل فقال . . فأمر به فضربت رقبته » ليست فى الأغانى فى ترجمة جعفر .

(٤) هذا البيت لم يرد فى الأغانى فى ترجمته وجاء فى شرح التبريزى ج ١ ص ٢٥ وروايته: هواى مع الركب اليمانين مصعد .

(٥) المذلق : المحدد .

(٦) فى الأغانى : إليك وجثمانى

وكان الذى وَلِىَ ضربَ عُنقِ جعفرِ بنِ علبة نَحْبة بن كِلاب[١] أخو المجنون أحد بنى عامر بن عُقَيل وقال فى قتله إياه :

شفَى النفسَ ماقال ابنُ عُلْبةَ جَعفرٌ وقَوْلى له اصبرْ ليس ينفعُك الصَّبْرُ
هَوى رأسُه من حيث كان كما هَوَى عُقابٌ تَدَلَّى طالبــا خَانَه الوَكْرُ[٢]
أبا عــارمٍ فينا عُرَام وشـــدَّةٌ وبسطةُ أيْعــانٍ سواعدُهــا شُعْرُ
همُ ضربوا بالسيف هامــةَ جعفرٍ ولم يُنْجِهمْ بَرٌّ عظيم ولا بَحْرُ
وقُدْناه قَوْدَ البَــكْرِ قَسْراً وعَنْوةً إلى القــبرِ حتى ضمَّ أثوابَــه القَبْرُ

ورثاه أبوه عُلْبة بقصائد ، ويقال إنه قال لامرأته أمِّ جعفرٍ قبــل أن يقتلَ جعفرٌ بيوم :

لعمرُكِ إن الليل يا أمَّ جعفرٍ عَلَىَّ وإن علَّلتِنِى لَطويــلُ
أحاذرُ أخْباراًمن القومِ قد دَنتْ ورجعةَ أنقاضٍ لهنّ هَزِيل[٣]

فأجابته أم جعفر :

أبا جعفرٍ أسلمت للقوم جَعفراً فمُتْ كمدا أو عش وأنت ذَليلُ

وقيل إن جعفرا كان يزور نساء بنى عُقيل بن كعب ، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث بن كعب ، فأخذته عُقيل وكشفوا دُبر قميصِه وربطوه إلى جمّتــه ، وضربوه بالسياط وكتفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتى كان يتحدث إليهن على ذلك السبيل ليغيظوهن ويفضحونه عندهن ، فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا ،

---

(١) فى الأغانى : كليب وكذلك فى المؤتلف ص ١٩

(٢) فى الأغانى حرفت القافية : « طالبا جانب الوكر » ففيه إقواء .

(٣) كذا فى المختار . والهزيل لاأعرف توجيهها . والأنقاض تكون من النقائض. وهى الإبل الهزلى أوالتى تقطع الأرض. وفى الأغانى: أنقاض جمع نقض: وهو المهزول من الإبل وفى ا : أيفاض وفى الأغانى : لهن دليل .

فإن هذا الفعل مُثْلَة ، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدورَكم ألا أزورَ بيوتكم أبدا ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا ذلك . قال : فإذا لم تفعلوا فحسبكم ما مضى ومُنُّوا علىَّ بالكَفِّ عنى وأنا اعتدُّه نِعْمة لكم ويداً لا أكفرها أبدا أو فاقتلونى وأريحونى فأكون رجلا آذى قوما فى دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدى النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شَفَوْا أنفسهم منه وخَلَّوْا سبيله . فلم تمضِ إلا أيامٌ قلائلُ حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ومضى ، فلما كان فى نُقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عُقيلٌ أقفى خلقِ الله للأثر ، فاتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه والعقيليُّون مغترُّون ليس مع واحد منهم عصا ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفرٌ وصاحباه فقتلوا رجلا وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عُقيلٌ عليهم السَّرِىَّ عاملَ المنصورِ على مكّة ، فأحضرهم وحبسهم ، وقادَ من الجارح ، ودافع عن جعفر ، وكان يُحبُّ أن يدرأ عنه الحدَّ ولخُؤُولة أبى العباس السفاح فى بنى الحارث ولأنّ أخت جعفر كانت تحت السرىّ ، وكانت حَظِيَّة عنده ، فتوعَّدُوه بالخروج إلى أبى جعفر والتظلُّمِ إليه ، فخاف العَزْل فدعا بجعفرٍ واقتاد منه فضُربت عنقه . ولما خَرج جعفرٌ ليقتل قال له غلام من قومه : أسقيكَ شربةَ ماء بارد ؟ فقال له : اسكت ، لا أم لك ، إنى إذاً لمِهْياف[1] ، وانقطع شِسْعُ نَعْلِه ، فوقف فأصلحه ، فقال له رجل: ما يشغَلُك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أشدُّ قِبالَ نَعْلى أن يرانى[2] عَدُوِّى للحوادث مُستَكينا

---

(١) المهياف : الذى لا يصبر على العطش . وفى المختار : مهتاف .

(٢) قبال النعل : شسعها .

ولما قُتِل كانت ابنةٌ ليحيى بن زياد بن عُبيد الله الحارثىّ حضرت الموسم فى ذلك العام، فكفَّنته واستجادت له الكفن وبكته وجميعُ من كان معها، وجعلن يندبنه بأبياته التى يقول فيها:

أحقًّا عباد الله أنْ لستُ رائياً صحارىَّ نجدٍ والرياحَ الذَّوارِيَا

وفى هذه القصيدة يقول:

ولم أترُكْ لى رِيبةً غيرَ أننى وددْتُ مُعاذًا كان فيمن أتانيا

فقال معاذ بعد قتله يخاطب أباه ويُعَرِّض له أن جعفرا قُتِل مظلوما لأنهم أقاموا قسامةً كاذبةً عليه حتى قُتل، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه، إلّا أن غيظهم على جعفر حملَهم على أن ادَّعَوْا عليه القتل حتى قتل:

أباجعفر سَكَّنْ بِحَرّان واحتسب[1] أبا عارم والمُسْمَنات العَواليا[2]

وقودٌ قَلُوصا أتلفَ السيفُ رَبَّها بغيرِ دمٍ فى القومِ إلا تَمارِيَا[3]

إذا ذكرتْه مُعْصِرٌ حارثيَّةٌ[4] جرى دمعُ عَينيها على الخدِّ صافيا

فلا تحسَبنَّ الدَّيْنَ يا عُلْبَ مُنْسَأً ولا الثائرَ الحرَّان يَنسى التقاضيا

سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة ونُغْلى وإن كانت دماء غَوَاليا

تمنَّيْتَ أن تلقى مُعاذا سفاهةً ستلقى معاذًا والقضيبَ اليمانيا

---

(١) كذا فى المختار. وفى الأغانى: «أبا جعفر سلب بنجران واحتسب» هذا، والتسليب أصله يكون للنساء وهى لبس ثياب الحداد السود حين يموت الزوج.

(٢) المسمنات: ذوات السمنة.

(٣) التمارى: التكذيب.

(٤) المعصر: الجارية التى بلغت وأدركت.

ولما قُتِل جعفرُ بنُ علبة قام نساء الحيّ يبكين عليه بمكّة ، وقام أبوه إلى كل ناقة له وشاةٍ فنحر أولادها وألقاها بين يديها وقال : ابكين معنا على جعفر ، ليَكُنْ لكنّ معنا نصيب فى الحزن على جعفر[١] فما زالت النُّوق ترغو والشاة تثغو والنساء يصرخن[٢] ويبكين وهو يبكى معهن ، فما رُئِى يومٌ كان أوجع من ذلك اليوم ولا أحرّ مأتما فى العرب[٣] ، ومكث أبوه على ذلك أياما لا يأكل ولا يشرب باكيا حزينا وأهل الحى معه على ذلك[٤] .

---

(١) « جملة : ليكن لكن معنا . . . على جعفر » ليست فى الأغانى . وفى المختار : ليكن لكم معنا .

(٢) فى الأغانى : يصحن .

(٣) فى الأغانى : فما رئى يوم كان أوجع وأحرق مأتما فى العرب من يومئذ .

(٤) جملة : « ومكث أبوه . . . على ذلك » ليست فى الأغانى .

جعفر بن الزبير(١)

هو جعفرُ بن الزُّبير بن العَوَّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كِلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، أمه زينب بنت بِشر بن عبد عمرو من بنى قيس ابن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل .

كان جعفر مُبَخَّلا ما رُئى فى الناس أحد أبخل منه ولا من عبد الله بن الزُّبير خاصة ولم يكن فى بنى الزُّبير جوادٌ غير مصعب .

وشهد جعفرٌ مع أخيه عبدِ الله حروبَه واستعمله عبدُ الله على المدينة ، وقاتل معه يوم قتل عبدُ الله بن الزبير حتى جَمد الدمُ على يده .

وفى ذلك يقول جعفر :

لعمركَ إنى يوم أَجْلَت ركائبى ... لأَطْيبُ نفساً بالجِلاد لدَى الرُّكنِ

ضنينٌ بِمَن خلفى شُجاعٌ بطاعَتِى(٢) ... طرادَ رِجالٍ لا مطاردةَ الحُصْنِ(٣)

كانت قريش فى المدينة إذا جاء مال الصدقة ادَّان من أراد منهم شيئا(٤) وكتب بذلك صَكًّا عليه ، فيستعبدهم السلطان به ، ويختلفون إليه ويدارونه ، فإذا غضب على أحدهم استخرج ذلك منه ، حتى كان الرشيد هارون فكلّمه عبد الله بن مصعب

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٥ / ٤ ودار الثقافة ١٥ / ٥ وبولاق ١٣ / ١٠٤ والساسى ١٣ / ١٠٠ والتجريد ١٦٠٧ .

(٢) فى الأغانى : شحيح بطاعتى .

(٣) شرح فى الأغانى : الحصن جمع حصان يقول : هذا طراد القتال لاطراد الخيل بالميدان وبعده فى الأغانى بيت .

(٤) فى الأغانى : كان السلطان فى المدينة إذا جاء مال الصدقة أدان من أراد من قريش منه.

صُكوكٍ بقيت من ذلك على غير واحد من قريش ، فأمر بها فخُرِّقت عنهم . وذلك قول جعفر بن الزبير :

وما كنت ديّاناً فقدِ دِنْتُ إذ بدَتْ صُكوكُ أميرِ المؤمنين تَدُور

تزوّج جعفر بن الزبير امرأة من خُزاعة وفيها يقول :

هل فى ادِّكارِ الحبيب من حَرَجِ أم هل لِهَمِّ الفؤادِ من فَرَجِ
أم كيف أنسَى رحيلنا حُرُماً يوم حللنا بالنَّخْل من أَمجِ
يوم يقول الرسولُ قد أذِنت فأْتِ على غير رِقْبَــة فَلِجِ
أقبلتُ أسعى إلى رِحالِهـم فى نَفحة من نَسيمها الأرِجِ
تُسفِر عن واضحٍ إذا سفرَتْ ليس بذى آمةٍ ولا سَمِجِ (١)

كان الحجاج وهو أمير تزوّج بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فأتى رجلٌ سعيدَ بن المسيب فذكر ذلك له ، فقال : إنى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا بذلك داع فابتهل ، وعسى الله ؛ فإن أباها لم يزوج إلا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبدَ الملك ابن مروان أبرد البريد إلى الحجاج وكتب إليه يُغلظ عليه ويقصِّر به ويذكر تجاوزه قدره ، ويقسم بالله لئن مسها ليقطعن أحب أعضائه إليه ، وأمره بتسويغ أبيها المهر وتعجيل فراقها . ففعل ذلك ، فما بقى أحد فيه خير إلا وسرَّه ذلك ، فقال جعفر بن الزبير فى هذه القصة :

وجدْتُ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسف حَمِيًّا من الأمر الذى كُنْتَ تَنْكُفُ (٢)
ونُبِّئتُ أن قد قال لما نَكحتَها وجاءَتْ به رُسْلٌ تَخُبُّ وتُوجِفُ

---

(١) الآمة : العيب .

(٢) نكف أثره ينكفه : اعترضه فى مكان سهل . وابن يوسف منادى ، أى يا ابن يوسف وهنا يريد أن الحجاج اعترض بنت عبد الله بن جعفر بسهولة بسبب سلطانه ودراهمه ودنانيره . وفسرت تنكف « وكسرت كافها » بأنها تعدل . وفى الأغانى : من الأمر الذى جئت تنكف .

ستعلمُ أنى قد أَنِفت لِمَا جَرى ... ومثلك منهُ ـ عَمْرَكَ اللهَ ـ يُؤْنَفُ
ولولا انتكاس الدهرِ ما نال مثلَها ... رجاؤكَ إذ لم يَرْجُ ذلك يُوسُفُ
أَبِنْتَ الْمُصَفَّى ذى الجناحين تبتغى ... لقد رُمت خطْباً قدره ليس يوصفُ

كان جماعة من قريش مُتَنَحِّين عن المدينة ، فصدر عن المدينة بدوِىٌّ فسألوه : هل كان بالمدينة[1] خبر ؟ قال : نعم ، مات أبو الناس. قالوا: وأَنَّى ذلك ؟ قال: شهده أهل المدينة جميعا وبُكِىَ عليه فى كل دار ، فقال القوم : هذا جعفر بن الزبير ، فجاءهم الخبرُ بعد ذلك أن جعفر بن الزبير قد مات[2] .

---

(١) فى الأغانى : للمدينة .

(٢) إلى هنا انتهت نسخة ا والمراجعة على نسخة ك فقط إلى جانب ت .

جبلة بن الأيهم(١)

هو من بنى جَفْنَةَ مُلوكِ غَسَّان .

لما أسلم جبلة بن الأيهم كتب إلى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذِن له فخرج إلى عمر فى خمسمائة من أهل بيته من عك وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يُعلمه بقدومه ، فسُرَّ عمر رضى الله عنه بذلك ، وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال(٢) ، وأمر جبلة مائتى رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضة ، ولبس جبلةُ تاجه وفيه قُرْطَا مَارِيَة ، وهى جَدَّتُه ، ودخل المدينة فلم يبق بها بِكْرٌ ولا عانس إلا تَبَرَّجت وخرجت تنظر إليه وإلى زِيِّه ، فلما انتهى إلى عمر رضى الله عنه رحَّب به وأدنَى مجلسه ، ثم أراد عمر الحجَّ فخرج جبلة معه ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مَشهورا بالموسم إذ وَطِئَ إزارَه رجلٌ من فَزَارة فانحلّ ، فرفع جبلة يده فهشم أنفه فاستعدى عليه عُمَرَ ، فبعث إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمّد حلَّ إزارى ، ولولا حُرمةُ الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقرَرْتَ ، فإما أن تُرْضِى الرجل وإما أن أُقيده منك . قال جبلة : تصنع بى ماذا(٣) ؟ قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت . قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سُوقة وأنا ملك ؟ قال : إن الإسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٥/١٥٧ ودار الثقافة ١٥/١٢٢ وبولاق ١٤/٢ والساسى ١٤/٢ والتجريد ١٦٣١ .

(٢) الأنزال جمع نزل : وهو ما يهيأ للضيف .

(٣) فى الأغانى : ماذا تصنع بى ؟

بشيء إلا بالتُّقى والعافية . قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون بالإسلام أعزَّ منى فى الجاهلية . قال عمر : دع هذا عنك ، فإنك إن لم تُرضِ الرجل أقدْتُه منك . قال: إذَنْ أتَنَصَّر ، قال: إن تنصَّرتَ ضربتُ عنقك ، لأنك قد أسلمت فإن ارتددت قتلتك ، فلما رأى جبلةُ الجِدَّ(١) من عمر قال : أنا ناظر فى هذا ليلتى هذه ، وقد اجتمع بباب عمر رضى الله عنه من حىّ هذا وحىٍّ هذا خلقٌ كثير ، حتى كادت أن تكون بينهم فتنة ، فلما أمسوا أذن له عمر فى الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدءوا تحمّل جبلةُ بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكة وهى منهم بَلاقِعُ ، فلما انتهى إلى الشام تَحمَّل فى خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية ، فدخل إلى هرقل فتنصر هو وقومه ، فسُرَّ هرقل بذلك جدًّا وظنَّ أنه فتحٌ من الفتوحِ عظيم ، وأقطعه حيث شاء ، وأجرى عليه من النُّزلِ ما شاء وجعله من محدثيه وسُمَّاره .

وقيل : إنه جرى بينه وبين رجل مَدَنِيٍّ كلامٌ ، فسبَّ المدنىَّ فردَّ عليه ، فلطمه جبلةُ ، فلطمه المدنىُّ ، فوثب عليه أصحابه فقال : دَعُوه حتى أسأل صاحبه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال: إنك فعلتَ به فِعلًا فعل بك مثله ، فقال له: وليس عندك من الأمر إلا ما أرى ؟ قال : فما الأمر عندك يا جبلة ؟ قال : من سبَّنا ضَربناه ، ومن ضَرَبَنا قتلْنَاه ، قال : إنما أُنزِلَ القرآن بالقصاص ، فغضب وخرج ودخل بلاد الروم فتنصر ، ثم ندم فقال :

تنصَّرت الأشراف من عارِ لطمةٍ … وما كان فيها لو صَبَرْتُ لها ضَرَرْ
وياليت لى بالشام أدنى مَعيشةٍ … أُجالِس قومى ذاهِبَ السمْع والبَصَرْ
أدِين بما دانُوا بـــه من شَريعةٍ … وقد يُجْبَرُ العَوْدُ الضَّجُورُ على الدَّبَرْ(٢)

---

(١) فى الأغانى : الصدق .

(٢) العود : المسن من الإبل ، والدبر : الإصابة بالدبرة وهى القرحة تحدث من الرجل .

ولما ولى معاوية بعث إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ، ووعده الغُوطَة بأمرها ، فأبى ولم يقبل .

ثم بدا لعمر رضى الله عنه أن يكتب إلى هِرَقل ملك الروم يدعوه إلى الله عزوجل وإلى الإسلام ، ووجه إليه رجلا من أصحابه وهو جَثَّامة بن مُساحق الكنانى ، فلما انتهى إليه بكتاب عمر أجاب إلى كل شىء سوى الإسلام ، فلما أراد الرجل الانصراف قال له هرقل : هل رأيت ابنَ عمك هذا الذى جاءنا راغبا فى ديننا ؟ قال : لا ، قال : فالْقَه . قال : فتوجهت إليه ، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر مثله بباب هرقل ، فلما أدخلت عليه إذا هو فى بهو عظيم ، وفيه من التصاوير مالا أُحسن وصفه ، وإذا هو جالس على سرير من قَوارير وقوائمه أَربعة أُسُد من ذهب وإذا هو رجل أَصهبُ ذُو سِبالٍ وعُثْنون[1] وقد أمر بمجلسه فاستُقْبل به وجهُ الشمس ، فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح ، فما رأيت أحسن منه ، فلما سلّمت ردّ السلام ورحّب بى وألطفنى ولاَمنى على تركى النزول عنده ، ثم أجلسنى[2] على شىء لم أُثبِته ، وإذا هو كرسى من ذهب فانحدرت عنه ، فقال لى : مالك ؟ فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ، فقال جبلة أيضا مثل قولى فى النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكرته وصلّى عليه . ثم قال : يا هذا إنك إذا طهَّرت قلبك لم يَضرّك ما لبسته ولا ما جلست عليه . ثم سألنى عن الناس ، وألْحفَ فى السؤال عن عمر ، ثم جعل يُفَكر حتى عرفت[3] الحزن فى وجهه ، فقلت : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟ فقال : أبَعدَ الذى قد كان ؟ قلت : ارتدّ الأشعثُ

---

(١) السبال : جمع السبلة وهى ما على الشارب من الشعر . والعثنون : اللحية .

(٢) فى الأغانى : أقعدنى .

(٣) فى الأغانى : رأيت .

ابنُ قيس عن الإسلام وضربهم بالسيف ومنع الزكاة ثم رجع إلى الإسلام فتحدّثنا مليًّا ثم أومأ إلى غلام على رأسه بشيء ، فولى يُحْضِر ، فما كان إلا هُنَيهة حتى أقبلت الأَخْونة تحملها الرجـال ، فوُضعت ، وجِيء بخِوانٍ من ذهب فوُضِع أمامى فاستعفيت منه فوضع أمامى خوانُ خَلَنْج(١) وجاماتُ قوَارير ، وأديرت الخمر فاستعفيت منها ، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرِب فيه خمساً عَدداً ، ثم أومأ إلى غلام فخرج يُحْضِر(٢) ، فما شعرت إلا بعشر جوارٍ يتكسَّرْن فى الحلى والحلل ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن يساره ، ثم سمعت وسْوسة من ورائى ، فإذا أنا بعشر أفضلَ من الأُوَلِ عليهن الوشى [والحلى] فقعد خمس عن يمينه وخمس عن يساره ، ثم أقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة ، مؤدب ، وفى يدها اليمنى جامٌ فيه مسك وعنبر قد خُلِطا وأُنعِمَ سَحْقهما وفى يدها اليسرى جام فيه ماء ورد ، فألقت الطائرَ فى ماء الورد فتمعَّك بين جناحيه وبطنه وظهره ، ثم أخرجته فألقته فى جام المسك والعنبر ، فتمرغ(٣) فيه حتى لم يدع فيه شيئاً ثم نفَّرَتْه فطار فسقط على تاج جبلة ، ثم رفرفَ ونفض رِيشه ، فما بقى فيه شىء إلا سقط على جبلة(٤) ، ثم قال للجوارى : أطربْنني ، فخفقْن بعيدانهن يغنين :

لله دَرُّ عصابــــةٍ نادمتهمْ ... يوماً بجلق فى الزمان الأَوَّل
بيض كريمـــةٌ أحسابهم ... شُمُّ الأُنوف من الطراز الأول
يُغشَوْن حتى ما تهِرُّ كلابهمْ ... لا يسألون عن السواد المُقبلِ

---

(١) الخلنج : شجر يتخذ من خشبة الأوانى .

(٢) فى الأغانى فولى يحضر .

(٣) فى الأغانى : فتمعك ومعناها تمرغ وكذلك ى ت فتمعك وأثبت ما فى ك .

(٤) بهامش نسخة ك تعليق بخط مختلف ونصه: لا والله إن القيصر الذى كان يخدمه جبلة لا يقدر على ماذكرت لأنى قد تتبعت كتب تواريخهم وأمعنت النظر فى أحوالهم فظهر لى ما عليهم من الضيق والضنك .

فاستهلّ واستبشر وطرِب ثم قال : زِدْنى ، فاندفعن يغنين من أبيات[1] :

لمن الدار أقْفرت بعَمانِ بين شاطى اليرموكِ فالصَّمّانِ[2]
فالقُرَيّاتِ من بَلاسٍ فداريّا فسَكّاء فالقَصور الدَّوانى
فحِمى جاسمٍ فأبنية الصُّفْـ ـرِ مَغْنَى قبائلٍ وهِجانِ
ذاكَ مغنى لآل جَفْنَة فى الدا رِ وحَقٌّ تعقُّبُ الأزمانِ
قد دنا الفِصْحُ فالولائد ينظمـ ـنَ سِراعا أَكِلَّةَ المَرْجانِ

ثم قال لى : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا ، قال : هذه منازلنا فى مُلْكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعرُ ابنِ الفُرَيعة حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : أَما إنه مضرور البصر كبير السن . قال : يا جارية ، هاتى . فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فقال : ادفعْ هذا إلى حسان وأَقرِه منى السلام ، ثم أرادنى[3] على مثلها فأبيت عليه ، فبكى ثم قال لجواريه : أبكيننى . فوضعن عيدانهن وأنشأن يقلن :

تنصَّرَت الأشراف من عارِ لَطمةٍ وما كان فيها لو صبرت لها ضررْ
تَكنَّفنى فيها لَجاجٌ ونَخوةٌ وبعت بها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرْ
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى رجعت إلى القول الذى قاله عُمَرْ
ويا ليتنى أرعى المَخاضَ بقفْرةٍ وكنت أسيراً فى رَبيعة أو مُضَرْ
ويا ليت لى بالشام أدْنَى معيشةٍ أجالِسُ قومى ذاهبَ السَّمعِ والبَصَرْ

---

(١) كلمة « من أبيات » ليست فى الأغانى .

(٢) اليرموك والصمان والقريات وبلاس وداريا . . . أماكن . وفى الأغانى بعمان . وفى نسخ منه : بعفان .

(٣) فى الأغانى : ثم راودنى .

ثم بكى وبكيت فنظرت دموعه تجرى(١) على لحيته كأنها اللؤلؤ . ثم سلمت عليه وانصرفت . فلما قدمت على عمر سألنى عن هرقل وجَبَلة . فقصصت عليه القصة ، فقال : أوَ رأيتَ جبلةَ يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ، قال : أبعده الله تعجل فانيةً اشتراها بباقية فما ربحت تجارته ، فهل سرَّح معك شيئاً ؟ قلت : سرَّح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فقال : هاتها . وبعث إلى حسان ، فأقبل يقوده قائده ، حتى دنا فسلّم وقال : يا أمير المؤمنين إنى لأجد ريح آل جفنة ، فقال له عمر : قد نزَع الله لك منه على رغم أنفه وأتاك منه بمعونة . فانصرف وهو يقول :

إن ابن جفنة من بقيّةِ مَعْشَرٍ ... لم يَغْذُهم آباؤهم باللُّـــومِ
لم ينسنى بالشام إذ هو ربُّهـــا ... مَلِـــكا ولا متنصِّرًا بالرُّومِ(٢)
يُعطى الجزيلَ ولا يَراه عنـده ... إلا كبعض عَطِيَّةِ المذمومِ
وأتيته يوما فقرّب مقعدى(٣) ... وسَقى فروَانى من الخُرْطومِ(٤)

فقال له رجل فى مجلس عمر : أتذكر قوما كانوا ملوكا فأبادهم الله عز وجل وأفناهم؟ قال : ممن الرجل ؟ قال : مُزَنى . قال : أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوَّقتك طوقَ الحمامِ وقال : ما كان خليلى ليُخِلَّ بى ، فما قال لك؟ قال : قال لى : إن وجدتَه حيًّا فادفعها إليه وإن وجدته ميتا فاطرح الثياب على قبره وابتعْ بهذه الدنانير بُدْناً فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتك وجدتنى ميتا ففعلت بى ذلك .

---

(١) فى الأغانى : حتى رأيت دموعه تجول .
(٢) فى الأغانى : كلا ولا متنصرا .
(٣) فى الأغانى : مجلسى .
(٤) الخرطوم من أسماء الخمر .

وقيل : إنه قال لرسول معاوية لما وصل إلى هرقل وقد اجتمع به : أترى صاحبك يفي إن خرجتُ إليه؟ قال : قل ما شئتَ لأعرضه عليه . قال: يعطيني الثَّنِيَّة[١] كلّها، فإنها كانت منازلنا، وعشرين قرية من الغوطة ، منها دَارِيًا وبلَاس وسكًّا ، ويفرض لجماعتنا ويُحسن جوائزنا . قال : قلت : أُبلغه . فلما قدمت إلى معاوية قال : وددت لو أنك أجبته إلى ما سأل وأجزتُه[٢] ، وكتب إليه معاوية بأن يُعطيه ذلك ، فوجده قد مات . قال : ودخلت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت حسان ، فقلت : يا أبا الوليد ، صديقك جبلة يسلّم عليك ، فقال : هات ما معك . قلت : وما علمك أن معي شيئا ؟ قال : ما أرسل إلى بالسلام قط إلا ومعه شيء . قال : فدفعت إليه المال .

قال حسان بن ثابت : أتيت جبلة بن الأيهم الغساني وقد مدحته ، فأذن لي فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له ضفيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذا[٣] ؟ فقلت : أما هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأما هذا فلا أعرفه . فقال : هو عَلْقمة بن عَبْدَة ، فإن شئت استنشدتَهما وسمعتَ منهما ثم إن شئت أنشدت بعدها ، وإن شئتَ سكتَّ . قلت : فذاك . فأنشده النابغة :

كِليني لهمٍّ يا أُميمةَ ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكبِ

قال : فذهب نصفي ، ثم قال لعلقمة : أنشد ، فأنشد :

طحا بك قلبٌ في الحسان طَروبُ ... بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ

فذهب نصفي الآخر ، فقال لي : أنت أعلم الآن ، إن شئت أنشدت بعدهما أو سكتّ فتشدّدت ثم قلت : لا بل أنشد . قال : هات ، فأنشدته :

---

(١) الثنية: يراد بها ثنية العقاب وهي مشرفة على غوطة دمشق « انظر معجم البلدان ».

(٢) في المختار : وأحذته .

(٣) كذا في المختار . وفي الأغاني : هذين .

أبنـاء جفنـةَ حول قبر أبيهمُ ... قبرِ ابنِ ماريةَ الـكريم المُفْضِلِ
يسقَون من وَرد البَريص عليهمُ[1] ... كاساً يُصَفَّق بالرَّحيق السَّلْسلِ
يُغْشَوْن حـتى ما تهِرُّ كلابهمْ ... لا يَسألون عن السَّوَاد المُقْبلِ
بيضُ الوجوهِ كريمة أحسابهم ... شمّ الأُنوف من الطراز الأَوّلِ

فقال لى: ادنُهْ ادنُهْ ، لعمرى ما أنت بدونهما ، ثم أمر لى بثلاثمائة دينار وعشرة أقمصة ، وقال : هذا لك عندنا فى كل عام .

وقيل: إن هذا إنما جرى لحسان مع عمرو بن الحارث وأنه قدم عليه فاعتاص الوصول إليه ، فقال للحاجب بعد مدة : إن أذنت لى عليه وإلا هجوت اليمن كلَّها وانقلبتُ عنكم ، قال : فأذن لى فدخلت فوجدت عنده النابغة جالسا عن يمينه، وعلقمة بن عبدة جالسا عن يساره، فقال لى : يا ابن الفُرَيعة ، قد عرفْتُ عِيصَك[2] ونسبك فى غسّان ، فارجع فإنى باعث إليك بصِلةٍ سنيّة ولا أحتاج إلى الشعر فإنى أخاف عليك هذين السَّبعين : النابغة وعلقمة أن يفضحاك ، وفضيحتُك فضيحتى ، وأنت والله لا تحسن أن تقول :

رقاقُ النعال طيّبٌ حُجُزاتُهم ... يُحَيَّوْنَ بالرَّيحان يوم السَّباسب[3]

فأبيت وقلت: لابد منه ، فقال : ذلك إلى عَمَّيْك . فقلت لهما : بحق الملك إلّا قدمتمانى عليكما ، فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : هاتِ يا ابن الفُريعة ، فأنشأت أقول والقلب وجل[4] :

أسألتَ رَسْمَ الدارِ أم لم تَسألِ ... بين الجوابى فالبَضِيع فحَوْمَلِ

---

(١) البريص : اسم نهر دمشق ، وفى المختار البريض .
(٢) العيص : الأصل .
(٣) يوم السباسب : عيد للنصارى يسمونه السعانين .
(٤) جملة « أقول والقلب وجل » ليست فى الأغانى .

فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً حتى شاطرنى البيت وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا ما تعللانى به منذ اليوم ، هذه والله البتّارة التى قد بترت المدائح ، أحسنت والله يا ابن الفُريعة . قال : هات لى يا غلام ألف دينار مَرْمُوجة وهى التى فى كل دينار عشرة دينار ، فأعطِيت ذلك ، ثم قال : لك علىّ فى كل سنة مثلها ، ثم أقبل على النابغة فقال : قل يا زياد وهات الثناء المسجوع . فقام النابغة فقال : ألا انعِمْ صباحا أيها الملك المبارك ، السماء غِطاؤك . والأرضُ وِطاوك ووالدى فداؤك . والعرب وِقاؤك والعجم حِمَاؤك والحكماء جلساؤك والمداراة سماؤك[1] والمقاوِل إخوانك ، والعقل شِعارك والسِّلْمُ مَنارُك[2] والحِلْم دِثارك ، والسكينة مِهادك ، والوقَار غِشاؤك ، والبِرُّ وِسادك ، والصِّدق رداؤك ، واليُمْنُ حذاؤك ، والسخاء ظِهارَتُك والحَمِيَّةُ بطانَتُكَ ، والعَلاء غايتك[3] ، وأكرم الأحياء أحياؤك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ، وأفخر الفتيان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك ، وأفسح[4] الدارات داراتك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللِّباس لباسك ، وأدفع الأجناد أجنادك[5] قد حالف الإضريجُ عاتقك ولاءم المِسْك مِسكَك ، وجاور العنبر تَرائبك[6] ، وصاحب النعيم جسدك ، المسجد آنيتك ، واللُّجين صحافك ، والعَصْب مناديلك ، والحُوَّارَى

---

(١) فى الأغانى : والمداره سمارك .

(٢) كلمة جملة « والسلم منارك » ليست فى الأغانى

(٣) فى بعض نسخ الأغانى : علابتك .

(٤) فى الأغانى ورواية أخرى بأصل المختار (ا) وأفيح .

(٥) جملة « وأدفع الأجناد أجنادك » ليست فى الأغانى .

(٦) فى الأغانى : تربك .

طعامك ، والشهد إدامُك ، واللذات غذاؤك ، والُخرطوم شرابك ، والأبـكار مستراحك ، والشّرف مُناصِفُك[١] ، والخير بفنائك ، والشرُّ بساحة أعدائك ، والنصر مَنوطٌ بلوائك ، والِخذْلان مع ألوية حُسَّادك، زيَّن قولَك فِعْلُك[٢]،وطحطح عدوَّك غضبُك وهَزم مقانبهم جندك[٣] وسار فى الناس عدلك وشاعَ بالنصرِ ذِكرك، وسكّن قوارعَ البلاد[٤] ظَفَرُك،الذهب عطاؤك، والدواة رَمْزُك ، والأوراق لحظك، والغِـنى إطراقُك[٥] ، وألف دينار مُرْموجة إيماؤك، أيفاخرك المنذرُاللخمىُّ ؟ فوالله لَقفاك خيرٌ من وَجهه ، ولشِمالك أجود من يمينه ، ولأخمَصك خيرٌ من رأسه ، ولخطؤك خيرمن صوابه ، ولصَمْتك خير من كلامه، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه . فهب لى أسارى قومى ، واسترهن بذلك شكرى ، فإنك من أشراف قحطان ، وإنى من سَرَوات[٦] عدنان .

فرفع عمرٌو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه فقال : مثلُ هذا فليُثْنِ[٧] على الملوك ومثلُ ابن الفُريعة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه . وقيل : إن عمرو ابن الحارث قال : اجعل المفاضلة بينى وبين المنذر شعرا فإنه أَسْيَر فقال :

ونُبِّـئت أن أبا مُنـذرٍ يُساميك للحدَثِ الأكبر

---

(١) فى الأغانى : « والأشراف مناصفك » والمناصف الخدم .

(٢) فى الأغانى: « والبر فعلك » .

(٣) فى الأغانى : مشهدك .

(٤) فى الأغانى : قوارع الأعداء .

(٥) فى الأغانى : والأوراق لحظك وإطراقك .

(٦) تفسير الألفاظ اللغوية: الإضريج: كساء أصفر أو الخز الأحمر : المسك : الجلد . العصب: ضرب من البرود. الحوارى: لباب الدقيق. الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار: طحطح: بدد وأهلك المقانب :جماعة الخيل . شسع : بعد. الأوراق: الدراهم. السروات : السادة .

(٧) فى الأغانى : بمثل هذا فليثن .

قَذالك أحسن من وَجهه وأُمُّك خيرٌ من المُنذرِ
ويسراك أجود من كف ال يمين فقولا له أخِّرِ

كان حسانُ بن ثابت يَفِد(١) على جبلة بن الأيهم سنة، ويقيم فى أهله سنة، فقال: لو وفدت على الحارث بن أبى شمْر الغسانى فإن له قرابة ورحما بصاحبى، وهو أبذل الناس للمعروف وقد ايئس من أن أفد عليه لما يعرف من انقطاعى إلى جبلة. قال: فخرجت فى السنة التى كنت أقيم فيها بالمدينة حتى جئت الحارث، وقد كنت هيَّأت له مديحا، فقال له حاجبه — وكان قد خَالَّنى وكان لى ناصحا —: إن الملك قد سُرَّ بقدومك عليه، وهو لا يدعك حتى تذكر جَبَلة، فإياك أن تقع فيه، فإنه إنما يختبرك، فإن رآك قد وقعتَ فيه زهدك، وإن ذكرت محاسنه ثقلت عليه، ولا تبتدئ بذكره فإن سألك عنه فلا تُطْنِب فى الثناء عليه، ولا تَعِبْه، وامْسَحْ ذِكرَه مَسحاً وجاوِزْ إلى غيره، فإن صاحبك — يعنى جبلة — أشدُّ إغضاء من هذا وأشد تغافلا وأقل حَفْلا به، وذلك أنه أعقل من هذا، وليس لهذا بيان، وإذا دخلت عليه فسوف يدعوك إلى الطعام، وهو يثقل عليه أن يُؤكَل طعامُه ولا يبالى بالدرهم والدينار، ويثقل عليه أن يُشْرَب شرابُه أيضا، فإن وُضِع طعامُه فلا تَدْنُ منه حتى يدعوك.. وإذا دعاك فأَصِبْ بعض الإصابة. قال: فشكرت لحاجبه ذلك ثم دخلت عليه فسألنى عن البلاد وعن الناس وعن عيشنا بالحجاز وعن رجال يهود وكيف ما بيننا من تلك الحروب، وكل ذلك أخبره، حتى انتهى إلى ذكر جبلة فقال: كيف تجدُ جبلة فقد انقطعت إليه وتركتنا؟ فقلت: إنما جبلة منك وأنت منه، ولم أجرِ معه إلى مدح ولا ذمّ، وجاز ذلك إلى غيره، ثم قال: الغداءَ، فأتى بالطعام وَوُضِع، فوَضع يده فأكل أكلا شديدا، وإذا رجل جبَّار، فقال: بعد ساعة ادْنُ فأَصِبْ من هذا، فدنوت فخَطَّفت تَخطيفا، ثم رُفع

(١) فى الأغانى: يفد.

الطعام وجاء وُصفاء كثيرٌ عددهم ، ومعهم أباريق ، وفيها ألوان الأشربة ، ومعهم المناديل ، فقاموا على رءوسنا ، ودعا أصحابَ برابطَ[(١)] من الروم ، فأجلسهم ، وشرب فألْهَوْه ، وقام الساقى على رأسى فقال : اشربْ ، فأبيت حتى قال هو اشرب ، فشربت، فلما أخذ فينا الشراب أنشدته شعرا فأعجبه ولَذَّ به ، وأقمت عنده أياما ، فقال لى حاجبه: إن له صديقا هو أخفُّ الناس عليه ، وهو جاَء فإذا جاءه جفاك وخصَّ به[(٢)] وقد قرب قدومه[(٣)] ، فاستأْذِنْه قبل أن يَقْدَم عليه ، فإنه قبيح أن يجفوك بعد الإكرام . قلت: ومن هو ؟ قال: نابغة بنى ذُبيان . قال: فقلت للحارث إن رأى الملك أن يأذن لى فى الانصراف إلى أهلى فعل . قال : قد أذنت لك وأمر لى[(٤)] بخمسمائة دينار وكُساً وحُمْلان ، فقبضتها وقدم النابغة ورجعت إلى أهلى .

---

(١) البرابط : آلات ذات أوتار .
(٢) فى الأغانى : وخلص به .
(٣) فى الأغانى : وقد ذكر قدومه .
(٤) فى الأغانى : وأمرت لك .

جُويرية أمُّ حكيم (١)

هي جُويرية بنت خالد بن قارظ الكِنانية، كُنيتها أمّ حكيم ، وليست هي صاحبة الكأس ، وقد ذكرت تلك في حرف الألف وهي زوجة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان بُسْر بن أرطاةَ قتل ولديها عبدَ الرحمن وقُثَم ابني عُبيد الله بن العباس، فأصيبت بهما ، وكانت لا تعقل ولا تصغى إلى قول من أعلمها أنهما قتلا ، بل كالوالهة عليهما ، وكان سبب قتلهما أن معاوية بن أبي سفيان كان بعث بُسْر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي بعد تحكيم الحَكَمين، وعليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه حَيٌّ يومئذ، وبعث معه جيشا ، ووجه برجل من عامر (٢) وضم إليه جيشا آخر ، وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا من وجدوا من شيعة عليٍّ عليه السلام وأصحابه ويغيروا على سائر أعماله. فمضوا لوجوههم يشنون الغارات على عمله ، ويقتلون أصحابه ، ولا يكفُّون أيديهم عن النساء والصبيان ، فمر بُسْرٌ على وجهه حتى أتى المدينة فقتل بها ناساً من أصحاب علي ، وهدم بها دورا ، ومضى إلى مكة فقتل بها نفراً ، ثم أتى السَّراة فقتل من بها من أصحابه ، وأتى نَجران فقتل عبد الله بن عبد المَدَان الحارثي وابنه ، وكان من أصهار بني العبّاس ، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العباس عاملا لعلى بن أبي طالب عليه السلام وكان غائبا ، وقيل : بل هرب لمّا بلغه خبر بُسْر فلم يصادفه بُسْر، ووجد ابنين له صَبيّين ، فأخذهما وذبحهما ذبْحاً بمُدية كانت معه (٣)، ثم انكفأ راجعا إلى معاوية

---

(١) الأغاني دار الثقافة ١٦ / ٢٠٠ـ٢٠٦ وبولاق ١٥ / ٤٧ والساسي ١٥ / ٤٢ والتجريد ١ ١٧٤

(٢) كذا في الأغاني والمختار : وانظر شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ١١٨ غامد .

(٣) بهامش المخطوط لك تعليق بخط مختلف : لعنه الله تعالى ولعن من يعاونه على ذلك سوف ترى سيجلي الغبار هل فرس تحتك أم حمار وسيعلم الظالمون لمن عقبى الدار « وكتبها وسيعلموا الظالمون »
(٢٢ / ٢ مختار الأغاني)

وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به فقصد العامِرِيُّ[1] الأنبار فقتل حسّان بن حسان البكريَّ، وقتل نساء ورجالا من الشيعة ، فبلغ ذلك عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فخرج حتى رقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أما بعد، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذِّلّة وشمله البلاء ، وسِيم الخَسْف ودُيِّثَ[2] بالصَّغار ، وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنه لم يُغْزَ قوم فى عُقر دارهم إلّا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، وتركتم قولى وراء ظهوركم حتى شُنَّت عليكم الغارات ، هذا أخو بنى عامر قد جاء إلى الأنبار ، فقتل عاملى عليها حسانَ بنَ حسان ، وقتل رجالا كثيرا ونساء ، والله لقد بلغنى أنه كان يأتى المرأة المسلمة أو المعاهدة فينتزع حِجْلها ورِعاثَها[3] ثم ينصرفون مَوْفورين[4] لم يُكْلَم أحدٌ منهم كَلْما[5] وإن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا لم يكن عليه ملوما ، بل كان به جديرا ، يا عجبا عجبا يميت القلب ويُشعِل الأحزان من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم ، حتى صِرتُم غَرَضًا تُرْمَوْن ، تُغْزَوْن ولا تَغْزُون ، ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَون : إذا قلت لكم اغزوهم فى الصيف[6] قلتم حَمَّارة القَيْظ [فأمهلنا] وإن قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا بَرْدٌ وقُرٌّ فأَمْهِلنا ، فإذا كان كنتم من الحر والبرد تفرّون ، فأنتم والله من السَّيف أشدُّ فرارا ، يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طغام الأحلام وعقولَ ربّات الحِجال ، وددت والله أنى لم أعرفكم ، ووددت والله

---

(١) فى شرح نهج البلاغة : الغامدى وكذلك فيما سيأتى .

(٢) ديث : ذلل . وفى الأغانى : ريب. ومعناها تعرض له غيره وأزعجه .

(٣) الرعاث جمع الرعثة وهى القرط .

(٤) فى المختار موفورون .

(٥) الكلم الجرح وكلمه: جرحه .

(٦) فى الأغانى : فى الحر .

أنى لم أركم ، والله لقد تجرّعت منكم ندماً وملأتم جوفى غيظا بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : ابنُ أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ، ويحهم ، هل فيهم أشد مِراسا للحرب منى ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابنُ العشرين ، وأنا الآن قد نيفت على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع . فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أنا كما قال الله عز وجل « لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وأَخِى »(١) فمرنا بأمرك فوالله لنُطيعَنَّ أمرَك ولو حال بيننا وبينه جمرُ الغَضا وشوك القتاد . فقال : وأين تبلغان مما أريد ؛ ثم نزل .

كتب عَقِيل بن أبى طالب إلى أخيه علىّ عليهما السلام : أما بعد ، فإن الله عز وجل جارُك من كل سوء ، وعَصَمك من المكروه ، وإنى خرجت مُعتمراً ، فلقيت عبد الله بن أبى سَرْح فى نحو أربعين رجلا من أبناء الطُّلَقاء ، فقلت لهم وقد عرفت المنكر فى وجوههم: ياأبناء الطُّلَقاء ، العداوةُ والله لنامنكم غير مستنكرة قديماً تريدون بها إطفاءَ نور الله وتغييرَ أمره ، فأسمعنى القومُ وأسمعتهم ، ثم قدمت مكةَ وأهلُها يتحدَّثون أن الضحَّاك بن قيس أغار على الحيرة ، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء ثم انكفأ راجعا ، فأُفٍّ لحياةٍ فى دهرٍ جَرَّأ عليك الضحاك ، فقد بلغنى أن أنصارك خاذلوك ، فاكتب إلىَّ يا ابنَ أمّ برأيك ، فإن كنتَ الموتَ تُرِيد تحمَّلْت إليك بِبَنى أبيك وولد أخيك فعِشْنا ما عشتَ ومتنا معك ، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فُواقاً(٢) ، فأقسم بالله الأعزّ الأجلّ إن عيشاً أعيشه بعدك فى هذه الدنيا لعيشٌ غيرُ هَنِىء ولا مرىء والسلام . فأجابه علىٌّ رضى الله عنه : أما بعد كلأنا الله

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٥ .

(٢) الفواق : فترة من الوقت قدرها ما بين حلبتين وقيل مقدارمابين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع .

وإياكَ كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد . فقد قدم عليَّ عبدُ الرحمن بن عبدٍ[1] الأزْدِيّ بكِتابك تذكر فيه أنك لقيت ابن أبى سَرْحٍ مُقبلا من قُدَيد فى نحو أربعين شابا من أبناء الطلقاء وإن بنى سرح[2] طالما كادوا الله ورسوله وكتابه وصدُّوا عن سبيله وبَغَوْها عِوَجا . فدع بنى أبى سرح[3] عنك ، ودع قريشا وتَرْكاضهم فى الضلالة وتَجْوالهم فى الشّقاق ، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليـه وسلم قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقه ، وجحدوا فضله ، وبادَوْه بالعداوة ، ونَصبوا له الحرب ، وجَهِدوا عليه كلَّ الجهد ، وساقوا إليه خَسِيس الأَمَرَّيْن[4] ، اللهم فاجْزِ قريشاً عنى الجوازى ، فقد قطعَتْ رَحِمى ، وتظاهرت علىَّ ، والحمد لله على كل حال ، وأما ما ذكرت من غارة الضحَّاك على الحِيرة ، فهو أقلّ وأذلّ من أن يقرب الحيرة ، ولـكنه جاء فى خيل جَريدةٍ ، فلَزِمَ الظَّهر ، وأخـذ على السَّماوة ، فمرَّ بواقِصَة وشَرَافِ وما والى ذلك الصُّقع ، فسرَّحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هاربا ، فأتبعوه فَلَقُوه ببعض الطرق وقد أمعن فى السير ، وقد طَفَلَتِ الشمسُ للغروب[5] فاقتتلوا شيئاً ، كلا ولا ، فولى ، ولم يصبر ، وقُتل من أصحابه بضعةَ عشرَ رجلًا ، ونجا جريحا[6] . وأما ما سألت عنـه من أن أكتب إليك برأيى فإن رأيى قَتْلُ المُحِلّين حتى ألقى الله عز وجل ، لا تَزيدنى كثرة الناس حولى عِزَّة ، ولا تفرُّقهم عنى وَحْشة ، لأنى مُحِقٌّ ،

(١) فى الأغانى : عبيد .

(٢) فى الأغانى : وأنك تنبئ عن ابن أبى سرح طالما كاد .

(٣) فى الأغانى: ابن أبى سرح

(٤) فى الأغانى : « جيش الأمرين » وهنا الصواب .

(٥) فى الأغانى: للإياب .

(٦) فى الأغانى « جريضا » . والجريض المشرف على الهلاك .

والله مع الحق وأهله ، وما أ كْرَهُ الموتَ مع الحق ، وما الخير كلُّه إلا بعد الموت لمن كان مُحِقًّا . وأما ما عرضته علىّ من مسيرك إلىّ ببنى أبيك وولد أخيك فلا حاجة لى فى ذلك ، فأقم راشداً مهديًّا ، فوالله ما أُحبُّ أن تهلكوا معى إن هلكت ، ولا تحسبَنَّ ابن أبيك لو أسلمه الناسُ مُتضرِّعا مُتخشِّعا ولكننى أقول كما قال أخو بنى سُلَيم(١) :

فإن تَسْألينى كيف أنتَ فإننى … صبورٌ على رَيْبِ الزمان صَليبُ
يَعزُّ علىَّ أنْ تُرى بى كآبةٌ … فيشمتَ عادٍ أو يُساءَ حَبيبُ

وأما بسر بن أرطاة فإنه لما كرَّ راجعا وانتهى خبره إلى علىٍّ رضى الله عنه وأنه قتل عبد الرحمن وقُثَم ابنى عبيد الله بن العباس سَرَّح حارثةَ بنَ قُدامة السعدىَّ فى طلبه ، وأمره أن يُغِذَّ(٢) السير فى طلبه ، فخرج مسرعا ، فلما وصل إلى المدينة انتهى إليه مقتلُ علىٍّ رضى الله عنه وبيعةُ ابنه الحسن ، فركب فى السلاح ، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن فامتنعوا ، فقال : والله لتُبايِعُنَّ ولو بأستاهكم ، فلما رأى أهل المدينة الجِدَّ منه بايعوا الحسنَ ، وكرَّ راجعا إلى الكوفة وأُصيبتْ أمُّ حكيم فى ولديها ، فكانت والهة تطوف فى المواسم تُنْشدُ الناسَ ابنيها بهذه الأبيات :

يا مَنْ أحسَّ بِابنَىَّ اللّذَيْنِ هما … كالدُّرَّتين تَشَظَّى عنهما الصَّدَفُ
يا من أحسَّ بِابنَىَّ اللذين هما … سَمْعِى وقلبى فقلبى اليوم مُختَطَفُ
يا من أحسَّ بِابنَىَّ اللذين هما … مُخُّ العظام فمُخِّى اليومَ مُزْدَهَفُ(٣)
نُبِّئْتُ بُسْراً وما صَدَّقتُ ما زَعموا … من قولهم ومن الإفْكِ الذى اقترفوا

---

(١) هو صخر أخو الخنساء .
(٢) أغذ السير : أسرع .
(٣) مزدهف : مهلك .

أنْحَى على وَدَجَىْ إبْنَىَّ مُرهفةً مَشْحوذةً وكذاك الإفْكُ يُقترف(١)
حتى لَقِيتُ رجالًا من أَرُومَتِه شُمَّ الأُنوف لهم فى قومهم شَرَفُ
فالآنَ أَلعن بُسْراً حقَّ لعنته هذا لعَمْرُ أبى بُسْرٍ هو السَّرَفُ
من دلَّ والهةً حَيْرَى مُدَلَّهةً على صَبِيَّيْنِ ضَلَّا إذ غدَا السَّلَفُ

ولما بلغ عليًّا قتلُ الصبيين جزع لذلك جزعا شديدا ، ودعا على بسر فقال : اللهم اسْلُبْه دِينَه ولا تُخرِجه من الدنيا حتى تَسلُبَه عَقْلَه . فأصابه ذلك وفقدَ عَقْلَه ، فكان يَهْذِى بالسيف ويطلبه ، فيُؤْتَى بسيف من خشب ويُجعَل فى يديه زِقٌّ منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم . ثم مات .

ولما استقرَّ الأمرُ على مُعاويةَ دخل عليه عُبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطاة فقال له عبيد الله : أنت قاتل الصَّبِيَّين أيها الشيخ ؟ فقال بُسْر : نعم أنا قاتلهما . فقال عبيد الله: أما واللهِ لوددْتُ أن الأرض كانت أَنْبَتَتْنِى عندك . فقال له بسر : قد أنبتتك الآن عندى . فقال عبيدالله: أَلَا سيفٌ؟ فقال له بُسر : هاكَ سيفى ، فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر : أخزاكَ الله شيخا قد كبرتْ سِنُّك وذهب عقلك(٢) ، تعمدُ إلى رجل من بنى هاشم قد وتَرْته وقتلت ابنيه تدفع إليه سيفك ؟إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم ، والله لو تمكّن منه لبدأ بك ثم ثَنَّى بى . فقال : لا والله ، بل بدأتُ بك وثَنَّيْتُ به(٣) .

قال الأصمعىّ : سمع رجل من أهل اليمن ــ وقد قدم مكةَ ــ جويريةَ امرأةَ عُبيدالله ابن العباس تندب ابنيها بقولها :

---

(١) فى الأغانى : وكذاك الإثم يقترف .
(٢) فى الأغانى : قد كبرت وذهب عقلك .
(٣) فى الأغانى : لبدأ بى قبلك فقال عبيد الله : أجل والله ثم لثنيت به .

يا من أحَسَّ بِابنَىَّ اللذين هما كالدُّرتين تشَظَّى عنهما الصَّدَفُ

فرقّ لها وتوصَّل إلى أن اتصل ببُسرٍ وحدَّثه ، فلما وَثِق به احتال لقتل ابنيه ، فخرج بهما إلى وادى أَوْطاس فقتلهما وهرب وقال :

يا بسرُ بُسْرَ بنى أرطاةَ ما طَلعتْ شمسُ النهار ولا غابتْ على الناسِ
خــيرٌ من الهاشِمِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ هما عينُ الهدى وسِمَامُ الأَشوسِ القاسى
ماذا أردتَ إلى طِفْــلَىْ مُدلَّهَــةٍ تبكى وتندُب من أثــكلْتَ فى الناس
فاشرَبْ بكأسهما ثُــكْلًا كما شربتْ أمُّ الصبيَّيْنِ أو ذاقَ ابنُ عبَّاسِ (١)
إما قتلتهما ظُلْماً فقــد شَرِقَت من صاحِبَيْك قَناتى ويوم أَوْطَاسِ

(١) هذا البيت جاء آخرا فى الأغانى . وبهامش نسخة ك رواية أخرى : أم الصبيين أولاد بن عباس .

جُعيفرانُ المُوسْوسُ(١)

هو جَعفر بن عليّ بن أصْفر بن السرى بن عبد الرحمن الأنبارى من ساكنى سُرَّ من رأى . ومولده ومنشؤُه ببغداد ، وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانيين يتشيّع ويُكثر لقاء أبى الحسن علىّ بن موسى بن جعفر عليهم السلام ، وكنيته أبو الفضل ، وكان جعيفران أديبا شاعرا مطبوعا ، وغلبت عليه المِرّة السوداء فاختَلَط وبطل فى أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، وكان إذا أفاق وثاب إليه عقله وطبعه قال الشعر الجيد وكان أهله يزعمون أنه من العجم من ولد أُذَيْن. وكان أبوه دِهْقَان الكَرْخِ ببغداد ، فظَهر على ابنه جُعَيفران أنه خالفه إلى جارية له سُرِّيّة ، فطرده عن داره وشكاه إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقا فليس يموت حتى يفقد عقله ، فلا تساكِنْه فى منزلك ، ولا تطعمه شيئا من مالك فى حياتك ، وأَخرِجه عن ميراثك وسأل الفقهاء عن حِيلة يُشهد بها فى ماله حتى يخرجه عن ميراثه ، فدلُّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل ، فلما مات حاز الرجلُ ميراثَه ومنع منه جعيفران ، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضى ، فأحضر الوصىّ وسأل جعيفرانَ البيِّنَة على نسبه وتركَة أبيه ، فأقام على ذلك بَيِّنَة عُدُولًا ، وأحضر الوصىُّ بَيِّنَة عدولًا على الوصية يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه ، فلم ير أبو يوسف ذلك شيئًا ، وعزم على أن يورثه ، فدافعه الوصىُّ عن ذلك مرّاتٍ بعِلل ، ثم عزم أبو يوسف على أن يسجل لجعيفران بالمال ، فقال له الوصى : أنا أدفع هذا بحجّة واحدة بقيت عندى ، فأبى أبو يوسف أن يسمع منه ، وجعل جعيفران يخرج عليه ويقول : قد ثبتَ

---

(١) الأغانى : دار الثقافة ٢٠/١٤٧ وانظر ص١٤٦ وبولاق ١٨/٦١ والساسى ١٨/٦١

عندك أمرى فبأىّ شيء تدفعنى ، وجعل الوصىُّ يسأله أن يسمع منه منفردا فيأبى أبو يوسف ويقول : لا أسمع منك إلا بحضرة خصمك ، فقال له : أجِّلنى إلى غد ، فأجَّله فجاد إلى منزله وكتب رُقعة إلى القاضى يخبره فيها بحقيقة الخبر وما أفتى به موسى ابن جعفر عليهما السلام ، ودفعها إلى صديق لأبى يوسف ، فدفعها إليه ، فلما قرأها دعا بالوصىّ فاستحلفه أنه قد صدق فى ذلك ، فحلف اليمين الغَموس ، فقال : اغدُ غدًا علىّ مع صاحبك . فحضر وحضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسف للوصى ، فلما أمضى الُحكمَ عليه وُسْوِس جُعيفران واختلط منذ يومئذ .

قال عثمان بن محمد : كنت يوما برُصافة مدينة السلام جالسا ، فجازَ بى جعيفرانُ وهو متغضّب ، فوقف علىَّ وقال :

* استوْجبَ العالَمُ مِنّى القَتْلا *

فقلت له : لم يا أبا الفضل ؟ فنظر إلىَّ نظرة مُنكرة خفت منها ثم قال :

لما شعرت فرأونى فحْلَا ... قالوا علىَّ كذبا وبُطْلاَ

أنِّىَ مجنونٌ فقدْت العَقْلاَ ... قالوا المُحال كَذِبًا وجَهْلاَ

أقبِحْ بهذا الفعلِ منهم فِعْلاَ

ثم ذهب لينصرف ، فخفت أن يؤذيه الصبيان ، فقلت : اصبرْ فديتك حتى أقوم معك فإنك مُغضَب ، وأكره أن تخرج على هذه الحال ، فرجع إلىَّ وقال : سبحانَ الله ، أتُرانى أنسبهُم إلى الكذب والجهل وأستقبح فِعْلَهم وتتخوَّف منى مكافأتهم ؟ ثم ولىَّ وهو يقول :

لستُ براضٍ من جَهُولٍ جَهْلَا ... ولا أُجازيه بفعْلٍ فِعْلاَ

لكنْ أرى الصَّفْحَ لنفسى فَضْلَا ... مَنْ يُرِد الخيرَ يَجِدْه سَهْلَا

ثم مضى .

قال عثمان بن محمد : كنت أُشرف ليلة من سَطْحٍ لى على جُعيفران وهو فى داره وحده ، وقد اعتلّ وتحركت عليه السوداء ، فهو يدور فى الدار طول ليلته ويقول :

طافَ به طيفٌ منَ الوَسْواسِ ... نَفَّرَ عنــه لذّةَ النُّعاسِ
فما يُرى يَأْنس بالأُناس ... ولا يلَذُّ عِشْرَةَ الجُلّاسِ
فهو غريبٌ بين هذا النّاسِ

حتى أصبح وهو يُردِّدها ، ثم سقط كأنه بقلة ذابلة .

قال مسلمة بن محارب : مَررتُ ببغداد ، فرأيت قوماً مجتمعين على رجل ، فقلت: ماهذا ؟ فقالوا : جعيفران الموسوس المجنون ، فقلت له : قل بيتا على الجيم بنصف درهم ، فقال : هاتِه ، فأعطيته فقال :

لجَّ ذا الهمُّ فاعتلَجْ ... كلُّ همٍّ إلى فَرَجْ

ثم قال : زد إن شئتَ حتى أزيدك .

قال عثمان بن محمد : غاب عنا جُعيفران أياما ثم جاءنا والصبيانُ يَشتدُّون خلفه وهو عُريان ، وهم يصيحون به : يا جعيفران يا خرَا فى الدار ، فلما بلغ إلىّ وقف وتفرقوا عنه ، فقال لى : يا أبا عبد الله :

رأيت الناس يدعونى ... بمجنــونٍ على حَالِ
وما بى اليوم من جِنٍّ ... ولا وسواسِ بَلْبَالِ
ولــكن قولهم هــذا ... لإفلاسى وإقــلالى
ولو كنت أخا مالٍ ... رَخِيًّا ناعم البــالِ (1)
رَأَوْنى حَسنَ العقــلِ ... أحلُّ المنزل العَــالِى
وما ذاك على خُــبْرٍ ... ولــكنْ هَيبةُ المــالِ

---

(1) فى الأغانى : أخا وفر .

قال : فأدخلته منزلى فأكل وشَرِب أقداحا[1] ، ثم قلت له : تقدر أن تغير تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بَدِيها من غير فِكْر ولا توَقُّف :

رأيتُ الناسَ يَرمونـ ـنىَ أحيانا بِوسْواسِ
ومَن يَضبِطُ يا صاحِ مقالَ الناسِ فى الناسِ
فدع ما قاله النـاسُ ونازِعْ صفوةَ الكَاسِ
فتى حُرًّا صحيح الوُ دِّ ذا بِرٍّ وإينـاسِ
فإن الخلْقَ مُغْرَوْنَ[2] بأمثـــالى وأجناسى
ولو كنتُ أخا مالٍ أَتوْنى بين جُلَّاسى
يُحَيُّونى ويَحْبُونى على العَيْنَين والرَّاسِ
ويَدْعـونى عزيزاً غـيـ ـر أن الذُّلَّ إفـلاسى

ثم قام يبول ، فقال بعض من حضر: أَيْشِ[3] مَعْنى عِشْرتنا هذا المجنون العُريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاحٍ ، فكيف إذا سكر ؟ وفطن جعيفران للمعنى فخرج إلينا وهو يقول :

ونـــدامى أكلـــونى إذ تَغَيَّبْتُ قَليلاَ
زَعموا أنِّىَ مجنو نٌ أَرى العُرْىَ جَميلاَ
كيف لا أعرى ولا أُبْـ ـصِرُ فى الناس مَثيلا[4]
إنْ يكن ساءَكمُ قُرْ بى فخلُّوا لى السبيلا
وأتِمُّوا يَوْمَكُمْ سَرَّ كُمُ اللهُ طويـلا

---

(١) فى الأغانى : وسقيته أقداحا .

(٢) فى المختار : « فإن الخلق مغرور » والتصويب من الأغانى .

(٣) أيش : أى شىء . وهكذا جاءت فى الأغانى .

(٤) المثيل يطلق على الفاضل .

فرَفقْنا به(١) واعتذرنا له وقلنا له : والله ما نلتذُّ إلا بقربك ، وأتيناه بثوب فلبسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

تقدّم جُعيفران إلى أبى يوسف الأعور القاضى بسرّ من رأى فى حُكومةٍ [مع شخصٍ](٢) فى شىء كان فى يده فى وَقْفٍ له ، فدفعه عنه وقضى عليه ، فقال له :

أيها القاضى أرانى اللـــــه عَينَيــك سَــوَاء(٣)

فأمسك عنه وأمر بردّه إلى داره ، فأطعَمه ووهب له دراهم ثم قال له : ما أردت بدعائك ؟ أردتَ أن يَرُدَّ الله علىّ ما ذهب من بصرى ؟ فقال له : والله لئن كنت وهبتَ لى هذه الدراهم ، لأسخر منك إنك لأنت المجنون لا أنا ، أخبرنى، كم من أعور رأيته عَمِىَ ؟ قال : كثير ، قال : فهل رأيت أعور قط صحّ ؟ قال : لا، قال : فكيف توهَّمت هذا الغلط ؟ فضحك وصرفه .

قال علىّ بن يوسف : كنت عند أبى دُلف العجلى ، فاستأذن عليه حاجبه لجعيفران الموسوس ، فقال له : أى شىء أصنع بموسوس ؟ قد قضينا حقوق العقلاء وبقى علينا حقوق المجانين ، فقلت له : جُعلتُ فداك ، إنه موسوس أفضل من كثير من العقلاء، وإن له لسانا يُتقَّى وقولًا مأثورا يَبقَى ، فاللهَ اللهَ أن تَحْجُبَه ، فليس عليك منه أذى ولا ثقل ، فأذِن له ، فلما مثل بين يديه قال :

يا أكرم العالَم مَوْجُــودا ويا أعزّ الخَلْقِ مفقــودا(٤)
لمّا سألتُ الناس عن واحــد أصبحَ بين النــاس محمودا

---

(١) فى الأغانى: فرقفنا له .
(٢) كلمة مع « شخص » ساقطة من الأغانى .
(٣) جاء هذا البيت نثرا فى الأغانى : « أرانى الله أيها القاضى عينيك سواء » وهنا أحسن.
(٤) فى المختار «ك» «يا كرم العالمين» وفى ت« يا أكرم العالمين» .

فقالوا جميعاً إنه قاسمٌ   أشْبَــه آباءَ له صِيــدَا
لو عبدوا شيئا سِــوى رَبِّهم   أصبحتَ بين الناس مَعْبُودا
لا زِلْتَ فى نُعْمى وفى غِبطــةٍ   مُكَرَّما فى النـاس مَعْدُودا

قال : فأمر له بألف درهم وبكسوة ، فلما جِيء بالدراهم أخذ منها عشرة دراهم وقال : تأمر القهرْمانَ أن يعطينى الباقى مُفرَّقا كلما جئتُ ، لئلا تضيع منى . فقال للقهرمان : أعطِه المال وكلَّما جاءك فأعطِه ما شاء حتى يُفرِّق الموت بيننا ، فبكى عند ذلك جعيفرانُ وتنفَّس الصعداءَ وقال :

يموتُ هــذا الذى أراه   وكلُّ شىءٍ له نَفَادُ
لوغيرُ ذىالعرْشِ دام شىءٌ   لَدامَ ذا المُفْضِلُ الجوادُ

ثم خرج ، فقال أبو دُلَف : أنت كنت أعلمَ به منى . قال : وغبَر عنى مدة ثم لقينى فقال: يا أبا الحسن ، ما فعل أميرُنا وسيِّدُنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى غاية الشوق إليك ، فقال : يا أخى أنا والله أشْوق ، ولـكنى أعرف أهل العَسكر وشَرَهَهُم وإلحاحهم ، والله ما أراهم يتركونه من المسألة ، ولا يترك كَرَمَه عليهم ولا يُخليهم من العطية حتى يخرج فقيراً ، فقلت له : دع عنك هذا وزُرْه؛ فإن كثرة السؤال لا تضرُّ بماله، فقال : كيف ؛ هو أيسر من الخليفة ؟ قلت: لا ، قال : والله لو يَبذُل لهم الخليفة كما يبذل أبو دلف وأطعمهم من ماله كما يطعمهم لأفقروه فى يومين ، ولـكن اسمع ما قلتهُ فى وقتى هذا ، فقلت : هاتِ يا أبا الفضل ، فأنشد :

أبا حسنٍ بَلِّغَنْ قاسماً   بأنِّىَ لم أَجْفُهُ عَنْ قِــلَى
ولا عَن مَــلالٍ لإتيانِــه   ولا عن صُدودٍ ولا عن غِـنَى
ولـكنْ تعففْتُ عن مالــه   وأصفيته مِــدْحَتِى والثَّنَا
أبــو دُلَفٍ سَيِّدٌ ماجــدٌ   سَنِىُّ العطيــة رحْبُ الفِنَا
كريمٌ إذا انتـابَه المُعْتَفو   نَ عَمَّهم بجزيـــل الحِبَا

قال : فأبلغته أبا دلف ، وحدّثته بالحديث الذى جرى ، فقال لى : قد لقيتُه منذ أيام ، فلما رأيته وقفت له وسلّمت عليه ، فقال : سِرْ أيها الأمير على بركة الله تعالى ، ثم قال لى :

يا مُعْدِىَ الجودِ على الأموالِ ويا كريمَ النفْسِ والفعالِ
قد صُنْتَنى عن ذِلَّةِ السؤالِ بجُودِك المُوفِى على الآمالِ
صانك ذو العِزَّةِ والجلالِ من غِيَرِ الأيّام والليالى

ولم يزل يختلف إلى أبى دلف ويبره حتى تفرّقا[1].

وكان جعيفران خبيث اللسان هجّاء لا يسلم منه أحد ، فاطلع يوما فى الحُبّ[2] فرأى وجهه قد تغيّر وعفا شعرُه[3] ، فقال :

ما جعفرٌ لأبيــهِ ولا له بِشبيــهِ
أضحى لقومٍ كثيرٍ وكُلُّهم يدّعيــهِ
هــذا يقول بُنَىِّ وذا يُخاصِمُ فيــه
والأمُّ تضحكُ منهم لعلمِها بأبيــه

حدث رجل من أهل الكوفة قال : لقينى جعيفرانُ الموسوس فقال : إنى جائع فأىُّ شىء عندك تطعمنى؟ فقلت : سَلْق بخَرْدَل . فقال لى : اشترِ معه بِطّيخا، فقلت: أفعل ، ادْخُلْ . فدخل وبعثتُ الجارية تجيئه بالبِطّيخ ، وقدّمت إليه السّلق والخردل والخبز ، فأكل منه حتى ضَجِر ، وأبطأت الجارية ، فأقبل علىّ وقد غضب وقال :

سَلَقتَنا وخَرْدَلتْ وتولّتْ وأدبرَتْ
وأراها بواحــدٍ وافر الأَيْرِ قدْ خَلَتْ

قال: فخرجت ـ يشهدالله ـ أطلبها، فوجدتها خالية فى الدّهليز بسائس لى كما وَصَف.

---

(١) فى الأغانى : افترقا .
(٢) الحب : الجرة الكبيرة .
(٣) عفا الشعر : كثر وطال .

حرف الحاء

حُنَين (1)

هو حُنَين بن بَلّوع (2) الحِيرِيّ ، قيل : هو من بنى تميم من العِباديين ، وقيل : من بنى الحارث بن كعب ، وقيل : من فُقَراء (3) جَدِيس وطَسْم ، كنيته أبو كعب ، شاعر مُغَنٍّ فَحْل من فحول المُغَنِّين ، كان نصرانيا يسكن الحِيرة ويُكْرِى الجمال إلى الشام وغيرها ، وهو القائل :

أنا حُنَيْنٌ ومنزلى النَّجَفُ ... وما نَدِيمى إلّا الفَتَى القَصِفُ (4)
أقرعُ بالكأسِ بطْنَ باطيةٍ (5) ... مُتْرَعَةٍ تارةً وأغترفُ
من قهوةٍ باكَر التِّجارُ بها ... بَيْتَ يَهودٍ قَرارُها الخَزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلى خَصِبٌ ... لم تَغْذُنى شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

حَجَّ هِشام بن عبدالملك وعَدِيلُه الأَبرشُ الكلبيُّ ، فوقف له حُنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامر له وعليه قَلَنْسِيَةٌ طويلة ، فأمر به هِشام فحُمِل على جملٍ وعديلُه زامره ، وسِير به أمامه وهو يغنيه فى شعر الأحوص :

---

(1) الأغانى دار الكتب ٢/٣٤١ ودار الثقافة ٢/٣٠١ وبولاق ٢/١٢٠ والساسى ٢/١١٦ والتجريد ١/٢٧٦ .

(2) ضبط فى الأغانى فى نسخة واحدة « بفتح فسكون ففتح » ، أما فى ك فعلى اللام شدة وبدون ضبط الباقى .

(3) كذا فى المختار . أما فى الأغانى : « وقيل : إنه من قوم بقوا من جديس وطسم » فلعل كلمة فقراء محرفة عن « بقايا » .

(4) القصف : اللاهى اللاعب ، من القصف « بسكون الصاد » .

(5) فى الأغانى : ثغر باطية .

صاحِ هل أبصرت بالخَبْ ـتَينِ من أسماءَ نارَا
مَوْهِناً شُبَّتْ لعينيـ ـك ولم تُوقدْ نهارا
كتَلالِي البَرْقِ فى المزْ نِ إذا البرقُ استطارا
أذكَرَتْنِي الوصلَ من سُعْـ ـدَى وأياماً قِصارا

وقيل إن الذى غناه به :

أمِنْ سلمى بظهر الكو فة الآياتُ والطَّلَلُ
يلوحُ كما يَلوحُ على جُفونِ الصَّيْقَلِ الخِلَلُ(١)

فأمر له هشام بمائتى دينار وللزامر بمائة دينار .

قيل: لحنين : أنت تغنى من نحو خمسين سنة ما تركت لكريم دارا ولا عقارا إلا أتيت عليه ، فقال : بأبى أنتم ، إنما هى أنفاسى أقسمها بين الناس ، أتلومونى أن أغلِيَ بها الثمن .

حدّث شيخ من المكّيين قال : إنّا لَبالأبطح أيام الموسم نشترى ونبيع إذ أقبل شيخ أبيض الرأس واللحية والثياب ، على بغلة شهباء ، ما ندرى أهو أشد بياضا أم بغلته أم ثيابه ، فقال : أين بيت أبى موسى ؟ فأشرنا إليه ، قال : فأين النخل ؟ فأشرنا لذلك الحائط . فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبى موسى ثم استقبلنا ببغلته ووجهه وغنى فى شعر كَثِير بن كَثِير بن المطَّلب بن أبى وَدَاعة السهمىّ ، وذلك قوله :

أسعدِينى بدمعةٍ أسرابِ من دُموعٍ كثيرةِ التَّسْكابِ
إن أهل الحِصاب قد تركونى مغرما مولعاً بأهل الحِصابِ(٢)

(١) الصيقل : شحاذ السيوف ، والخلل جمع خلة : وهى بطانة يغشى بها جفن السيف وبها يشبه الطلل .

(٢) الحصاب : موضع رمى الجمار بمنى . وفى المختار : إن أهل الخضاب . . . الخضاب .

فارقونى وقد علمتُ يقينـــاً   مَا لمن ذاق ميتةً من إيـابِ
سكنوا الجِزْع جِزْعَ حَىِّ أبى مو   سَى إلى النخْل من صُفَىِّ السِّبابِ
كم بذاك الحجُون من حَىِّ صِدْق   وكُهولٍ أعفَّـــةٍ وشَبَــابِ [١]
أهلُ بيتٍ تتــابَعُوا للمنايا [٢]   ما على الموتِ بعدَهمْ من عِتاب
فَلِىَ الوَيْـل بعــــدهمْ وعليهمْ   صِرْتُ فرداً وملَّـنى أصحـابى

ثم ضرب بغلته وذهب فتبعناه وسألناه من هو؟ فقال: إنى حنين بن بلّوع ، وأنا رجل جَمَّال أُكرِى الإبل. ثم مضى.

وكان حُنينٌ غلاما يحمل الفاكهة بالحيرة ، وكان لطيفا فى عَمَل التحيَّات [٣]. وكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القِيان والمتظرِّفين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قَدِّه وحلاوته وخفّة روحه استحْلَوْه وأقام عندهم وخفَّ لهم ، وكان يسمع الغناء ويشتهيه ويُصغى إليه ولا يكاد ينتفع به فى شىء إذا سمعه حتى شدَا منه أصواتا فاستمعه الناس ، وكان مطبوعا حسن الصوت ، فاشتهوا غناءه وعِشرته واستماعه ، وشُهِر بالغناء ومَهَر فيه وبلغ فنُّه مبلغا كبيرا ، ثم رحل إلى عمر بن داود الوَادِىِّ وإلى حَكَم الوادى ، فأخذ منهما وأجاد الصنعة وأحكمها ، ولم يكن فى العراق غيره فاستولى عليه فى عصره ، وقدم ابنُ مُحْرِزٍ حينئذ إلى الكوفة ، فبلغ خبرُه حُنيناً وكان يعرفه ، وكان بِشْر بن مروان بالكوفة فقصده ، لأنه بلغه أنه يشرب الشراب ويسمع الغناء ، فصادفه قد خرج إلى البصرة ، وخشى حنينٌ

(١) صفى السباب : موضع بمكة . فى الأغانى : جزع بيت أبى موسى .
(٢) التتابع : الوقوع فى الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه ويكون فى الشر .
(٣) التحيات : يراد بها هنا ما يقدم من الرياحين للتحية.

أن يعرفه الناس ويستحلوه ويستولى على البلد فيسقط هو ، فتلطَّف حنينٌ حتى دعا ابنَ محرزٍ فغناه ابنُ محرز لحنه :

وحُرٌّ الزبرْجد فى نَظْمِهِ ... على واضِح اللِّيتِ زَانَ العُقُودَا[1]
يُفَصِّلُ ياقوتُهُ دُرَّه ... وكالجَمْر أبصرْتَ فيه الفَرِيدَا[2]

فسمع حنينٌ شيئا هاله وحيّره . فقال : كم مَنَّتك نفسُك من العراق ؟ فقال : ألف دينار ، فقال : هذه خَمسمائة دينار حاصلة ونفقتك فى عودتك وبَدْأَتك ، وَدَعِ العراق وامْضِ مُصاحَباً حيث شئت واحْلِف ألا تَعود إلى العراق . وكان ابنُ محرز صغيرَ الهِمَّة لا يُحِبُّ عِشْرَةَ الملوكَ ولا يؤثر على الخلوة شيئا فأخذها وانصرف .

قال حنينٌ : خرجت إلى حِمْص ألتمس الكسب وأرتاد من أستفيده[3] فسألت رجلا عن الفتيان أين يجتمعون ، فقال : عليك بالحمامات ، فإنهم يجتمعون إذا أصبحوا فيها ، فجئت إلى أحدها فدخلته ، فإذا فيه جماعة منهم فأنست وانبسطت ، وأخبرتهم أنى غريب ، ثم خرجنا فذهبوا بى إلى منزل أحدهم ، فلما قعدوا أُتينا بالطعام فطعمنا وبالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم فى مُغنٍّ يُغَنِّيكم ؟ فقالوا : ومن لنا بذلك؟ فقلت : أنا لكم به ، هاتوا لى عودا . فبدأت فى غِناء مَعْبَدٍ ، فكأنّما غَنَّيْتُ للحيطان، لا فكِهُوا لغنائى ولا سُرُّوا به ، فقلت : ثقل عليهم غناء معبد لكثرة عمله وصعوبته ، وشِدَّة مذهبه ، فأخذت فى غناء الغَرِيض فإذا هو كَلَا شىء . فغنيت خَفائف ابنِ سُرَيْج وأهزاج حَكم والأغانى التى لى ، واجتهدت فى أن يفهموا فلم يتحرّك منهم أحد، وجعلوا يقولون : ليت أبَا مُنَبِّهٍ جاءنا ، فقلت فى نفسى : أرى أننى سأفتضح اليوم

---

(١) الليت : صفحة العنق .

(٢) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره .

(٣) كذا فى المختار . وفى الأغانى : أستفيد منه .

بأبى مُنبّهٍ فضيحةً لم يفتضح مثلها أحدٌ . فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنَبّه فإذا هو شيخ عليه خُفّان أحمران كأنه جمّال ، فوثبوا إليه جميعا وسلموا عليه وقالوا : يا أبا مُنَبّه أبطأت علينا . وقدموا إليه الطعام وسقوه أقداحاً وخَنَسْتُ(١) أنا وصِرْتُ كلا شيء خوفا منه ، فأخذ العود وغنى :

طَرِبَ البحرُ فاطربى يا سَفينَهْ ... لا تَشُقّى على رجال المدينَهْ(٢)

فأقبل القوم يصفّقون ويطربون ويشربون ، ثم أخذ فى نحو هذا الغناء ، فقلت فى نفسى : لئن أصبحت سالما لا أمسيت فى هذه المدينة . فلما أصبحت شددت رحلى على ناقتى ، واُحْتَقَبْتُ زُكْرَةً(٣) من شراب ورحلت متوجّها إلى الحيرة وقلت :

ليتَ شِعرى متى تَخُبُّ بِىَ النّا ... قَةُ بين السَّدِيرِ والصِّفّيْنِ(٤)

مُحْقِبا زُكْرَةً وخُبْزَ رِقاقٍ ... وبُقولا وقِطْعَةً من نُونِ(٥)

لست أبغى اذَنْ سِواها من الشا ... م وحسبى غُلالةٌ تكفينى(٦)

فإذا بتُّ سالما قلت سُحْقًا ... وبِعاداً لمعشرٍ فارَقُونى

كان خالد بن عبد الله القَسْرِىُّ قد حرم الغناء بالعراق فى أيامه ثم أذن للناس يوما فى الدخول عليه عامّة ، فدخل حنين وفى يده عود تحت ثيابه ، فقال: أصلح الله الأمير ، كانت لى صناعة أعود بها على عيالى فحرّمها الأمير ، وأضر ذلك بى وبهم ، فقال :

---

(١) خنست : تأخرت .

(٢) كذا فى ت ولاأدرى من أين أتى بما يقرب من الصواب فى المعنى ، أما فى ك فهو «طرف البحر فاضربى يا سفينة » وذلك مثل عدة نسخ من الأغانى وفى صلب الأغانى المطبوع : طرب البحر فاعبرى يا سفينة .

(٣) احتقب : احتمل خلفه والزكرة : زق صغير للخمر .

(٤) الصفين : بلد كان بظاهر الكوفة. وفى الشعر سناد : وهو المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف.

(٥) النون : الحوت .

(٦) فى الأغانى : لست أبغى زادا سواها

وما كانت صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا ، فقال خالد : غَنِّ فعرك. عوده وغنى[1] فى شعر عدىّ بن زيد :

أيها الشامت المُعَيِّر بالدهـ ـرِ أأنت المُبَرَّأُ الموفورُ

أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيّـ ـام أم أنت جاهل مغرور[2]

مَنْ رأيتَ المَنونَ خلّدن أَمْ مَنْ ذا عليه من أن يُضامَ خَفِيرُ

فبكى خالد وقال : أذِنْتُ لك وحدَك خاصَّة ، فلا تُجالسْ سفيها ولا مُعَرْبِدًا . فكان إذا دُعِيَ يقول : فيكم سفيه أومعربد ؟ فإذا قيل له : لا ، يدخل .

قال سليمان بن عبد الملك بن بشر بن مروان : كان بعض وُلاةِ الكوفة يذمّ الحيرة فى أيام بنى أُمَيَّة ويَعيبها ، فقال له رجل من أهلها ـ وكان عاقلا ظريفا ـ : تعيب بلدةً يُضرب بها المثل فى الجاهلية والإسلام ؟ قال:وبماذا تُمدَح ؟ قال : بصحَّة هوائها ، وطيب مائها ، ونزهة ظاهرها ، تصلح للخُفِّ والظِّلْفِ ، سَهْل وجَبَل وبادِية وبُستان وبحر وبرّ محل الملوك ومسكنهم ومثواهم ، وقد قَدِمْتَها أصلحك الله مُخِفًّا فأصبحت مُثقِلا[3] ووردْتَها مُقِلاًّ فأصارتك مُكْثِرا . قال: فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إليها ثم ادْعُ بما شئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه قال : فاصنع لنا صنيعا واخرج من قولك . قال : أصنع[4] . فصنع لهم طعاما فأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من ظِباء ونَعامٍ وأرانبَ وحُبَارَى وسقاهم ماءها فى قِلَالها ، وخَمْرَها فى آنيتها . وأجلسهم على رَقْمِها[5] وكان

---

(١) فى الأغانى : فحرك أوتاره وغنى .

(٢) فى الأغانى : بل أنت جاهل .

(٣) فى الأغانى : فرجعت مثقلا .

(٤) فى الأغانى : قال: أفعل .

(٥) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز .

يُتّخذُ بها من الفُرُش أشياء كثيرة ظريفة ، ولم يستخدم لهم حُرًّا ولا عَبْدا إلّا مولودا بها من وصائف وخدم ووُصَفاء كأنهم اللؤلؤ ولغتهم لغة أهلها ، ثم أقعد معهم حُنيناً ، فغناهم هو وأصحابه فى شعر عدىّ بن زيد شاعرهم وأعشى همْدان لم يتجاوزهما ، وحيَّاهم برياحينها ونقَّلهم[1] على خَمْرها بفواكهها ، ثم قال له : هل رأيتنى استغنَيْتُ على شىء مما رأيتَ وأكلتَ وشَربت وشَمَمْت وافترشْتَ وَسمعت بغير ما فى الحيرة ؟ فقال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صِفة بلدك ونَصَرْته فأحسنت نُصْرَتَه والخروج مما تضمَّنْتَه ، فبارك الله لكم فى بلدكم .

وعاش حُنينٌ مائةَ سنةٍ وسبعَ سنين .

قال إبراهيم بن المهدى : كنت مع الرشيد فى السنة التى نزل فيها على عَوْنٍ العِبادىّ بالحيرة ، فأتانى عَوْنٌ بابنِ ابن حُنين بنِ بلوع ، وهو شيخ ، فغنَانى عِدَّة أصوات لجدِّه فما استحسنْتُها ، لأنه كان مَشْنِىَّ الخلْقِ كَزَّ الغِناء[2] ، إلى أن غنانى فى شعر عنترة :

فتركْتُه جَزَرَ السِّبـاعِ يَنُشْنَه ... ما بـين قُلَّةِ رَأْسِه والمِعْـصَمِ

فما سمعته من أحد أحسن مما سمعته منه ، فقلت له : لقد أحسنت فى هذا الصوت وما هو من أغانى جَدِّك ولا أغانى بلدك ، وإنى لأعجب من ذلك ، فقال الشيخ : والقُرْبَانِ والصَّليبِ ، ما صُنِع هذا الصوت إلا فى منزلنا وفى سِرْدابٍ لجدى ، ولقد كاد أن يأتى على نفس عمَّتى . فسألته عن الخبر فى ذلك فقال : حدثنى أبى أن عُبَيْد ابن سُرَيج قَدِم الحيرة ومعه ثلاثمائة دينار ، فأتى بها منزلنا فى وِلايةِ بِشْرِ بن مروان

---

(١) نقلهم : أطعمهم النقل .

(٢) المشنى : المكروه ، والكز : القبيح ، واليابس .

الـكوفة وقال: أنارجل من أهل الحجاز ، بلغنى طِيبُ الحِيرة وجَوْدة خمرها وحُسْن غنائك فى هذا الشعر :

حَنَتْنِى حانِياتُ الدهرِ حتَّى كأنى حابِلٌ يَدْنُو لِصَيد[1]
قريبُ الخَطْوِ يحسب من رآنى ولستُ مُقَيَّدًا أمشى بِقَيْدِ

فخرجت بهذه الدنانير لأنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف إلى منزلى . فسأله جدى عن اسمه ونسبه فغيّرهما وانتسب إلى ولاء بنى مخزوم[2] ، فأخذ جدى المال منه وقال : هذا مُوَفَّرٌ عليك ولك عندنا كلُّ ما يَحْتاجُ إليه مثلُك ، فابسُطِ المُقامَ[3] ، عندنا ، فإذا دعتك نفسُك [إلى بلدك] جهزناك إليه[4] ورددْنا إليك مالك ، وأخلفنا عليك ما أنفقته إلى أن جئتنا . وأسكنه دارا كان يتقرّب[5] فيها فمكث عندنا شهرَيْن لا يعلم جَدِّى ولا أحَدٌ من أهلنا أنه يُغَنِّى حتى انصرف جَدِّى من دارِ بِشر بن مروان فى يومٍ صائفٍ مع قِيامِ الظَّهِيرة ، فصار إلى باب الدار التى كان ابن سُرَيج يَنزل فيها ، فوجده مُغْلَقا ، فارتاب بذلك ودقَّ الباب فلم يفتَح له ولم يُجبه ، فصار إلى منزل الحُرَم فلم يجد فيها ابنته ولا جوارِيهَا ، ورأى البابَ الذى مابين دار الحُرم والدار التى كان أنزل ابن سُرَيج فيها مفتوحا ، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتل ابنته ، فلما دخل رأى ابنته وجوارِيهاَ وقوفا على باب السِّرداب وهُنَّ يُومِئْنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يلتفت إلى إشارتهن لِمَا تداخَله ، إلى أن سمع تَرَنُّمَ ابنِ سُرَيج بهذا الصوت ، فألقى سيفه وصاح به ـ وقد عرفه من غير أن

---

(١) فى الأغانى : كأنى خاتل .

(٢) فى الأغانى : وانتمى إلى بنى مخزوم .

(٣) فى الأغانى: ما نشطت للمقام .

(٤) فى الأصل : « دعتك نفسك جهزناك إليها » والزيادة من الأغانى .

(٥) فى الأغانى : ينفرد فيها .

يكون رآه قطّ ولكن بالحِذق والنَّعْتِ ـ : يا أبا يَحيى ، جُعِلت فداك ، أتيتنا بثلاثمائة دينار لتنفقها عندنا فى حيرتنا ، فَوالمسيح لا خرجت منها إلا ومعك ثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك . ثم دخل إليه ورحّب به وعانقه ، ولقيه بخلاف ما كان يلقاه ، وسأله عن هذا الصوت فأخبره أنه صاغه فى ذلك الوقت ، فصار به إلى بِشْر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم فى أول مرة ، ثم وصله بمثلها بعد ذلك ، فلما أراد الخروج ردَّ عليه جدى ماله ، وجهَّزه ووصله بمقدار نفقته التى أنفقها من مكة إلى الحيرة ، ورجع ابن سُرَيج إلى أهله وقد أخذ جميعُ من كان فى دارنا منه هذا الصوت .

قال عبد الله بن حُنَين الحيرىّ : كان المغنون فى عصر جَدِّى أربعة نفر : ثلاثةٌ بالحجاز : ابن سُرَيج والغَرِيض ومَعْبَد ، وهو وحْدَه بالعراق ، فبلغهم أن جَدِّى حُنينا غَنَّى فى هذا الشعر :

هلّا بَكَيْتَ على الشبابِ الذاهبِ وكَفَفْتَ عن ذَمِّ المشيبِ الآئبِ
هذا ورُبَّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتُهم[1] من خَمْرِ بابلَ لَذَّةً للشاربِ
بكروا علىَّ بِسُحْرَةٍ فصَبَحْتُهم من ذات كُوبٍ مثلِ قَعْبِ الحَالبِ
بزجاجةٍ ملءِ اليَدَيْنِ كأنها قنديلُ فِصْحٍ فى كنيسة راهبِ

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جَدِّى وقالوا : ما فى الدَّهْر[2] أهلُ صناعة شرٌّ منا لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نستزيره ، فكتبوا إليه ، ووجّهوا له نفقة ، وكتبوا له يقولون : نحن ثلاثة وأنت واحد ، فأنت أولى بزيارتنا . فشَخَص إليهم ، فلما كان على مَرْحلة من المدينة بلغهم خبرُه ، فخرجوا لتلقيه ، فلم يُرَ يومٌ كان

---

(١) المسوف : الصبور . وصبحه : سقاه الصبوح . وفى الأغانى : ورب مسوغين سقيتهم .
(٢) فى الأغانى : ما فى الدنيا .

أكثر جمعا ولا حَشْدا من يومئذٍ . ودخلوا ، فلما صاروا فى بعض الطريق قال لهم مَعْبَد : صِيرُوا إلىّ . فقال ابن سُريج . إن كان لك من الشرف والمروءة مالمولاتى سُكينةَ بنتِ الحسين عطفنا إليك . فقال : مالى من ذلك شىء ، فعدلوا إلى منزل سُكينة ، فأذنت للناس إذْنا عامًّا ، فغصَّت الدارُ بهم وصَعِدوا فوق السطوح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا . ثم سألوا جدى أن يغنيهم صوته :

* هلَّا بكيتَ على الشبابِ الذَّاهبِ *

فغنَّاهم إياه بعد أن قال لهم : ابدَءوا أنتم : فقالوا : ما كنا لنتقدمك ولا نغنى قبلك حتى نسمع هذا الصوت ، فغناهم إياه ، وكان من أحسن الناس صوتا ، فازدحم الناسُ على السطح وكثروا ليسمعوا ، فسقط الرُّوَاق على من تحته ، فسَلِمُوا جميعا وأُخرِجوا أَصِحَّاءَ وماتَ حُنَيْنٌ تحت الهدْم . فقالت سكينة : لقد كدَّر حُنينٌ علينا سُرورَنا ، انتظرناه مُدَّة طويلة كأنَّا كُنَّا نَسوقه إلى مَنِيَّتِه .

الحَكَمُ بن عَبْدَل (1)

هو الحَكَم بن عَبْدَل بن جَبَلة بن عمرو بن ثَعْلبة بن عِقَال بن بِلال بن سَعْد ابن حِبَال بن نَصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خَزيمة ، شاعر مجيد متقدّم فى طبقته ، هجّاء خبيث اللسان ، من شعراء الدولة الأموية أعرج أحدب ومنشؤه ومَنْزله الكوفة .

قال العُتْبِيّ ، كان الحكم الأسدى لا تفارقه العصا ، وتَرَكَ الوُقوفَ بأبواب الملوك ، وكان يَكتب حاجته على عصاه ويبعث بها مع رسوله فلا يُحْبَس له رسول ، ولا تُؤَخَّر له حاجة ، فقال فى ذلك يحيى بن نَوْفَل :

عَصَا حَكَمٍ فى الدار أوَّلُ دَاخلٍ ... ونحن على الأبواب نُقْصَى ونُحْجَبُ

وكانت عصا موسى لفرعونَ آيةً ... وهَـذِى لعمرُ الله أدهى وأعجبُ

تُطاعُ ولا تُعْصَى ويُحْذَر سُخْطُها ... ويُرْغَب فى المرضاةِ منها ويُرْهَب

فشاعت هذه الأبيات فى الكوفة ، وضحك منها الناس ، فكان ابنُ عبدل بعد ذلك يقول ليحيى : ياابن الزانية ، ماأردت من عصاى حتى صَيَّرْتَها ضحكة . واجتنب أن يكتب عليها كما كان يكتب ، وكاتب الناسَ فى حوائجه بالرِّقاع .

كان الحكم بن عبدل مُقْعَداً ، وله صديق أعمى يقال له أبو عُلَيَّة ، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل إخوانهما ، والحَكَم يُحْمَل وأبو عُلَيَّـة يُقاد فلقيهما صاحبُ العَسَسِ بالكوفة فحبسهما ، فلما استقرّا فى الحبس نظر الحكم إلى عصا أبى عُلَيَّة موضوعة إلى جانب عصاه ، فضحك وأنشأ يقول :

---

(1) الأغانى: دارالكتب ٢/٤٠٤ وانظر ص٤٠٢ ودارالثقافة ٢/٣٦٠ وانظر ص ٣٥٩ وبولاق ٢/١٤٩ والساسى ٢/١٤٤ والتجريد ٢٩٩ .

حَبْسى وحَبْسُ أَبى عُلَيَّـ ـــة من أَعاجيبِ الزمانِ
أعمى يُقـــاد ومُقعدٌ لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدانِ
هذا بـــلا بَصَرٍ هُنَا كَ وَبى يَخُبُّ الحاملانِ
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَـــلَا ةِ قَرِينَ حُوتٍ فى مكان
طِرْفى وطِرْف أَبى عُلَيَّـ ـــةَ دَهرَنا مَتَوافقـانِ
مَنْ يَفتخِرْ بِجِيـادِه(١) فجـــوَادُنا عُـكَّازتانِ
طِرْفَانِ لا عَلَفَاهُما يُشْرَى ولا يَتَصاوَلانِ
هَبْنِى وإِيَّاهُ الحَرِيـ ـقَ أكان يَسْطَع بالدُّخانِ

وكان اسمُ أبى عُلَيَّة يحيى ، فقال فيه الحكم :

أقول ليحيى ليـلة الحبْس سادراً ونومى بـــه نَوْمُ الأسير المقيدِ
أعنّى على رَعْى النجوم ولحْظها أُعِنْكَ عـلى تحبير شِعْرٍ مُنَضَّدِ(٢)
فَفى حالتينا عِـــبْرةٌ وتفكُّرٌ وأعجب شىء حَبْس أعمى ومقعدِ
كِلانا إذا العُـــكَّازُ فارقَ كَفَّه يُنِيخُ صَرِيعاً أوعلى الوَجْهِ يَسجُدُ(٣)
فَعُكَّازه تَهْدِى إلى السُّبْلِ أكْمَهاً وأُخرَى مَقامَ الرِّجْلِ قامتْ مع اليَدِ

كانت لابن عبدل الأسدى حاجةٌ إلى عبد الملك بن بِشر بن مروان ، فجعل يدخل إليه ولا يتهيأ له الكلام ، حتى جاءه رجل فقال : إنى رأيت لك رؤيا ، قال : هاتِها . فقصَّها عليه ، فقال ابنُ عبدل : وأنا أيضا قد رأيت ، قال : هات ما رأيت ، فقال :

---

(١) فى الأغانى : بجواده .
(٢) فى الأغانى : شعر مقصد .
(٣) فى هذا البيت إقواء .

أَغفيتُ قبلَ الصبح نَوْمَ مُسَهَّدٍ   في ساعةٍ ما كنت قَبلُ أنامُها

فضحك وقال: فمَه[1] . فقال :

فحَبوْتَني فيما أَرى بوَليدةٍ   مَغنوجةٍ حَسَنٍ عليَّ قيامُها

فقال : قد فَعَلْت . فقال[2] :

وبِبَدْرَةٍ حُمِلَتْ إليَّ وبَغْلَةٍ   شهباءَ ناجيةٍ يَصِلُّ لِجامُها

ليتَ المنابرَ ياابنَ بِشْرٍ أصبحت   تُرْقَى وأنت خطيبُها وإمامُها

فقال له ابن بشر : إذا رأيتَ هذا فى اليقظة تعرفه ؟ قال : نعم ، وإنما رأيتُه قبل الفجر[3] ، فقال : يا غلام ، ادع فلانا ، فجاء بوكيله ، فقال : هاتِ فلانة ، فجاءت ، فقال : أين هذه مما رأيت ؟ قال : هى هى ، وإلا فعليه وعليه . ثم دعا بِبَدْرة ، فقال مثل ذلك . وببغلة ، فركبها وخرج ، فلقيه قَهرمانُ[4] عبد الملك فقال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بستمائة ، قال : هى لك ، فأعطاه ثم قال له : أمَا والله لو أبيت إلا الألفَ لأعطيتك . قال : إيَّاى تُنَدِّم ؟ والله لو أبيتَ إلا بستةٍ لبعتك .

تولى على بعض كُوَرِ السَّواد عاملٌ يقال له محمد بن حسَّان بن سعد التميمى ، فسأله ابنُ عَبْدل حاجةً ، فرده عنها فهجاه . وخطب محمد بنُ حسَّان هذا امرأةً من ولد قيس بن عاصم وهى مُعاذة بنت مُقاتل بن طُلْبة بن قيس ، فزوجه إيَّاها رجل منهم يقال له زياد ، فقال ابن عَبْدل فى ذلك يهجوه :

بَاعَ زيادٌ سَوَّدَ اللهُ وَجْهه[5]   عقيلة قوم سادةٍ بالدراهم

---

(١) فه : تكون اختصار: فما هى أوفماذا . والهاء للسكت . هذا، والجملة ليست فى الأغانى.

(٢) الجملة ليست فى الأغانى .

(٣) فى الأغانى : قبيل الصبح .

(٤) القهرمان : الوكيل .

(٥) فى البيت خرم . وفى الأغانى : أباع .

وما كان حسَّان بن سعد ولا ابنه … أبو المسك من أكفاء قيس بن عاصمِ
ولكنه ردّ الزمانَ على استِه … وضيَّعَ أمرَ المحصناتِ الكرائم
خذى دية منه تكن لك عنده[1] … وجيئى إلى باب الأمير وخاصمى
فلو كنتِ فى رَوْحٍ لما قلتُ خاصمى … ولكنَّما أُلْقِيتِ فى سِجْنِ عارِم[2]

فلما بلغ أهلَها شعرُه أنِفُوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسَّان حتى فارقها .

سمع ابنُ عبدل الأسدىُّ امرأةً تَمَشَّى بالبَلاط وتتمثل :

وأُعسِر أحياناً فتشتدُّ عُسرَتى … وأُدْرِكُ مَيسورَ الغِنَى ومعى عِرْضِى

فقال لها ابنُ عبدل : يا أُخَيَّة ، أتعرفين قائل هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن عَبْدَل ، قال: أفَتُثْبِتينه معرفةً ؟ قالت : لا ، قال : أنا هو ، وأنا الذى يقول أيضا :

وأنعِظ أحيانا فينقدُّ جِلدُه … وأعذِلُه جُهْدِى فلا يَنْفَعُ العَذْلُ
ويزداد إنعاظا إذَا أبْصر جارتى[3] … فأوثقه كيما يثوبَ له عَقْلُ
ورُبَّتَما لم أدر ما حِيلتى له … إذا هو آذانى وعَىَّ به الجَهْلُ[4]
فأُوقِبُه فى بطن جارِى وجارَتى … مكابِرَةً قُدْماً وإن رَغِم الفَحْلُ[5]

فقالت : بئس والله الجارُ أنت للمُغيبة . قال : إى واللهِ وللتى معها زوجها وابنها.

قَدِم الحَكَمُ بن عبدل واسطَ على ابن هُبيرة ، وكان بخيلا ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال :

---

(١) فى الأغانى : عدة .

(٢) «سجن» عارم قال عنه ياقوت : أظنه بالطائف .

(٣) فى الأغانى . وأزداد نعظا حين أبصر جارتى .

(٤) فى الأغانى : وغربه الجهل .

(٥) أوقبه: أدخله. وقدما: إقداما. وسكنت الدال للضرورة . وفى الأغانى : فآويته فى بطن... البعل .

أتيتُـكَ فى أمرٍ مِنْ أمْرِ عشيرتى   وأَعْيَا الأُمورِ المُفْظِعات جَسيمُها
فإن قلت لى فى حاجتى أنا فاعــلٌ   فقــد ثَلِجَتْ نفسى وولَّت هُمومُها

فقال : أنا فاعل إن اقتصدت فما حاجتُك ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، قال نحن مُناصِفُوكها . قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف علىَّ التُّخَمَة إن أتممْتَها . قال : أكره أن أُعوِّد الناس هذه العادة . قال : فأعطنى جميعها سِرًّا وامنعنى جميعها ظاهرا حتى تُعَوِّد الناس المنع ، وإلا فالضرر واقع عليك إن بذلت لهم نصف ما يطلبون(١) . فضحك ابن هبيرة وقال : ما عندنا إلا ما بذلنا لك ، فجثا بين يديه وقال : امرأته طالق إن أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف درهم وأنصرف ، أو أنصرفُ وأنا غضبان ، قال : أعطوه إياها ، قبحه الله ، فإنه ـ ماعلمتُ ـ حلّاف مَهِين . فأخذها وانصرف .

ولما وقع الطاعون بالكوفة فَنِى بنو غاضرة ، ومات بنو زِرّ بن حُبَيش الغاضرىّ صاحبِ أمـير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام وكانوا ظرفاء وبنى عَمّ ، فقال الحكَمُ بنُ عبدلٍ الغاضرىُّ يرثيهم:

أَبَعْدَ بنى زِرٍّ وبعــدَ ابنِ جَنْـدَلٍ   وعَمْرٍو أُرَجِّى لذّةَ العَيْشِ فى خَفْضِ
مَضَوْا وبَقِينا نَأْمُل العيشَ بعدَهم   أَلَا إنَّ من يبقى على إثْرِ مَنْ يمضِى
فقد كان حَـوْلى من جِيادٍ وسَالمٍ   كهولٌ مساعـيرٌ وكلٌّ فَـتًى بَضٌّ
يرى الشُّحَّ عاراً والسماحةَ رِفعـةً   أغرُّ كعُودِ البانةِ النّاعِمِ الغَضِّ

جاء الحكَمُ بن عبدل إلى محمد بن حسان بن سعد وكان على خَراج الكوفة ، فكلمه فى رجل من العرب أن يضع عنه من خَرَاجه ثلاثين درهما ، فقال : أماتنى الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئا ، فانصرف ابنُ عبدل وهو يقول من أبيات :

---

(١) فى الأغانى : إن عودتهم نصف ما يطلبون .

دَعِ الثلاثين لا تَعرِض لصاحبها ... لا باركَ اللهُ فى تلك الثــلاثينا[١]
أَحسِنْ فإنك قد أُعطِيت مَملــكةً ... إمارةً صرتَ فيها اليــوم مَفتونا
لا يُعْطِكَ اللهُ خــيرا مثلَها أبدا ... أقسمتُ باللهِ إلّا قلتَ آمينـــا

فلم يصنع شيئا مما على الرجل فقال[٢] :

رأيتُ محمــداً شَرِهاً ظَلومــا ... وكنتُ أراه ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقول أماتنى ربّى خِــــداعاً ... أمــاتَ اللهُ حسَّانَ بن سَعْدِ
رَكِبْتُ إليه فى رجــلٍ أتانى ... كريمٍ يَبتغى المعروفَ عِنْدى
فقلتُ له وبعضُ القولِ نُصْحٌ ... ومنه ما أُسِرُّ لــــه وأُبْدِى
تَــوَقَّ دَراهِمَ البكرىِّ إنى ... أخاف عليــك عاقبَةَ التَّعَدِّى
أُقرِّب كُلَّ آصِرَةٍ لأَدْنُو[٣] ... فمــا يَزداد منى غــير بُعْدِ
فأُقْــسِم غــير مُسْتَثْنٍ يَميناً ... أبا بَحْرٍ لتَتَّخِمَــنَّ رَدِّى[٤]
فمــا صادفتَ فى قَحطانَ مِثْلى ... ولا صادفتُ مِثلَك فى مَعَــدِّ
أقلَّ براعــةً وأشدَّ بُخْــلًا ... وألأَمَ عنــد مسألةٍ وحَمْــدِ
ولو كُنتَ المهذَّبَ من تَميمٍ ... لَخِفتَ مَلامتى ورَجَوْتَ حَمْدِى
نَــكَهْتَ علىَّ نَــكْهَةَ أَخْدَرىٍّ ... شَتِيمٍ أعْصَلِ الأنياب وَرْدِ[٥]
فإنْ أَهدَيْتَ لى من فِيكَ حَتْفاً ... فإنى كالذى أهدَيْتَ أُهدِى

(١) بعده فى الأغانى بيت .

(٢) رواها أبو الفرج مرتين وفيها عنده زيادة .

(٣) فى الأغانى : ليدنو

(٤) فى الأصل: أبابحر. وصوبت من الأغانى، ومن المعنى الآتى فى قوله : نكهت على نكهة أخدرى .

(٥) الأخدرى : يراد به هنا الأسد كأنه من خادر ومخدر . والشتيم : العابس ، وأعصل الأنياب: معوجها. والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة.

وما زال ابنُ عبدلٍ يزيدُ قصيدته هذه الدالية حتى مات ، وهى طويلة جدًّا ، واشتهرت حتى كان المُكارِى يسوق بغله أو حماره فيقول له : عَدْ[١] .

* أمات الله حسَّان بن سَعْدِ *

فإذا سمع ذلك حسان أبو محمدٍ قال : بل أمات الله محمدا فهو عرضنى لهذا البلاء فى ثلاثين درهما .

دعا أبو المهاجرِ الحكمَ بنَ عبدل فشرب عنده ، وله جارية تغنى ، فغنت ، فقال ابنُ عَبدل :

أأَبا المُهاجرِ قد أردْتَ كرامتى[٢] فأَهنْتنى وضَررتنى لو تعلمُ
عندَ التى لو مَسَّ جِلْدى جِلْدها يوماً بَقِيتُ مُخلَّداً لا أَهْرَمُ
أوْ كنْتُ فى أَحْمَى جَهنَّمَ مُقْعَداً فرأيتُها بَرَدَتْ عَلَىَّ جَهنَّمُ

فجعل أبو المهاجر يضحك ويقول : ويحك ، والله لو كان إليها سبيل لوهبتها لك ، ولكن لها منى ولد .

كان عمر بن زيد الأسدى مُبَخَّلا ، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له ، فكان يُعَيَّر بذلك ، فجاءه الحكم بن عبدل ومعه جماعة ، فدخل عليه بهم وهو يأكل تمرا فلم يدعهم ، وذكروا له حاجتهم فلم يقضها ، فقال ابنُ عبدل :

جِئْنا وبين يديه التَّمْرُ فى طَبَقٍ فما دعانا أبو حَفْصٍ ولا كادا
عَلَا على جِسمه ثوبانِ من دَنَسٍ لُؤْمٌ وكُفرٌ ولولا أَيرُه سادا[٣]

وكان عمر هذا على شُرطة الحجاج ، وأصابه قُولنج فحقنه الطبيبُ بدُهن كثير ،

---

(١) عد : كلمة تقولها العامة زجرا للبغال بدل عدس .
(٢) فى الأغانى : يا أبا المهاجر .
(٣) فى الأغانى : لؤم وجبن .

فانحلّ مافى بطنه فى الطَّست ، فقال للغلام : ما تصنع به ؟ قال : أصبه فى المُستراح ، قال : لا ولكن خلِّص منه[1] الدُّهن فاسْتَصْبِح به .

كانت امرأة مُوسِرة بالكوفة لها على الناس ديون بالسَّواد ، فاستعانت بابن عبدل فى دينها وقالت : أنا امرأة ليس لى زوج ، وجعلت تُعَرِّضُ بأنها تتزوجه ، فقام ابنُ عبدل فى دينها حتى اقتضاه ، فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه :

سيُخْطِيك الذى حاوَلْت مِنِّى ... فقطِّع حَبْل وَصْلِك من حِبالى
كما أخطاكَ معروفُ ابنِ بِشْرٍ ... وكنتَ تَعُدُّ ذلك رأْسَ مالِ

وكان ابنُ عبدلٍ أتى ابنَ بشرٍ بالكوفة وسأله فقال : أيما أحب إليك خمسمائة العامَ أم ألف فى قابل ؟ فقال : ألف فى قابل ، فلما أتاه فى القابل قال : ألف أحب إليك العامَ أم ألفان فى قابل ؟ فقال : ألفان فلم يزل ذلك رأيَه حتى مات بشر وما أعطاه شيئا .

دخل ابنُ عبدل على عبد الملك بن [بشر بن][2] مروان فقال : ما أحدثت بعدى ؟ فقال : خطبت امرأة من قومى ، فردَّت علىَّ جوابَ رسالتى ببيتين من الشعر ، فقال : ما هما ؟ قال : قالت :

* سيُخطِيك الذى حاولت منى *

وأنشده البيتين ، فضحك عبد الملك وقال : أجَدْتَ فيما أذكَرْتَ به نفسك[3] . وأمر له بألفى درهم .

---

(١) فى الأغانى : ميز منه .
(٢) زيادة من الاغانى .
(٣) فى الأغانى : أذكرت بنفسك .

لما أراد عمرُ بن هُبيرة أن يُغزِى الحَكَمَ بنَ عبدلٍ الغاضرىَّ فاعتلَّ بالزَّمَانة ، فحُمل وأُلقى بين يديه ، فجرَّده فإذا هو أعرج مفلوج فوضع عنه الغَزْوَ وضمَّه إليه ، وشَخَص به معه إلى واسط . فقال الحكم :

لعمرى لقد جرَّدْتَنى فوجدْتَنى ... كثيرَ العيوبِ سَيِّءَ المُتَجَرَّدِ
فأعفيتنى لمَّا رأيتَ زَمَانتِى ... وَوُفِّقْتَ منى للقضاء المُسدَّدِ
ولستُ بذى شَيْخَيْنِ يَلْتَزِمانِهِ ... ولكنْ بتيمٍ ساقطُ الرِّجْلِ واليَدِ

فلما صار عمر إلى واسط شكا إليه الحَكَمُ الضَّبْعَةَ(١) فوهب له جارية من جواريه ، فواثبها ليلةَ صارَتْ إليه ، فنكحها تسعة أو عشرة ، فلما أصبحت قالت له : جُعِلت فِداك ، من أى الناس أنت ؟ قال : امرؤٌ من أهل الشام . قالت : بهذا العمل نُصِرْتم . وكان الحجاج قد ضرب البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جُرِّد فتضمه إليها وتقول له : بُنَيِّي بُنَيِّي(٢) جَزَعا عليه فسمى ذلك الجيش جيشَ بُنَيِّي . وأحضر الحكم ابنُ عبدل فجُرِّد فوُجد أعرج فأعفى [فقال فى ذلك : لعمرى لقد جرَّدتنى فوجدتنى](٣) .

كان الحكم بن عبدل مُنقطعا إلى بشر بن مروان ، وكان يأنس به ويحبه ويستطيبه ، فأخرجه معه إلى البصرة لمَّا وليها ، فلما مات بشرٌ جزع عليه الحكمُ وقال يرثيه :

أصبحت جَمَّ بلابلِ الصَّدْرِ ... مُتعجِّباً لتصرُّفِ الدَّهرِ
ما زلتُ أطلب فى البلاد فَتًى ... ليكون لى ذُخْراً من الذُّخْرِ

(١) الضبعة : شدة شهوة الفحل . وفى المختار وبعض أصول الأغانى : الضيقة .
(٢) فى الأغانى : وتقول له بأبى جزعا عليه . . جيش بأبى .
(٣) زيادة من الأغانى كأنها رواية أخرى للشعر السابق .

ويكون يُسعِدنى وأُسعده ... فى كلّ نائبةٍ من الأَمْرِ
حتى إذا ظفرت يدَاىَ به ... جاء القضاء لحَيْنِه يَجْرِى
إنّى لفى همٍّ يُباكرُنى ... مِنْه وهَمٍّ طارقٍ يسرى
فلأَصبرنَّ وما رأيتُ دوًا ... للهمِّ مثلَ عَزيمةِ الصَّبْرِ
والله ما استعظمتُ فُرْقتَه ... حتّى أحاط بفضْله خُبْرِى

خرج يزيدُ بنُ عمر بن هُبيرة يسير بالكوفة ، فانتهى إلى مسجد بنى غاضرة وقد أقيمت الصلاة ، فبدأ فصلّى ، واجتمع الناس لمكانه فى الطريق، وأشرف النساء من السطوح ، فلما قضى صلاته قال : لمن هذا المسجد ؟ قالوا: لبنى غاضرة ، فتمثل بقول الشاعر :

ما إنْ ترَكْنَ من الغَواضِر مُعْصِراً ... إلّا نَطَمْنَ بساقِها خَلْخالا[1]

فقالت له امرأة من المُشْرِفات :

ولقد عَطَفْن على فَزارةَ عَطْفةً ... كَرَّ المَنيحِ وَجُلْنَ ثَمَّ مَجالاَ[2]

فقال يزيد : من هذه المرأة ؟ فقالوا : بنت الحكم بن عبدل . فقال : هل تلد الحيَّةُ إلّا حيَّةً . وانصرف خجلا .

وكان ابنُ عبدل من أطيب الناس وأملحهم . فلقيه صاحبُ العسس ليلة وهو سكران محمول فى مِحَفَّة ، فقال له : من أنت ؟ فقال له : يا بغيض يابارد ، أنت أعرفُ بى من أن تسألنى من أنا . فاذهبْ إلى شغلك فإنك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل إلى السَّرَق محمولين فى محفة ، فضحك وانصرف .

(١) فى الأغانى : فصمن بساقها .

(٢) المنيح : فرس كان لقيس بن مسعود الشيبانى .

كانت للحكم جاريةُ سوداء ، وكان يميل إليها ، فوُلد له ابنٌ أسود ، وكان من أعْرَم[١] الصِّبيان وقال فيه:

يا رُبَّ خالٍ لك مُسْوَدِّ القَفَـا لا يَشتكى من رِجْله مَسَّ الحَفَا

كأن عينَيْـه إذا تَشَوَّفـاَ عينا غُرابٍ فوق نِيقٍ أَشْرَفا[٢]

اجتمع الشعراء إلى الحجاج بن يوسف وفيهم ابن عبدل ، فقالوا : إنما شعرُ ابن عبدلٍ كلّه هجاء ، وشعر سخيف . فقال : قد سمعتَ قولَهم فاسمع الآن مِنّى. قال : هاتِ ، فأنشده قوله :

وإنى لأستغنى فما أَبْطَرِ الغِنَى
وأَعرِض مَيْسورى لمن يبتغى عَرْضى[٣]
وأُعْسِرُ أحياناً فَتَشْتدُّ عُسْرَتى
وأُدْرِكُ ميسور الغِنَى ومعى عِرْضى
ولستُ بذى وَجهين فيمن عَرفتُه
ولا البخلُ فاعلَمْ من سَمائى ولا أَرْضى

فقال له الحجاج : أحسنت ، وفضَّله عليهم فى الجائزة بألف درهم .

---

(١) أعرم : به أخبث .
(٢) النيق : أرفع موضع فى الجبل .
(٣) فى الأغانى : لمن يبتغى قرضى .

حُرثان ذو الإصبع[1]

هو حُرثان بن الحارث بن مُحَرِّث بن ثعلبة بن ثياب[2] بن رَبيعة بن هُبيرة بن ثَعلبة ابن ظَرِب بن عمرو بن عَباد بن يَشْكر بن عَدْوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عَيْلان ابن مُضر بن نزار . أحد بنى عَدْوَان ، بَطْن من جَدِيلة ، شاعر فارس من قدماء شعراء الجاهلية ، وله غارات كثيرة فى العرب ووقائع مشهورة .

قال الأصمعىُّ : نزلتْ عَدوانُ على ماء فأحْصَوْا فيهم سَبعين ألف غلام أغْرَل[3] سوى من كان مختونا ، لكثرة عددهم . ثم وقع بأسهم بينهم فتفانَوْا ، فقال ذو الإصبع[4] :

عَذِيرَ الحىِّ مِنْ عَــدوا ... نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ
بَغَــى بعضُهم بعْضــاً ... فلم يُبْقُوا عــلى البَعْضِ[5]
فقد صــاروا أحــاديثَ ... برَفْـعِ القَوْلِ والخَفْضِ
وليس الأمر فى شَىْءٍ ... من الإبرام والنَّقْضِ
إذا أبْرَم أمْــرًا خــا ... لَهُ يَقْضِى ولا يَقْضِى
يقولُ اليومَ أُمْضِيــه ... ولا يَمْــلك ما يُمْضِى
ومنهــمْ كانت السَّــادَا ... تُ والمُوفُون بالقَرْضِ

---

(١) الأغانى: دار الكتب ٣/٨٩ وانظر ص٨٨ ودار الثقافة ٣/٨٥ وانظر ص٨٤ وبولاق ٣/٢ والساسى ٣/٢ والتجريد ٣٥٣ .

(٢) فى الأغانى : سيار . وفى الخزانة ٢/٤٠٨ : شبابة .

(٣) فسرت بالهامش: أى أقلف.

(٤) ذكرها أبو الفرج فى مواضع ثلاثة باختلاف فى ترتيبها .

(٥) فى الأغانى : على بعض .

ومنهمْ من يجيز النـــا ... سَ بالسُّنَّـــةِ والفَرْضِ
ومنهــم حَــكمٌ يَقْضِي ... فلا يُنْقَض مـــا يَقْـضِي
وهُمْ من ولدوا عـــامِـ ... ـرَ ذا الطُّول وذا العَرْضِ
وهم كانوا بِــلا كِذْبٍ[١] ... ذَوِى القُوَّةِ والنَّهْـــضِ
وهم من وَلَدُوا أَشْبَوْا[٢] ... بِسِرِّ الحَسَبِ المَحْضِ

منها:

وكان النـــاس إذ هَمُّوا ... لِسيرٍ خاشـــعٍ مُغْضِى
تَنَادَوْا ثم ساروا بِـــ ... ـرَئيسٍ لهم مَرْضِى[٣]
فَمَن ساجَلَهمْ حَرْباً ... فَفِى الخَيبـةِ والخَفْـــضِ
معـــالِى لم يَنَلْهـــا النـــا ... سُ فى بَسْطٍ ولا قَبْضِ

قوله: « ومنهم حكم يقضى » يعنى عامِرَ بن الظَّرِب العَدْوانىَّ ، وهو الذى كانت العرب تحتكم إليه ، ولما كبر كانت العصا تُقْرَع له ، فقال له الثانى[٤] من ولده: إنك ربما أخطأت فى الحُكْم فيُحْمَل عنك . قال : فاجعلوا لى أمارةً أعرفها إذا زُغْت فسمعتُها رجعت إلى الحكم بالصواب . فكان يجلس قُدَّام بيته ويقعد ابنه فى البيت ومَعَه العصا ، فإذا زلَّ أوهفا قرع له الجَفْنَة بالعصا فرجع إلى الصواب ، وفى ذلك يقول المُتَلَمِّسُ :

لِذِى الحِلْمِ قبلَ اليوم ما تُقْرَعُ العصا ... وما عُلِّم الإنسانُ إلَّا لِيعْلَمَا

---

(١) فى الأغانى : فلا تكذب .
(٢) كذا فى الأغانى وأشبى فلان : إذا ولد له ولد كيس . وفى الأصول : «أسنوا» .
(٣) ضبط فى الأغانى « بضم الميم » وما أثبت عن ضبط «ك» .
(٤) تعبير الأغانى وهو أحسن : وهو الذى كانت العصا تقرع له وكان قد كبر فقال له الثانى .

ورَبيعةُ تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام واليمن تدّعيه لربيعة ابن مُخَاشِن وهو ذو الأعواد . وهو أول من جلس على مِنْبَرٍ أو سريرٍ وتكلّم . وفيه يقول الأسود بن يَعْفُر :

ولقد عَلِمْتُ لوَ أنَّ عِلْمِيَ نافعٌ　　أن السبيلَ سبيلُ ذِي الأَعوادِ

وقوله : « ومنهم من يجيز الناس » . فإن إجازةَ الناس كانت لُخزاعة فأخذتْها منهم عَدْوانُ وصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سَيَّارَةَ أحد بنى وابش[1] بن زَيْد ابن عَدْوَان ، وفيه يقول الراجز :

خلُّوا السبيلَ عن أَبي سَيَّارَهْ　　وعن مَوَالِيه بنى فزَارَهْ

حتى يُجيزَ سالِمًا حِمَارَهْ　　مُستقبِلَ الكعبةِ يَدْعُو جارَهْ

وكان أبو سيَّارَةَ يُجيز الناسَ فى الحَجّ ، بأن يتقدمهم على حمار ثم يخطبهم فيقول: اللهم أصلحْ بين نسائنا وعادِلْ[2] بين رعائنا واجعل المال من سُمَحائنا . أوْفُوا بعهدكم، وأكرموا جاركم واقرُوا ضيفكم. ثم يقول: أشرِق ثَبير كيما نغير[3]. فكانت هذه إجازته ، ثم يتقدم[4] ويتبعه الناس .

لما قدِم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس يَعْرِض أحياء العرب ، فقام إليه مَعْبَد بن خالدٍ الجندليّ وكان قصيرا دميما ، فتقدَّمَ رجل حَسنُ الهيئة . قال معبدٌ : فنظر عبد الملك إلى الرجل فقال : ممن أنت ؟ فسكت وكان منا، فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيلة فأقبل على الرجل وتركنى

(١) فى الأصل : فامس. والتصويب من الأغانى ، وشرح القاموس مادة وبش .
(٢) فى الأغانى : وعاد .
(٣) ثبير: جبل بمكة . وأشرق : ادخل فى الشروق. وكيما نغير : أى كيما نسرع للنحر .
(٤) فى الأغانى : ثم ينفر .

فقال : مِن أيّكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدرى . قلت : كان عَدْوَانِيًّا . فأقبل على الرجل وتركنى وقال : لِمَ سُمِّىَ ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدرى ، فقلت من خلفه : نهشتْه حيَّةٌ فى إصبعه فيبست ، فأقبل على الرجل وتركنى وقال : وبِمَ كان يُسمَّى قبل ذلك ؟ فقال الرجل : لا أدرى ، فقلت من خلفه : كان يسمى حُرْثان . فأقبل على الرجل وتركنى وقال : من أى عَدْوَان كان ؟ قال : لا أدرى . قلت من خلفه : من بنى ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر :

وأمّا بنو نَاجٍ فلا تَذْكُرَنَّهمْ ... ولا تُتْبِعَنْ عينيك مَنْ كان هالكا
إذا قلتُ معروفا لأُصلِح بينهمْ ... تقول مُرَيْنٌ لا أُسَلِّم ذلكا(١)
فأضحى كظَهْرِ الفحلِ جُبَّ سنامُه ... تَحوم عليه الطيرُ أحدَبَ باركا(٢)
فإن تكُ عَدْوَانُ بنُ عمرٍو تفرّقتْ ... فقد غَنِيَتْ دَهْرًا مُلوكا هُنالكا

فأقبل على الرجل وتركنى وقال : أنشدنى قوله :

عَذِيرَ الحىِّ من عَدْوَا ... نَ كانوا حَيَّةَ الأرض(٣)

قال الرجل : لست أرويها . قلت : يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتكها . قال : ادنُ منى ، أراك بقومك عالما . فأنشدته القصيدة ، فأقبل على الرجل وتركنى فقال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفان . فأقبل علىّ فقال : كم عطاؤك ؟ قلت : خمسمائة . فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا . فانصرفت بها .

كان لذى الإصبع أربع بنات وكن يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهن فيستحيين فلا يزوجهن ، وكانت أمُّهنّ تقول له : زوِّجْهن(٤) ، فلا يفعل ، فخرج ليلة

---

(١) فى الأغانى: تقول وهيب.
(٢) فى الأغانى : يدب إلى الأعداء أحدب باركا .
(٣) لم يذكر هذا البيت فى الأغانى فى ترجمة ذى الإصبع .
(٤) فى الأغانى : تقول: لو زوجتهن .

إلى مُتحدَّثٍ لهنّ فاستمع عليهن وهن لا يعلمن ، فقلن : تعالَيْن نتمنَّى ولنَصْدُق في أمانِيّنا . فقالت الكبرى :

ألاَ ليت زوجي من أُناسٍ ذَوِي غِنًى حَديثُ الشبابِ طيِّبُ الريحِ والعِطْرِ
طبيبٌ بأدواءِ النساءِ كأنَّه خَليفةُ جانٍ لا يَنامُ على هُجْرِ[1]

فقلن لها : أنت تُحبين رجلا ليس من قومك . فقالت الثانية :

ألاَ هَلْ أراها مرَّةً وضَجِيعُها أشمُّ كنَصْلِ السيفِ غير مُهَنَّدِ[2]
لَصوقٌ بأكبادِ النساءِ وأصلُه إذا ما انتمى من سِرِّ أَهْلِي ومَحْتِدِي

فقلن لها : أنت تحبين رجلا من قومك. فقالت الثالثة :

ألا ليته يَمْلأَ الجِفانَ وليته له جَفْنَةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ
به مُحْكَماتُ الشَّيْبِ من غير كَبْرَةٍ ولا هو بالفاني ولا الضَّرِعُ الغُمْرُ[3]

فقلن لها: أنت تحبين رجلا شريفاً . وقُلن للصغرى: تَمَنَّيْ . فقالت: والله ما أُريد شيئا . قلن : والله ما تبرحين حتى نَعلمَ ما في نفسك . فقالت: زوجٌ من عُودٍ خيرٌ من قعود . فلما سمع أبوهن ذلك زوَّجهن أربعتَهن . ثم مكث[4] برهة ثم اجتمعن عنده ، فقال للكبرى : يا بنية ما مَالُكم ؟ قالت : الإبل . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لحومها ، مِزَعا ، ونشرب ألبانها جُرَعا ، وتحملنا وضعيفنا معا. قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج ، يُكرِم الحليلة ، ويُعْطِي الوَسيلة[5] . قال : مالٌ عَمِيم ، وزَوجٌ كريم . ثم قال للثانية : يا بُنَيَّة ، ما ما لكم ؟

---

(١) في الأغاني : على وتر .
(٢) في الأغاني : غير مبلد .
(٣) روايته في الأغاني :
له محكمات الدهر من غير كبرة تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر
(٤) في الأغاني : فمكثن .
(٥) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير .

قالت : البقر ، قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، تألف الفِناء ، وتُودِّك السِّقاء[١] ، وتملأ الإناء ونساء مع نساء . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت خير زوج ، يُكرِم أهله ، وينسى فضله . قال : حَظِيت ورَغِيت . ثم قال للثالثة : يابُنَيَّة ، ما مالكم ؟ قالت : المِعْزَى ، قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها ، نُولِدها بَهَماً[٢] ، ونَسلخها أَدَماً ، قال : فكيف تجدين زوجك؟ قالت : لا بأس به ، ليس بالبخيل الخَتِر[٣] ، ولا بالسمح البَذِر . قال : جَدْوَى مُغْنية ، مالٌ مُوَيل ، ورَجُل رُجَيل[٤] ثم قال للرابعة : يا بُنَيَّة ، ما مالكم ؟ قالت : الضأن . قال : كيف تجدونها ؟ قالت : شرُّ مال : جُوفٌ لا يَشبعن ، وهِيمٌ لا يَنقَعْن . وصمٌّ لا يسمعن ، وأَمْرَ مُغْوِيتِهنَّ يَتْبَعن . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرُّ زوج ، يُكرِم نفسه ويُهين عِرْسه . قال : أشبهَ امرأً بعضُ بَزِّه .

وعُمِّر ذو الإصبع طويلا حتى خَرِف ، فكان يُفرق ماله فعذله أصهارُه وأخذوا على يده ، فقال من أبيات[٥] :

أهلَكنا الليلُ والنهارُ مَعاَ   والدَّهْرُ يَعْدُو مُصَمِّماً جَذَعاَ

فليس فيما أصابني عَجَبٌ   إن كنتُ شَيْباًأنكرْتُ أوصَلَعاَ

ولما احْتُضِر ذو الإصبع دعا ابنه أُسَيْداً فقال : يا بُنَيَّ ، إن أباك قد فَنِيَ وهو حَيّ ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني مُوصيك بما إن حفظتَه بلغتَ في قومك ما بلغتُه . فاحفَظْ عني : أَلِنْ جانبك لقومك يُحبُّوك . وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وَجْهَك

(١) تودكه : تجعل فيه الودك وهو السمن .
(٢) البهم : أولاد الغنم . والأدم جمع أديم وهو الجلد . وفي الأغاني : نولدها فطما .
(٣) الختر : الذي يأخذه استرخاء كالخدر . وفي الأغاني : الحكر .
(٤) « مال مويل ورجل رجيل » ليست في الأغاني .
(٥) هي في الأغاني طويلة .

يطيعوك ، ولا تستأْثرْ عليهم بشيء يُسَوِّدوكَ ، وأكرم صغارهم كما تكرمُ كِبارهم يُكرمْك كِبارُهُم ويَكبرْ على مودّتِك صِغارُهم ، واسمحْ بمالك ، واحمِ حَريمَك ، وأعْزِزْ جارَكَ ، وأعِنْ من استعان بك ، وأكرِمْ ضيفك ، وأسرِع النَّهضةَ في الصَّريخ . فإن لك أجَلًا لا يَعْدُوك ، وصُنْ وجهك عن مَسألةِ أحدٍ شيئًا ، فبذلك يتمُّ سُؤْدَدُكَ . ثم أنشأ يقول :

أأسَيْـدُ إمـا تنعمَـنْ[1] فسِرْ به سَيْراً جميلَا
آخِ الكرامَ إذا استطعْتَ إلى إخائِهِمُ سَبيلا
واشربْ بكأسِهِمُ وإنْ شربوا بـه السَّمَّ الثَّميلَا[2]
أهِنِ اللئامَ ولا تكُنْ لإخائهمْ جَمَلًا ذَلُولَا
إن الكرام إذا تواخيهم تجـد لهمْ قبولا
ودَعِ الذى يَعِدُ العَشيرَةَ أن يَسيلَ ولا يَسيلَا
أبُنَيَّ إن المال لا يَبْكي إذا فقدَ البَخيلا
أأسيدُ إن أزمعتَ من بَلدٍ إلى بلد رَحيلا
فاحْفَظ إذا شَحَط المَزَارُ أخا أخيك أو النزيلا
واركَبْ بنفسك إن هممْتَ بها الحزونةَ والسّهولا
وصِلِ الكرامَ وكن لمن ترجـو مودّته وَصُولَا
ودَعِ التَّوانِيَ في الأمورِ وكُنْ لها سَلِساً ذَلولَا
وابسُطْ يمينك بالنَّدَى وامدُدْ له باعاً طَوِيلَا
وابسط يديك بما ملكْتَ وشَيِّدِ الحسَبَ الأثيلَا

---

(١) في الأغاني : أأسيد إن مالا ملكت فسر به

(٢) هو من الثمال والثميل: وهو السم المنقع .

واعْـزِم إذا حاولت أمـ ـراً يَفرَج الهمَّ الدَّخيـلا
وابذُل لضيفك ذات رحْـ ـلِك مُـكرِماً حتى يزولا
واحلُلْ على الأيْفَاع لِلْـ ـعافينَ واجتَنِبِ المَسِيلَا
وإذا القرومُ تخـاطَرَتْ يوما وأرْعَدَت الخَصِيلَا[1]
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث يخْـ ـضِبُ من فريسته التَّلِيلَا[2]
وانزِلْ إلى الهَيْجَا إذا أبطالُها كَرِهُوا النُّزولَا
وإذا دُعِيتَ إلى المُهِـ ـمِّ فكُنْ لفادحِه حَمُولَا

وكان سببَ تفرُّق عدْوان وقتال بعضهم بعضا حتى تفانَوْا أن بنى ناجٍ بن يشكر ابن عَدْوان أغاروا على بنى عوف بن سَعْد بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ، فاقتتلوا ، ونَذِرَت بهم بنو عوف . فقتل بنو ناجٍ منهم ثمانيةَ نفرٍ فيهم عُميرُ بنُ مالكٍ سيدُ بنى عوف ، وقتل بنو عوفٍ رجلا منهم يقال له سِنان بن جابر ، ثم اصطلح سائر الناس على الدِّيات أن يتعاطَوْها ، ورضوا بذلك ، وأبى مُرَّين[3] ابن جابرٍ أن يقبل لِسنانِ بن جابرٍ ديةً واعتزل هـو وبنو أبيه ومن أطاعهم وَمَالأَهُم[4] . فمشى ذو الإصبع فى قبولِ دِية سنان وقال : قد قُتِل منا ثمانيةُ نفرٍ فقبلنا الدِّية ، وقُتل منكم رجل واحد فاقبلوا دِيته ، فأبوا ذلك ، وأقاموا على الحرب ، وكان ذلك بَدْء حربهم حتى تَفانَوْا وتقطَّعوا ، فقال ذو الإصبع فى مُرَّينِ بنِ جابر :

---

(١) الخصيل جمع خصيلة : وهى كل لحمة فيها عصب . وفى المختار : وأوعدت الحصيلا .

(٢) التليل : العنق .

(٣) فى الأغانى : مرير . وسيأتى فى الشعر : يامر . ولعل اسمه « مر » والياء والنون زيادة ناسخ .

(٤) فى الأغانى : ومن والاهم . وبعده فى الأغانى : وتبعه على ذلك كرب بن خالد أحد بنى عبس ابن ناج فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال . . . فأبيا ذلك وأقاما على الحرب . أما فى ك : فاقبلوا ديته فأبوا ذلك وأقاما على الحرب .

يا مَن لقلبٍ شَدِيـــد الهمِّ محزونِ ... أمسى تَذَكَّرَ رَيَّا أمَّ هَـارُونِ
أمْسَى تَذَكَّرَها من بَعدِما شَحَطَتْ ... والدهرُ ذو غِلَظٍ حِيناً وذو لِينِ
فإن يكن حُبُّها أمسى لنـا شَجَناً ... وأصبح الوَلْىُ منها لا يُوالِينِى(١)
فقد غَنِينا وشَمْلُ الدارِ يجمعُنا(٢) ... أُطِيع رَيَّا ورَيَّا لا تُعَاصِينِى
تَرْمِى الوُشاةَ فلا تُخْطِى مَقاتِلَهمْ ... بخالصٍ من صفاء الوُدِّ مَكنونِ
لِىَ ابنُ عَمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مُخالِفٌ لِىَ أَقْلِيه ويَقْلِينِى(٣)
أزرَى بنا أننا شالَتْ نَعامَتُنا ... تَخالَنِى دُونه بل خِلْته دُونى
لاهِ ابنُ عمّك لا أفضلتَ فى حَسبٍ ... شيئًا ولا أنت دَيَّانى فتَخزُونى(٤)
ولا تَقُوت عِيالى يومَ مَسغَبةٍ ... ولا بنفْسِك فى العَزَّاء تَكفِينى(٥)
فإن تُرِدْ عَرَضَ الدنيا بمَنقصتى ... فإن ذلك مما ليس يُشْجِينى
وما تَرى فِيَّ غيْرَ الصبرِ مَنقصةً ... وما سِواه فإن اللهَ يَكفِينى
لولا أواصرُ قُرْبَى لستَ تَحفظُها ... ورهبةُ اللهِ فى مَوْلًى يُعادِينى
إذًا بَرَيْتك بَرْياً لا انجبارَ له ... إنى رَأَيتك لا تنفكُّ تَبْرِينى
إن الذى يَقبِض الدُّنْيا ويَبسُطها ... إن كان أغناك عَنِّى سَوفَ يُغنِينى
اللهُ يَعْلَمُنى واللهُ يَعلَمُكم ... واللهُ يَجزِيكم عنى ويَجْزِينى
ما ذا عَلَيَّ وإن كنتمْ ذَوِى رَحِمى ... ألّا أُحبَّكم إذْ لم تُحِبُّونى
لو تَشربون دمى لم يَرْوَ شارِبُكم ... ولا دِماؤُكمُ جَمْعاً تُرَوِّينى

---

(١) الولى : القرب . وفى الأغانى : الوالى منها لا يواتينى .
(٢) غنينا : أقمنا .
(٣) فى الأغانى : ولى ابن عم . . مختلفان فأقليه .
(٤) فى الأصول : فتخزينى .
(٥) العزاء : الشدة .

لِيَ ابنُ عمٍّ لو أنَّ الناس فى كَبِدِى … لظلَّ مُنْجَحِراً بالنَّبْل يرمينى (١)

يا عَمْرُ إنْ لا تدَعْ شَتْمِى ومَنقصتى (٢) … أَضْرِبْك حتّى تقولَ الهامةُ اسقونى

كلُّ امرئٍ صائرٌ يوما لِشِيمَتِه … وإن تَخلَّقَ أخلاقاً إلى حِينِ

إنى لعمرُكَ ما بابى بذى غَلَقٍ … على الصديق ولا خَيْرى بِمَمْنُونِ

ولا لسانى على الأدْنَى بمُنطلِقٍ … بالمُنكَرات ولا فَتْكى بمأمونِ

لا يَخرج القَسْرُ منى غَيْرَ مَغضبةٍ (٣) … ولا أَلينُ لمن لا يَبتغى لِينى

وأنتم مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مِائةٍ … فأَجْمِعوا أمركم شَتّى وكِيدونى

وإن عَلمتم سَبِيل الرُّشْدِ فانطلقوا … وإنْ غَبِيتمُ طَريقَ الرُّشْدِ فأْتُونى

يا رُبَّ ثوبٍ حَواشيه كأَوْسَطِه … لا عَيْبَ فى الثوب مِنْ خُشْنٍ ولا لِينِ (٤)

يوماً شَدَدْتُ على فَرْعاء فاهِقَةٍ … طَوْرًا من الدهر تارات تُمارينى (٥)

ماذا علىَّ إذا تَدْعُونَنى ضَرَعا (٦) … ألَّا أُجيبَكم إذْ لا تُجيبونى

قد كنتُ أُعطيكمُ مالى وأَمنحكم … وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدْرِ مَكْنُونِ

يا رُبَّ حَىٍّ شديدِ الشَّغْب ذى لَجَبٍ … دَعَوْتُهم راهِناً منهم بمرهونِ (٧)

رَدَدْتُ باطلَهمْ فى رأس قائلِهمْ … حتى يَظلُّوا خُصوماً ذا أَفانِينِ

يا صاحِ لو كنتَ لى ألفيتنى يَسَرًا (٨) … سَمْحًا كريماً أُجازِى مَن يُجازينى

---

(١) فى المختار : فى كبد. وفى الأغانى : « فى كبدى لظل محتجزا » وفيه أيضا « منجحرا » .

(٢) فى الأغانى : « يا عمرو إن لاتدع » هذا، وتقدم أنه يقول الشعر فى مرين بن جابر.

(٣) فى المختار : لا يخرج السر . والتصويب من الأغانى والمفضليات .

(٤) الخشن تكون من الخشونة . وفى الأغانى : من حسن ومن لين .

(٥) فرعاء الطريق : أعلاه ومنقطعه . وفهق الإناء يفهق : امتلأ حتى صار يتصبب ، ويريد بذلك الطريق المزدحم بالعدو . وقد ورد فى الأغانى : فرغاء فاهقة . وفسرت الفرغاء بالطعنة الواسعة والفاهقة: التى تفهق بالدم أى تتصبب . وفى الأغانى : يوما شددت . . يوما من الدهر .

(٦) فى الأصل : « ماذا على بأن تدعونى » وفى الأغانى : إذا تدعوننى فزعا .

(٧) فى الأغانى : ذعرت من راهن منهم ومرهون .

(٨) فى الأغانى: ياعمرو لو كنت لى ألفيتنى يسرا .

وقد عجبتُ وما فى الدهرِ من عَجبٍ   يَدٌ تَشُجُّ وأُخرى منك تَأْسُونى(١)
فإن تُصِبْك من الأيّامِ جائحةٌ   لا أَبْكِ مِنكَ على دُنْيَا ولا دِينِ

وقالت أُمامة بنت ذى الإصبع ترثى قومها ، وكانت شاعرة :

كم من فَتًى كانت له مَنْعَةٌ(٢)   أبلجَ مثلِ القمرِ الزاهرِ
قد مرّت الخيلُ بحافاتِه   كمرِّ غَيْثٍ لَجِبٍ ماطِرِ
قد لقِيَتْ فَهمٌ وعدْوَانُها   قتْلاً وهُلْكاً آخِرَ الغابرِ
كانوا مُلوكاً سادةً فى الذُّرَا   دَهْراً لها الفخْرُ على الفاخرِ
حتى تَساقَوْا كأْسَهُم بينهمْ   بَغْياً فيَا لِلشارِب الخاسِرِ
بادُوا فمَنْ يَحْلُلْ بأوطانهمْ   يَحْلُلْ بِدَرْسٍ(٣) مُقفرٍ دَاثرِ

ولأُمامة هذه يقول أبو الإصبع وقد رأته نهض فسقط وتوكّأ على عَصاً فبكت فقال :

جَزِعَتْ أُمامةُ أَن مشيتُ على العَصَا   وتَذكّرَتْ إذ نحن مِ الفِتْيَانِ
فَلَقَبْلُ ما رَامَ الزمانُ بِكَيدِه   إرَماً وهذا الحىَّ مِنْ عَدْوَانِ
بعْدَ الحُكومة والفَضيلة والنُّهَى   طاف الزمان عليهمُ بأوانِ
وتفرقوا وتقطّعَتْ أشلاؤُهم   وتبدّدُوا فِرَقاً بكلِّ مكَانِ
جَدَبَ الزمان وأُعقِبَتْ أرحامُهم(٤)   والدهرُ غيَّرَهُمْ مع الحدَثَانِ
حتى أبادَهُمُ على أُخراهمُ   صَرْعَى بكلِّ بَعِيدةٍ ومُدَانِى(٥)
لا تَعْجَبِنَّ أُمامُ إن حَدَثٌ عَرَا   فالدَّهْرُ غيَّرَنَا مع الأزمانِ

---

(١) هذا البيت لم يجىء فى ترجمة ذى الإصبع وإنما جاء فى ترجمة قيل مولى العبلات بعده .
(٢) المنعة : القوة . وفى الأغانى : ميعة . والميعة : أول الشباب .
(٣) الدرس: الطريق الخفى. وفى الأغانى : يحلل برسم.
(٤) فى الأغانى : جدب البلاد .
(٥) فى الأغانى : بكل نقيرة ومكان .

الحارث بن خالد(١)

هو الحارث بن خالد بن العاص بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخزوم ابن يَقظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وأمه فاطمة بنت أبى سعيد بن الحارث بن هِشام وأُمها بنت أبى جهل بن هشام . وكان جَدُّه العاص بن هشام خَرج مع المشركين يوم بدر فقتله علىٌّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه ، لأنه كان قد قامر أبا لهب فى عَشْرٍ من الإبل فقَمَرَه أبو لهب ، ثم فى عشر فقمره ثم فى عشر فقمره إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شىء ، فقال له العاص : إنى أرى القداح قد خالفتك يا ابن عبد المطلب ، فقال: أقامرك فيما أذكره ، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لصاحبه ، فتقامرا على أنهما أيهما غَلَب استرقّ صاحِبَه. فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم ، فمشى إليهم وقال : افتدُوه منى بعشرة من الإبل ، قالوا : لا والله ولا بِوَبَرة ، فاسترقَّه ، فكان يرعى إبله ، وقيل : أجلسه قَيْنا يعمل الحديد إلى أن خرج المشركون إلى بدر ، فكان مَنْ لم يخرج أَخْرج بَدِيلا ، وكان أبو لهب عليلا ، فأخرج العاص وقعد على أنه إن عاد أعتقه ، فقتله علىٌّ رضوان الله عليه يومئذ .

والحارث أحد شعراء قريش المعدودين الغَزَلِيِّين ، يذهب مذهب عُمر بن أبى ربيعة ولا يجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، وكان يهوى عائشةَ بنتَ طَلحة ابن عُبيد الله ويُشبِّب بها ، وولَّاه عبدُ الملك بن مروان مَكّة وكان ذا قَدْرٍ وخَطَرٍ فى قريش .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٣/٣١١ وانظر ص ٣١٠ ودار الثقافة ٣/٣٠٧ وانظر ٣٠٥ وبولاق ٣/١١٠ والساسى ٣/١٠٠ والتجريد ٤٢٨ .

وأخوه عِكْرِمةُ بن خالدٍ المخزومىُّ مُحَدِّث جَليلُ القَدْر من وجُوه التابعين ، روى عن جَماعةٍ من الصحابة ، وله أخ أيضا يقال له عبد الرحمن بن خالد ، وهو القائل :

رَحل الشبابُ وليته لم يَرْحَلِ ... ومَضَى لِطيَّةِ ذاهبٍ مُتَحَمِّلِ [1]
وَلَّى بلاءٍ ذَمٍّ وغادَرَ بعدَه ... شَيْباً أقام مكانَه فى المَنْزِلِ
ليت الشبابَ ثَوَى لدينا حِقبةً ... قبل المشيب وليته لم يَرحلِ
فنُصِيبَ من لذّاته ونعيمه ... كالعهد إذ هو فى الزّمانِ الأوّلِ

كانت العرب تفضِّل قريشاً فى كلّ شىء إلا فى الشعر ، فلما نَجم فى قريش عُمر ابن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى والعَرْجىُّ وأبو دَهْبَل وعبد الله[2] بن قيس [الرقيات] أقرت لها العرب بالشعر أيضا .

تفاخر مولى لعمر بن أبى ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعريهما ، فقال مولى الحارث لمولى عمر : دعْنى منك فإن مولاك لا يعرف المنازل إذا قُلبتْ ، يعْنى قول الحارث :

إنى وما نَحروا غداة مِنًى ... عندالجمارِ تَؤودها العُقْلُ [3]
لو بُدِّلت أعلى منازلها ... سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يَعْلُو
فيظلُّ يعرِفُها الخبيرُ بها ... فيرُدُّه الاقواء والمَحْلُ [4]
لعرفتُ مَغْناها بما احتملتْ ... مِنّى الضُّلوع لأهلِها قَبْلُ

فقال له مولى ابن أبى ربيعة : والله ما يُحسن مولاك فى شعر إلّا نُسِب إلى مولاى.

---

(١) الطية : القصد والمتأى . والمتحمل : الراحل .
(٢) فى الأغانى : وعبيد الله . وكلمة الرقيات زيادة من الأغانى .
(٣) تؤودها : تثقلها . والعقل جمع عقال .
(٤) الإقواء : الإقفار . وفى الأغانى: فيكاد يعرفها الخبير بها .

وكان الحارث يُشبِّب بجاريةٍ لعائشة بنت طلحة يقال لها بشْرة[1] ، وكان يكنى عن ذِكْر عائشة بهذه الجارية، فمن شعره فيها[2] :

يارَبْع بشْرة إن اضرَّ بك البِلَى ... فلقد عهِدْتُك آهِلًا معمورَا
أعرفتَ أطلال الرُّسوم تنكَّرتْ ... بعدى وغُيِّرَ آيُهنَّ دُثورا[3]
إن يُمْس حَبْلُك بمدطولِ تَواصُلٍ ... خَلَقًا ويُصْبِح بَيْتُكم مَهْجُورَا
فلقد أرانى والجديدُ إلى بِلًى ... زَمنًا بوصلِك رَاضيا مسرورا
جَذِلًا بما لى عندكم لا أبتغى ... للنفس غيرَك خُلَّةً وعَشيرا
كُنتِ المُنَى وأعزَّ من وَطِىءَ الحصَا ... عندى وكنتُ بذاكِ منكِ جَديرا

قال الهَيْثمُ بن عدِىّ : دخل أشعبُ مسجدَ النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل يطوف الحلَق ، فقيل له : ما تريد ؟ قال : أستفتى فى مسألة ، فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزُّبير وهو مستند إلى سارية ، وبين يديه رجل عَلَوِىّ ، فخرج أشعب مبادراً ، فقيل له : أوجدت من أفتاك فى مسألتك ؟ قال : لا ، ولكن علمت ما هو خير منها . قيل : وما ذاك ؟ قال : وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد :

قد بُدِّلت أعلى منازلها ... سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يَعْلُو

رأيت رجلا من بنى الزبير جالسا فى الصدر ، ورجلا من ولد علىّ بن أبى طالب عليه السلام جالسا بين يديه ، فكفانى هذا عجبا وانصرفت .

قال: وبنو مخزومٍ كلُّهم زُبَيْرِيّةٌ سوى الحارث بن خالد فإنه مَرْوانى .

---

(١) ذكر فى الأغانى : « بسرة » وانظر المجلد ١٧ / ٨ تحقيق .

(٢) فى ترجمته فى الأغانى يختلف الترتيب .

(٣) فى الأغانى : وبدل آيهن .

ولما ولى عبدُ الملك الخلافةَ حجّ ، فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت منه جفوة ، وأقام ببابه شهرا لا يصل إليه ، فلما انصرف عنه قال فيه :

صحبتُك إذ عينى عليها غِشاوةٌ فلما انجلت قطّعْتُ نفسى ألومُها
ومابى إذا أقصَيْتَنى من ضَراعةٍ ولاافتقرتْ نفْسىإلى مَن يَضيمُها

وبلغ عبدَ الملك خبرُه ، فأرسل إليه من ردَّه ، فلما دخل عليه قال له : أخبرنى عنك ، هل رأيت عليك فى المقام ببابى غَضاضة أو فى قصدى دناءة ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : فما حملك على ما قلت ؟ قال : جفوةٌ ظهرتْ لى كنتُ حقيقا بغيرها . قال : فاخترْ إن شئتَ أعطيتك مائة ألف درهم ، أو قضيت عنك دينك ، أو ولّيتك مكة ، قال : بل تُولِّينى مكة ، فولاه إياها ، فحج بالناس وحجت(١) عائشة بنت طلحة يومئذ وكان يهواها ، وخرج الحارث إلى الصلاة ، فأرسلت إليه عائشة: إنه قد بَقِى علىّ مِن طوافى شىء لم أُتْمِمْه فأَخِّر الصلاةَ حتى أَفرغ من طوافى فقعد وأمر المُؤذنين فكَفّوا عن الإقامة حتى فرغت من طوافها وجعل الناس يَضجُّون ويَصيحون ، فلا والله ما قام حتى فرغت ثم أقيمت الصلاة وصلى بالناس ، فأنكر أهلُ الموسم ذلك من فعله وأعظموه ، وبلغ ذلك عبدَ الملك ، فعزلَه ، وولّى مكةَ عبدَ الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وكتب إلى الحارث : ويلك ، أتركت الصلاةَ لعائشة ؟ فقال الحارث : والله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبَّرتُ . وقال : ما أهون غضبه علىّ إذا رضيت عائشة . وقال فى ذلك :

أَثْلَ جُودى على المُتَيَّم أَثْلَا لا تَزِيدى فؤادَه أَثْلَ خَبْلَا(٢)
أثلَ إنى والراقصاتِ بجَمْعٍ يتبارَيْنَ فى الأَزِمَّة فُتْلَا(٣)

---

(١) جاء هذا الخبر فى الأغانى بروايتين وفق بينهما ابن منظور وذلك فى ص ٣١٧ وص ٣٣٩ .
(٢) فى الأغانى : بك خبلا .
(٣) فتل جمع فتلاء : وهى الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين .

سانحات يقطعن من عرفات ... بين أيدى المطىّ حزناً وسهلا
والأكفّ المطهّرات على الركـ ... ـن لشعثٍ سعوا إلى البيت رجلى(١)
لا أخون الصديق فى السرّ حتى ... ينقل البحر فى الغرابيل نقلا(٢)
أنعم الله لى بذا الوجه عيناً ... وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لا تفشينّ حديثى ... يا ابن عمّى أفديك قلت أجل لا(٣)
لا تصدّى فتقتلينى ظلماً ... ليس قتل المحبّ للحبّ حلّا
اتّقى الله واقبلى العذر منّى ... وتجافى عن بعض ما كان زلّا
ما أكن سؤتكم به فلك العتـ ... ـبى لدينا وحقّ ذاك وقلّا
لم أرحّب بأن سخطت ولكن ... مرحباً إن رضيت عنّى وأهلا
جعل الله كلّ أنثى فداء ... لك بل خدّها لرجلك نعلا
إنّ وجهاً رأيته ليلة البد ... ر عليه أرسى الجمال وحلّا(٤)
وجهها الوجه لو سألت به المز ... ن من الحسن والجمال استهلّا
إن عند الطّواف حين أتيه ... لجمالا فعماً وخلقاً رفلّا(٥)
وكسين الجمال إن غبن عنها ... وإذا ما بدت لهنّ اضمحلّا

وكان الحارث أرسل إليها : إنى أريد السلام عليك فألمّى بنا ، أو عدينا مجلسا نتحدّث فيه وإن خفّ عليك أتيت . وكان الرسول الغريض ، فأرسلت إليه : أنا حرم ، فإذا حللنا آذنّاك ، فلما حلّت خرجت من ليلتها سرًّا على بغلتها ،

---

(١) الرجلى : الماشون على أرجلهم، جمع رجلان . وفى الأغانى : والأكف المضمرات .
(٢) بعده فى الأغانى بيت .
(٣) فى الأغانى : يا ابن عمى أقسمت قلت أجل لا .
(٤) فى الأغانى : أثنى الجمال .
(٥) الفعم : الممتلئ . والرفل : الكثير اللحم . وضبطت فى الأغانى « خلقا » بضم الخاء .

ولحِقها الغَرِيضُ بِعُسْفان أو قريبٍ منه ومعه كتاب الحارث إليها وفيه :

ماضَرَّكمْ لو قلْتمُ سَدَداً إنْ المطايا عاجلٌ غَدُها
ولها علينا نِعمةٌ سَلَفَتْ لسنا على الأيّامِ نَجْحدُها
لو تَمَّمَتْ أسبابَ نِعمتِها تَمَّتْ بذلك عندنا يَدُهـا

فلما قرأت الكتاب قالت: مايدع الحارث باطِله ثم قالت للغريض : هل أحدثت شيئا ؟ قال : نعم ، فاسمعى . ثم اندفع يغنى فى هذا الشعر ، فقالت عائشة : والله ماقُلْنَا إلا سَدَداً ولا أردنا إلّا أن نَشْتَرِى لِسانه . واستحسنت غناءه وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب وقالت : زِدْنى ، فغنَّى فى قول الحارث فيها :

زعموا بأنّ البَيْنَ بعـد غَدٍ فالقلبُ ممّا أحدثـوا يَجِفُ
والعينُ منذُ أُجِدَّ بَيْنُهمُ مِثل الجُمانِ دُموعُها تَكِفُ
تَشـكو ونَشـكو ما أَشَتَّ بِنا كُلٌّ بِوَشْكِ البَيْنِ مُعترِف
ومقالهـا ودموعُها سُجُمٌ أَقلِلْ حَنينك حين نَنْصَرِفُ

فقالت له عائشة : ياغريض ، بحقّى عليك أَهُو أمرك أن تُغنّينى فى هذا الشعر ؟ قال : لا ، وحياتِك ياسيدتى ، فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت : غننى فى شعرِ غيرِه . فغناها فى شعرِ عُمَرَ بنِ أبى ربيعة :

أجمعَتْ خُلَّتى مع الفجرِ بَيْنَا جَلَّلَ اللهُ ذلك الوَجْهَ زَيْنَا
أجمعَتْ بَيْنَها ولم نَـكُ منها لـذّةَ العيشِ والشبابِ قَضَيْنَا
فتولَّتْ حُمولُهـا واستقلَّتْ لم نَنَلْ طائـلا ولم نَقْضِ دَيْنَا
ولقد قلتُ يـوم مكّةَ لمّا أرسلَتْ تَقْرَأُ السـلامَ عَلَيْنَا
أَنعم اللهُ بالرسـول الذى أرْ سِـلَ والمُرْسِلِ الرسالة عَيْنَا

فضحكت ثم قالت: وأنت ياغَرِيض فأنعم اللهُ بك عينا وأنعم بابن أبى ربيعة عينا. لقد تلطَّفْتَ حتى أدَّيْت إلينا رسالته ، وإن وفاءك له لمِمّا يَزِيدنا رغبةً فيك وثِقة بك.

وقد كان عمرُ سأل الغَرِيض أن يُغنيها هذا الصوت ، لأنه كان قد ترك ذِكْرَها لما غضبَتْ بنو تَيْمٍ من ذلك ، فلم يُحبّ التصريحَ بها وكره إغفال ذِكرها ، فقال له عمر : إن بلغتَها هذه الأبياتَ فلك خمسةُ آلاف درهم ، فوفى له بها. وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى ، ثم انصرف الغريضُ من عندها فلقى عاتِكة بنت يزيد ابن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان ، وقد كانت حَجّت تلك السنة ، فقالت لها جَواريها : هذا الغريض، فقالت لهن : علىّ به ، فجئن به . قال الغريض : فلما دخلتُ سلّمتُ ، فردّتْ علىّ السلامَ وسألتنى عن الخبر فقصصته عليها ، فقالت : غنِّنى ما غنّيتَها به ، ففعلت ، فلم أرها تَهَشّ لذلك ، فغنّيتُها مُعَرِّضا بها ومُذَكِّرا بنفسى فى شعر مُرّة بن مَحْكان السّعدىّ يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف :

أقولُ والضَّيْفُ مَخْشِىٌّ ذَمَامتُهُ ... على الكريمِ وحقُّ الضَّيْفِ قد وَجَبَا
يارَبّة القومِ قُومى غيرَ صاغرةٍ ... ضُمِّى إليك رِحالَ القومِ والقُرُبَا(١)
فى ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أنديةٍ(٢) ... لا يُبصِرُ الكَلْبُ فى ظلمائها الطُّنُبا
لا يَنبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتى يَلُفَّ على خَيْشومِه الذَّنَبا

فقالت وهى متبسمة : نعم قد وجب حقُّك علينا فغنِّنى . فغنيتها :

يا دهرُ قد أكثرتَ فَجْعَتَنا ... بِسَرَاتنا وَوَقَرْتَ فى العَظْمِ(٣)
وسلبْتَنَا ما لستَ مُخْلِفَه ... يا دهرُ ما أنصفْتَ فى الحُكْمِ
لو كانَ لى قِرْنٌ أُناضله ... ماطاشَ عندَ حَفيظةٍ سَهْمِى

---

(١) القرب: أجفان السيوف واحدها قراب، هكذا شرحها المرزبانى فى معجم الشعراء تحقيق ص٢٩٥ – ٢٩٦ وضبطت فى الأغانى: والقربا « بكسر القاف وفتح الراء » تحقيق دار الكتب هذا، وفى الأغانى ومعجم الشعراء: ياربة البيت قومى .

(٢) جمادى يراد به الشتاء وأندية جمع ندى .

(٣) وقرت : صدعت .

أو كان يُعْطِى النّصْفَ قُلْتُ له　　أَحرزْتَ قِسْمَكَ فَالَهُ عن قِسْمِى [١]

فقالت: نعطيك النّصْف فلا يَطيش [٢] سهمُك عندنا ونُجزل لك قسمك، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وثياب عَدَنية وغير ذلك من الألطاف. قال الغريض: فأتيت الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبر، وقصصت عليه القصة، فأمر لى بمثل ما أمرتا لى جميعا، وأتيت ابن أبى ربيعة فأخبرته بما جرى فأمر لى بمثل ذلك، فما انصرفَ أحدٌ من الموسم بمثل الذى انصرفت به من المال ومن نظرة من عائشة ومن نظرة من عاتكة وهما أجمل نساء عالمهما، وبما نلت منهما، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكة، وبالمنزلة عند ابن أبى ربيعة.

لما تزوج مصعبُ بن الزبير عائشةَ بنتَ طلحة ورحل بها إلى العراق قال الحارث ابن خالد فى ذلك:

ظعنَ الأميرُ بأحسن الخلْقِ　　وغدَا بِلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
فظللت كالمَقْمُور مُهْجَتُه [٣]　　هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ
أتْرُجَّةٌ عَبِقَ العَبِيرُ بها　　عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ
فى البيت ذى الحَسَبِ الرفيع ومِنْ　　أهلِ التُّقَى والبِرِّ والصِّدْقِ
ما صَبَّحَتْ أحداً برؤيتها　　إلّا غدا بكواكب الطَّلْقِ [٤]

لما تولى الحارث بن خالد مكة قال للغريض: لا أرينَّك فى عملى، وقد كان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف فبلغ ذلك الحارثَ

---

(١) النصف مثلثة النون مع سكون الصاد: الإنصاف. وفى الأغانى: أحرزت سهمك فاله عن سهمى.

(٢) فى الأغانى: ولا نضيع.

(٣) فى الأغانى: كالمقهور مهجته.

(٤) الطلق: المشرق ويريد كواكب السعود والإشراق.

فردّه ورقّ له وقال له : لِمَ كنت تُبْغِضنا وتَهجرنا ولا تقربنا ولا تغنى فى شعرنا ؟ فقال الغريض : كانت هفوة من هفوات النفس وخطرة من خطرات الشيطان ، ومثلك من وَهَب الذَّنْبَ وصفح عن الجُرْم وأقال العَثْرة وغفر الزَّلَّة ، ولستُ بعائد إلى ذلك أبدا . قال : فغنيتَ فى شىء من شعرى ؟ قال : نعم ، فى ثلاثة أصوات من شعرك ، قال : هاتِ ماغنيت به. فغناه :

بان الخليطُ فما عاجوا ولا عَدَلُوا إذْ وَدَّعوك وخَبَّتْ بالهوى الإبلُ[(١)]
كأنَّ فيهمْ غداةَ البينِ إذ رَحلوا أدْماءَ طاعَ لها الحَوْذانُ والنَّفَلُ[(٢)]

فقال له : أحسنتَ واللهِ هات ما غنيت فيه أيضا من شعرى ، فغناه[(٣)] :

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضجيعُ له
طَىَّ الحمالة لا جَافٍ ولا نَفِرُ[(٤)]
لها شبيهانِ لا نَقصٌ يَعيبهُما بحيث كانا ولا طُولٌ ولا قِصَرُ[(٥)]

فقال له الحارث : أحسنت والله يا غَرِيض ، إيه وماذا أيضا ! فغناه :

عَفَت الدِّيارُ فما بها أَهْلُ حُزّانُها ودِماثُها السَّهْلُ[(٦)]
إنى وما نحروا غداة مِنًى عِنْدَ الجِمَارِ يَؤُودُها العُقْلُ
لو بُدِّلَتْ أَعلى منازلها سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يعلو
فيظلُّ يَعرفُها الخبيرُ بها فيردُّه الإقواء والمَحْلُ
لعرَفْتُ مَغْناها لِمَا احتملَتْ منى الضلوعُ لأهلها قَبْلُ

---

(١) فى الأغانى : وحنت بالنوى الإبل . وفى نسخة منه: وراحت بالدمى .
(٢) الأدماء : الظبية البيضاء. وطاع : اتسع . والحوذان والنفل: نبتان
(٣) فى الأغانى : بيت قبل البيتين .
(٤) الحمالة : علاقة السيف . وفى الأغانى : لا جاف ولا فقر .
(٥) فى الأغانى : له شبيهان .
(٦) الحزان: المواضع من الأرض كثرت حجارتها. والدماث: السهول من الأرض .

فقال له الحارث يا غريض ، لا لوم فى حُبّك ، ولا عُذْرَ فى هجرك ، ولا لَذّة لِمَن لم يُرَوِّحْ قَلْبَه بك ، ولو لم يكن فى ولايتى مكّة حَظٌّ إلّا أنت لقد كان ذلك حظًّا وافيا ياغريض. إنما الدنيا زينة ، فأَزْيَنُ الزينةِ ما فرّح النفس ، ولقد فَهِم قَدْرَ الدنيا على حقيقتها مَنْ فَهِم قَدْر الغناء .

كانت سوداء بالمدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبى ربيعة ، وكانت من مولدات مكة فلما ورد على أهل المدينة نَعْىُ عمرَ بنِ أبى ربيعة أكبروا ذلك واشتدّ عليهم ، وكانت السوداء أشدَّهم حزنا ، فجعلت لا تمرُّ بسكَّة من سِكك المدينة إلّا ندبته ، فلقيها بعض فتيان مكة فقال لها : خَفِّضى عليك ، فقد نشأ ابنُ عم له يشبه شعرُه شِعْرَه ، فقالت : أنشدنى بعضه ، فأنشدها قول الحارث :

إنى وما نحروا غـداةَ مِنًى عنـد الجِمَارِ يَؤُودها العُقْلُ

قال : فجعلت تَمْسح عينيها من الدموع وتقول: الحمد لله الذى لم يُضَيِّع حَرَمه .

لما مات عُمر بن عبد الله التيمى عن عائشة بنت طلحة ، وكانت قبله عند مصعب ابن الزبير ، قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك من طلبها الآن ؟ قال : والله لا يتحدث رجالُ قريش أبداً أن تَشْبيبى بها كان لشىء من الباطل .

لما خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان اشتغل به عن أن يُوَلِّىَ على الحج رجلا ، وكان الحارثُ بن خالد عامله على مكة ، وكان أبان بن عثمان عامله على المدينة ، وكان أبان ربما جاءه كتاب من الخليفة أن يصلى بالناس ويقيم لهم حجّهم ، فتأخّر كتابه عنه أيضا فى تلك السنة ، فلما حضر الموسم شخص أبَان من المدينة ، وقدم على الحارث ليحجَّ بالناس ، وعاونه بنو أمية ومواليهم ، فنازعه الحارث وقال له : لم يأتنى كتابُ أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم ،وتغالبا فغلبه أبان بنسبه وبمن معه ، ومال إليه الناس فحجّ بهم ، فقال فيه الحارث :

فإنْ تنجُ منها يا أبانُ مُسَلَّماً   فقد أفلت الحجَّاجَ خيلُ شَبيبِ[(١)]
وكاد غداةَ الدَّيْرِ يُنفِذُ حِضْنَه   غلامٌ بطعن القِرْنِ جِدُّ طَبِيبِ[(٢)]
وأنْسَوْه وَصْفَ الدَّيْرِ لما رَآهُمُ   وحسَّنَ خوفُ الموتِ كلَّ مَعيبِ

فبلغ ذلك الحجاجَ فقال : مالى وللحارث ! ينازعه أبانُ ويغلبه على الصلاة ويهتف بى أنا ، ما ذِكْرُه لى[(٣)] ؟ فقال الحارث : مااعتمدت مساءته ، ولكن بلغنى أنه كاتبه . فقال : والله ما فعلت . فقال الحارث : فالمعذرة إلى الله وإلى أبى محمد .

وقيل: إن عُبيد بن مَوْهَب قال للحجاج : أتأذن لى فى إجابته وهجائه ؟ قال : نعم ، فقال :

أبا وابِصٍ رَكِّبْ عَلَاتكَ والْتَمِسْ   مَكاسِبَها إنَّ اللئيمَ كَسُوبُ[(٤)]
ولا تَذكُرِ الحجّاجَ إلّا بصالحٍ   فقد عِشْتَ من معروفه بِذَنُوبِ[(٥)]
ولستَ بِوالٍ ما حَييتَ إمارةً   لِمُستَخْلَفٍ إلّاعليك رَقِيبُ

كانت أم عبد الملك بن عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد ، فولدت منه فاطمة بنت الحارث وكانت قبله عند عبد الله بن مطيع ، فولدت منه عِمران ومحمدا ، فقال فيها الحارث وكناها بابنها عِمران :

بانَ الخليطُ الذى كُنَّابه نَثِقُ   بانُوا وقلبُكَ مَخبولٌ بهم عَلِقُ
بأمِّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحَت   بِىَ الصَّبابــة حتى شَفَّنى الفَرَقُ[(٦)]

---

(١) ضبطت فى ك برفع « الحجاج » ونصب « خيل » .

(٢) يريد بالدير : دير الجماجم . وكانت الوقعة بين ابن الأشعث والحجاج .

(٣) فى الأغانى : ما ذكره إياى .

(٤) العلاة : يراد بها الناقة .

(٥) فى البيت إقواء . والذنوب : الحظ والنصيب .

(٦) فى الأغانى : شفنى الشفق .

القلبُ تاقَ إليكم كَىْ يُلاقِيَكُمْ ... كما يتوقُ إلى مَنجاته الغَرِقُ
تُنيلُ نزْراً يَسيرا وهى مُشفِقةٌ ... كما يخافُ مَسيسَ الحَيَّةِ الفَرِقُ
لا أعتقَ اللهُ قَلْبِى مِن صَبابتكمْ ... ضِرارُه أنه صَبٌّ بكم قَلِقُ(١)

فأنشد رجلٌ يوما هذه الأبيات بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مطيع ثم فَطِنَ فأمسك ، فقال له : لا بأس عليك ، امضِ رحمك الله . رجلٌ تزوَّج ابنة عمّه وكان لها كُفُواً كريما ، فقال فيها شعرا بلغ ما بلغ فكان ماذا .

لما طافت ليلى بنت أبى مُرّة بن عُروة بن مسعود ـ وأمُّها ميمونة بنت أبى سفيان ابن حرب ـ بالكعبة رآها الحارث بن خالد فقال :

أطافت بنا شمسُ النهار ومن رأى ... من الناس شمْساً بالعشاء تَطُوفُ
أبو أمِّها أوْفَى قُريشٍ بذِمَّةٍ ... وأعمامُها إمَّا سألتَ ثقيفُ

وفى ليلى هذه يقول الحارث بن خالد أيضا :

لقد أرسلَتْ فى السرِّ لَيْلَى تَلُومنى ... وتَزْعُمُنى ذَا مَلَّةٍ طَرِفاً جَلْدَا(٢)
وقد أخلفَتْنَا كلَّ ما وعدَتْ به ... ووَاللهِ ما أخلفتُها عامداً وَعْدَا
فقلتُ مُجيباً للرسول الذى أتى ... تَرَاهُ، لكَ الوَيْلاتُ مِن قولها جِدًّا
إذا جِئْتَها فاقْرَ السلامَ وقلْ لها ... دَعِى الجَوْرَ ليلى واسلُكى مَسْلَكاً قَصْدَا
أفى مُكْثِنا عنكم لَيالِىَ مَرِضْتُها ... تَزيدينَنى لَيْلَى على مَرَضى جَهْدَا
تَعُدِّين ذَنْباً واحدا أن جَنَيْتُه(٣) ... عَلَىَّ وما أُحْصِى ذُنوبَكُم عَدًّا
فإن شئتِ حرَّمْتُ النساءَ سواكُمُ ... وإن شئتِ لم أطْعَمْ نُقَاخاً ولا بَرْداً(٤)

(١) فى الأغانى : ما ضرنى أنى صب .
(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب .
(٣) فى الأغانى : ما جنيته .
(٤) النقاخ : الماء البارد . وبعده فى الأغانى بيت .

قال عبد الملك بن مروان للحارث بن خالد : أى البلاد أحب إليك؟ قال : ما حَسُنَتْ فيه حالى وعَرُضَ جاهى ، ثم أنشد :

لا كُوفَـةٌ أُمِّى ولا بَصْرَةٌ أَبى[1]

ولستُ كَمَنْ يَثْنِيه عن وَجْهِهِ الـكَسَلْ

كان الحارث تزوج[2] حُمَيدة بنت النعمان بن بَشير بدمشق لما قدم على عبدالملك ابن مروان ، فقالت فيه :

فقـدتُ الشيوخَ وأشيـاءهمْ … وذلك من بعض أقوالِيَهْ

ترى زوجةَ الشيخِ مَغمومَةً … وتُمْسِى لصُحبته قالِيَـهْ

نـكحت المَدِينىَّ إذ جـاءنى … فيالك من نَـكْحَةٍ غَاوِيَـهْ

كهولُ دِمشقٍ وشُبَّانُهـا … أحبُّ إلينا من الجالِيَهْ[3]

صُنَـانٌ لهم كصُنَـان التُّيُو … سِ أعْيَا على المِسْكِ والغَالِيَـهْ

وقَمْلٌ يَدِبُّ دَبِيبَ الجرادِ … أكارِيسَ أعْيَا على الفَالِيَـهْ

فأجابها الحارث :

قاطنات الحَجُونِ أشهى إلى القلْ … ب من السَّاكِناتِ دُورَ دِمَشْقِ

يَتضوَّعْنَ لو تَضَمَّخْنَ بالمسْ … كِ صُنَانًا كأنَّه رِيحُ مَرْقِ

---

(١) فى أول البيت خرم وهو سقوط حركة فى أوله .

(٢) هذا النص لم يرد فى ترجمة الحارث بن خالد فى ج ٣ وإنما جاء فى ج ٩ / ٢١٨ دار الثقافة وج ٩ / دار الـكتب وج ٨ /١٣٧ بولاق وحـ ٨/ الساسى وينقص هناك بيتان عما فى المختار وانظر أيضا المجلد السادس عشر دار الثقافة ص ٢٠ فى ترجمة النعمان بن بشير؛ فقد أورد الخبر ويصح أن يكون عنوانا باسم حميدة بنت النعمان بن بشير .

(٣) الجالية : تريد بهم أهل الحجاز؛ كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام .

فطلقها الحارث فخلف عليها رَوْحُ بن زِنباع ، وبلغ عبدَ الملك قولُها فقال : لولا أنها قدَّمت الكُهولَ على الشباب فى شعرها لعاقبتُها ، ونظر إليها روح بن زنباع يوما وهى تنظر إلى قومه جُذام وقد اجتمعوا عنده ، فلامها فقالت : وهل أرى إلَّا جُذاما ! والله ما أحبّ الحلالَ منهم فكيف الحرام ؛ وقالت تهجوه :

بكى الخزُّ مِنْ رَوْحٍ وأنكر جِلْدَه ... وعَجَّتْ عَجِيجاً من جُذامَ المَطارِفُ
وقال العَبَا قد كنتُ حِيناً لباسَهم ... وأَكسِيَةٌ كُرْدِيّةٌ وقَطائفُ

فقال روح :

إن تَبْكِ منا تَبْكِ مِمّنْ يُهِينُها ... وإن تَهْوَا كُمْ تَهْوَ اللئامَ المقارِفُ

وقال روح :

أَثْنِى علىَّ بما علمت فإننى ... أُثنِى عليك بِبئسَ حَشْوُ المَنْطِقِ

فقالت :

أُثنى عليك بأنَّ باعَكَ ضيِّقٌ ... وبأن أصْلَك فى جُذَامٍ مُلْصَقُ

فقال روح :

أَثْنِى علىَّ بما علمتِ فإننى ... مُثْنٍ عليك بمثل رِيحِ الجَوْرَبِ

فقالت :

فثناؤُنَا شَرٌّ الثناء عليكمُ ... أسْوَا وَأنتنُ من سُلاح الثَّعْلَبِ

وقالت :

وهل أنا إلَّا مُهرة عَرَبيَّةٌ ... سَليلةُ أفراسٍ تَجَلَّلها بَغْلُ
فإن نُتِجَتْ مُهْراً كريماً فبالحَرَى ... وإن تكُ أقرافاً فما أَنجبَ الفَحْلُ(١)

(١) فى الأغانى : وإن يك إقراف .

فقال روح :

فما بالُ مُهرٍ رائعٍ عَرَضَتْ له　　　أتانٌ فبالَتْ عند جَحْفَلة البَغْلِ

إذا هو وَلَّى جانبا أربخَتْ له　　　كما أربخَتْ قمراء فى دَمِثٍ سَهْلِ (١)

وكان الحارث يخطب أمة المَلك بنت عُبيد الله بن خالد بن أَسيد وعبد الله بن مطيع يخطبها ، فتزوجها عبد الله ثم طلّقها أو مات عنها ، فتزوجها الحارث بعده ، وكان لحميدة أخت يقال لها عَمْرة وكانت تحت المختار بن أبى عُبيد ، فأخذها مصعب بعد قتله المختار ، وأخذ امرأته الأخرى وهى ابنة سَمُرة بن جُنْدَب ، فأمرها بالبراءة من المختار ، فأما بنت سَمُرة بن جُنْدَب فبرئت منه ، وأبت ذلك عَمْرَة ، فكتب بذلك مصعبٌ إلى أخيه عبد الله ، فكتب إليه : إن أبت تَبرَّأ منه فاقتلها . فأبت ، فحفر لها حُفرة وأقيمت فيها فقُتِلت ، فقال عمر بن أبى ربيعة(٢) :

إن من أعجب العجائب عندى　　　قَتْلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبولِ (٣)

قُتِلتْ حُرَّةً على غير جُرْمٍ　　　إن لله دَرَّها من قتيلِ

كُتب القَتْلُ والقتالُ علينا　　　وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيولِ

وقالت عَمْرَة لأخيها أبانَ بنِ النعمان الذى زوجها من رَوْح :

أطال الله سامَكَ من غُلامٍ (٤)　　　متى كانت مَنا كِحَنا جُذَامُ

أترضى بالفَرَاسِنِ والذُّنَابَى (٥)　　　وقد كنا يَقِرُّ لنا السنامُ

(١) «أربخت» تكون من ربخت : أى استرخت . والقمراء : البيضاء. والدمث : السهل وفى الأغانى : ربخت له كما ربخت ... فى دمس سهل.

(٢) فى المختار: عمر بن عبد العزيز. وصحح بهامش ك ومثله الأغانى صواب عمر بن أبى ربيعة .

(٣) العطبول : المرأة الفتية .

(٤) السام جمع سامة: وهى الخيزرانة والسام أيضا الموت . وفى الأغانى : أطال الله شأوك. وفى المجلد ١٦/ ٢١ نسب الشعر لحميدة وروايته : أطال الله حلمك .

(٥) الفرسن: طرف خف البعير وجمعه فراسن. وفى صلب ك « بالمناسم » وبهامشه « بالفراسن » وفى الأغانى : أترضى بالأكارع والذنابى.

وبينهما أقاويل كثيرة ، فما قالت لروح :

تُكَحِّلُ عينيك بَرْدَ العشاء ... كأنك مُومسةٌ زانيه
وآيةُ ذلك بعد الخفوق ... تُغَلِّفُ رأسك بالغاليه
فإن بَنيك لِرَيْب الزما ... نِ أمستْ رقابهمُ خاليه
فلو كان أوْسٌ لهم شاهداً[1] ... لقال لهم إنَّ ذا ماليه

أوس من جَذام كان يقال: إنه استودع رَوْحاً مالًا فلم يَرْدُدْه عليه فقال روح :

وإن يكن الخُلْع من بالكمْ ... فليس الخلاعةُ من باليَهْ
وإن كان مَن قد مضى مثلكمْ ... فأفٍّ وتُفٍّ على الماضيه
وما إن يَرَى اللهُ فاستيقنيه ... مِنْ ذات بَعْلٍ ولا جاريَهْ
شبيهاً بك اليوم فيمن بَقِى ... ولا كان فى الأعصُر الخاليَهْ
فبُعْدًا لِمَحْياكِ إمَّا حَيِيتِ[2] ... وبُعْدًا لأعظُمكِ الباليَهْ

وقال رَوْحٌ فى بعض ما يتنازعان فيه : اللهم إن بقيت بعدى فابتَلِها ببعْلٍ يَلْطِم وَجْهَها ويملأ حِجْرها قيئا . فتزوجها بعده الفَيْضُ بن محمد بن الحكم ، وكان شاباً جميلا يصيب من الشراب فأحبته، وكان ربما سكر فلطمها ويقىء فىحجرها فتقول: رحم الله أبا زُرْعة ، قد أجيبت فىَّ دَعوتُه . وقالت فى الفيض :

سُمِّيتَ فَيْضًا وما شىءٌ تَفيضُ به ... إلاَّ بخَرْئك بين الباب والدارِ[3]
فتلك دعوة رَوْحِ الخيرِ أعرفها ... سقى الإله صَدَاهُ الأوْطَفَ السارى[4]

---

(١) فى المختار : له شاهدا .

(٢) فى الأغانى : إذ ما حييت .

(٣) فى الأغانى : إلاسلاحك .

(٤) سحاب أوطف : دان من الأرض .

وقالت فيه أيضا :

ألا يا فيضُ كنتُ أراكَ فَيْضًا فلا فَيْضًا وجدتُ ولا فُرَاتا

وقالت فيه :

وليس فيضٌ بفيَّاض العطاء لنا لـكنَّ فيضاً لنا بالقيء فيَّاضُ
ليثُ الليوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ وفى الحروب هَيُوب الصَّدْرِ جَيَّاضُ(١)

وتمثل الفَيْض يوما بهذا البيت :

إن كنتِ ساقيةً يوماً على كَرَمٍ صَفْوَ المُدَامةِ فاسقيها بنى قَطَنِ

وتحرَّكَ فضرط ، فقالت له: واسْقِ هذه أيضا بنى قطن .

وولدت من الفيض ابنةً فتزوجها الحجّاجُ بن يوسف ، وكان عند الحجاج قبلها أمّ أبان بنت النعمان بن بشير ، فقالت حُميدة للحجاج :

إذا تذكَّرتُ نِكاحَ الحجَّاجْ من النهار أوْ من اللَّيل الدَّاجْ
فاضت له العين بدَمْعٍ ثَجَّاجْ واشتعَلَ القلبُ بوجْدٍ وَهَّاجْ
لو كانَ نعمانُ قتيلُ الأعلاجْ مُستوِىَ الشخصِ صَحِيحَ الأَوْدَاجْ
ما نِلْت ما نِلْتَ بختْلِ الدَّرَّاجْ وكُنْتَ منها بمكَانِ النَّسَّاجْ
قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجُو الرَّاجْ أنْ تنكحيه مَلِكا أوْ ذَا تَاجْ

وقدمت حُميدة على ابنتها زائرة فقال لها الحجاج : يا حميدة ، إنى كنت أحتمل مُزاحك مرّة فأما اليوم فإنى أمير العراق وهم قومُ سَوْء فإياكِ . فقالت: سأكُفُّ حتى ارتحل . .

قالت حُميدة يوما لزوجها رَوْح بن زِنباع وكان أسود ضخما : كيف تَسودُ قومك وفيك ثلاث خصال ؟ أنت من جُذام ، وأنت جبان ، وأنت غيور. قال : أما جُذام

---

(١) الجياض : الرواغ .

فإنى فى أرومتها و بِحسْبِ الرجل أن يكون فى أرومة قومه . وأما الجبن فإن لى نفسا واحدة ولو كانت لى نفسان جدت بإحداهما . وأما الغَيْرة فهو أمر لا أحب أن أُشارَكَ فيه ، وإن المرء لَحقيقٌ بالغَيْرة عليكِ وعلى المرأة مثلك الوَرْهاءِ[1] لا يأمن أن تأتى بولد من غيره تَقذِفه فى حِجْره .

والحارث هو القائل[2] :

أَظُلَيْمِ إن مُصابكم رَجُلًا   أهدى السلامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

غَنَّى مخارقٌ يوما هذا البيت بين يدى الواثق فلحَّنه قوم وصَوَّبه آخرون ، فسأل الواثقُ عمّن بقى من رؤساء النحويين ، فذُكر له أبو عثمان المازنىُّ فأمر بإراحته عليه وَحمْله، فحُمل . قال : فلما وصلت إليه سلمت عليه فقال : مِمّن الرجل ؟ فقلت : من بنى مازن. قال : أمِن مازن تميم أم من مازن قيس أم من مازن ربيعة أم من مازن اليمن ؟ فقلت : من مازن ربيعة ، فقال لى : بَاسْمُكْ ؟ يريد ما اسمك ، وهى لغة كثيرة فى قومنا ، فقلت على القياس : اسمى مَكْر أى بكر ، فضحك وقال : اجلس واطْبَئِنَّ يريد واطمئنّ فجلست فسألنى عن البيت ، فقلت : إن مصابكم رجلا. فقال: أين خبرُ إن ؟ فقلت : « ظلم » آخر البيت . وقلت له : إن معنى مصابكم إصابتكم مثلما تقول: إنّ قتلكم رجلا حيًّا كُم ظلمٌ . ثم قلت : يا أمير المؤمنين إن البيت كُلَّه مُعَلَّق لا معنى له حتى يتمّ بقوله « ظُلمٌ » ألا ترى أنه لو قال:

أظليم إنّ مصابكم رجلا   أهدى السلام تحية

فكأنه لم يُفِدْ شيئا حتى يقول « ظلم » ولو قال :

أظليم إن مصابكم رجلٌ   أهدى السلام تحيَّة

(١) الورهاء بمعنى الحمقاء .

(٢) هذا النص جاء فى المجلد التاسع من الأغانى دار الكتب ودار الثقافة .

لما احتاج إلى ظلم ولا كان له معنى إلّا أن يجعل التحية بالسلام ظلما ، وذلك محال ويجب أن يقول حينئذ :

أظليم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلامَ تحيّةً ظُلْمَا

ولا معنى لذلك ولا كان له وجه . فقال : صدقت ، ألك ولد ؟ قلت : بُنَيّة . قال : فما قالت حين ودّعتها ؟ قلت : أنشدتْ قولَ الأعشى :

تقول ابنتى حين جدَّ الرحيل أرانا سَواءً ومَنْ قَدْ يَتِمْ
أبانا فلا رِمْتَ من عِنْدِنا فإنَّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ
أرانا إذا أضمرتْك البلادُ نُجْفَى وتُقْطَعُ منا الرَّحِمْ(١)

قال : فما قلتَ لها ؟ قلت : ما قال جرير :

ثِقى بالله ليس له شريكٌ ومِن عِند الخليفةِ بالنجاحِ

فقال : ثق بالنجاح إن شاء الله عز وجل إن هاهنا قوما يختلفون إلى أولادنا فامتحنْهم ، فمن كان عالما ينتفع به ألزمناهم إياه ، ومن كان بغير ذلك قطعناه عنهم . وأمر بهم فَجُمِعوا إلىَّ فامتحنتهم ، فما وجدت فيهم طائلا ، وحذروا ناحيتى فقلت : لا بأس على أحد ، فلما رجعت إليه قال : كيف وجدتَهم ؟ قلت : يفضل بعضهم بعضا فى علوم ، ويفضل الباقون فى غَيْرِها ، فكلٌّ يُحتاج إليه . فقال الواثق: إنى خاطبت منهم واحدا فكان فى نهاية الجهل فى خطابه ونظره . فقلت : يا أمير المؤمنين أكثر من تقدم منهم بهذه الصفة وقد أنشدت فيهم :

إن المعلم لا يزال مُضَعَّفًا ولو ابتنى فوق السماء بِنَاءَ
مَن عَلَّمَ الصبيانَ أَصْبَوْا عقلَه مما يُلاقى غُدْوَةً وعِشَاءَ

---

(١) فى الأغانى: ... البلا * د نجفى وتقطع

حسّان بن ثابت[1]

هو حسّان بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدىّ بن عمرو ابن مالك بن النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزْرَج بن حارثة بن زيد ابن ثعلبة[2] وهو العَنْقاء ـ وإنما سمى العنقاء لطول عنقه ـ ابن عمرو ـ وهو مُزَيْقيا ـ ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطْريف بن امرئ القيس البِطْريق بن ثعلبة البُهْلُول ابن مازن بن الأزد وهو درى وقيل دراء ـ ممدود ـ[3] ابن الغَوْث بن نَبْت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان ،

بنو عدى بن عمرو بن مالك بن النجار يُسَمَّون بنى مغالة ومغالة[4] أمهم ، وهى امرأة من القَيْن وإليها كانوا ينسبون .

وأم حسان بن ثابت: الفُريعة بنت حُبيش بن لوذان[5] بن عبدوُدَ بن زَيد بن ثعلبة ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، واسم النجار تيم اللات ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

وأمُّ ضِرارٍ تَنْشُد الناسَ وَالِهاً   أَما لابنِ تيم اللاتِ ما ذا أَضَلَّتِ[6]

---

(١) الأغانى: دار الكتب ٤/١٣٤ وانظر ص ١٣٣ ودار الثقافة ٤/١٣٩ وانظر ص ١٣٧ وبولاق ٤/٢ والساسى ٤/٢ والتجريد ٥١٦ .

(٢) فى الأغانى : بن حارثة بن ثعلبة .

(٣) فى شرح القاموس مادة «أزد» : دِرء بكسر الدال فسكون وآخره همزة. وعن أبى القاسم الوزير أنه دراء ككتاب .

(٤) فى الأغانى : معالة .

(٥) فى الأغانى : بنت خالد بن قيس بن لوذان .

(٦) فى الأغانى : أما لابن تيم الله .

يعنى ضرار بن عبد المطلب ، وكان ضلَّ فنشَدَته أمه ، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تيم الله لأن الأنصار ينتسبون إليه ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون فى أنسابها ذكر اللات .

وكنيةُ حسان أبو الوليد ، وهو فحل من فحول الشعراء ، يقال إنه أشعر أهل المَدَر(١) وهو أحد المُخضْرَمين المعمرين ، عمِّر مائة وعشرين سنة ، ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الإسلام ، وعاش ثابت بن المنذر مائة وخمسين سنة .

قال حسان بن ثابت : إنى لغلام يَفَعَةٌ ابنُ سبع سنين أو ثمان سنين إذا بيهودىّ بيثرب يصرخ ذات غداة . يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا قالوا : ويلك مالك؟ قال : طلع نجم أحمد الذى وُلِد به فى هذه الليلة . قال : ثم أدركه اليهودىُّ ولم يؤمن به . وهذا يدل على أن عمره فى الجاهلية ستون سنة، لأنه كما ذكر أدرك ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين ، وبُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أربعون سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وقدم المدينة ولحسان يومئذ على ما ذكر ستُّون سنة أو إحدى وستون سنة ، وحينئذ أسلم .

وكان حسان يَخضِب شاربه وعَنفقَته بالحِنَّاء ولا يخضب سائر لحيته ، فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت، لم تفعل هذا ؟ قال : لأكون كأنى أسد والغٌ فى دم .

وكانت له ناصية يُسْدِلُها بين عينيه.

وفضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النُّبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام .

---

(١) المدر : المدن والحضر .

جاء حسان بن ثابت إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : نشدتك الله ، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أجبْ عنى ثم قال اللهم أيِّدْه بروح القدس » قال أبو هريرة : اللهم نعم .

وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من قريش منهم عبد الله بن الزِّبَعْرَى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى بن أبى طالب عليه السلام: اهجُ عنَّا القوم الذين هَجونا ، فقال على عليه السلام إن أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فقال رجل : يارسول الله ائْذَن لعلىٍّ كيما يَهْجُوَ عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . فقال : «ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك » ثم قال للأنصار: « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم » فقال حسان بن ثابت: أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرنى به مِقْوَلٌ بين بُصْرَى وصَنْعاء ، يعنى أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب(١) فقال: « كيف تهجوهم وأنا منهم » فقال: إنى أسُلُّك منهم سَلَّ الشعْرةِ من العجين . فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدُ الله بن رَوَاحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيِّرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رَواحة يُعَيِّرهم بالكفر ، وبعلم أنه ليس فيهم شيء أشرُّ من الكفر ، وكان فى ذلك الزمان أشدّ القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول عبد الله بن رواحة ، فلما أسلموا وفهموا الإسلام كان أشدّ القول قول ابن رواحة .

وقيل : إن حسان بن ثابت قام فقال : يا رسول الله ائْذَنْ لى فيه، يعنى أبا سفيان ابن الحارث . وأخرج لسانا أسود ووضعه على طرف أرنبته وقال: يا رسول الله ،

---

(١) جملة « يعنى أبا سفيان » ليست فى الأغانى .

لو شئت لفرَيت به المزاد[1] ، فقال : « يا حسان وكيف وهو منى وأنا منه » فقال : والله لأسلّنّهمنك كما تُسَلُّ الشعرة من العجين . فقال : «ياحسان ، اذهب إلى أبى بكر ليحدِّثك حديثَ القوم وأحسابهم وأنسابهم وأيامهم فإنه أعلم بأنسابهم منك ، ثم اهجهم وجبريلُ معك » فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كُفَّ عن فلانة ، واذْكُرْ فلانة . فقال :

هجوتَ محمَّداً فأجبتُ عنه ... وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزَاء
فإن أبى ووالدتى وعِرْضى ... لعِرض محمّدٍ منكم وِقَاء
أتهجوه ولستَ له بِكُفْءٍ ... فشرُّكما لخيركما الفِدَاء

ولما أُنشِدَت قريشٌ شِعرَ حسان قالت : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبى قُحافة .

ولما بلغ أهلَ مكة شعرُ حسان ولم يكونوا علموا أنه شعره جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى الناس أن يُنْشِدوا شيئا من مُناقضة الأنصار ومُشرِكى قريش ، وقال : فى ذلك شتم الحىِّ بالميت وتجديدُ الضغائن ، وقد هَدمَ اللهُ أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام . فقدم المدينةَ عبدُ الله بن الزِّبعرى السَّهمِىُّ وضرارُ بنُ الخطاب الفِهْرِىّ المُحَارِبىّ ، فنزلا على [أبى] أحمد بن جحش وقالا له : نحب أن تُرسل إلى حسان بن ثابت حتى يأْتِيَكَ فننشده ويُنشدنا مِمَّا قاله لنا وقلنا له ، فأرسل إليه فجاءه فقال له : ياأبا الوليد ، هذان أخواك: ابنُ الزِّبعرى وضِرار قد أحبَّا أن يُسمِعاك[2] وتُسمعهما ما قالا لك وقلت لهما . وقال ابن الزبعرى

---

(١) المزاد جمع المزادة وهى التى يحمل فيها الماء .

(٢) فى الأغانى : قد جاءا أن يسمعاك .

وضرار : ياأبا الوليد ، إن شعرك كان يُحْتَمل فى أوّل الإسلام ولا يُحتمل الآن[1] . فقال حسان : أتبتدئان أو أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . فأنشداه حتى صار كالمِرْجل غضبا . ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر رضى الله عنه فقصّ عليه قِصَّتهما وقصته ، فقال له عمر : لن يذهبا عنك بشىء إن شاء الله عز وجل ، ثم أرسل من ردَّها وقال : إن لم تَلحقها إلّا بمكة فارْدُدْها علىّ ، وخرجا حتى إذا كانا بالرَّوْحاء رجع ضرار إلى صاحبه بعد ما أعمل فِكْره فقال له : يا ابن الزِّبعْرى ، أناأعرِفُ عُمَرَ وذَبَّه عن الإسلام وأهلِه ، وأعرف حسان وقِلَّةَ صَبْرِه على ما فعلنا به ، وكأنى به قد شكا إليه ما فعلنا فأرسل فى آثارنا وقال لرسوله إن لم تلحقهما إلا بمكة فارددها علىّ فارْبَحْ بنا العَنَاء[2] وأقِمْ بنا فى مكاننا هذا ، فإن كان الذى ظننتُ فالرجوع من الرَّوحاء أسهل منه من أبعدَ مِنْها ، وإن أخطأَ ظنّى فذلك الذى نُحِب ونحن مِن وراءِ المُضِىِّ فقال له ابن الزبعرى : نِعْمَ ما رأيت ، فأقاما بالرَّوْحاء ، فما كان إلّا كمرّ الطائرِ حتى وافاهما رسول عمر ، فرجعا إليه ، فدعا لهما بحسان ، وعُمرُ فى جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنشدْهما ما قلتَ لهما . فلما فرغ قال له عمر : أنشدَاكَ فى الخَلا ، وأنشدتَهما فى المَلَا ، وقال لهما عمر : إن شئتما أقيما وإن شئتما فانصرِفا . وقال لمن حضره من الأنصار : قد كنتُ نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين ، نفياً للتضاغن[3] عنكم وبثّ القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبَوْا فاكتبوه واحفظوه[4]

---

(١) فى الأغانى : ولا يحتمل شعرنا .

(٢) فى الأغانى : فاربح بنا ترك العناء .

(٣) فى الأغانى : دفعا للتضاغن .

(٤) كلمة « واحفظوه » ليست فى الأغانى .

واحتفظوا به ودَوَّنُوا ذلك عنهم[1] . فكان الأنصار يُجدِّدُونه كلما خافوا بِلاه .

وقال حسان بن ثابت :

إن سَنَاء المَجْدِ من آل هـاشم[2] بنو بَيْتِ مخزومٍ ووالدُك العَبْدُ
وما ولَدَتْ أبنـاء زهرة منـكمُ كِراماً ولم يَلْحَق عجـائزَك المَجْدُ
وإن امرأً كانت نُتَيْلَةُ أُمَّه[3] وسمـراء مَغلوبٌ إذا بَلغ الجهْدُ
وأنت هَجِينٌ نِيطَ فى آل هاشم كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفَرْدُ

فقال العباس : مالى أنا ولحسان[4] ، يعنى فى ذكر نتيلة وهى أمه ، فقال فيها :

ولستَ كعَبَّاسٍ ولا كابْنِ أُمِّـــه ولكنْ هَجِينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ

وقيل : إن جبريل أعان حسان بن ثابت فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت عبدَ الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك الأنصاريَّ فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأَشْفَى » وقالت عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ابن ثابت : « إنَّ رُوح القُدُس لا يزال يُؤَيِّدك ما نافحت عن الله ورسوله ». وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى سفر : « أين حسان بن ثابت » فقال حسان : لَبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيك . قال : « أنشد »[5] فجعل ينشد ويصغى إليه النبى صلى الله عليه وسلم ويسمع ، فما زال يستمع إليه وهو شانِقٌ راحلَته[6]

(١) فى الأغانى : فدونوا ذلك عندهم .

(٢) فى الأغانى : وإن سنام المجد .

(٣) كذا فى المختار والأغانى. وفى ديوانه: « سمية أمه » وسمية هى أم الحارث بن عبد المطلب وسمراء أم أبى سفيان بن الحارث .

(٤) فى الأغانى : مالى وما لحسان .

(٥) فى الأغانى : « احد » .

(٦) فى طبعة دار الكتب « وهو سائق » وهذا تحريف ظاهر . وشنق البعير: جذبه بزمامه وهو راكبه ورفع رأسه .

حتى كاد رأسُ الراحلة يمسُّ الوَرِكَ حتى فرغ من نشيده . فقال رسول الله صلى الله وسلم » لهذا أشدُّ عليهم من وقع النَّبْل » .

مرّ عمر رضى الله عنه بحسان وهو ينشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذنه وقال : أرُغا كرغاء البعير ؟ فقال حسان : دعنا منك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم أنى كنت أنشد فى هذا المسجد من هو خير منك فلا تُغَيِّرْ علىّ(١) . فصدّقه عمر .

مر الزُّبيرُ بن العوّام بمجلس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وحسانُ بن ثابت ينشدهم الشعر وهم غيرُ نِشاطٍ لما يسمعون منه . فجلس الزُّبير معهم وقال لهم : مالى أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفُرَيعة ؟ ولقد كان يَعرِض به لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيُحسِن استماعه ويُجزل صلة ثوابه(٢) ولا يشتغل عنه بشىء . فقال حسان فيه :

أقامَ على عَهْدِ النبىّ وهَدْيِه ... حَوَارِيُّه والقول بالفِعْل يُعْدَلُ(٣)
أقام على مِنهاجِه وطَريقه ... يُوالِى وَلىَّ الحق والحقُّ أَعدَلُ
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذى ... يصول إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ
إذا كشفَتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها ... بأبيض سبّاقٍ إلى الموت يَرْفُلُ(٤)
وإن امرأً كانت صفيّةُ أمَّه ... ومن أسد فى بَيتها لَمُرَفَّلُ(٥)

---

(١) فى الأغانى : فلا يغير .

(٢) فى الأغانى : ويجزل عليه ثوابه .

(٣) بهامش ك رواية أخرى مثل ت : والقول بالفضل .

(٤) حس النار : ردها على خبز الملة . ورفل يرفل : جر ذيله وتبختر . وفى الأغانى : حشها ... يرقل .

(٥) المرفل : المعظم المسود .

له من رسول الله قُرْبى قريبةٌ ومن نُصْرَةِ الإسلام مَجْدٌ مُؤَثَّلُ
فكم كُرْبةٍ ذبَّ الزُّبيرُ بسيفه عن المُصطفى واللهُ يُعطى ويُجْزِلُ
فما مثلُه فيكم ولا كان قبلَه وما إن يكون الدهرَ ما كان يَذْبُلُ(١)
ثَناؤُكَ خيرٌ من فِعال مَعاشرٍ وفِعْلُك يا ابن الهاشمية أَفْضَلُ

ولما كان يوم الأحزاب(٢) وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يحمى أعراض المسلمين ؟ » قال كعب : أنا يارسول الله ، وقال عبدُ الله بن رَواحة : أنا يارسول الله . وقال حسان : أنا يارسول الله ، قال : « نعم ، اهْجُهم أنت فإنه سيُعينك عليهم رُوح القدس » .

جاء رجل إلى ابن عباس فقال : قد جاء اللعينُ حسان من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده .

قدم وفد بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم وهم سبعون أو ثمانون رجلا ، وفيهم الأقرع بن حابس والزِّبرقان بن بدر وعُطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم . وانطلق معهم عُيَينة بن حِصن ، فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحُجُرات فنادوا بصوت عال جَافٍ : أُخرُجْ يا محمد فقد جئنا لنفاخرك وجئنا بشاعرنا وخَطيبنا . فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحى لزَيْنٌ ، وإن ذَمّى لَشَيْنٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الله عز وجل » فقالوا : إنا لأَكرمُ العرب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم » فقالوا : ائذن لشاعرنا وخطيبنا . فقام عطارد فقال : الحمد لله الذى له الفضل علينا وهو أهله ،

---

(١) يذبل : اسم جبل . وفى الأغانى : فى مثله فيكم . . . مادام يذبل .
(٢) فى الأغانى : عام الأحزاب .

الذى جعلنا ملوكا ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وآتانا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وليس فى الناس مثلنا ، ألسنا برءوس الناس وذوى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدُدْ علينا مثل ما عددنا ، ولو نشا لأكثرنا ، ولكنا نستحى من الإكثار فيما خوَّلنا اللهُ وأعطانا ، أقول قولى هذا فأْتُوا بقول أفضل من قولنا أو أمر أبين من أمرنا . ثم جلس . فقام ثابتُ بن قَيس بن شَمَّاس فقال : الحمد الله الذى السموات والأرض من خَلْقه قضى فيهن أمرهُنَّ ووسع كرسيه عِلْمه ولم يُقضَ شىء إلَّا من فضله وقدرته وكان من قُدْرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولا ، أكرمهم حسبا ، وأصدقهم حديثا ، وأحسنهم رأيا ، وأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه . وكان خِيرَة الله من العالمين فدعا إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوى رحمه المهاجرون ، أكرم الناس أنسابا ، وأصبح الناس وجوها ، وأفضل الناس أفعالا . ثم كان أول من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار ، فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نُقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا: لا إله إلا الله ، فمن آمن بالله ورسوله مَنَع منَّا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه ، فى الله ، وكان جهاده علينا يسيرا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات فقام الزبرقان فقال :

نحنُ الملوكُ فلا حىٌّ يُقارِبنا ... مِنا الملوك وفينا يُوخَذ الرُّبُعُ[1]

تلك المكارم حُزْناها مُقارعةً ... إذا الكرام على أمثالها اقْتَرعُوا

كم قد قَسَرْنا من الأحياء كلّهمُ ... عند النِّهاب وفضلُ البِرِّ يُتَّبَعُ[2]

---

(١) الربع : المرباع وكان يأخذه الرئيس خالصا دون أصحابه .

(٢) فى الأغانى : كم قد نشدنا ... وفضل العز يتبع.

ونَنحرُ الكُوم عُبْطًا فى منازلنا[١] للنـازلين إذا ما اسْتَطْعَموا شَبِعوا
ونحن نُطعم عند القحْط ما أكلوا مِــن العَبِيط إذا لم يظهر القَزَعُ[٢]
وننصرُ الناسَ تأتينا سَرَاتُهمُ من كلِّ أَوْبٍ فَنَمْـضى ثم نُتَّبَـعُ[٣]

فأرسل رسول الله إلى حسان بن ثابت فجاء فأمره أن يجيبه فقال :

إن الذَّوائب من فِهْرٍ وإخوتهم قد بيَّنُوا سُنَّةً للناس تُتَّبَـعُ
يَرضَى بها كلُّ من كانت سَرِيرَتُه تَقْوى الإله وبالأمر الذى شَرَعوا
قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهمُ أوْ حاوَلُوا النفعَ فى أشياعهم نَفعوا
إنْ كان فى الناس سبَّاقون بعـدهم فكلُّ سَبْقٍ لأدْنى سَبْقهم تَبَعُ[٤]
سَجِيَّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثَةٍ إن الخلائقَ فاعْلَمْ شرُّها البِدَعُ
لا يَرْقَع الناسُ ما أَوْهَت أكُفُّهمُ عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رَقَعُوا
أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْىِ عِفَّتُهم لا يَطْبَعُون ولا يُزْرِى بهم طَبَعُ[٥]
ولا يَضَنُّون عن جارٍ بفضلِهمُ ولا يَمَسُّهم من مَطْمَعٍ طَمَعُ[٦]
يَسْمُون للحرب تبدُو وهى كالحَةٌ إذا الزَّعانف من أظفارها خُشُعُ[٧]
لا يَفـرحون إذا نالُوا عدُوَّهمُ وإن أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

---

(١) السكوم جمع أكوم أو كوماء : وهو البعير الضخم السنام . والعبط جمع العبيط : وهو ما يذبح من غير داء .

(٢) القزع : السحاب . وفى الأغانى : ونحن نطعم عند المحل .

(٣) كتب فى الأغانى : فتمضى ثم تتبع .

(٤) جاء هذا البيت فى الأغانى سادس الأبيات .

(٥) طبع يطبع طبعاً « على وزن فرح » : دنس فى جسمه أو خلقه بعيب . وفى الأغانى : ولا يرديهم طمع .

(٦) فى الأغانى : من مطمع طبع .

(٧) فى الأغانى : خشعوا .

كأنهم فى الوَغَى والموتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسودُ بِيشَةَ فى أرساغها فَدَعُ[1]
خُذْ منهمُ ما أَتَوْا عفوًا وإن غضبوا ... فلا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الذى مَنعوا
فإن فى حربهم فاتْرُكْ عَدَاوتَهم ... سُمًّا يُخَاضُ عليه الصَّابُ والسَّلَعُ[2]
أَكرِم بقومٍ رسولُ الله قائدُهم ... إذا تفرَّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدَى لهم مِدْحَتِى قَلْبٌ يُؤَازِرُه ... فيما أرادَ لسانٌ حائِكٌ صَنَعُ
وإنهم أفضلُ الأحيـاءِ كلِّهِمُ ... إن جدَّ بالناس جِدُّ القَوْلِ أو شَمَعُوا[3]

فقام عُطارد بن حاجب فقال :

أتيناكَ كيما يعلَمَ الناس فضْلَنا ... إذا اجتمعوا وقتَ احتضارِ المواسمِ
بأَنَّا فروعُ الناسِ فى كلِّ مَوْطِنٍ ... وأنْ ليس فى أرض الحجازِ كدارمِ

فقال حسان :

منعنـــا رسولَ الله من غَضَبٍ له ... على أنف راضٍ من مَعَــدٍّ وراغمِ[4]
هل المجدُ إلَّا السُّؤْدَدُ الفَرْدُ والنَّدَى[5] ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ

فقال الأقرع بن حابس : والله إن هذا لَمُؤَتًّى له[6] ، والله لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا ، أعطِنى يا محمد ، فأعطاه . قال : زِدْنى . فزاده ، فقال : اللهم إنه سيّد العرب ، فنزلت فيهم

---

(١) مكتنع: قريب. وبيشة: مكان كثير الأسود. والفدع : اعوجاج فى الرسغ .
(٢) الصاب والسلع: نوعان من الشجر مران .
(٣) شمعوا : مزحوا . وفى المختار وأصول الأغانى : أو سمعوا .
(٤) فى الأغانى : على رغم أنف من معد وراغم .
(٥) فى الأغانى : إلا السؤدد العود .
(٦) مؤتى : ميسر ومسهل .

« إنَّ الذين يُنادُونك مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ أكثرُهم لا يَعقلونَ »(١) ثم إن القوم أسلموا وأقاموا عند النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويتفقّهون فى الدين ، ثم أرادوا الخروج إلى قومهم فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقال : « أما بَقِى منكم أحد ؟ » وكان عمرو بن الأهتم فى ركابهم ، فقال قيس بن عاصم ، وهو فى رهطه وكان مُشاحنا له : لم يبق منا إلا غلام حديث السِّنّ فى ركابنا. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم . فبلغ عَمْرًا ما قال قيس فقال له :

ظَلِلْتَ مُفترِش الهَلْباءَ تشتُمنى(٢) عند الرسولِ فلم تَصْدُق ولم تُصِبِ
إن تُبغِضونا فإن الرُّومَ أصلُكم والرومُ لا تملك البغضاءَ للعَرَبِ
فإن سُؤْدَدَنا عَوْدٌ وسُؤْددكم مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ(٣)

فقال قيس :

لولا دِفاعى كنتمُ أعْبُدًا دَارُكُمُ الحِيرَةُ والسَّيْلَحُونْ(٤)

قال مسروق : دخلت على عائشة رضى الله عنها وعندها حسان بن ثابت يرثى ابنةً له ماتت وهو يقول :

حَصَان رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ وتُصْبِح غَرْثَى من لحوم الغَوَافِلِ(٥)

فقالت له عائشة رضى الله عنها : لـكنك لستَ كذلك ، فقلت لها : أَيدْخل عليك هذا وقد قال الله عز وجل: « والذى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهم له عَذَابٌ عَظِيمٌ »(٦)

---

(١) سورة الحجرات الآية ٤ .
(٢) الهلباء : الاست .
(٣) العجب: ماانضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز فى مؤخر العجز .
(٤) السيلحون : موضع قرب الحيرة أو هو بين الـكوفة والقادسية .
(٥) رزان: ذات وقار وزنه بخير أوشر : ظنه به. وغرثى : جائعة: أى لاتغتاب أحدا منهن.
(٦) سورة النور الآية ١١ .

فقالت له : أما تراه فى عذاب عظيمٍ قد ذهب بصره ؟ وكان حسان قد قال شِعرا يُعَرِّض فيه بِصَفْوانَ بنِ المُعَطَّل ومن أسلم من مضر وهو :

أمسى الجلابيب قد عزُّوا وقد كثروا   وابنُ الفُريعة أمسى بيضةَ البلد

فاعترضه صفوان بن المُعطَّل بالسيف فضربه لِما قَذَفه به من الإفك ولما عرَّض به فيه من قوله ، ثم قال :

تَلَقَّ ذُبابَ السيف عنكَ فإننى   غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب ثابتُ بن قيس بن الشماس على صفوان بن المعطَّل فجمع يديه إلى عنقه فانطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما لهذا ؟ فقال : أَلَا أُعَجِّبُك ؟ ضرب حسان بالسيف وما أراه إلا قد قتله ، فقال له عبدُ الله ابن رَواحة : هل علم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اُجترأت ، أَطلِق الرجل . فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل فقال صفوان : يا رسول الله آذانى وهجانى فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أَنفِسْتَ على قومى(١) أن هداكم الله عز وجل للإسلام ؟ أحسِن يا حسّانُ فى الذى أصابك قال : هى لك يا رسول الله .

كانت صفيةُ بنتُ عبد المطلب فى فارعٍ حصنِ حسان بن ثابت — يعنى يوم الخندق — وكان حسان فيه مع النساء والصبيان ، قالت : فمرَّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطيف بالحصن وقد حاربتْ بنو قُريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نُحورِ عَدُوِّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آتٍ ، فقلت : يا حسان إن هذا اليهودى كما ترى يُطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلَّ

(١) فى الأغانى : أتعيب على قومى .

على عَوْراتنا ، مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانْزِلْ إليه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنتَ عبد المطلب ، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا فأنزلَ إليه فأقتُلَه فلما قال ذلك ولم يكن عنده شيء احْتَجَزْتُ[1] . وأخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان انزِلْ إليه فاسلُبْه فإنه لم يمنعني من سلْبه إلّا أنه رجل . فقال : مالي بِسَلْبِه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

وكان أَكْحَلُ[2] حسانَ قد قُطع فلم يكن يَضرِب بيده .

ولما أنشد حسانُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

لقد غَدَوْتُ أمامَ القومِ منْطلقا ... بصارمٍ مثل لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاعِ

يَحْفِزُ عني نِجادَ السيفِ سابغةٌ[3] ... فَضفاضةٌ مثل لَوْنِ النِّهْىِ بالقاعِ[4]

ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظن أن ضحكه من وصفه نَفْسَه مع جُبْنه

قال مالك[5] بن أبي عامر : بينما نحن جلوس عند حسان بن ثابت . وحسان مضطجع مسند رجليه إلى فارع قد رفعهما عليه إذ قال : مَهْ ، أما رأيتم ما مَرَّ بكم الساعة ، قالوا : لا والله وما هو ؟ قال : فأختِه مرت الساعة بيني وبين فارع فصدمتني أو قال : فزحمتني . فقالوا : وما هي ؟ قال :

ستأتيكمُ غدْواً أحاديث جمة ... فأصغوا لها آذانكم وتسمَّعُوا

قال : فصبحنا من الغد خبر صِفّين .

---

(١) احتجز بردائه : شده على وسطه .

(٢) الأكحل : عرق في وسط الذراع .

(٣) يحفز : يدفع . وفي المختار : يحف عني . والتصويب من الأغاني .

(٤) النهي : الغدير .

(٥) هذا النص والتالي له في الأغاني وجاءا في هامش ك وبعضهما غير واضح واستعنت بالأغاني على إثبات ما لم يظهر .

وحُدِّث أن الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابعث معى من يدعو إلى دينك وأنا له جارٌ . فأرسل معه رجلا من الأنصار . فغدرتْ بالحارث عشيرتُه فقتلوا الأنصاريَّ . فقدم الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّب أحدا فى وجهه . فقال : « ادعوا حسان » فدُعِى له . فلما رأى الحارث أنشده :

يا حارِ مَنْ يَغْدِرْ بذمّة جارِه ... منكم فإن محمدا لم يغدر

إن تغدروا فالغَدْرُ منكم شيمةٌ ... والغدْر ينبت فى أصول السَّخْبَرِ

السَّخْبر : نبت[1] .

فقال الحارث : اكفِفه عنى يا محمد وأؤدى لك دية الُخفارة[2] فأدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَرَاء وكذلك دية الخفارة وقال : يا محمد . أنا عائذٌ بك من شرِّه فلو مُزِج البحر بشعره مزجه .

لما صار ابنُ الأشعث إلى رُتْبيل[3] تمثلَ رُتْبيل بقول حسان بن ثابت فى الحارث ابن هِشام :

إن كنتِ كاذبةَ التى حَدَّثْتِنِى ... فنجوتِ مَنْجى الحارث بنِ هشامِ

تركَ الأَحِبَّةَ أن يُقاتلَ دُونهمْ ... ونَجَا برأسِ طِمِرةٍ ولجامِ[4]

فقال ابنُ الأشعث : أو ما سمعت ما ردّ عليه الحارث بن هشام ؟ فقال : وما يقول؟ قال : قال :

الله يعلم ما تركت قتالَهُمْ ... حتّى عَلَوْا فرسى بأشقرَ مُزْبدِ

وعلمت أنى إنْ أُقاتلْ واحداً ... أُقتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّى مَشهدِى

---

(١) جملة «السخبر نبت» ليست فى الأغانى . هذا، ويقال : ركب فلان السخبر: إذا غدر .

(٢) الخفارة : الذمام .

(٣) رتبيل صاحب الترك كان بنواحى سجستان غزاه عبيد الله بن أبى بكرة سنة ٧٩ هـ .

(٤) الطمرة : الأنثى من الجياد الطويلة القوائم الخفيفة .

ففررت عنهم والأحِبَّةُ فيهمُ طَمَعاً لهم بِعقاب يَوْمٍ مُرْصَدِ

فقال رُتْبيل : يا معشر العرب ، حسَّنتم كلَّ شيء حتى الفرار حسنتموه .

ولما عَرَض بصفوان بن المُعَطَّل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا حسان، أنفِسْت على قومى أن هداهم الله عز وجل للإسلام » أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتردّد حسان إليه مرتين وهو يعرض عنه ، إلى أن قال له فى المرة الثالثة: يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، احفظنى فى قولى :

هجوتَ محمَّداً فأجبتُ عنه وعند الله فى ذاك الجزاء

فرضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووهب له شِيرين أختَ مارية أم إبراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عِوَضا عن ضَرْبته بِبَيْرَحَاء ، وهى قصرُ بنى جَدِيلة بالمدينة ، وولدت له شيرين عبدَ الرحمن بن حسان .

وكان صفوانُ رجلًا حَصورا لا يأتى النساء ، وقُتل شهيدا وهجا رجلٌ حسانَ بما فعل به صفوان فقال :

وإن ابن المعطل من سُلَيْم أذلَّ قِيادَ رأسِك بالخِطامِ

قال عُمر بن شَبَّة(١) : كان النابغة الذبيانىّ تُضْرب له قُبَّة من أدم بِسُوق عُكاظ، يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل حسان بن ثابت وعنده الأعشى والخنساء، وقد أنشده شعرا ، فأنشدته الخنساء قولها :

وإن صَخْراً لمولانا وسيِّدُنا وإن صَخْراً إذَا نَشْتُو لَنَحَّارُ

وإن صخرا لَتأتَمُّ الهداةُ به كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

---

(١) هذا النص بطوله ليس فى ترجمة حسان وإنما جاء فى ترجمة النابغة جـ ١١ ص ٦ دار الكتب ودار الثقافة المجلد ١١ وبولاق ٩/١٦٣ مع اختلاف كثير .

فقال : لولا أن أبا بَصِير أنشدنى قبلك لقلت: إنك أشعر الناس ، ولكنه أشعر من كل ذات هَنٍ ، فقالت : إى واللهِ ومن كلٍّ ذى خُصْيَين . فقال حسان : أناوالله أشعر منك ومنها ومن أبيك . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمعْنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْـدَةٍ دَمَا
وَلَدْنا بنى العَنْقَاءِ وابنَىْ مُحَرِّقٍ فأكْرِمْ بنا خَالًا وأَكْرِمْ بنا ابْنَما(١)

فقال له : إنك قلت « الجفنات » فقلّلْتَ العدد ولو قلت الجِفَان لكان أكثر ، وقلت : « يلمعن بالضحى » ولو قلت « يَبرقْن بالدُّجى » لكان أبلغ فى المديح ، لأن الضيف بالليل أكثر ، وقلت « يقطرن من نجدة دما » فدَلَلْتَ على قِلّة القتل ، ولو قلت : « يجرى » لكان أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمَن وَلَدْت ولم تفخر بمن وَلَدَكَ . فقام حسان منكسرا منطلقا منقطعا . فقال له : ولكنك لا تحسن أن تقول :

خَطاطِيفُ حُجْنٍ فى حبالٍ مُتِينةٍ تُمَدُّ بها أيـدٍ إليك نَوازِعُ

ومن شعر حسان يمدح بنى جَفْنة من قصيدة أولها(٢) :

* أسألت رسم الدار أمْ لم تَسأل *

وهى من فاخر المدائح يقول فيها :

إن التى عاطيتنى فردَدْتَها قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ
كِلْتاها حَلَبُ العصيرِ فعاطِنى بِزُجاجةٍ أرخاهُما للمَفْصِلِ
أولاد جَفْنةَ حولَ قَبْرِ أبيهمُ قَبْرِ ابنِ مارِيَةَ الجوادِ المُفْضِلِ

---

(١) ابنما : ابنا .

(٢) هـذا النص ليس فى ترجمة حسان ولا القصيدة ، وجاء بعضها فى ج ١٥ ص ١٢٢ دار الثقافة فى أخبار حسان وجبلة بن الأيهم .

يَسْقون من وَردَ البَرِيصَ عَليهمُ ... بَرَدَى يُصَفَّق بالرَّحيق السَّلْسَلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهمْ ... شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأوَّلِ
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابهمْ ... لا يَسألونَ عن السَّوادِ المُقْبلِ

قال[1] ابن ظبيان الحمانى : اجتمع جماعة من الحيّ على شراب ، فتغنى رجل منهم بشعر حسان : « إن التى عاطيتنى » البيتين . فقال رجل من القوم : ما معنى قوله « إن التى عاطيتنى » فجعلها واحدة ، ثم قال « كلتاهما حلب العصير » فجعلها ثنتين . فلم يعلم أحد منا الجواب ، فقال رجل من القوم : امرأته طالق ثلاثا إن بات أو يسأل القاضىَ عُبيدَ الله بن الحسين عن تفسير هذا الشعر ، فأُسقط فى أيدينا ليمينه ، ثم أجمعنا على إتيان عبيد الله ، قال ابن ظبيان : فحدثنى بعض أصحابنا السعديين قال : فأتيناه نتخطَّى إليه الأحياء حتى أتيناه وهو فى مسجده يصلى بين العشائين ، فلما سمع حِسَّنا أوجز فى صلاته ، ثم أقبل علينا فقال : ما حاجتكم ؟ فبدأ رجل منا كان أحسنَنا هيئة فقال : أعز الله القاضى ، نَزَعْنا إليك من طرف البصرة فى حاجة مُهمة فيها بعضُ الشيء ، فإن أذنت لنا قلنا . قال : قولوا ، فذكرَ يَمينَ الرجل والشِّعر . فقال : أما قوله : « إن التى عاطيتنى » يعنى الخمر . وأما قوله : « قُتِلَتْ قُتِلْتَ » يعنى مزجت بالماء . وقوله « كلتاهما حلب العصير » فإنه يعنى الخمر ومِزاجها . فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب . قال الله تعالى « وأَنزلْنا من المُعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجاً »[2] انصرفوا إذا شئتم .

قال يوسف بن ماهك : أخبرتنى أمى أنها كانت تطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتْ حسان ، قالتْ : فَسَبَبْتُهُ . فقالت : بئس ما قلتِ أتَسُبِّينه وهو الذى يقول :

---

(١) هذا النص ليس فى ترجمة حسان .
(٢) سورة النبأ الآية ١٤ .

فإن أبى ووالِدَه وعِرضى　　لعرضِ محمدٍ منكم وِقَاءُ

فقلت : أليس ممن لعن الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئا، ولكنه يقول :

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ　　وتُصبحُ غَرْثَى من لُحوم الغوافِلِ

فإن كان ما قد جاء عَنِّىَ قُلْتُه　　فلا رفعَتْ سَوْطى إلىَّ أنامِلِى

دخل حسان بن ثابت بيت خمَّار فى الشام فى الجاهلية ومعه أعشى بكر بن وائل، فاشتريا خمرا وشربا ، فنام حسان ثم انتبه ، فسمع الأعشى يقول للخمار: كره الشيخُ الغُرْمَ . فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خَمْرَ الخمَّار كلَّها ثم سَكَبها فى البيت حتى سالت تحت الأعشى ، فعلم الأعشى أنه سمع كلامه فاعتذر إليه .

قدم عبدُ الله بن جعفر(١) على مُعاوية وافداً ، فدخل إليه إنسان ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ابنُ جعفر يشرب النبيذَ ويسمع الغناء ويُحرِّك رأسه عليه . فجاء معاوية مُتغيِّراً حتى دخل على ابن جعفر وعزَّةُ الميلاء بين يديه كالشمس الطالعة تضىء فى كِسْرِ البيت تغنيه على عُودها :

تَبلَتْ فؤادكَ فى المنامِ خَريدةٌ(٢)　　تَشْفِى الضَّجيع ببـاردٍ بَسَّامِ

وبين يديه عُسٌّ عَسلٍ ، فقال : ما هذا يا ابن جعفر ؟ فقال : أقسمت عليك يا أمير المؤمنين لتشرَبَنَّ منه ، فإذا عَسلٌ ممزوج بمسك وكافور ، فقال : هذا طيِّب ، فما هذا الغناء ؟ قال : هذا شعر حسان فى الحارث بن هشام ، قال : فهل تغنى بغير هذا ؟ قال : نعم ، بالشِّعر الذى يأتيك به الأعرابىُّ الجافى الأذفرُ القبيحُ المنظرِ

---

(١) هذا النص جاء بعد غزوة بدر ج ٤ ص ٢١٢ دار الكتب .

(٢) فى الأغانى : فى الظلام خريدة.

فيُشافهك[1] به فتُمْطيه عليه وآخذه أنا فأختار محاسنه ورَقيق كلامه وأُعطيه هذه الحسنةَ الوجه الليِّنة اللَّمْس الطيبّة الرّيح فترتِّله بهذا الصوت الحسن . قال : فما تحريكك رأسك ؟ قال : أَريحيَّةٌ أجدها إذا سمعت الغنـاء لو سُئِلت [عندها] لأعطيت ، ولو لَقيتُ لأبلَيْتُ . فقال معاوية : قبح الله قوما عرّضونى لك . ثم خرج وبعث إليه بِصِلة سَنيّة .

(١) فى المختار : فيشفهك . وشفهه : ضربه على شفته أو ألح عليه فى السؤال أو شغله . والتصويب من الأغانى .

حِبَّان النابغة الجعدى[1]

هو حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُــدَس ــ وقيل : ابن عمرو بن عُدَس ــ بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربَيعة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قَيس بن عيلان بن مضر . هذا النسب مُجمع عليه ، وقد قيل : إن خصفة الذى يقول الناس إنه ابن قيس بن عيلان وليس كما ذكروا . وإن عكرمة بن قيس بن عيلان وخصفة أمه امرأة من هَجَر ، وقيل بل حاضنته ، وكان قيس بن عيلان مات وعكرمة صغير ، فربّته حتى كبر ، وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خصفة ، فبقيت عليه ، ومن لا يعلم يقول : عكرمة بن خصفة بن قيس كما يقال خِندف ، وإنما هى امرأة تزوجها إلياسُ بن مضر ، وقالوا فى صعصعة بن معاوية إن النَّاقِميَّة بنت عامر بن مالك ــ وهو الناقِمُ سُمِّى بذلك لأنه انتقم بلطمة لُطِمها ــ وكنية النابغة أبو ليلى ، وقيل: إن اسمه قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة ، وهذا وَهْم ممن قاله ، وليس يُشَكُّ فى أنه كان له أخ يقال له وَحْوَح بنُ قيس ، وهو الذى قتله بنو أسد[2] .

كان بنو كعب قد أغاروا على بنى أسد وفيهم وَحْوَح ، فطُعن وأخذه خالدُ بن نَضْلة الأسدىُّ ، وعطف عليه أخوه النابغة ، فقال له خالد : هلمَّ إلىَّ وأنت آمنٌ . فقال النابغة : لا حاجة لى فى أمانك ، أنا على فرسى ، ومعى سلاحى ، وأصحابى قريب ،

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٥/١ ودار الثقافة ٥/٣ وبولاق ١٢٨/٤ والساسى ١٢٧/٤ والتجريد ٦١٣ هذا، وفى المختار : حسان النابغة وبهامش ك عن مخطوط آخر : حيان. وفى أصول الأغانى : حسان أيضا والتصويب من الإصابة وغيره من كتب الصحابة .

(٢) بهامش ك إشارة إلى نسخة أخرى ذكرت أنهم بنو راشد .

ولـكنى أوصيك بما فى الموسجة ، يعنى أخاه وحوحَ ، فعدل إليه خالد وأخذه وضمه إليه ومنع من قتله حتى فُدِى بعد ذلك .

وأمُّ النابغة فاخرةُ بنت عمرو بن جابر شِحْنة الأسدى ، وإنما سُمِّى النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يتـكلم ، ثم تـكلم بالشعر . وقيل : إنه قال الشعر فى الجاهلية ، ثم اختلّ دهرا ، ثم نبغ بالشعر فى الإسلام .

كان النابغة الجعدىُّ أسنَّ من النابغة الذبيانى .

وكان الجعدىُّ شاعرا مُفلقا طويل البقاء فى الجاهلية والإسلام ، ومن الدليل على أنه أكبر من الذبيانىّ قوله :

ومن يَـكُ سائلًا عنى فإنى ... من الفتيان أيـام الُخنَانِ
أتتْ مائـةٌ لعامَ وُلِدْت فيه ... وعشرٌ بعـد ذاك وحِجَّتانِ
فقد أبقتْ صروفُ الدهر منى ... كما أبقت من السيفِ اليمانى

وعُمِّر بعد ذلك طويلا .

سئل محمد بن حبيب عن أيام الُخنان فقال : وقعـة لهم[1] . قال قائل منهم وقد لقوا عدوهم : خُنُّوهم بالرماح ، فسمى ذلك عام الُخنان ، ويدل أيضا على كبره أنه كان قد عُمِّر مع المنذر بن المحرّق قبل النُّعمان بن المُنذر ، وكان النابغة الذبيانى مع النعمان ابن المنذر فى عصره ، ولم يكن له قدَمٌ إلا أنه مات قبل الَجعْدىّ ولم يُدرك الإسلام وأدركه الجعدىُّ .

---

(١) فى اللسان مادة خنن : الخنان : زمن معروف عند العرب قد ذكروه فى أسفارهم . . . « وذكر البيت » وقال الأصمعى : كان الخنان داء يأخذ الإبل فى مناخرها وتموت منه فصار ذلك تاريخا لهم . ورواية اللسان: فمن يحرص على كبرى فإنى من الشبان أيام الخنان .

والجعدى الذى يقول :

تذكّرت شيئا قد مضى لسبيله ... ومن عادة المحزون أن يتذكّرا

نداماى عند المُنذر بن مُحَرِّق ... أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرا

كهولٌ وفتيانٌ كأنّ وجوههم ... دنانيرُ مما شيفَ فى أرض قَيْصَرا(١)

وعمر النابغة مائة وثمانين سنة وقال :

لَبِسْتُ أُناسا فأَفنيتهمْ ... وأفنيتُ بعد أُناس أناسا

ثلاثةُ أهلين أفنيتُهمْ ... وكان الإلهُ هو المُسْتَآسَا(٢)

وكنتُ غلاما أُقاسى الحرو ... بَ ويَلقى القُاسُون منى مِرَاسَا

فلما دَنَوْنَا لِجَرْسِ النُّبا ... حِ لم نعرف الحىّ إلّا التماسا(٣)

أضاءت لنا النارُ وجها أغـ ... ـرّ مُلْتَبِساً بالجمال التباسا(٤)

وأنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه السينية إلى أن قال :

* ثلاثة أهلين أفنيتهم *

فقال : كم لبثت مع كل أهل ؟ فقال : ستين سنة .

وقال أيضا :

ألَا زعمت بنو سعدٍ بأنّى ... ـ ألَا كَذبوا ـ كبيرُ السِّنِّ فانى

أتت مائةٌ لعامَ وُلِدت فيه ... وعَشرٌ بعد ذاك وحِجَّتانِ

وأنشد رَجلٌ من العجم قول النابغة :

لبستُ أُناسا فأفنيتهمْ ... وأفنيت بعد أُناس أناسا

---

(١) شاف الدينار أو السيف : جلاه .

(٢) المستآس : المستعاض .

(٣) جرس النباح : صوت نباح الكلاب.

(٤) فى الأغانى كهامش ك : بالفؤاد التباسا .

وفُسِّر له بالعربية فقال « بديشار بنيود »(١) أى هذا رجل مشئوم .

وقال ابنُ قتيبة : إنه عُمِّر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان . وما ذاك بمُنكر ، لأنه قال لعمر بن الخطاب : إنه أفنى ثلاثة قرون كل قرن ستون سنة ، فهذه مائة وثمانون سنة ، ثم عمر بعده إلى أيام عبد الله بن الزُّبير ، فقدم عليه مكّة واستماحه ومدحه . وفى بقيّة مُدَّة عُمَرَ وأيام عثمان وأيام علىّ ومعاوية ويزيد نَحْوُ ما ذكر ابن قتيبة .

وهاجى أوسَ بن مَغراء بحضرة الأخطل والعجّاج وكعب بن جُعيل فغلبه أوْس وكان مُغَلَّباً .

قال النابغة : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجبه :

بلغنا السماءَ مجـدُنا وجُدودُنا   وإنّا لنرجو فوق ذلك مَظْهَرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقلت : الجنة . فقال : « قل : إن شاء الله » فقلت : إن شاء الله ، ثم قلت بعد ذلك :

ولا خيْرَ فى حِلْمٍ إذا لم تـكنْ له   بوادرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُـكَدَّرا

ولا خيْرَ فى جهلٍ إذا لم يكنْ له   حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أَصدَرَا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أجدْتَ ، فلا يَفْضُضِ اللهُ فاك » فلقد أتت عليه مائةُ سنةٍ أو نحوها وما انفضَّ من فيه سِنٌّ .

وكان النابغة ممن فَـكَّر فى الجاهلية وأنـكرَ الخمر ، والسُّـكْرَ وما يفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان ، وقال فى الجاهلية كلمته التى أولها :

الحمـــدُ لله لا شريكَ له   من لم يَقلْها لنفسه ظَلما(٢)

---

(١) فى الأغانى «بدين شان بود» .

(٢) فى الأغانى : فنفسه ظلما .

وكان يذكر دين براهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقّى أشياء لِعَواقِبها .
ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وقال :

أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهُدى ويتلو كتابا كالمَجَرَّةِ نَيِّرَا
وجاهدتُ حتى ما أُحسُّ ومَن مَعى سُهَيْلًا إذا ما لاح ثُمَّتَ غَوَّرَا
أُقِيمُ على التقوى فأرْضَى بفِعْلها وكنت من النار المَخُوفةِ أَوْجَرَا

أوجرَ أى أوْجَل .

وحسن إسلامه ، وشهد مع علىٍّ رضوان الله عليه صِفِّين .

وكان دخل على عثمان رضى الله عنه فقال : أستودعك الله يا أمير المؤمنين ، قال : وأين تريد يا أبا ليلى ؟ قال : أَلْحَقُ بإبلى وأشرب من ألبانها فإنى مُنكِرٌ لنفسى . قال : أتعرّباً[(١)] بعد الهِجرة يا أبا ليلى ؟ أما علمت أن ذلك مكروه ؟ قال : ما علمته ، وما كنت لأَخرج حتى أُعلمك . قال : فأَذِن له وأَجَّله فى ذلك أجلا . فدخل على الحسن والحسين رضوان الله عليهما فودَّعهما ، فقالا له : أنشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى ، فأنشدهما :

الحمدُ لله لا شريكَ لـه من لم يَقُلْها لنفسه ظَلَمَا

فقالا : يا أبا ليلى ما كنا نَرْوى هذا الشّعر إلّا لأُمَيّة بن أَبى الصَّلْت . فقال : يا ابْنَىْ رسولِ الله ، إنى لصاحب هذا الشعر وأوّل من قاله ، وإن السَّرُوقَ عَيْنَ السَّروق[(٢)] مَنْ سَرَق شِعْرَ أُميّة .

وكان السبب فى مهاجاة النابغة وأَوس بن مَغْراء أن معاوية لما نَدَبَ بُسْرَ بن

---

(١) التعرب أن يصير الرجل أعرابيا وذلك أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا .

(٢) كلمة « عين السروق » ليست فى الأغانى .

أَرطاةَ الفِهْرِىَّ لقتل شيعة أمير المؤمنين على رضوان الله عليه جاء إليه مَعْنُ بنُ يزيد ابن الأخنس السُّلَمىُّ وزياد بن الأشهب بن وَرْد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة فقالا : يا أمير المؤمنين نسألك بالله والرَّحِم ألا تجعل لِبُسْرٍ على قَيْسٍ سُلْطانا فيقتُل قيسا بمن قتلَتْ بنو سُلَيم من فِهر ومن كِنانة يوم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة . فقال معاوية : يابُسْر ، لا لا أمر لك على قيس ، فسار بُسْر حتى أتى المدينة(١) ، وقتل ابْنَىْ عُبيدِ الله بن العباس ، وفرَّ أهلُ المدينة ودخلوا الحرَّة حَرَّة بَنِى سُلَيم [ثم سار حتى أتى الطائف] وقالت ثَقِيف : مالك علينا سلطان ، نحن من قيس ، فسار حتى أتى هَمْدَان وقد تَحَصَّنوا فى جَبَل لهم ، فسار بُسْر ولم يلتفت إليهم ، حتى إذا اغترُّوا ونزلوا على قُراهم أغار عليهم ، فقتل وسبى نساءهم ، فكنَّ أوَّلَ مُسلمات سُبِينَ فى الإسلام ، وكان من نَجَا من سعد نُزولًا بين ظَهْرَانَىْ بَنِى جعدة بالفَلَجِ(٣) فأغار بُسْرٌ على السعدِيِّين ، فقتل منهم وأسر ، فقال أوس بن مَغْراء فى ذلك :

مُشِرِّينَ يرْعَوْنَ النَّجِيلَ وقد أَتَتْ(٤) ... بأوصالِ قَتلاكُمْ كلابُ مُزاحِمِ

المُشِرُّ : الذى قد بسط ثوبه . فقال النابغة يجيبه :

متى أكَلَتْ لحومَكُم كِلابى ... أكَلْتَ يَدَيْك من جَرَبٍ تَهامِ

---

(١) فى المختار : الطائف . وقتل ابنى عبيد الله كان باليمن . وفى الأغانى : حتى أتى المدينة .

(٢) زيادة من الأغانى .

(٣) فى الأغانى « ومر بحى من بنى سعد نزول بين ظهرى بنى جعدة بالفلج » هذا ، والفلج مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة كما فى معجم البلدان.

(٤) فى الأغانى : وقد غدت .

ولم يكن أوس مثلَ النابغة ولا قريبا منه فى الشعر ، فقال النابغة : إنى وإياه لنبتدرُ بَيْتاً أيُّنا سبق إليه غلبَ صاحبَه . فلما بلغه قولُ أوس :

لعمرُكَ ما تبلى سَرابيلُ عامرٍ   من اللُّؤْم ما دامتْ عليها جُلُودُها

قال النابغة: هذا البيت الذى كنا نَبْتَدِر إليه فغُلِّبَ أوسٌ عليه .

وكان سبب المهاجاة بين الجعدىّ وبين ليلى الأَخْيَلِيَّة أن رجلا من قُشير يقال له ابنُ الحَيَا ـ وهى أُمُّه ـ واسمه سَوَاد(١) بن أَوْفى بن سَبْرة هجاه وسَبَّ أخواله من بنى أسد فى أمر كان بين قُشير وبين جَعْدة وهم بأصبهان ، فأجابه النابغة بقصيدته الفاضحة ـ سُمِّيت بذلك لأنها ذَكَر فيها مساوئَ قُشير وعُقيل وكلَّ ما كانوا يُسَبُّون به ـ ونخر بمآثر قومه :

جَهِلْتَ علىَّ ابنَ الحَيَا وظَلَمْتَنى   وجَمَّعْتَ قولاً خاسِئاً ومُضَلَّلا

وقال أيضا قصيدته التى أولها :

أَمَارَى ظُلَلَ الأيّامِ قد حَسرَتْ   عنّى وشَمَّرْتُ ذَيْلاً كان ذيّالاَ(٢)

ويوم مكّة إذ ماجَدْتُمُ نَفَرًا   حامُوا على عُقَدِ الأحساب أزْوَالاَ(٣)

عند النجاشىّ إذ تُعطون أيدِيَكُمْ   مُقَرَّنِين ولا تَرْجُون إرْسَالا(٤)

إذ تَسْتَحِبُّون عند الجَدْلِ أنَّ لكم(٥)   من آل جعدةَ أعماما وأخوالا

لو تستطيعون أن تُلْقُوا جُلودَكُمُ   وتَجعلوا جِلْد عبدِ الله سِرْبالا

يعنى عبد الله بن جعدة بن كعب .

---

(١) فى الأغانى : سوار .

(٢) ذيالا : طويلا .

(٣) الأزوال جمع الزول : وهو الفتى الخفيف الظريف ، والجواد .

(٤) فى المختار : « ولا ترخون » .

(٥) فى الأغانى : « عند الخذل أن لكم » .

إذا تسربلتمْ فيه لِيُنجِيَكمْ فيما يقول ابنُ ذِى الجدّين إذ قالا
حتى وَهبتم لعبد الله صاحِبَه والقولُ فيكم بإذن الله ما قالا
تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

يعنى بهذا البيت أن ابن الحيَا فخر عليه بأنهم سَقَوْا رجلا من جَعْدَة أدركوه فى سفر وقد جَهِدَ عطشاً ، فسقوه لبناوماء فعاش . وفخر عليهم أيضا بيوم رَحْرَحَانَ فقال:

هلا سألتَ بيومَىْ رَحرحانَ وقد ظنَّتْ هوازنُ أن العِزَّ قد مالا[1]

فلما قال النابغة :

* تلك المكارمُ لا قَعْبَانِ من لبن *

وكونه فخر بماله وَغَضَّ مالهم اعْتَنَّت[2] ليلى الأخيليةُ بينهما ، وقالت :

وما كنتُ لو فارقتُ حبلَ عشيرتى لأذكُرَ قَعْبَىْ خازرٍ قد تَثَمَّلا[3]

فلما بلغ النابغةَ قولُها قال :

ألاَ حَيِّيَا ليلى وقولا لها هَلاَ رَكِبْتِ لنا أَيْرًا أغرَّ مُحجَّلاَ[4]
وقد أكلتْ بَقْلاً وَخِيماً نباتُه وقد شَرِبَتْ من آخراللَّيل أَيِّلا

أَيِّلا يعنى ألبان الأيِّل ، وقد تُورث الغُلْمة :

دعى عنك تَهجاءَ الرجالِ وأَقْبِلِى على أذْلَغِيٍّ يملأُ استَك فَيْشَلا[5]
وكيف أهاجى شاعراً رُمحُه استُه خَضيبَ البنانِ لا يزال مُكَحَّلا

---

(١) بهامش ك رواية عن نسخة أخرى : « قد زالا » مثل الأغانى .
(٢) اعتنت : اعترضت . وفى الأغانى : ودخلت ليلى .
(٣) الخازر : اللبن الحامض . وتثمل : صار كتلا من الرغوة .
(٤) فى الأغانى : فقد ركبت أيرا أغر محجلا .
(٥) الأذلغى : الضخم الطويل من الأيور .

فردت عليه ليلى الأخيلية فقالت :

أنابغُ لمْ تَنبغْ ولم تكُ أوَلاً   وقد كنت صُنَيًّا بين صَدَّيْنِ مَجْهَلا(١)

الصُّنَيُّ شِعْبٌ يسيل منه الماء ، وصَدّان : جبلان .

أنابغُ إنْ تَنبُغْ بلُؤْمِك لا تَجِدْ   بلؤمك(٢) إلاَّ وَسْطَ جَعْدَةَ مَجْعَلا

تُعيِّرُنى داءً بأمِّكَ مثلُه   وأىُّ حَصَانٍ لا يقال لها هَلا

فغلَبَتْه ، فلما أتى بنى جعدةَ قولُها هذا اجتمع ناسٌ منهم وقالوا : لتأتِيَنَّ صاحب المدينة أو أمير المؤمنين فليأخذَنَّ لنا بحقنا من هذه الخبيثة ، فإنها قد شتمت أعراضنا وافترتْ علينا ، فتأهبوا لذلك ، وبلغها أنهم يريدون يستمدون عليها ، فقالت :

أتانى من الأنباء أن عشيرتى   بِشَوْرَانَ يُزْجُونَ المَطِيَّ المُذَلَّلا(٣)

يَروحُ ويغدو وَفْدُهم بصحيفة   لِيَسْتَجْلِدونى ساءَ ذلك مَعْمَلا

ومن الأيام التى نخر بها النابغة يوم شَرَاحِيل بن الأصهب الجُعْفِىّ ، وهو يوم مذكور تَفخر به مُضَر كلُّها وذلك أن شراحيل خرج مُغِيرا فى جَمْعٍ من اليمن ، وكان قد طال عمره وكثر تَبَعُه وبعُدَ صَوْتُه(٤) واتَّصل ظَفَرُه وصالح بنى عامر على أن يَغزُو العرب فإنهم بَدْأتُه وعَوْدَتُه ، لا يَعْرِض أحدٌ منهم لصاحبه . فأبعد فى بعض غزواته ، ثم رجع فمرّ على بنى جَعْدة فقَرَتْه ونَحَرَتْ له ، فعَمَدَ ناسٌ من سفهاء أصحابه فتناولوا إبلًا لبنى جعدة فنحروها ، فسكت ذلك بنو جعدة إلى شراحيل فقالوا : قَرَيْنَاك وأحْسَنَّا ضِيافتك ولم تَمنعْ أصحابك مما يعملون ، فقال : إنهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعمرى ، وإنما يقيمون عندكم يوما أو يومين ثم يرتحلون .

---

(١) فى المختار : صنايين : ضدين هذا والصنى تصغير الصنو : وهو الغور يسيل فيه الماء .

(٢) فى الأغانى : للؤمك .

(٣) شوران : جبل فى ديار بنى جعدة .

(٤) فى الأغانى : صيته .

فقال الرقّاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة لأخيه وَرْد بن عمرو ــ وقيل : بل قال لابن أخيه الجَعْد بن ورد ــ : دَعْنى أذهب إلى بنى قُشَير ــ وجَعْدَةُ وقُشير أخوانِ أمهما رَيْطة بنت قُنفُذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سُلَيم بن منصور ــ فأدعوهم ، واصنعْ أنت لشراحيل طعاما حسنا وادْعُه وأدْخِله إليك واقتُلْه، فإذا احتجت إلينا فدَخِّنْ ، فإنى إذا رأيت الدخان أتيتك بهم فوضَعْنا على القوم الحَرْب[1] . فعمد وردٌ إلى الطعام فأصلحه ، ودعا شراحيلَ وناساً من أصحابه وبنى عمه ، فجعلوا كلّما دخل البيت رجلٌ قتله وردٌ ، حتى انتصف النهار ، فجاء أصحاب شراحيل يتبعونه ، فقال لهم وَرْدٌ : تَرَوَّحُوا ، فإن صاحبكم قد شَرِب وثمل وسَيَرُوحُ . فرجعوا ، ودَخَّنَ وردٌ ، فجاءت قشير فقتلوا من أدركوا من أصحابه ، وسارَ سائِرُهم ، وبلغهم قتلُ شراحيل فمرُّوا على بنى عُقَيل وهمْ إخوتهم فقالوا : لنقتلن مالك بن المُنْتَفِق ، فقال لهم مالك : أنا آتيكم بوَرْدٍ . فركب ببنى عُقَيل إلى بنى جعدة وقُشير ليُعْطوه وردا ، فامتنعوا من ذلك ، وساروا بأجمعهم فذَبُّوا عن عُقَيل حتى تَفَرَّق جمعهم ممن كان[2] مع شَراحيل ، فقال بَحِير بن عبدالله بن سَلَمَة :

أحىٌّ يُنْفِدُون العِيرَ نَحْرًا   أحبُّ إليك أمْ حَيًّا حِلالِ[3]
لعلَّك قاتلٌ ورداً ولمَّا   تُسَاقُ الخَيْلُ بالأَسَلِ الطِّوالِ[4]
ألَا يا مَالِ وَيْحَ سِواكَ أَقصِرْ   أمَا يَنهاكَ حِلْمُك عن ضَلالِ

---

(١) فى الأغانى : فوضعنا سيوفنا على القوم .
(٢) فى الأغانى : حتى تفرق من كان .
(٣) فى الأغانى : حيا هلال ..
(٤) فى الأغانى : بالأسل النهال .

وأما قوله :

لو تستطيعون أن تُلقوا جُلودَكم   وتجعلوا جِلْد عبد الله سِربالا

فإن سبب ذلك أنه كان هُبيرة بن عامر بن سَلمة بن قُشير لقى خِدَاش بن زُهير البَكّائى فتنافرا على مائة من الإبل لمائة [قال كل منهما لصاحبه][١]:لأنا أكرم منك وأعز . وحكّما فى ذلك رجلا من بنى الجدَّيْن فقضى بينهما أن أعزها وأكرمهما أقربُهما من عبد الله بن جعدة نسبا ، فقال خِداش : أنا أقرب إليه ، لأن أم عبدالله بن جعدة عمتى وهى أميمة بنت عمرو بن عامر ، وإنما أنت أدنى إليه منى بأبٍ . فلم يزالا يختصمان فى القرابة لعبد الله دون المكاثرة بآبائهما إقرارا بذلك حتى فَلَج[٢] بذلك هُبيرة القُشيرىّ وظفر به . وكان عبد الله بن جعدة سيّدا مطاعا ، وكانت له إتاوته بعُكاظ يُؤتى بها ، فجاء سليمان[٣] بن سَلَمة القشيرىّ وعبدُالله جالس على ثِيابٍ قد جُمعت له من إتاوته ، فأنزله عنها وجلس مكانه ، فجاء رِياح[٤] بن عمرو بن ربيعة وهو الخليع سمى بذلك لتخلعه على الملوك لا يعطيهم طاعة ، فقال للقشيرى : مالك ولشيخنا تنزله عن إتاوته ؟ فقال القشيرىّ : كذبت ، ما هى له . ومد القشيرى رِجله وقال : هذه رِجْلى فاضربها إن كنت عزيزا . فقال : لا لعمرى لا ضربتُ رِجلك . فقال له القشيرىّ: فامدُدْ لى رِجلك حتى تعلم أضربها أم لا . قال : ولاأمدُّ لك رجلى ، ولكن أفعل مالاتنكره العشيرة وماهوأعزُّ لى وأذلُّ لك . ثم أهوى إلى رجل القُشيرىّ فسحبه على قفاه فنحّاه وأقعد عبدَ الله بن جَعدة مكانه .

---

(١) زيادة من الأغانى .

(٢) فلج : فاز .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : سمير .

(٤) فى المختار وبعض أصول الأغانى : « رباح » . والتصويب من بعض أصول الأغانى وتصويب الشنقيطى .

وعبدُ الله بن جعدة أولُ من صنع الدبَّابة ، وكان سببها أنهم انتجعوا ناحية البَحرَين وهجموا على عبدٍ لرجل يقال له الكَوْدَن فى قَصْرٍ حَصِين ، فدخَّن العبدُ ودعا النساء والصبيانَ ، فظنوا أنه يريد أن يطعمهم ثَرِيدا ، حتى إذا امتلأ القصرُ منهم أغلقه عليهم ، فصاح النساء والصبيان ، وقام العبد ومن معه على شُرَف القصر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا رماه ، فلما رأى ذلك عبدُ الله بن جعدة صنع دبَّابة على جذع نخلة(١) وألبسها جُلودَ الإبل ، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندها إلى القصر ، ثم حَفروا حتى خرقوه ، فقتل العبدَ ومن كان معه واستنقذوا نساءهم وصبيانهم فلذلك يقول النابغة :

ويومَ دعا وِلدانَكم عبدُ كَوْدنٍ ... فخالُوا لَدَى الداعِى ثَرِيداً مُفلْفَلا
وفى ابنِ زِيادٍ وهو عُقْبة خيرِكمْ ... هُبَـيرةُ يَنزو فى الحديدِ مُكبَّلا

يعنى هُبيرة بن عامر بن سَلمة بن قُشير . وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة خرج ومعه مالك بن عبد الله حتى مرُّوا على قبيلة بنى زياد العبْسيِّين والرجالُ غَيَبٌ ، فأخذوا ابناً لأنس بن زِياد ، فانطلقوا به يرجون الفداء ، وانطلق عمُّه عُمارة بن زِياد حتى أتى بنى كعب ، فلقى هُبيرة بن عامر فقال له : يا هبيرة ، إن الناس يقولون إنك بخيل ، قال : معاذ الله ، قال : فهبْ لى جُبَّتك هذه ، فأهْوَى لِيَخلعها ، فلما وقعَتْ فى رأسه وثب عليه فأسره ، ثم بعث إلى بنى قشير وقال : عَلَىَّ وعلىَّ إن قبلتُ من هُبيرة أقلَّ من فِدية حاجبٍ إلَّا أن تأتونى بابن أخى الذى فى بنى جعدة ، فمشتْ بنو قُشير إلى بنى جَعدة فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم فافْتدَوْا به هُبيرة .

---

(١) فى الأغانى : جذوع النخل .

ومن شعر النابغة ، وهو أول من سبق إلى الكناية فى هذا الشعر :

هــل بالديارِ الغداةَ من صَمَمِ ... أمْ هل بِرَبْعِ الأنيسِ من قِدَمِ
أم ما تُنادى من ماثِلٍ دَرَجَ الـ ... سَّيْلُ عليه كالحوْضِ مُنْهَدِمِ
غَرّاء كالليــلة المبـاركة القمْـ ... ـراءِ تَهدِى أوائِلَ الظُّلَمِ
أَكْنِى بغير اسْمِها وقد عَلِمَ الـلـ ... ـه خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمِ (١)

قال الأخفش : النابغةُ أولُ من سبق إلى الكِناية عن اسم من يَعْــنِى بغيره ، فسبق الناس جميعاً وتبعوه ، ولقد أحسن أبو نُواس فى أخذه حيث يقول :

اسألْ القادِمَيْنِ من حَكَمَانِ ... كيــف خَلَّفْتُما أبا عثمانِ
فيقولان لى جنــانٌ كما سَـ ... ـرَّكَ فى حالها فَسَلْ عن جنانِ
مالَهم لا يُبــارِكُ الله فيهمْ ... كيف لم يُغْنِ عنهمُ كِتمانى

وأما خبره مع ابنِ الزبير فإنه دخل على ابنِ الزبير المسجدَ الحرام وقد أقْحَمَتْهُ السنةُ(٢) فأنشد :

حَكَيْتَ لنا الصِّدِّيقَ لـمّـا وَلِيتَنَا ... وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعْدِمُ
أتاكَ أبو ليلى يَجوب بـه الدُّجَى ... دُجَى اللَّيلِ جَوَّابُ الفلاةِ عَثَمْثَمُ(٣)
لِتجبُرَ منــه جانباً ذَعْذَعَتْ بــه ... صُروفُ الليــالِي والزمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابنُ الزُّبير : هَوِّنْ عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهونُ وسائلك عندنا ، أما صَفْوةُ مالنا فلآل الزُّبير وأما عَفْوَتُهُ(٤) فإن بنى أسد بن عَبْدِ العُزَّى تَشغلها

---

(١) بعده فى الأغانى بيتان .

(٢) أقحمته : ألقته . والسنة : الجدب.

(٣) العثمثم : الجمل الشديد الطويل .

(٤) عفوة المال : خياره . وفى ابن الأثير مادة عفا : « أما صفو أموالنا . . . وأما عفوه » وعفو المال : ما يفضل من النفقة .

عنك وتَيْماً معها[1] ولـكن لك فى مال الله حَقَّانِ : حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحق لِشِرْكتك أهل الإسلام فى فَيْئِهِم . ثم أخذ بيده فأدخله دار النَّعَم فأعطاه قلائِصَ سَبْعاً وجَمَلا رَحيلا[2] ، وأوقَرَ له الرِّكاب[3] بُرًّا وتمرا وثيابا ، فجعل النابغةُ يَستعجِل فيأكل الحب صِرْفاً فقال ابن الزبير : ويحَ أبى ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ . فقال النابغة : أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما وَلِيتْ قُريشٌ فعَدَلَتْ ، واستُرْحِمتْ فرَحِمت ، وحَدَّثتْ فصدقتْ ووعدت خيراً فأنجزتْ ، فأنا والنبيُّون لها فُرَّاطٌ[4] ضُمُن » .

رعث بنو عامرٍ بالبصرة فى الزروع ، فبعث أبو موسى الأشعرى فى طلبهم ، فتصارخوا : يا آل عامر ، يا آل عامر ، فخرج النابغةُ الجعدىُّ ومعه عُصبةٌ له ، فأُتِىَ به إلى أبى موسى ، فقال : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعية قومى ، فضربه أسواطا ، فقال النابغة :

رأيتُ البَـكْرَ بَـكْرَ بنى ثمودٍ　　وأنت أراكَ بَـكْرَ الأَشْعَرِينَا
فإن يَـكن ابنُ عفَّانٍ أَمينـا　　فلم يَبْعَثْ بِـك البَرَّ الأَمينا
فيا قَـبرَ النبىِّ وصاحِبَيْـهِ　　ألَا ياغَـوْثَنَا لو تَسمعونا
ألَا صَـلَّى إلٰهُكُمُ عليـكمْ　　ولا صَلَّى عـلى الأُمراءِ فينا

ولما خرج أمير المؤمنين على عليه السلام إلى صِفِّينَ خرج معه النابغة الجعدىُّ فساق بهم يوما فقال :

---

(١) فى المختار : « وتمانها » والتصويب من الأغانى. وتيم : قبيلة أبى بكر الصديق جد عبد الله ابن الزبير لأمه .

(٢) الجمل الرحيل : القوى على السير .

(٣) فى الأغانى : الإبل .

(٤) الفراط : المتقدمون إلى الشفاعة. والضمن : الـكافلون .

قــد عَلِمَ المِصرانِ والعِراقُ   أن عَلِيًّا فَحْلُها العُتَاقُ
أبيض جَحْجَاحٌ لــه رُواق   وأُمُّهُ غُــولِي بها الصَّدَاقُ
أكرمُ من شُدَّ بها نِطاقُ   إنَّ الأُلى جارَوْكَ لا أَفاقُوا
لهم سِبَاقٌ ولــكمْ سِبَاقٌ[1]   قــد علمتْ ذلــكمُ الرِّفاقُ
سُقْتم إلى نَهْج الهُدَى وساقوا   إلى التى ليس لهــا عِــرَاق

* فى مِلَّةٍ عَادَتُها النِّفَاقُ *

فلما قدم معاويةُ الـكوفَة قام النابغة بين يديه فقال :

ألمْ يأتِ أهــلَ المَشْرِقَيْن رِسالتى   وَأَىّ فَصِيحٍ لا يَبيت على عَتْبِ
مَلَــكْتُمُ فــكانالشرُّ آخرَ عَهدكمْ   لئن لم تَدارَكْـكُم حلومُ بنىحَرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله ، فدخل النابغةُ على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروان فأنشده :

مَنْ راكِبٌ يأتى ابن هندٍ بحاجتى   فَتنفذَ والأنبــاء تُنْمَى وتُجْلَبُ[2]
ويُخــبر عــنّى ما يقول ابن عامر   ونِعْم الفتى يأوى إليــه المُعَصَّبُ[3]
فإن تأخذوا أهلى ومــالى بِظِنَّةٍ   فإنى لحرَّابُ الرجالِ مُجَرَّبُ[4]
صبورٌ على مــا يكره المرء كلِّه   سوى الظُّلم إنى إن ظُلمتُ سأَغضبُ

فالتفت معاوية إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أرى ألا تَرُدّ عليه شيئا ، فقال: ما أهون عليك أن يَنْجَحِرَ هذا فى غارم ثم يقطع عِرضى علىّ ثم تأخذه العرب فترويه، أما والله إنْ كنتَ لمن يَرْويه . اردُدْ عليه كل ما أخذت له .

---

(١) فى الأغانى : لهم سياق ولـكم سياق .
(٢) فى الأغانى : بحاجتى على النأى والأنباء .
(٣) المعصب : الذى أكلت ماله السنون وفى الأغانى : ما أقول ابن عامر .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : محرب .

ومن شعر النابغة :

أيادار سَلْمى بالحَرُورِيَّة اسْلَمِي ... إلى جانب الصَّمَّان والمُتَثَلَّمِ
أقامَتْ به البَرْدَيْنِ ثم تذَكَّرَتْ ... منازِلها بين الدَّخُول فجُرْثُمِ
ليالىَ تَصطادُ الرجال بفاحِمٍ ... وأبيضَ كالإغريض لم يَتثلَّمِ (١)
فأبلغْ عِقالًا أن غايةَ دَاحسٍ ... بكفَّيكَ فاسْتأْخِر لها أو تقدَّمِ (٢)
تُجير علينا وَائِلاً فى دِمائنا ... كأنّك عمَّا قال أشياعُنا عَمِى
كليبٌ لعمرِى كان أكثر ناصراً ... وأيسرَ جُرْماً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطَعْنةٍ ... كحاشِيةِ البُرْدِ اليمانِى المُسَهَّمِ (٣)
وما يَشعُرُ الرمحُ الأَصَمُّ كعُوبُهُ ... بثَرْوةِ رَهْطِ الأَبْلَخِ المُتظلِّمِ (٤)
وقال لِجَسَّاسٍ أَغِثْنى بشَرْبةٍ ... تَفَضَّلْ بها طَوْلاً علىَّ وأَنْعِمِ
فقال تجاوزتَ الأحصَّ وماءَه ... وبطْنَ شُبيثٍ وهْو ذُو مُتَرَسَّمِ (٥)

هذا الشعر يقوله النابغة بن خويلد العُقيلى يحذره غِب الظلم لما أجار بنى وائل ابن معن وكانوا قتلوا رجلا من بنى جعدة ، فحذرهم مثل حرب البسوس إن أقاموا على مثل ذلك .

---

(١) الإغريض : كل أبيض طرى والإغريض : الطلع .
(٢) داحس : جواد قيس بن زهير الذى وقعت بسببه الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء .
(٣) الناب : الناقة المسنة . والمسهم : المخطط كالسهام .
(٤) الأبلخ : العظيم فى نفسه الجرىء على ما أتى من الفجور . والمتظلم : الذى يظلم الناس حقوقهم .
(٥) الأحص وشبيث : غديران . والمترسم : موضع الماء لمن طلبه .

حمادُ الراوية[1]

هو حمّاد بن مَيسرة مولى بنى شيبان ، وقيل : حماد بن سابور ، أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . كانت ملوك بنى أمية تُقدّمه وتُؤثره وتُسْنِى بِرّه وتَستزيره ويَقْدَم[2] عليهم فينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته .

سئل حماد : ممن أنتم ؟ فقال : كُنَّا من سَبْىِ سليم[3] بن ربيعة فطوّحتنا سُهْمانٌ لبنى شيبان فوَلاؤنا لهم .

وكان أبوه يكنى أبا ليلى :

قال الوليد بن يزيد يوما لحماد : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك: حماد الراوية ؟ قال: لأنى أروى لكل شاعر تعرفه ياأمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعرا لقديم ولا محدث إلّا مَيَّزْتُ بين القديم والمحدث. قال : إن هذا لَعِلْمٌ كبير وأبيك ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال: كثير ، ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من الشعر لشعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام . قال : سأمتحنك وأمره بالإنشاد ، فأنشد حتى ضجر الوليد ، ثم وَكَّل به من استخلفه

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٦/٧٠ وانظر ص ٦٩ ودار الثقافة ٦/٦٨ وانظر ص ٦٧ وبولاق ٥/١٦٤ والساسى ٥/١٥٦ والتجريد ٧٣٦ .

(٢) فى الأغانى : فيفد .

(٣) فى الأغانى : سلمان .

(٤) فى أصول من الأغانى : فطرحتنا سلمان لبنى شيبان وفى أصول أخر كما هنا .

أن يَصدُقه عنه ويستوى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

قال الهيثم بن عدى يوما لحماد الراوية : أَلْقِ علىّ ما شئت من الشعر حتى أفسّره لك . فضحك ثم قال له : ما معنى قول مُزاحِم الثُّمالى :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ منها تامِكاً قَرِدًا   كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فلم أدرِ ما أقول . فقال : تَخَوَّفَ : تنقص ، كما قال الله عز وجل « أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ »(١) أى على تنقُّص .

كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمّادون : حمّادُ عَجْرَدٍ وحمّادٌ الراويةُ وحمادُ ابنُ الزِّبرقان ، يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون عشرة جميلة ، وكانوا كلهم كنفس واحدة ، وكانوا يُرْمَون بالزندقة جميعا .

قال أبو عمرو الشيبانى : ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حمّادِ الراوية إلا قدمه على نفسه . ولا سألتُ حَمَّادا عن أبى عمرو إلَّا قدمه على نفسه .

[قال حماد : كنت منقطعا إلى يزيدَ بنِ عبدالملك ، وكان هشام يجفونى لذلك دون بنى أمية ، فلما مات يزيد وولى هشام خفته ومكثت سنة فى بيتى لا أخرج إلا إلى من أثق به من إخوانى سرًّا ، فلما لم أسمع أحدا يذكرنى سنة أمِنت وخرجت ، فصليت الجمعة ، وإذا شُرطيّان قد وقفا علىّ وقالا : يا حماد ، أجِبِ الأمير يوسف بن عمر . فقلت فى نفسى : هذا ما كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيّين : هل لكما أن تدعانى آتى أهلى فأودّعهم وداعَ من لا يرجع أبدا إليهم ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك سبيل ، فاستسلمت فى أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان الأحمر ، فسلّمت

(١) سورة النحل الآية ٤٧ .

عليه فردّ عليّ السلامَ ، ورمى إليَّ كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدِ الله هشام أميرِ المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أما بعدُ ، فإذا قرأت كتابى هذا فأرسِلْ إلى حمَّادٍ الراوية مَن يأتيك به غيرَ مُرَوَّع ولا مُتَعْتَعٍ ، وادفعْ إليه خمسمائة دينار وجملا مَهْرِيًّا[1] يسير عليه اثنتيعشرة ليلة إلىدمشق. فأخذت الخمسمائة دينار ونظرت فإذا جَمَلٌ مَرْحُولٌ ، فركبت وصرت إلى دمشق ، فوافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لى ، فدخلت عليه فى دار قوراء مفروشة بالرُّخام ، وهو فى مجلس مفروش بالرُّخام ، وبين كل رُخامتين قضيب من ذهب وحيطانه كذلك ، وهشام جالس علىطِنْفِسَةٍ حمراء ، وعليه ثياب خَزٍّ حُمر ، وقد ضُمِّخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مِسك مبثوث[2] فى أوانى ذهب ، يقلبه بيده فتفوح رائحته ، فسلمت عليه فردّ علىّ السلام واستدنانى فدنوت حتى قبلت رِجليه ، وإذا جاريتان لم أر مثلهما ، فى أُذُنَىْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان فيها لؤلؤتان تَوَقَّدَانِ ، فقال لى : كيف أنت يا حماد ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أتدرى فيما بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال : بعث إليك لبيت خطر ببالى لم أدر من قائله ، قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :

فدعَوْا بالصَّبوح يوما فجاءتْ ... قَيْنَةٌ فى يمينها إبريقُ

فقلت: هذا يقوله عَدِىٌّ بن زيد فى قصيدة له ، قال : أنشدنيها ، فأنشدته :

بَكَر العاذلون فى فَلَقِ الصُّبْـ ... ـح يقولون لى أما تستفيق[3]

ويَلومون فيك يا ابنة عبدالا ... ـه والقلبُ عندكم مَوْهُوقُ[4]

لست أدرى إذْ أكثروا العذل عندى ... أعدوٌّ يلومنى أم صديقُ

---

(١) إبل مهرية: منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة .

(٢) فى الأغانى : مفتوت .

(٣) فى الأغانى : فى وضح الصبح .

(٤) الموهوق : المشدود بالوهق وهو حبل فيه أنشوطة .

زانها حُسْنُها وفرعٌ عَميمٌ ... وأَثيثٌ صَلْتُ الجبـينِ أَنيقُ(١)
وثَنايا مُفَلَّجاتٌ عِذَابٌ ... لا قِصارٌ تُرَى ولا هُنَّ رُوقُ(٢)
فدَعَوْا بالصَّبوح يوما فجاءتْ ... قَيْنَـةٌ فى يمينهـا إبريقُ
قدَّمَتْهُ على عُقَـارٍ كعين الـ ... ـدِّيك صَفَّى سُلاَفَهـا الرَّاووقُ(٣)
وتَرى فوقهـا فَوَاقِعَ كاليـا ... قُوتِ يَجْرِى خِلاَلَهـا التَّصْفِيقُ(٤)
مُرَّةٌ قبْـلَ مَزْجها فإذا ما ... مُزِجت لذَّ طَعْمَها مَن يَذوقُ
ثم كان المِزاجُ ماءَ سحابٍ ... غَـيْرَ ما آجِنٍ ولا مَطْرُوقُ

قال : فطرب ثم قال : والله أحسنت يا حماد . يا جارية اسقيه ، فسقتنى شَرْبة ذهبت بثُلث عقلى . وقال : أَعِدْ فأعدتُ ، فاستحسنه واستخفه الطرب حتى نزل عن فَرْشه ثم قال للجارية الأُخرى : اسقيه ، فسقتنى شَرْبة ذهبت بثُلُثَىْ عقلى ، فقال: أَعِدْ ، فأعدتُ ، فقلتُ : إن سُقيت الثالثة افتضحت ، فقال لى : سَلْ حوائجك ، فقلت : كائنةً ما كانت ؟ فقال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين ، قال : هما لك جميعا بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأُولى : اسقيه ، فسقتنى شربة سَقَطْتُ معها فلم أعقل ، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أَعدَّه له فوجدَ فيه الجاريتين وما لهما وكل ما يحتاج هو إليه، وإذا عشرة خدم مع كلّ واحد منهم بَدْرة فقال لى أحدهم : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام : ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها فى سفرك ، فأخذتها والجاريتين وانصرفت : وقيل : إن ذلك فعله بغير شرب ، لأن هشاما لم يكن ـ على ما قيل ـ يشرب ولا يسقى أحدا بحضرته مُسْكِرا ، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه .

---

(١) الفرع : الشعر . والأثيث : الكثير. والصلت : الواضح.
(٢) الروق : الطوال .
(٣) الراووق : المصفاة .
(٤) هذا البيت جاء فى الأغانى بعد تاليه وروايته فيه:
وترى فوقها فقاقيع كالد ... ر صغار يثيرها التصفيق

طلب المنصورُ حمّاداً الراوية فلم يجده ببغداد وسئل عنه من إخوانه(١) فعرّفوا من سألهم أنه بالبصرة ، فوجّهوا إليه بالبصرة برسول يُشْخِصه . قال الرسول : فوجدته في حانة وهو عريان يشرب نبيذا من إجّانة(٢) وعلى سَوْأته رأس دَسْتَجة(٣) ، فقلت : أجِبْ أمير المؤمنين ، فما رأيت رسالة أرفع ولا حالا أوضع . فأجاب . فلما مَثَل بين يديه قال : أنشِدْنى شعر هِفّان بن همّام بن نضلة يرثى أباه فأنشده :

خَليلىَّ عُوجا إنها حاجــة لنا ... على قَبْرِ هَمّامٍ سَقَتْه الرّواعِدُ
على قَبر من يُرجى نَداه ويُبْتغى ... جَدَاه إذا لم يَحْمَد الأرضَ حامِدُ(٤)
كريم الثّنا حُــلْو الشمائل بينه ... وبين المُزَجّى نَفْنَفٌ مُتباعد(٥)
صبور على العِلّات يُصبح بطْنُهُ ... خَميصا وآتيه إلى الزاد حَامِدُ
وَضَعْنا الفتى كُلَّ الفتى فى حَفيرةٍ ... بحُرّين قد ناحَتْ عليه العَوائدُ(٦)
صَريعا كنَصْل السيف تضْرب حوله ... تَرائِبَهُنَّ المُعْوِلاتُ الفواقدُ

فبــكى أبو جعفر حتى اخضَلَّتْ لِحيتُه ، ثم قال : هكذا كان أخى أبو العباس رضى الله عنه .

كان جعفر بن أبى جعفر المنصور المعروف بابن الــكُرْديّة يستخِفُّ مُطيعَ بنَ إياس ويحبه ، وكان منقطعا إليه ، وله منه منزلة حسنة ، فذكر مطيعٌ حماداً الراوية

---

(١) فى الأغانى : وسئل عنه إخوانه .

(٢) الإجانة : آنية .

(٣) الدستجة : الإناء الـكبير من الزجاج .

(٤) فى الأغانى : رائد .

(٥) المزجى : الضعيف . والثنا ما أخبرت به الرجل من حسن أو سيء . والنفنف : المهواة بين جبلين .

(٦) حرين : بلد . وفى الأصل حوين . وفى الأغانى : قد راحت عليه العوائد .

وكان صديقه وكان مُطَّرَحاً مَجْفُوًّا فى أيامهم ، فقال له : ائتنا به لنراه ، فأتى مطيع حماداً فأعلمه بذلك وأمره بالمصير معه ، فقال حماد : دعنى فإن دولتى كانت مع بنى أُميّة ، ومالى مع هؤلاء خير ، فأبى مطيعٌ إلا الذهاب به(١) ، فاستعار حَمَّادٌ سَوَادًا وسَيْفا ، ثم مضى معه إلى جعفر ، فلما دخل سلَّمَ سلاماً حسناوأثنى عليه ، فرد السلام وأجلسه ، ثم قال له جعفر : أنشدْنى فقال : لمن أيها الأمير ؟ لشاعر بعينه أو لمن حضر ؟ قال : أنشدنى لجرير ، فسلخ الله شعر جرير كله من قلبى إلا قوله :

بانَ الخليطُ بِرَامَتَيْنِ فوَدَّعُوا　　　أَوَ كُلَّما اعتزموا لِبَيْنٍ تَجزعُ

حتى أتيت إلى قوله :

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصاَ　　　ألاّ هَزِئْتِ بِغَيْرنا يا بَوْزَعُ

قال حماد : فقال جعفر : أَعِد . البيت فأعدته ، فقال : بوزع أى شىء هو ؟ فقلت : اسم امرأة. فقال : هو برىء من الله ورسوله ونَفِيٌّ من العباس بن عبدالمطلب إن كانت بَوْزَع إلا غُولًا من الغِيلان . تَرَكْتَنى والله يا هذا لا أنام الليل من فزع بَوْزَع ، يا غِلمان ، قِفاه . فَصُفِع حتى لم يَدْرِ أين هو . ثم قال : جُرُّوا بِرِجْله . فجروه حتى أخرجوه من بين يديه وقد تقطَّع السَّوادُ ، وانكسر جَفْنُ السيف ، ولقى شرًّا عظيما ، وكان أشد ما عليه غَرامة السوادِ وجفن السيف . فلما انصرف أتاه مُطيعٌ يتوجَّع إليه ، فقال : ألم أُخبرْك أنى لا أُصيب منهم خيرا ، وأن حَظِّى كان مع بنى أمية .

كان رجل يُرمى بالأُبنة ، فتحدث يوما فى مجلس حماد الراوية فقال : بلغنى أن المأبون له رَحِمٌ كَرَحِمِ المرأة . فقال حماد لغلامه : اكتب هذا الخبر عن الشيخ ، فإن خير العلم ما نُقِل عن أهله .

---

(١) فى الأغانى : الذهاب إليه .

كتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف :

إن لى حاجةً فرأْيَك فيها ... لك نفسى فِدى من الأوصابِ
وهْى ليسَتْ مما يُبَلِّغُها غَيْـ ... ـرِى ولا يَستطيعها فى كِتابِ
غير أنى أقولها حين ألقا ... كَ رُوَيْدًا أُسِرُّها فى حِجابِ

فكتب إليه : اكتبْ لى بحاجتك ولا تَشْهَرْنى فى شعرك . فكتب إليه حماد :

إننى عاشقٌ لجبتـــك الدكـ ... ـناءِ عِشقا قدحال دون الشرابِ
فاكسُنيها فدَتْكَ نفسى وأهلى ... أتباهى بهـا على الأصحـابِ
ولك اللهُ والأمـانة أن أجْـ ... ـعَلَهـا عمرَها أميرَ ثِيـابى

فبعث بها إليه . وقد رُويت هذه القصة عن مطيع بن إياس .

قال أبو يعقوب الُخريمى : كنت فى مجلسٍ فيه حمادُ عجردٍ وحمادٌ الراويةُ ، ومعهم غلام أمرد ، فنظر إليه حمادٌ الراويةُ نظرا شديدا وقال لى : يا أبا يعقوب ، قد عزمتُ الليلةَ على أن أَدِبَّ على هذا الغلام . قلت : شأْنك . ثم نِمنا ، فلم أشعر إلّا وحماد علىّ ، وإذا بى قد غَلِطْتُ ونِمت فى موضع الغلام ، وكرِهْتُ أن أتكلّم فتنتبه الناس وأفتضح وأُبطل عليه ماأراد ، فأخذت يَدَه فوضعتها على عَينى العوراء ليعرفنى ، فقال لى : قد عرَفْتُكَ الآن فيكون ماذا « وفَدَيْناه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ » قال : وعلم الله أنه مابرح وأنا أعالجه جهدى ولا ينفعنى حتى قضى حاجته .

أهدى حمادٌ إلى صديق له غلاما ، وكتب إليه : قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ .

جاء رجل إلى حماد الراوية فأنشده شعرا وقال : أنا قلته ، فقال له : أنت لا تقول هذا ، فإن كنت صادقا فاهجُنى . فذهب ثم عاد إليه فقال : قد قلت فيك :

سَيعلمُ حمَّادٌ إذا ما هجوتُـه ... أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ

ألم تَرَ حمّاداً تقــدّمَ بطنُه ... وأُخِّرَ عنه ما تُجِنُّ المـآزِرُ
فليس بِراءٍ خُصْيَتَيْهِ ولو جَثَا ... لِرُكْبَتِه ما دامَ للزَّيْتِ عاصِرُ
فيـا ليته أمسى قِعيدةَ مَنْزِلٍ ... لهـا بَعْلُ سَوْءٍ لُؤْمُه مُتواتِرُ[1]
لحمّاد نِعْمَ العِرْسُ للمرء يبتغى النـ ... ـكاحَ وبئس المرءُ فيمن يُفاخر

فقال حماد : حسبُك ــ عافاك الله ــ هذا المقدار وحسبُنا ، قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأوّل وأجود منه ، وأحب أن تـكتم علىَّ هذا الشعر ولا تعيده[2] فتفضحنى . فقال له : قد كنتَ غَنِيًّا عن هذا . فانصرف الرجل وجعل حماد يقول : أسمعتم أعجب مما جَررْتُ على نفسى من البلاء ؟

عاب حماد الراوية شعرا لأبى الغُول ، فقال يهجوه :

نعم الفَتى لو كان يعرف رَبَّـه ... أو حِيِنَ وَقْتِ صلاته حَمَّادُ[3]
ضَمّت مشافره السهول فأنفه[4] ... مِثلُ القَدُومَ يسُنُّها الحـدَّاد
وابيضَّ من شُرْبِ المُدامة وَجْهُه ... فبياضُه يوم الحســابِ سَوادُ[5]
حمّادُ يا ضَبُعاً تَجرُّ جِعارَها ... أَخْنى لهـا بالقَرْيتَيْنِ جَرادُ[6]

معنى قوله « أَخنى لها بالقريتين جراد » هو مثل قول العرب للضبع « خامِرِى أمَّ عامر ، أبشرِى بجراد[7] عظال ، وكَمَر رجال » يقولون لها : كمر رجال لأن

---

(١) فى الأغانى : « قعيدة بيته له بعل صدق كومه متواتر » هذا والـكوم : النكاح .
(٢) فى الأغانى : ولا تذيعه .
(٣) فى الأغانى : ويقيم وقت صلاته .
(٤) فى الأغانى : هدلت مشافره الدنان .
(٥) بعده فى الأغانى بيت .
(٦) الجعار جمع جعر : وهو نجو كل ذى مخلب . وأخنى الجراد : كثر بيضه .
(٧) خامرى : استترى. والجراد العظال : الذى ركب بعضه بعضا كثرة .

الضبع تجيء إلى القتيل وقد استلقى على قفاه وانتفخ غُرموله فكان كالمُنعظ فتحتكّ به وتَحيض من الشهوة ، فيثب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السِّمْع وهو دابة ، لا تَلدُ مثل البغل ، وفى هذا المعنى قال تأبط شرا :

تضحك الضبع لقتلى هُذَيْلٍ وترى الذئبَ لها يَستهِلْ (١)

تضحك : تحيض .

وكان حمادٌ فى أول عمره يتشطَّر ويصحب اللصوص ، فنقبَ ليلة على رجل وأخذ ماله ، وكان فيه جُزءٌ من أشعار الأنصار ، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفَّظه ثم طلب الأدب والشعر ولغات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ فى العلم ما بلغ .

قدم حمادٌ على بلال بن أبى بُرْدة البصرة ، فأنشده حمادٌ شعرا ، وكان ذو الرُّمة عند بلال ، فقال له بلال : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيد ، وليس له ، قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدرى إلا أنه لم يقله . فلما قضى بلال حوائج حمّاد وأجازه قال له : إن لى إليك حاجة ، قال : هى مَقضيّة ، قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا ، قال : فمن قاله ؟ قال : هو شعر قديم لبعض شعراء الجاهلية ، وما يرويه غيرى . قال : فمِن أين عرف ذو الرُّمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام الجاهلية من كلام الإسلام .

قال ابنُ الأعرابى : سمعت المفضَّل الضبِّىّ يقول : قد سُلِّط على الشِّعر من حمادٍ الراوية من أفسده فلا يصلح أبدا . فقلت : وكيف ؟ أيخطئ فى روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان ذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ ولكنه عالم بلغات العرب ومذاهب الشعراء ومعانيها فلا يزال يقول الشعر يشبه مَذهبَ رجُل فيُدخله فى شعره ، ويُحْمل ذلك عنه فى الآفاق فيختلط بأشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

---

(١) يستهل : يصيح .

اجتمع ذات يوم فى دار المهدى بعيساباذَ عَالَمٌ من الرُّوَاة والعلماء بأيام العرب وآدابها وشعرها ولغاتها ، فخرج الحاجب فدعا بالمفضَّل الضبِّىّ ، فدخل فمكث مليا ، ثم خرج الحاجب والمفضَّل وجماعةٌ معه ، وقد بان فى وجه حمادٍ الانكسارُ والغَمُّ ، وفى وَجْه المفضَّل السرورُ والنشاطُ ، ثم خرج الخادم معهما فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايتَه لزيادته فى أشعار الناس ماليس منها ، ووصل المفضَّل الضبىّ بخمسين ألف درهم لصِدقه وصِحّة روايته ، فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا مُحْدَثاً فليسمعْ من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل ، ثم سألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدى لما دعا المفضل قال له : إنى رأيت زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

* دَعْ ذا وَعَدِّ القَوْلَ فى هَرِم *

ولم يتقدم قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئا إلا أننى توهمته كان فى قَوْل(١) يقوله أو يتروى فى أن يقول شيئا ، فعدل عنه ، إلى مدح هرم ، أو كان مُفكّرا فى شىء من شأنه فتركه وقال : دع ما أنت فيه من الفِكر وعَدِّ إلى مدح هرم . ثم دعا بحماد وسأله عن ذلك فقال : ليس هكذا يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ؟ فأنشده :

لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ ومن عَشْرِ(٢)
قفرٌ بِمُنْدَفَعِ النَّحائِت مِنْ ضَفْوَى أولات الضَّالِ والسِّدْرِ(٣)

---

(١) فى الأغانى : يفكر فى قول يقوله .

(٢) فى الأغانى : أقوين مذحجج ومذدهر .

(٣) النحائت : آبار فى موضع معروف . وفى الأصل : والأغانى : « النجائب » وصوبه فيه . وضفوى : مكان .

دع ذا وعدِّ القولْ فى هَرِمٍ   خَيْرِ الكهولِ وَسَيِّدِ الحضْرِ

قال : فأطرق المهدى ساعة ثم أقبل على حماد فقال : بلغنا خبرٌ لا بد من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البَيْعة وكلِّ يمين مُحْرِجة ليَصدُقَنَّه ، فحلف ، فلما توثّق منه قال له : أصدقنى عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ؟ فأقر له حينئذ أنه قالها . فأمر به ، وبالمفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكَشْفه .

وقال حماد الراوية للوليد ــ وقد سأله : ما بلغ من روايتك؟ فقال ــ: أروى سبعمائة قصيدة ، أول كل قصيدة « بانت سعاد » . فقال : إنها لرواية ثم دعا بشراب فجاءته جارية بكأس وإبريق فصبت فى الكأس ثم مزجته حتى رأيت له حَبَابا فقال: أنشدنى فى مثل هذه فقلت : هى كما قال عدىُّ بن زيد :

ثم نادوا إلى الصَّبوح فقامَت   قَيْنَةٌ فى يَمينها إبريقُ
فَتَرى فَوْقَها فواقع كاليا   قُوتِ يَجْرِى خلالَها التَّصفيقُ

قال : فشرب ولم يزل يستعيدنى الأبيات ويشرب حتى سكر ، ثم قام فتناول مرفقة من تلك المرافق فجعلها على رأسه ، ثم نادى : مَن يشترى لحم البقر . ثم قال لى: يا حماد ، دونك ما فى البيت فهو لك . فكان أول مال تأثلته[١] .

قال منصور العربى[٢] ــ وكان من رواة العرب ــ دخلت على زياد فقال لى : أنشدنى ، فقلت : مِن شعر مَن أيها الأمير ؟ قال : من شعر الأعشى . فأنشدته :

* رحلت سُمَيَّةُ غُدْوَةً أجمالها[٣] *

---

(١) تأثل المال : اكتسبه .

(٢) فى الأغانى : المسور العنزى .

(٣) فى الأغانى : بكرت سمية .

فما أتممت القصيدة حتى تبيَّن الغضبُ فى وجهه . وقال الحاجب للناس: ارتفِعُوا ، فقاموا . قال حماد : فلما سمعت بهذه الحكاية كنت بعد ذلك إذا استنشدنى خليفةٌ أو أمير تنبهت قبل أن أنشده لئلا يكون فى القصيدة ذكر اسم بنت له أو زوجة .

قال حماد الراوية(١) : حدثنى ابنُ أختٍ لى من مُراد قال : وليت صدقات قوم من العرب فبينا أنا أقسمها فى أهلها . إذ قال رجل منهم : ألا أُريك عجبا ؟ قلت : بلى . فأدخلنى فى شِعْبٍ من جبل ، فإذا أنا بسهم من سهام عادٍ من قَنًا قد نَشِب فى ذِرْوَةٍ من الجبل ، وإذا على الجبل مكتوب :

ألاَ هل إلى أبيات شَمْخٍ إلى اللِّوَى ... لِوَى الرَّمْلِ يوماً للنفوس مَعَادُ
بلادٌ بها كانوا و كنا من اهلِها ... إذِ الناسُ ناسٌ والبلادُ بِلادُ

ثم أخرجنى إلى ساحل البحر ، فإذا أنا بحجر يعلوه الماء طورا ويظهر طورا ، وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم ، يا عبد رَبه اتق الله ولا تعجل فى رزقك ، فإنك لن تَسبق رزقك ، ولا تُرْزَق ما ليس لك . ومن البصرة إلى الدُّنبل ستمائة فرسخ ، فمن لم يصدق بذلك فلْيَمْشِ الطريق على الساحل حتى يتحققه ، ومن لم يقدر على ذلك فلينطَحْ برأسه هذا الحجر .

قال الطِّرِمَّاح : أنشدت حمادًا الراوية فى مسجد الكوفة ــ وكان أذكى الناس وأحفظهم ــ قولى :

* بان الخليطُ بسُحْرَةَ فتبدَّدُوا *

وهى ستون بيتا ، فسكت ساعة ولا أدرى ما يريد ، ثم أقبل علىَّ فقال : هذه لك ؟

---

(١) هذا الخبر لم يرد فى الأغانى فى ترجمة حماد الراوية .

فقلت : نعم ، قال : الأمر ليس كذلك ، ثم ردّها عليَّ كلَّها وزاد عشرين بيتا فى وقته ، فقلت له : ويحك ، إن هذا شعر قلته منذ أيام ما اطّلع عليه أحد ، فقال : قد واللهِ قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعليّ وعليَّ ، فقلت: لله عليَّ حجَّة أحجّها حافيا راجلا إن جالستك بعدها أبدا ، فأخذ قبضة من حَصَى المسجدِ ثم قال: لله عليَّ بكل حصاة مائة حجة إن كنت أبالى ، فقلت له : أنت رجل ماجن ، والـكلام معك ضائع . ثم انصرفت .

حكم الوادى[1]

هو الحَكَم بن ميمون ، مولى الوليد بن عبد الملك ، كان أبوه حلاقا يحلق رأس الوليد ، فاشتراه وأعتقه ، وكان حكم طويلا أحول يُكْرِى الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة ، وكنيته أبو يحيى . وقيل : هو الحكم بن يحيى بن ميمون ، وأصله من الفُرس ، وكان يحمل الزيت من جدة إلى المدينة ، وكان واحد دهره فى الحذق يغنى بالدف ومرتجلا[2] وعمّر طويلا ، غنى الوليد بن عبدالملك ، وغنى الرشيد ومات فى شطر خلافته ، وأخذ عن عُمر الوادى ، وكان بوادى القُرَى مع جماعة مغنين كلهم .

قال حكم الوادى : دخلت على الوليد بن زيد ، فخرج إلينا وهو على حمار ، وعليه جُبَّة وشْى ، ورداء وشْى ، وخُفًّا وشْى ، وفى يده عِقْد جوهر ، وفى كُمِّهُ شىء لا أدرى ما هو ، فقال : من غنّانى ما أشتهى فله ما فى كمى وما معى ، وما تحتى . فغنوه كلهم فلم يطرب ، فقال لى : غن يا غلام فغنيت :

إكليلُها ألوانُ ... وَوجهها فَتّانُ
وخالُهــا فريدٌ ... ليس له جيرانُ
إذا مشتْ تَثَنَّتْ ... كأنهــا ثُعبانُ[3]

فطرب وأخرج ما فى كمه ، فإذا ألف دينار ، فرمى بها إلىَّ مع العِقد الجوهر ، ولما دخل بعث إلىَّ بالحمار وكلِّ ما كان عليه .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٦/٢٨٠ ودار الثقافة ٦/٢٦٦ وبولاق ٦/٦٤ والساسى ٦/٦٢ والتجريد ٧٨٨ .

(٢) فى طبعة دار الكتب : وكان ينقر بالدف ويغنى مرتجلا .

(٣) هذا الشعر لمطيع بن إياس كما فى الأغانى ٦/٢٨١ .

سمع رجلٌ حَكَمَ الوادى يغنى فقال : أحسنت ، فألقى الدف وقال للرجل : قبحك الله ، ترانى مع المغنين ستين سنة وتقول لى أحسنت ؟

زار حكم الوادى الرشيد فبَرَّه ووصله بثلاثمائة ألف درهم ، وسأله عمن يختار أن يكتب بها إليه ، فقال : اكتب لى إلى إبراهيم بن المهدى ، وكان عاملا له بالشام . قال إبراهيم : فقدم علىَّ حكمُ الوادى بالشام بكتاب الرشيد فدفعت إليه ما كتب له به ووصلته بمثل ذلك إلا أننى أنقصته ألفا من الثلاثمائة ألف وقلت : لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين . وأقام عندى ثلاثين يوما أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت ، كل صوت منها أحب إلىَّ من الثلاثمائة ألف التى وهبتها له .

كان خبر حكم يصل إلى المنصور ويبلغه ما يصلهُ به بنو سليم بن علىّ ، فيعجب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلَّا أن حَسَّن شعرا بصوته وطرب مُستمعه له ؟ فماذا يكون غلام يعطيه هذه العطايا المسرفة ؟ إلى أن جلس يوما فى مستشرف له ، وقد دخل حكم الوادى عَلَى عَلِىّ بن يَقْطِين أحد قوّاده ، ثم خرج عَشيًّا وقد حمله على بغلة يعرفها له المنصور ، وخلع عليه ثيابا يعرفها له ، فلما رآه المنصور قال : من هـذا ؟ قيل : حكم الوادى ، فحرك رأسه مَلِيًّا ثم قال : الآن علمت أن هذا يستحقّ مايُعطَى ، قيل له : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك عنه ؟ فقال : لأن فلانا لا يعطى شيئاً من ماله باطلا ولا يضعه إلا فى حقه .

قال حكم الوادى: كان موسى الهادى يشتهى من الغناء ما توسَّطَ وقلَّ ترجيعُه ولم يبلغ أن يستخف جدًّا ، فأخرج ليلة ثلاث بِدَرٍ وقال : من أطربنى فهى له[1] فغناه ابن جامع وإبراهيم الموصلى وابن دحمان ، فلم يصنعوا شيئا ، وعلمت ما أراد ، فغنيته للنابغة الجعدىّ :

---

(١) فى ت . فله هذه .

غرّاء كالليلة المباركة القمـ ـــراء تهدى أوائلَ الظلمِ
أَكنى بغير اسمها وقد علم اللـ ــهُ خفيّاتِ كلّ مكتتَمِ
كأنّ فاها إذا تبسم عن طيب مَشمٍّ وحسنِ مُبْتَسَمِ

فطرب ووثب عن فراشه طربا وقال : أحسنت ، أحسنت والله ، اسقونى ، فسق وطرب ، ووثقت أن البِدَر لى ، فقمت فجلست عليها ، وأحسن ابنُ جامعٍ المَحْضر ، وقال : أحسن واللهِ ياأمير المؤمنين كما قلتَ ، وإنه لمحسن مُجْمل ، فلما سكر أمر الفراشين بحملها معى ، فقلت لابن جامع : مثلك يفعل ما فعل فى شرفك ونسبك ، فإن رأيت أن تشرفنى فى قبول إحداها فعلت . فقال : لا والله ، لا فعلت ولوددت أن الله زادك ، فأسأل الله أن يُهنّيك بما رزقك . ولحقنى الموصلى فقال : أَحْذِنى[1] يا حكم من هذا . فقلت : لا والله ولا درهما واحدا ، لأنك لم تحسن المحضر .

ومات حكم الوادى من قرحة أصابته فى صدره .

---

(١) أحذاه : أعطاه قسما من الغنيمة .

الحسين بن الضحاك[1]

مولى باهلة : بصرى المولد والمنشأ ، كنيته أبو على وأبو عبد الله ، من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء خلفاء بنى هاشم ، أول من جالس منهم محمدٌ الأمين ، وهو شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف فى الشعر حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صافٍ . كان أبو نواس يأخذ شعره ومعانيه فى الخمر فيغير عليها ، وإذا شاع له ذكر بشعر نادر فى هذا المعنى نسبه الناس إلى أبى نواس ، وله معان فى صفتها أبدع فيها وسبق إليها ، وكان يلقب الخليعَ والأشقر ، وهاجى مُسلمَ بنَ الوليد فانتصف منه ، وهو من المطبوعين الذين خلت أشعارهم من التكلّف ، وعُمِّرَ عمرا طويلا حتى قارب المائة سنة ، ومات فى خلافة المستعين أو المنتصر .

وهو الحسين بن الضحّاك بن ياسر مولى سليمان بن ربيعة الباهلى . وربما قالوا بين الضحاك وبين ياسر أبا آخر . وأصله من خراسان ، وهو ومحمد بن حازم الباهلى ابنا خالةٍ .

لما قدِم المأمونُ من خراسان إلى بغداد أمر أن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذكروا له جماعة منهم الحسين بن الضحاك ، وكان من جلساء محمد المخلوع ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين بن الضحاك فقال : أليس هو الذى يقول فى محمد :

هــلّا بقيتَ لسدٍّ فاقتنا فينـا وكان لغـيرك التّلَفُ
فلقـــد خَلفْتَ خلائفاً سلَفُوا ولسوف يُعْوِز بعــدكَ الخلَفُ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٧/١٤٦ وانظر ص ١٤٥ ودار الثقافة ٧/١٤٣ وانظرص ١٤٢ وبولاق ٦/١٧٠ والساسى ٦/١٦٥ والتجريد ٨٥٢ .

لا حاجة لنا فيه ، والله لا يرانى أبدا ، إلا فى طريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له ومن تعريضه به ، وانحدر الحسين إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون .

دخل ابن البواب الحاجب يوما إلى المأمون وفى يده رقعة وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن فى إنشادها . فظنها له فقال : هات ، فأنشده[1] :

أجِرْنى فإنى قد ظمئت إلى الوَعْدِ ... متى تُنجز الوعدَ المؤكّد بالعهدِ
أُعيذُكَ من خُلْف الملوكِ وقد ترى ... تقطُّعَ أنفاسى عليك من الوجْدِ
أيَبْخلُ فردُ الحسنِ عَنِّى بنائلٍ ... قليلٍ وقد أفردْتُه بهوًى فَرْدِ

إلى أن بلغ إلى قوله :

رأى اللهُ عبدَ اللهِ خيرَ عبادِه ... فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبدِ
ألَا إنما المأمونُ للناس عصمة[2] ... مميِّزةٌ بين الضلالةِ والرُّشْدِ

فقال المأمون : أحسنت يا عبدَ الله ، قال : يا أمير المومنين ، بل أحسن قائلُها . قال : ومن قائلها ؟ قال : عبدُكَ الحسينُ بن الضحاك . فقطب ثم قال : لا حيَّا اللهُ مَن ذكرتَ ولا بيَّاه ولا قرَّبه ولا أنعم به عَيْناً . أليس هو القائل :

أعينىَّ جُودَا وابكيا لى مُحمَّدَا ... ولا تَذْخرا دمعاً عليه وأَسعِدَا
فلا تَمّت الأشياءُ بعد محمَّدٍ ... ولا زالَ شملُ الملكِ فيهم مُبدَّدا
ولا فرح المأمونُ بالمُلْك بعدَه ... ولازال فى الدنيا طريدا مُشرَّدَا

هذا بذاك ، ولا شىء له عندنا ، فقال له ابن البواب : فأين فضلُ إحسان

---

(١) بهامش مخطوط كوبرلى تعليق ونصه : ومن الناس من يروى هذه الأبيات لعبد الله بن البواب ؛ وقد ذكرها المصنف فى ترجمته فإنه اسمه عبد الله .

(٢) فى الأصل : لله عصمة . والتصويب من الأغانى .

أمير المؤمنين وسَعةُ حلمه وعادتُه فى العفو ! فأمر بإحضاره ، فلما حضَر سلّم ، فردّ عليه ردًّا جافيا ، ثم أقبل عليه فقال : أخبرنى عنك ، هل عرفت يوم قُتِل أخى رحمه الله تعالى هاشميّةً قُتلت أو هتكت ؟ قال : لا ، قال : فما معنى قولك[1] :

ومِمَّا شجا قلبى وكفكف عَبرتى ... محارمُ من آل النبىِّ استُحِلَّتِ
ومهتوكة بالخُلْد عنها سُجوفُها[2] ... كَعاب كقَرْن الشمس حين تَبدَّتِ
إذا خَفرتْها روعــةٌ من منازعٍ ... لها المرط عادت بالخشوع ورَنَّتِ
وسرب ظباء من ذُؤابــة هاشمٍ ... هَتفْن بدعْوَى خيرِ حَىٍّ وميِّتِ
أرُدُّ يــداً منى إذا ما ذكرتُـه ... على كَبدٍ حَرَّى وقلبٍ مُفتَّتِ
فلا باتَ ليلُ الشامتين بغِبطةٍ ... ولا بلغَتْ آمالهم ما تمنَّتِ

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتنى ، وروعة فاجأتنى ، ونعمة سُلبتها بعد أن غمرتنى ، وإحسان شكرته فأنطقنى ، وسيد فقدته فأقلقنى ، فإن عاقبت فبحقّك ، وإن عفوت فبفضلك . فدمعت عين المأمون وقال : قد عفوت عنك ، وأمرت بإدرار رزقك عليك ، وإعطائك مافات منه وجعلت عقوبة ذنبك امتناعى من استخدامك .

طلب صالح بن الرشيد يوما شعرا يعلّمه جواريه ، وطلب دفاتره من بيته ، فجىء بها ليختار منها شعرا ، فمرّت به هذه الأبيات التى أولها :

* أعينىَّ جُودا وابكيا لى محمَّدَا *

فقال صالح : المأمون يجىء إلىَّ فى كل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلا ؟ ثم دعا بسكين وجعل يَحكّه . وصعد المأمون من الدَّرَج ، فرمى صالحٌ بالدفتر ، فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر ، فأتى به ، فنظر فيه ووقف على الحَكّ ، وقال لمن حضر :

---

(١) الأبيات الثلاثة الأول لا توجد فى الأغانى فى هذا الخبر ولا فى الترجمة له .
(٢) الخلد : من قصور خلفاء بنى العباس.

إن قلت لكم ما كنتم فيه تَصْدقُونى ؟ قالوا : نعم ، قال : ينبغى أن يكون أخى بعث فأحضر الدفتر ليتخير ما يطرحه على الجوارى ، فوقف على هذا الشعر ، وكره أن أراه فحكّه ، فقالوا : هـذا كان . ثم قال لعمرو بن بانة : غَنِّه ياعمرو ، فقال: يا أمير المؤمنين ، هذا شعر الحسين بن الضحاك ، والغناء فيه لسعيد بن جابر ، قال : وما يكون ؟ غَنِّه ، فغنيته ، فاستعاده ، فرددته ثلاث مرات ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم ، وقال : حتى تعلم أنه لم يضرُرْك عندنا .

وكان حسين بن الضحاك شديد الموالاة لمحمدٍ الأمين ، وله فيه مراثٍ كثيرةٌ ، وبلغ من حُزنه عليه أنه اخْتَلَطَ فى عقله ، وكان ينكر قتله لمَّا بلَغَه ويدفعه ويقول : إنه مستتر ، وإنه وَقفَ على تفرُّقِ دُعاته فى الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره والوفاء ببيعته .

ومن جيِّد مراثيه فيه :

سألونا أنْ كيف نحن فقلنا ... مَنْ هَوَى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قومٌ أصابنا حَدَثُ الدهـ ... ـر فَظَلْنَا لرَيبِه نَستكينُ
نتمنَّى من الأمين إيابا ... لَهْفَ نفسى وأين منَّا الأمينُ

ومنها :

أُعزِّى يا محمّد عنك نفسى ... مَعاذَ اللهِ والأيدِى الجِسامِ
فهلَّا مات قومٌ لم يَموتوا ... ودُوفِع عَنك فى يوم الحِمامِ
كأنَّ الموت صادف فيك غُنْماً ... أو استشفى بقُربك من سَقامِ

قال الحسين بن الضحاك : كنت عازما على أن أرثى الأمين بلسانى كله ، وأشفى لوعتى ، فلقينى أبو العتاهية فقال : يا حسين ، أنا إليك مائل ، ولك محب ، وقد علمت

مكانَك من الأمين ، وأنت حقيق أن ترثيه إلا أنك قد أطلت[1] لسانك فى التلهّف عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره ، وثلبا له ، وتحريضا عليه ، وهذا المأمون مُنْصَبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك ، فاتَّقِ الله فى نفسك ، ويحك يا حسين ، أتجسر أن تقول :

تركوا حريم أبيهم نَفَلًا   فالمُحصناتُ صوارخٌ هُتُفُ

هيهاتَ بعدَك أن يدوم لنـا   عِزٌّ وأن يبـقى لنا شَرَفُ

ويلك اكففْ غَرْبَ لسانك ، واطْوِ ما قد انتشر عنك، وتلافَ ما فَرَطمنك، فعلمت أنه قد نصحنى، فجزيتُه الخير، وقطعت القول، فنجوت برأيه وما كدتأنجو .

قال محمد بن عباد المهلبىّ: قال المأمون وقد قدمت من البصرة : كيف ظريفُ شعرائكم وواحد مصركم ؟ قلت : ماأعرفه ، قال: الحسين بن الضحاك ، أليس الذى يقول :

رأى اللهُ عبدَ الله خير عباده   فملَّكه واللهُ أعلمُ بالعبـدِ

ثم قال لى : ما قال أحد من الشعراء فى زماننا أبلغ من بيته هذا ، فاكتب إليه فاستقْدِمه . وكان حسين عليلا ، وكان يخاف بوادر المأمون لِمَا فَرط منه ، فكان يكره لقاءه ، فقلت للمأمون : إنه عليل يا أمير المؤمنين علَّةً تمنعُه من الحركة ، قال : نخذ كِتابنا إلى عامل خراجنا بالبصرة حتى يُعطيه ثلاثين ألف درهم. فأنفذت الكتاب إليه فأخذ المال .

لما ولى المعتصمُ الخلافةَ بعد المأمون سأل عن الحسين بن الضحاك فأُخبر بمقامه بالبصرة لانحراف المأمون عنه ، فأمر بمكاتبته بالقدوم ، فقدم ، فلما دخل سلّم واستأذن فى الإنشاد ، فأذن له فأنشده :

---

(١) فى الأغانى . أطلقت .

هلا رحمتَ تَلذُّذَ المشتاقِ ومَنَنْت قبلَ فِراقه بتلاقِ
نفسى الفداء لخائفٍ مُترقِّبٍ جعلَ الوداعَ إشارةً بعِناقِ
إذ لا جوابَ لمفحَمٍ متحيِّرٍ إلّا الدموعُ تُصانُ بالإطراقِ

حتى انتهى إلى قوله :

خيرُ الوفودِ مُبَشِّرٌ بخلافةٍ خَصَّت ببهجتِها أبا إسحاقِ
وَافَتْه فى الشهرِ الحرامِ سليمةً من كلِّ مشكلةٍ وكلِّ نفاقِ[1]
أعطتْه صَفقتَها الضمائرُ طاعةً قبلَ الأكُفِّ بأَوْكدِ الميثاقِ
سَكنَ الزمانُ إلى إمامٍ سلامةٍ عفِّ الضميرِ مُهذَّبِ الأخلاقِ
فحَمَى رعيَّتَه ودافعَ دونَها وأجار مُمْلِقَها من الإملاقِ

حتى أتمَّها . فقال له المعتصم : ادْنُ منّى ، فدنا منه ، فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه ، ثم أمره أن يخرجه من فمه وأن يُنظَّم له عِقداً ويخرج إلى الناس وهو فى يده ، ليعلموا موقعه من رأيه ، ويعرفوا ثمرة إحسانه .

ولما افتتح المعتصم عَمُّورِيَة مدحه الشعراء على ذلك ، ووصفوا حسن فعله ، وكان أحسن ما مُدِح به يومئذ وما قدمه أهلُ العلم[2] على سائر ما قاله الشعراء قول الحسين بن الضحاك :

قل للألى صرفوا الوجوهَ عن الهدَى مُتَعَسِّفين تعسُّفَ المُرّاقِ
إنى أُحذركم بوادِرَ ضَيغمٍ دَرِبٍ بحَطْمِ موائلِ الأعناقِ
متأهِّبٍ لا يَستفِزُّ جَنَانَه زَجلُ الرُّعودِ ولامعُ الإبراقِ

---

(١) فى الأغانى : وكل شقاق .

(٢) فى الأغانى نقص وهنا الكلام متصل صحيح . ففى الأغانى : ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله فكان أحسن ما مدح به يومئذ . ومما قدمه أهل العلم . . .

لم يبقَ من مُتَعَرِّمين تَوثَّبُوا　　　بالشام غير جَماجِمٍ أفلاقِ
من بين مُنْجَدِلٍ تَمُجُّ عُروقُه　　　عَلَقَ الأَخادِع أو أسيرِ وثَاقِ
وثَنى الخيولَ إلى معاقل قَيصرٍ　　　تَختالُ بين أَحِزَّةٍ ورِقاقِ
يحملن كلَّ مشمِّرٍ مُتغشِّمٍ　　　ليثٍ هِزَبْرٍ أَهْرَتِ الأشداقِ
حتى إذا لَمَّ الحصون مُنازِلا　　　والموتُ بين تَرائبٍ وتَراقِى
هرَّت بطارقُها هريرَ قَساوِرٍ　　　بُدِهت بأكره منظرٍ ومذاق
ثم استكانت للحصار ملوكُها　　　ذُلاًّ وناط حُلوقَها بخِناقِ
هربَتْ وأسلمَت الصليب لمسلمٍ(١)　　　لم يُبْقِ غير حُشاشَةِ الأرماقِ

فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم ، وقال له : أنت تعلم ياحسين أن هذا أكثر ما حُبِى(٢) به مادحٌ فى دولتنا ، فقبَّلَ الأرض بين يديه وحمل المال معه .

وكان الرياشى يستحسن قوله :

إذا ما الماء أمكننى　　　وصَفْوُ سُلافةِ العِنبِ
صَببْتُ الفِضَّةَ البيضا　　　ءَ فوقَ قُراضةِ الذَّهَبِ

فقيل له : من يقولها يا أبا الفضل ؟ قال : أرقّ الناس طبعا ، وأكثرهم مُلَحا ، وأحسنهم ظرفا(٣) ، الحسين بن الضحاك .

ولما أعيت الحسينَ بن الضحاك الحيلةُ فى رضا المأمون عنه رمى بأمره إلى عمرو ابن مَسْعَدة فكتب إليه :

أنت طودى من بين هذى الهضابِ　　　وشِهابى من دون كلِّ شهابِ

---

(١) فى الأغانى : الصليب عشية :
(٢) فى الأغانى : ما مدحنى .
(٣) فى الأغانى : وأكملهم ظرفا .

أنت يا عمرُو قوّتى وجنانى(١) ولسانى وأنت ظفرى ونابى
أَنَا انى أنسى أياديكَ البيـ ضَ إذا اسودَّ نائلُ الأصحابِ
أين عطف الـكرام فى مأقِط الحا جة يحمون حوزة الآدابِ(٢)
أين أخلاقك الرضيَّةُ حالتْ فىَّ أمْ أين رِقَّةُ الـكُتَّابِ
أنَا فى ذِمَّة السحاب وأظْمَا إنَّ هذا لوصمةٌ فى السحابِ
قُمْ إلى سيّد البَرِيَّةِ عنى قومةً تَستجِرُّ حسنَ خطابى
فلعل الإلٰهَ يُطفىء عنى بك ناراً علىَّ ذاتَ التهاب

فلم يزل عمرو يتلطف له مع المأمون حتى أوصله إليه وأدَرَّ أرزاقه عليه . وقيل إنه توسل بالحسن بن سهل ومدحه ووعده بذلك ولـكنه لم يتمكن ، لسوء رأى المأمون فيه ، ولِمَا عاجلَ الحسنَ من عِلّته .

قال الحسين بن الضحاك : غضب علىَّ المعتصمُ فى شىء جرى على النبيذ ، فقال : والله لأُوذِيَنَّه(٣) وحجبنى أياما ، فـكتبت إليه :

غضبُ الأميرِ أشدُّ من أدبِهْ وقد استجرتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ
أصبحتُ مُعتصِما بمعتصمٍ أَثنَى عليـــه اللهُ فى كُتُبِهْ
لا والذى لم يُبْـقِ لى سببا أرجو النجاة به سوى سَبَبِهْ
ما لى شفيعٌ غيرُ رحمتـــه(٤) ولـكلٍّ من أشْـفَى على عَطَبِهْ

فلما قرئت عليه الرقعة التفت إلى الواثق وقال : بمثل هذا الـكلام تُستعطف الـكرام ، ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما فى نفسى عليه .

(١) فى الأغانى : وحياتى .
(٢) المأقط : المضيق فى الحرب .
(٣) فى الأغانى : لأؤدبنه . وتحتمل مخطوطة ك ذلك .
(٤) فى الأغانى : غير حرمته .

فقال له الواثق : هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنـــه . فرضى عنى وأمر بإحضارى .

قال الحسين بن الضحاك[1] : أنشدت أبا نواس قصيدتى :

وشاطرىّ اللسان مختلق التـكـ ريه شاب المجون بالنسكِ

حتى بلغت إلى قولى :

كأنمـا نُصْبَ كأسه قمر يكرع فى بعض أنجم الفلك

قال : فأنشدنى أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عبَّ فيها شارب القوم خِلته يقبّل فى داج من الليل كوكبا

قال : فقلت له : ياأبا علىّ ، هذه مصالتة . فقال لى : أتظن أنه يروى لك فى الخمر معنى جيّد وأنا حىّ .

« المصالتة أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى » .

ومن أبات الحسين بن الضحاك :

أغطيــه مشمولة وأصرفها لصرعتيه أُوفِى على دَرَكِ

حتى إذا رنحتــه سورتها وأبدلته السكون بالحَرَكُ

حسرت عن ثلجة مزعفرة فى لين صينيّة من الفنَكِ

فـكان ما كان لا أبوح به فى الناس من هاتك ومنهتك

قال علىّ بن الجهم : دخلت على المتوكل يوما وفى يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر :

بالشطِّ لى سَـكَنٌ أفديه من سَـكَنِ أَهْدَى من الآسِ لى غُصنينِ فى غُصُنِ

فقلت إذ نُظِمَا شـكلين والتبسا[2] سَقْياً ورَعْياً لِفالٍ فيـكما حَسَنِ

(١) النص موجود بالأغانى ماعدا التعقيب بذكر الأبيات فإن ما بالأغانى البيتان الثانى والثالث عدا البيت الذى سرق معناه أبو نواس .

(٢) فى الأغانى : إذ نظما إلفين .

فالآسُ لا شكَّ آسٍ من تشوُّقِنا   شافٍ وآسٌ هوًى يبقى على الزمن[١]
بَشَّرتَاني بأسباب ستجمعنـا   إن شاء ربى ومهما يَقْضِه يَكُنِ

فلما فرغ من إنشادها ـ وقد كدت أنشقُّ حسدا ـ قال لى : لمن هذا الشعر يا على ؟ فقلت : للحسين بن الضحاك يا سيدى ، فقال لى : هو أشعر أهل زمانه وأملحهم مذهبا وأظرفهم نَمَطاً. فقلت ـ وقد زاد غيظى ـ : فى الغزل ياأمير المؤمنين[٢] ، فقال : وفى غيره وإن رَغِمَ أنفُك ومتَّ حسدا .

كان المتوكل قد أحب أن ينادمه حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقى من ظرفه[٣] ، فأحضره وقد كبر وضعف ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسْقِه ، فسقاه وحيّاه بوردة ، وكانت على شفيع ثياب مورَّدة ، فمد الحسين يده إلى ذراع شفيع ، فقال له المتوكل : ويحك يا حسين ، أتجمَّش أخصَّ خدمى عندى بحضرتى ؟ فكيف لو خلوت ؟ ما أحوجك إلى أدب ! وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به ، فقال الحسين : يا سيدى ، أريد دواة وقرطاسا . فأمر بذلك ، فكتب فيها :

وكالوردة الحمراء حَيَّا بوردةٍ   من الورد يمسى فى قَراطِقَ من وَرْدِ[٤]
له عَبثاتٌ عنـد كلّ تحيَّـةٍ   بِكَفَّيه تستدعى الحليم إلى الوجدِ[٥]
تمنيت أن أُسقَى بكفَّيه شَربةً   تُذَكِّرنى ما قد نسيت من العَهدِ
سقى اللهُ عيشاً لم أَبِتْ فيه ليلةً   من الدهر إلَّا من حبيبٍ على وعْدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال : ادفعها إلى مولاك . فلما قرأها استملحها

---

(١) فى الأغانى : وآس لنا يبقى .
(٢) فى الأغانى : فى الغزل يا مولاى .
(٣) فى الأغانى : وأن يرى ما بقى من شهرته لما كان عليه .
(٤) القرطق : قباء ذو طاق واحد وجمعه قراطق .
(٥) فى الأغانى : بعينيه تستدعى .

وقال له : أحسنت يا حسين ، ولو كان شفيعٌ ممن يجوز هِبَتُه لوهبته لك ، ولكن بحياتي يا شفيع إلا كنتَ ساقيَه بقيّةَ يومه هذا ، واخدُمْه كما تخدمني . وأمر له بمال كثير . وقيل: إنه قال لحسين : قل شيئاً في هذا ، فقال الأبيات ، فلما سمعها المتوكل قال : يُحمل إلى الحسين عن كل بيت مائةُ دينار ، وكان محمد بن عبد الله حاضرا ، فقال كالمتعجب : لِمَ يا أمير المؤمنين ؟ والله لقد أجاب فأسرع ، وذكر فأوجع ، وأطرب فأمتع ، ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاء، ولو أحاط بالتليد والطارف . فخجل المتوكل وقال : يُعطى بكل بيت ألف دينار .

اجتمع الحسين بن الضحاك وعمرو بن بانة يوما عند ابن شغوف الهاشمي فاحتبسهما عنده ، وكان لابن شغوف الهاشمي خادم حسن الوجه يقال له مُفحِم ، وكان عمرو بن بانة يتعشقه ويستر ذلك عن ابن شغوف ، فلما أكلوا ووضعوا النبيذ قال عمرو بن بانة للحسين : قُلْ في مفحمٍ أبياتا أغنِّي فيها الساعة ، فقال الحسين :

وَابأبي مُفحِمٌ بغُرَّتـــه(١) قلت له إذ خلوت مُكتتِمـاَ
تُحِبُّ بالله من يَخُصُّك بالودّ فما قال لا ولا نَعَمـاَ
ثم تولَّى بمقلتَيْ خَجِلٍ أرادَ رَجْعَ الجوابِ فاحتشما
فكنت كالمبتغِي بحيلته بُرْءًا من السُّقْم فابتدَى سَقَما

وغنى فيه عمرو بن بانة ، فبينما هم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصلي بالباب ، فقال له عمرو : أَعفِنَا من دخوله وإلّا نغَّص علينا بتِيهِه وصَلَفه وبُغْضه وثِقَلِه . ففعل ، وخرج الحاجب فاعتلَّ على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف ، فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضحاك إلى إسحاق فحدثه الحديث ، فقال إسحاق :

---

(١) في الأغاني : لعزته .

يا ابنَ شَغوفٍ أما علمتَ بما ... قـد صار فى الناس كلهم عَلَما
دعوتَ عَمْرًا فبات ليلتـه ... فى كلِّ ما يشتهى كما زَعَما
حتى إذا ما الظلامُ ألبســه ... سَرَى دَبيباً فضاجعَ الخدَما
ثُمّتَ لم يَرْضَ أن يُضاجعهم ... سِرًّا ولـكنْ أَبدَى الذى كَتَما
ثم تَغَنَّى من فرطِ صَبوته ... صَوتاً شَفَى من عليله السَّقَما
وابأبى مُفحم بغُرّته(١) ... قلت له إذا خلوت مكتـتما

وشاعت الأبيات فى الناس ، وغنى بها إسحاق ، فبلغت ابنَ شغوف ، فحلف ألاَّ يُدْخِل عَمْرًا دارَه أبدا ولا يكلّمه وقال : فضحنى وشهرنى وعرضنى للسان إسحاق . ومات مهاجراً له . وغنى إسحاق الموصلى هذه الأبيات للمعتصم ، فسأله عن خبرها فأخبره ، فضحك وصفق وطرب ، ولم يزل يستعيد الصوت وابنُ شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر وقام .

سئل الحسين بن الضحاك عن خبره مع الحسن بن سهل فى فصل الخريف ، وقد جاء وَسْمِىُّ المطر فرشَّ رشًّاحسنا ، واليوم فى أحسن نمط وأطيبه وأحلى منظر(٢) وهو جالس على سرير آبنوس ، وعليه قُبّة من فوقها طارِمة(٣) ديباج أصفر ، وهو يشرف على بستان فى داره ، وبين يديه وصائف يترددن فى خدمته ، وعلى رأسه غلام كالدينار فسلمت فردّ علىَّ السلامَ ، ونظر إلىَّ كالمستنطق ، فقلت :

* ألستَ ترى دِيمةً تَهْطِلُ *

(١) فى الأغانى : لعزته .
(٢) فى الأغانى : واليوم فى أحسن منظر وأطيبه .
(٣) الطارمة: أصلها بيت من خشب كالقبة ويراد هنا الستر.

فقال: بلى . فقلت:

* وهذا صباحك مُسْتَقْبَلُ *

وتلك المدام وقد شاقنا　　برؤيته الشادن الأكحل

فقال : صدقت، فقلت :

فساد بنا وبه سكرة　　تُهَوِّنُ مكروه ما يُسأل

فسكت ، فقلت :

فإنى رأيت له نظرة　　تُخَبِّرُنى أنه يفعل

قال: ثم قلت :

وقد أشكل العيشُ فى يومنا　　فيا حبَّذا عَيشُنا المُشكِلُ

فقال : العيش مشكل ، فما ترى ؟ فقلت : مباكرة القَصْف ، وتقريب الإلف ، قال : عَلَى أنْ تقيم معنا وتبيت عندنا ، فقلت له : لك الوفاء وعليك مثله لى من الشرط، قال : وما الشرط ؟ قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يسقينى ، فضحك ثم قال : ذلك لك عَلَى ما فيه . ودعا بالطعام فأكلنا ، وبالشراب فشربنا أقداحا ، ولم أر الغلام، فسألت عنه ، فقيل : الساعة يجىء ، فلم يلبث أن جاء فسألته عن غيبته فقال : كنت فى الحمّام ، وهو الذى حبسنى عنك ، فقلت :

وابأبى أبيضُ فى صُفْرة　　كأنه تِبْرٌ على فِضَّهْ
جُرِّدَ فى الحمَّام عن دُرَّة(١)　　يلوحُ فيها عُكَنٌ بَضَّهْ
غصنٌ تَبَدَّى يتثنّى على　　مَأكَمة مُثقَلة النَّهضه(٢)
كأنما الرشحُ على خَدِّه(٣)　　طَلٌّ على تفاحة غَضَّهْ

---

(١) فى الأغانى : جرده الحمام .

(٢) المأكمة : العجيزة .

(٣) فى الأغانى : كأنما الرش .

صِفاتُه فاتنةٌ كلُّها فبعضه يُذْكِرني بَعْضَهْ
يا ليته زوّدَني قُبلَةً أوْ لاَ فمن وَجْنته عَضّهْ

فقال لى الحسن بن سهل : قد عمل فيك النبيذ ، فقلت : لا وحياتك ، فقال : هذا شر من ذاك ، فقلت :

اسقيانى وصرِّفا بنت حولين قرقفا
واسقيا المرهف الغَرِ يرَ سقى الله مُرْهَفَا
لا تقولا نراه أكلا ف نِضْـواً مُخففّا
نِعْمَ ريحانة النـد يم وإن كان مُخْطَفا
إن يكن أَكْلَفاً فإ نّا نرى البدر أكلفا
بأبى ماجنُ السرير رةِ يُبْـدِى تعففًا
حفّ أصداغه وعَـقْ ربَهـا ثم صَفَّفَا
وحشا مَدْرَجَ القُصا ص بمسك ورصَّفا[١]
وَ إذا سُمْتــه منــا لًا تَأَبَّى وعَنَّفـا[٢]
ليس إلّا بأن يُعنِّ فه السُّكْرُ مُسْعِفا[٣]
باكِرَا لا تُسَوِّفـا نى عدمت التسوُّفَا
أعجِلاه وبالفَطا ظَة فى السَّقى فاعنُفا[٤]
واحْمِلا شَغْبه وإنْ هُـوَ زنَّى وأَفَّفَا
وإذا هَـبَّ للمنا م فقُوما وخَفِّفا[٥]

(١) قصاص الشعر : نهاية منبته .
(٢) فى الأغانى : فإذا رمت منه ذاك .
(٣) فى الأغانى : ليس إلا بأن يرنحه السكر
(٤) فى الأغانى : « وبالفضاضة فى السقى » والفضاضة: آخر الشيء.
(٥) فى الأغانى : وإذا هم للمنام .

فتغاضب الغلام وقام، فذهب ثم عاد فقال لى: أَقبِلْ على شرابك ودَعِ الهَذَيان. ونَاوَلَنى قدحا. وقام أبو محمد ليبول، فشربت وأعطانى نُقْلًا، فقلت له: اجعل بدله قبلة، فضحك وقال: أفْعَل، فقلت: متى؟ هذا وقته[1]، فبدا له وقال: لا أفعل، فعاودته فانتهرنى وتهددنى، فأطرقت ثم عاودته فانتهرنى، فقال له خادم للحسن يقال له فَرَج: بحياتى يا بُنىّ أَسْعِفه بما طلب. فضحك ثم دنا منى كأنه يناولنى نُقلا، وتغافل لى، فاختلست منه قبلة، فقال لى: هى حرام عليك، فقلت:

وبديع الدَّلِّ قَصْرِىِّ الغَنَجْ ... مَرِه العين كحيل بالدَّعَجْ[2]
سُمْتُه شيئا وأَصغيتُ لـه ... بعدما صَرَّف كأسا ومَزَجْ
واستخفَّتْهُ علـى نشوته ... نَبَرات من خفيف وهَزَجْ[3]
فتأبَّى وتثنى خجلا ... وذَرَا الدَّمْعَ فُنوناً ونَشَجْ
لجَّ فى لولا وفى سوف ترى ... وكَذَا كَفَّكَ عنى وخلج[4]
ذهب الليلُ وما نوَّلنى ... دون أن أسفر صبحٌ وانبلَجْ
هوَّنَ الأمرَ عليه فَرجٌ ... بتأتِّيه فسقْياً لفَرَجْ
خَمِر النكْهَةِ لا مِن قهوةٍ ... أرِّجَ الأَصداغَ بالمِسكِ الأَرِجْ
فبنفسى نفسُ من قال وقد ... كان ما كان: حرامٌ وحَرَجْ

قال: ثم أسفر الصبح فانصرفت، وعدت إلى الحسن من غد، فقال لى: كيف كنتَ ليلتك! وكيف كنت عند نَومِك؟ فقلت له: أصف ذلك نثرا أو نظما؟ قال: بل نظما، فقلت:

(١) فى الأغانى نقص ونصه: وقال: أفعل هذا وقته.
(٢) المره العين: الذى خلت عينه من الكحل. وفى ت: قرة العين.
(٣) فى نقرات من خفيف.
(٤) يريد أبعد يدك عنى. وهى رواية أصول المختار وأغلب نسخ الأغانى. وفى نسخة من الأغانى: وكذا كفكف عنى.

تألَّفتُ طيفَ غـزالِ الحَرَمْ ... فواصلنى بعد ما قـد صَرَمْ
ومازلت أقنـع من نَيْلِـه ... بمـا تجتنبه بنـات الُحلُمْ(١)
بنفسى خيالٌ عـلى رِقبـةٍ ... ألَمَّ بـــه الشوقُ فيما زَعَمْ
أتانى يُجـــاذب أردافَـه ... من البُهْرِ تحت كُسورِ الظُّلَمْ(٢)
تمُجُّ ســوالفُه مِسكَةً ... وعنبرةً رِيقُـه والنَّسَم(٣)
تضمَّخ من بعـد تجْمـيره ... فطاب من القَرْنِ حتى القدَمْ
يقـول ونازعتــه ثَوْبَـه ... على أن يقـول لشىء نعمْ
فغضَّ الجفونَ عـلى خَجلةٍ ... وأعرضَ إعراضةً واحتشمْ
فشبَّـكتُ كـفِّى على كَفِّه ... وأصغيتُ ألـثُم دُرًّا بـفَمْ
فَنهنهنى دفـع لا مُـؤيِسٍ ... بِجِدٍّ ولا مُطمِـعٍ مُعتَزِمْ
إذا ما هممت فأدنيتـــه ... تَثَنَّى وقال لك الويـلُ لِمْ
فمـــا زلت أبسطه مازحا ... وأُفرِط فى اللهو حتى ابتسمْ
وحـكَّمَنِى الرِّيمُ فى نفسه ... بشىء ولـكنه مُـكْتـــتَمْ
فوَاهاً لذلك من طـــارق ... عـلى أن ما كان أبقى سَقَمْ

فقال الحسن : يا حسين أظن ما ادعيته فى النوم كان فى اليقظة مع الشخص نفسه ، وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن ندفع العار عن أنفسنا بهبة الغلام لك ، خُذه لا بورك لك فيه . فأخذته وانصرفت .

قال الحسين بن الضحاك : [كنت] فى [المسجد] الجامع بالبصرة فدخل أبو نواس وعليه جُبَّة خزّ جديدة فقلت له : من أين لك هذه يا أبا علىّ ؟ فلم يخبرنى .

---

(١) فى الأغانى : بنان الحلم .
(٢) فى الأغانى : كسوف الظلم .
(٣) فى ت : والمشم .

فتخيلت أنه أخذها من مُوَيس بن عِمران لأنه دخل من باب بنى تميم ، فقمت فوجدت مُوَيسا قد لبس جُبّة خزٍّ أخرى . فقلت له :

كيف أصبحت يا أبا عمران :

فقال : بخير صبحك الله به . فقلت :

* يا كريم الإخاء والإخوان *

فقال: أسمعنى أسمعك الله خيرا ، فقلت :

إن لى حاجة فرأيك فيها   إننا فى قضائها سِيَّانِ

فقال : هاتها على اسم الله وبركته . فقلت :

جُبَّة من جِبابك الخزِّ حتى   لا يرانى الشتاء حيث يرانى

قال : خذها على بركة الله ، ومدَّ كمَّه فنزعتها وجئت وأبو نواس جالس ، فقال : من أين جاءتك هذه ؟ فقلت : من حيث جاءتك تلك .

قال الحسين بن الضحاك : دخلت أنا ومحمد بن عمرو على المعتصم ، فخرج إلينا كالحا ، فتوهمنا أنه أراد النكاح فعجز عنه ، فجاء إيتاخ(١) فقال : مخارِقٌ وعَلُّوية وأشباههما بالباب، فقال : عليك وعليهم لعنة الله ، اغرُب عنى . قال : فتبسمت إلى محمد بن عمرو ، وفهم المعتصم تبسمى فقال لى : مم تبسمت ؟ فقلت : من شىء حضرنى ، قال : هات ، فأنشدته :

انْفِ عن قلبك الحزنْ   باقترابٍ من السَّكَنْ
وتمتَّعْ بَكَرٍّ طَرْ   فِكَ فى وجهه الحسَنْ
إن فيه شفاءَ صد   رِكَ من لاعِجِ الحَزَنْ

فدعا بألفى دينار : ألفٍ لى وألفٍ لمحمد بن عمرو ، فقلت : الشعر لى ، فما مضى

(١) هو إيتاخ التركى المعتصمى القائد ، كان غلاما خزريا اشتراه المعتصم ورفعه .

الألف لمحمد بن عمرو ؟ قال : لأنه جاءنا معك ، ثم أذن لمخارق وعلوية فدخلا ، فأمرهما أن يغنيا به[١] ففعلا ، وما زال يعيد هـذا الصوت ، ولقد قام لحاجته وهو يُرَدِّده .

كان صالح بن الرشيد يعشق يُسْرا خادم أخيه أبي عيسى ، وكان يراوده عن نفسه فيعده ولا يفي له ، فأرسله أبو عيسى يوما إلى أخيه في السَّحَر ، يقول له[٢] : يا أخي ، قد اشتهيت أن أصطبح اليوم ، فبحياتي إلا ما ساعدتني وصِرْتَ إليَّ لنصطبح . فصار يسر إلى صالح وهو مُنتشٍ وقد شرب في السَّحَر ، فأبلغه الرسالة ، فقال له : يا يسر ، دعني من مواعيدك ومَطْلِك ، هذه عشرة آلاف درهم ، فخذها واقض حاجتي وإلا فليس هاهنا إلا الغصب ، فقال له : يا سيدي أنا أقضي الحاجة ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراد وطاوعه فقضى حاجته ، وأمر صالح فحُمل المـال معه . قال الحسين ابن الضحاك : ثم خرج إليَّ صالحٌ من خلوته فقال: يا حسين ، قد رأيتَ ما كُنَّا فيه، فإن حضرك شيء فقل ، فقلت :

أيا مَنْ رِيقُهُ خَمْرُ ويا من طَرْفُهُ سِحْرُ
تجاسرتُ فكاشفتـ ـك لمـا غُلِبَ الصبر
وما أحسنَ في مثلـ ـك أن ينهتك السِّتْرُ
وإن لامَنيَ الناسُ ففي وجهك لي عُذْرُ
فدعني من مواعيد ك إذ حَيَّنَك الدَّهْرُ
فلا واللهِ لا تَبر ح أو ينقضِيَ الأمرُ
فإما الغَصْبُ والذمُّ وإما البذْلُ والشُّكْرُ

---

(١) في الأصول: يغنيانه . وفي الأغاني : يغنيا فيه .

(٢) في الأصول : فقال له : والتصويب من الأغاني .

ولو شئتَ تياسرتَ　　كما سُمِّيت يا يُسْر
فكُنْ كاسمك لا تَمْنَـ　　ـعك النخوةُ والكِبْرُ
فلا فُزْتُ بحظّى منـ　　ـك إن ذاع له ذِكْرُ

قال الحسين : فضحك ، ثم قال : لعمرى لقد تيسَّر كما قلت . فقلتُ : ومن لا يتيسر بعد أخذ الدِّية ؟ لو أردتنى أنا أيضا بهذا لتيسرت ، فضحك ثم قال : نعطيك أنت أيضا الدية لحضورك ومساعدتك ، ولا نريدك لما أردنا له يسرا ، فبئست المطية أنت . ثم أمر عَرِيبَ(١) فغنَّت فيه .

كان حسين بن الضحاك يميل إلى خادم لأبى عيسى بن الرشيد ، فعبث به يوما على سكر ، فأخذ قِنِّينة فضرب بها رأسه فشجّه شجة منكرة ، وشاع خبره ، وتوجّع له إخوانُه ، وعولج منها مدة ، فجفا الخادمَ واطَّرَحَه ، وأبغضه ولم يعرض له بعدها ، فرآه الخادم يوما فى مجلس مولاه فبعث وغازله ، فقال له الحسين :

تَعزَّ بيأس عن هواى فإننى　　إذا انصرفت نفسى فهيهاتَ من رَدِّ
إذا خنتُم بالغيب عهدى فما لكم　　تُدِلُّون إدلالَ المقيم على العَهد
ولى منك بُدٌّ فاجتنبنى مُذمَّماً　　وإن خلتَ أنى ليس لى منك من بُدِّ

لما مات أبو نواس كتب الحسين بن الضحاك على قبره :

كابَرَنيكَ الزمانُ يا حسنُ　　فخاب سهمى وأفلح الزمنُ
ليتك إذ لم تكن بقيت لنا　　لم تبقَ روحٌ يحوطها بَدنُ

حجَّ الحسين بن الضحاك ، فمرّ فى منصرفه على موضع يعرف بالقريتين ، فإذا جارية تَطَلَّع فى ثيابها وتنظر إلى حِرِها ، ثم تضربه بيدها وتقول : ما أضيعنى وأضيعك ، فأنشأ يقول :

(١) فى الأصل : عريبا . هذا . وعريب علم على أنثى فيمنع من الصرف كما فى الأغانى.

مَرَرْتُ بالقــــريتين مُنصرِفاً من حيثُ يَقضى ذوو النهَى النُّسُكا
إذا فتــاة كأنهــا قمرُ التــ ـمِّ لمَّــا توسَّــطَ الفَلَــكا
واضعةٌ كفَّها على حِرِها تقــول واضَيْعتى وضَيْعتــكا

فلما سمعت قوله غطت وجهها وقالت : وافضيحتاه أو قد سمعتَ ما قلتُ ؟

كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنس به ، وهو يومئذ غلام ، وكان الفتح ذكيًّا حادَّ الطبعِ والفطنة ، وذلك أنه قال له المعتصم يوما وقد دخل إلى دار أبيه : يا فتح أيما أحسن؟ دارى أو دار أبيك؛ فقال له غير متوقف : دار أبى إذا كنت فيها. وكان ذلك الوقت صبيًّا له سبع سنين أو نحوها ، فعجب منه وتبنّاه ، وكان الواثق له بمثل هذه المنزلة وزاد المتوكل عليها . فاعتل الفتح فى أيام الواثق علّة صعبة ثم أفاق بعد مدة وعُوفى ، وعزم الواثق على الصبوح ، فقال للحسين بن الضحاك : اكتب بأبيات عنى إلى الفتح ادعُه للصبوح ، فكتب إليه :

لمــا اصطبحتُ وعينُ اللهو ترمُقُنى قد لاح لى باكراً فى ثوْبِ بِذْلَتِهِ
ناديتُ فَتْحًا وبشَّرْتُ المُدامَ به لمَّــا تخلَّص من مكروهِ عِلَّتِهِ
ذبَّ الفَتى عن حريمِ الراحِ مَكرمةٌ إذا رآها امرؤٌ ضِدًّا لِنِحْلَتِهِ
فاعجَلْ إلينا وعَجِّلْ بالسرور لنا وخالِسِ الدهرَ فى أوقاتِ غَفْلَتِهِ

فلما قرأها الفتح صار إليه واصطبح معه .

كان بجوار الحسين بن الضحاك طبيب يداوى الجراحات يقال له نصير ، وكان مُخنثا ، فإذا كانت وليمة دخل مع المخنثين ، وإذا لم تكن وليمة عالج الجراحات ، فقال فيه الحسين بن الضحاك :

نُصيرُ ليس المُرْدُ من شأنه نُصــيرُ طَبٌّ بالنَّــكاريشِ(١)

(١) النكريش: الملتحى . وجمعه نكارش .

يقول للنِّكريش فى خَلْوَةٍ   مقالَ ذى لُطْفٍ وتَجْميش
هل لك أن نلعب فى فرشنا   تقلُّبَ الطيرِ المَراعيش

يعنى المبادلة . فكان نُصيرٌ بعد ذلك تصيح به الصبيان : يا نصير نلعب تقلّب الطير المراعيش ، فيشتمهم ويرميهم بالحجارة .

سئل الحسين بن الضحاك فى مجلس المتوكل عن سِنّه فقال : ما أحفظ السنة التى ولدت فيها بعينها ، ولكن أذكر وأنا بالبصرة موت شُعبة بن الحجّاج سنة ستين ومائة .

قال أحمد بن حمدون النديم : أمر المتوكل أن ينادمه الحسين بن الضحاك ويلازمه ، فلم يطق ذلك لكبر سِنّه ، وثَلَبه بعضُ أولاد الخلفاء عنده وقال : من يطيق الذهاب إلى القُرَى والمواخير ويشرب فيها يعجز عن خدمتك(١) ؟ فبلغه ذلك فدفع إلىّ أبياتا وسألنى إيصالها إلى المتوكل ، فأوصلتها وهى :

أمَا فى الثمانين وَفَّيتُها   عذرٌ وإن أنا لم أعتذِرْ
فكيف وقد جُزتُها صاعداً   مع الصاعدين بتسعٍ أُخَرْ
وقد رَفَعَ الله أقلامه   عن ابن ثمانين دون البَشَرْ
سوى من أصرَّ على فتنةٍ   وألحَدَ فى دينه أو كَفَر
وإنى لمن أُسراء الإلـ   ـهِ فى الأرض نُصْبَ صُروفِ القَدَرْ
فإن يقضِ لى عملا صالحا   أثابَ وإن يقض شرًّا غفرْ
فلا تَلْحَ فى كِبَرٍ هَدَّنى   فلا ذنب لى أن بلغتُ الكِبَرْ
فقد بسط الله لى عُذرَه   فمن ذا يلوم إذا ما عَذَرْ
وإنى لفى كَنَفٍ مُغْدِقٍ   وعِزٍّ بنصرِ أبى المُنتصِر(٢) .

---

(١) فى الأغانى : هو يطيق . . . ويعجز عن خدمتك .

(٢) بعده فى الأغانى ثلاثة أبيات .

قال ابنُ حمدون : فأوصلت الرقعة وشيَّمتُها كلاما بشيء عَذرته به وقلت: لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها ، فقال له المتوكل : صدقت، نخذ له عشرين ألف درهم فاحملها إليه . فأخذتها وحملتها إليه .

قال الحسين بن الضحاك : ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي ولده ، وضربني الأمين لمايلتي ابنه عبد الله ، ثم ضربني المأمون لميل كان إلى محمد ، ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربني الواثق لأنه بلغه من ذهابي إلى المتوكل ، وكل ذلك يجرى مجرى الولع بي والتحذير لي ، ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعا بالولع بي ، فتغاضب المتوكل عليّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك فاعلم أن آخر ضَربٍ ضُرِبته بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك .

قال عليّ بن يحيى : جاءني يوما حسين بن الضحاك ، فقلت له أَيِش كان خبرك أمس ؟ فقال لي : اسمعه شعرا ولا أزيدك على ذلك فهو أحسن ، فقلت : هات ، فقال:

زائرةٌ زارتْ على غفلةٍ ... يا حَبـذا الزورةُ والزائرهْ
فلم أزل أخدعها ليلتي ... خديعة الساحرِ للساحرهْ
حتى إذا ما أذعنت بالرِّضا ... وأنعمتْ دارت لها الدائرهْ(١)
بتُّ إلى الصبح بها ساهرا ... وباتت الجوزاء بي ساهرهْ
أفعلُ ما شئتُ بها ليلتي ... ومِلْءُ عيني نِعمةٌ ظاهرهْ
فلم نَم إلّا على تسعةٍ ... من غُلمة بي وبها ثائرهْ
سقياً لها لا لأخِي شِعرةٍ ... شِعرتُه كالشعرة الوافرهْ
وبين رِجليه له حربةٌ ... مشهورة في حَقْوةٍ شاهرهْ
وفي غدٍ تتبعُها لِحيةٌ ... تُلْحِقه بالكَرَّة الخاسرهْ

قال : فقلت له : زَنيتَ يعلم الله إن كنت صادقا . فقال : قل أنت ما شئتَ .

(١) في الأغاني : بها الدائر .

حارثة بن بدر[1]

هو حارثة بن بدر بن حُصين بن قَطن بن مالك بن غُدانةَ بن يربوع، وقيل : حارثة بن بدر بن مالك بن كلب بن غُدانة ، ونسب بنى يربوع مذكور فى نسب جرير .

وأم حارثة امرأة من صُريم بن الحارث يقال لها الصدوف بنت الصدىّ .

مرّ عمرو بن الأهتم بحارثة بن بدر والأحنف بن قيس وزيد بن حُلَيَّة[2] ، فسلّم عليهم ، ثم بقى مفكرا ، فقالوا : مالك ؟ فقال : ما فى الأرض ثلاثةٌ أنجب من آبائكم حيث جاءوا بكم من أمثال أمهاتكم . فضحكوا منه .

وأم الأحنف بن قيس الزافرية، واسمها حُبَّى ، من باهلة. وأم زيد بن حلية عمرة بنت جُذام[3] من بنى الشُعيراء ، وحارثة بن بدر من فرسان بنى تميم ووجوهها وساداتها .

وفى بنى غدانة يقول الفرزدق :

أَبَنِى غُدانَةَ إننى حَرَّرتكم ... ووهبتكم لعَطِيَّةَ بنِ جِعالِ
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم ... من بين أَلأمِ أَعينٍ وسِبالِ

وكان عطية استوهب منه أعراضهم لِصهرٍ بينه وبينهم ، وكان عطية سيّدا من سادات بنى تميم ، فلما سمع عطيةُ هذا الشعر قال : والله لقد امتَنّ علىّ أبو فِراس بهذه الهبة ، وما تَممها حتى ارتجعها ، وواصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم .

---

(١) الأغانى : دار الثقافة المجلد ٢٣ آخر المجلد . الجزء الواحد والعشرون ص ٢٠ طبع أوربا وهو مما سقط من طبعة بولاق ، وفى طبعة الساسى الجزء ٢١ ص ١٣ .

(٢) فى الأغانى : جبلة .

(٣) فى الأغانى : حذلم .

وكان عطية جوادا ، وفيه يقول جرير :

إنّ الجواد على المواطن كلّها ... وابنَ الجواد عطيّة بنُ جِعالِ
يهبُ النجائب لا يملُّ عطاءها ... والمُقْرَبَاتِ كأنهنّ سَعالى (١)

وربما أن يكون قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فى حال صباه وحداثته (٢).

كان زياد مكرما لحارثة بن بدر ، قابلا لرأيه، محتملا لما يعمله من تناوله الشراب، فلما ولى عبيدُ الله بن زياد أخَّر حارثة بعض التأخر، فعاتبه على ذلك ، فقال له عبيدالله: إنك تتناول الشراب ، فقال له: قد كان أبوك يعلم ذلك منى ، وهو يقربنى ويكرمنى ، فقال له : إن أبى كان لا يخاف من القالة فى تقريبك ما أخاف . وإن اللسان إلىّ فيك أسرع منه إلى أبى . فقال حارثة :

وكم من أميرٍ قد تجبَّرَ بعدما ... مَرَيْتُ له الدنيا بسيفى فدَرَّتِ (٣)
إذاماهى احلولت نَفَى حَقّ مَقْسمى ... ويَقْسم لى منها إذا ما أمَرَّتِ
إذا زَبنته عن فُواقٍ يُريده ... دُعيتُ ولا أُدْعَى إذا ما أقرَّتِ

وشاوره عبيد الله بن زياد فى أمر فقال :

أُهان وأُقصى ثم تنتصحوننى ... ومن ذا الذى يعطى نصيحته قَسْرَا
رأيت أكفَّ المصلِتين عليكمُ ... مِلاءً وكفّى من عطاياكمُ صِفْرا
متى تسألونى ما علىَّ وتمنعوا ... الذى لِىَ لاأسْطِعْ على ذلكمْ صَبْرَا

وحوَّل زياد دعوة حارثة وديوانه فى قريش ، لمكانه منه . فقال فيه رجل من بنى كلب يهجوه:

---

(١) المقربات من الخيل : التى ضمرت للركوب . والإبل المقربة: التى حزمت للركوب أو التى عليها رحال مقربة بالأدم وهى مراكب الملوك . وأنكر المعنى الثانى للإبل .
(٢) ذكر فى الإصابة فى القسم الثالث من حرف الحاء وأشار المؤلف إلى أبى الفرج الإصفهانى
(٣) مرى الناقة يمريها : مسح ضرعها لتدر .

شهدتُ بأن حارثةَ بن بــدرٍ غُــدَانِيٌّ اللهازمِ والـكَلامِ
سَجَاحِ فى كتاب الله أَدنى له من نوفــل وبنى هِشام

يَعنى سَجاحِ التى ادَّعت النبوة ، وهى امرأة من بنى تميم .

عاقب الأحنفُ بنُ قيس حارثةَ بنَ بدر على معاقرة الشراب وقال له : قــد فضحتَ نفسك وأسقطت قدرك . وأوجعه عتابا . فقال له : إنى سأُعتبك فأَمْسك(١) ، وانصرف الأحنف طامعا فى صلاحه ، فلما أمسى راح إليه فقال له : اسمع يا أبا بحر ما قلت : قال : هاتِ ، فأنشده :

يذمّ أبو بحــر أموراً أُريدها ويكرهها للأَرْيَحِيِّ المُسَوَّدِ
فإن تــك عيَّاباً فقل ما تريـده ودعْ عنك شُرْبى لستُ فيها بأَوْحدِ
سأشربها صهباءَ كالمِسك ريحُها أُسَرُّ بها فى كلّ نادٍ ومشهد(٢)
فَنَفْسَك فانصحْ يا ابن قيس وخلِّنى ورأيى فما رأْيى إذاً بمُفَنَّدِ(٣)
وقائلةٌ يا حارِ هــل أنت مُمسك عليك من التبذير قلت لها اقصِدِى
ولا تأمرينى بالسَّــداد فإننى رأيتُ الـكثيرَ المـالِ غيرَ مُخلَّدِ
ولا عيب لى غير اُصطباحىَ قهوةً مَتى يَمتزِجْها المرء فى الـكأسِ تَزْبِدِ
معتّقة صهباء كالمسك ريحُهــا إذا هى فاحت أَذْهَبَتْ غُلَّةَ الصَّدِى
ألَا إنما الرُّشدُ المُبينُ طريقُــه خِلافَ الذى قد قلت إذ أنت مُرشدى
سأشربها ما حــجّ لله راكبٌ مُجاهَرَةً وحدى وفى كلِّ مَشهدِ(٤)
وأُسعِد نــدْمانى وأَتبعُ شَهوتى وأبذُل عَفواً كلَّ ما ملــكتْ يدى

---

(١) كلمة « فأمسك » توجد فى بعض نسخ الأغانى فقط .

(٢) فى الأغانى : وأشربها فى كل ناد.

(٣) فى بعض مخطوطات الأغانى : برأى مفند .

(٤) فى بعض مخطوطات الأغانى : مجاهدة وحدى ومع كل مسعد .

كذا العيشُ لا عيشُ ابنِ قيسٍ وصَحْبِهِ
من الشُّربِ للمـاء القَراحِ المُـبَرَّدِ

فقال له الأحنف : حسبك فإنى أراك غير مُقلع عن غيِّك ، ولن أعاتبك بعدها أبدا .

شرب حارثة بن بدر مع بنى زياد ليلة إلى الصبح ، فأكثر وصرَّف ، فلما غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة ، ففطن له زياد فقال : مالك ياحارثة ؟ قال : أكلت البارحة رُمَّانا فأكثرت . قال: قد عرفتُ ومع من أكلته ، ولـكنهم قشروه وأكلته بقشره فأصارك إلى ما أرى .

كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مِسْمَع ، فإذا جاء وقتُ يشربُ قام ، فأراد مالك أن يعلم من حضر أنه قام للشرب ، فقال له : إلى أين تمضى يا أبا العنبس ؟ قال : أجىء بعبَّاد بن الُحصين يفقأ عينك الأخرى . وكان عبادٌ فقأ عين مالك بن مِسْمَع يوم المِرْبَد .

كان حارثة بن بدر قد نُدِب لقتال الأذارقة بدُولاب، فلما لقيهم واشتدت الحرب بينهم قال لأصحابه :

كَرْنِبُـوا ودَوْلِبوا[1]   وحيث شئتم فاذهبـوا

ثم انهزموا ، فهجاه غوثُ بن الُحباب :

أحارِبنَ بدرٍ دونَكَ الـكأسَ إنها   بمثلِك أولَى من قِراع الـكتائبِ
عليك بها صهباءَ كالمِسك ريحُها   يظلُّ أخوها لِلْمِدَا غـيرَ هائبِ
ودعْ عنك أقواما وَلِيتَ قِتالَهم   فلستَ صَبوراً عند وقْع القواضِبِ[2]

(١) انظر معجم البلدان كرنبا وبهامش مخطوط كوبرلى قوله : كرنبوا : خذوا طريق كرنبا ودولبوا: خذوا طريق دولاب .

(٢) فى الأغانى بينه وبين تاليه ثلاثة أبيات .

ودعْ عنك أبناء الحروبِ وشَدَّهم إذا خَطروا مثل الجمال المَصاعِبِ

كانت فى بنى تميم حَمَالتان ، فاجتمعوا فى مقبرة بنى شيبان ، فقال لهم الأحنف ابن قيس : لا تَعجلوا حتى يَحضر سيّدُ كم ، قالوا : ومن سيّدُنا غيرك ؟ قال : حارثة ابن بدر . قال : وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير ، فبلغه ما قال الأحنف ، فقال : أغْرَمنيها واللهِ ابنُ الزافرية ، ثم أتاهم كأنه لم يعلم فِيمَ اجتمعوا ، فقال : فيم اجتمعتم ؟ فأخبروه ، فقال : لا تَلْقَوْا فيهما أحداً فهما عَلَيّ ، ثم أتى منزله فقال :

خَلَت الديارُ فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ ومن البلاءِ تفرُّدى بالسُّودَدِ

اجتمع أصحاب الحديث على سفيان بن عيينة فازدحموا ، فقال : لهممت ألَّا أحدثكم شهرا ، فقام إليه شاب من أهل العراق فقال : يا أبا محمد ألِنْ جانبك وحَسِّن قولك وتأسّ بصالحى سلفك ، وأجمِلْ مجالسة جلسائك ، فقد أصبحت بقية الناس ، وأمينا لله ولرسوله على العلم ، والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقتّه حتى يكاد أن يقيم ، فيكون لقاؤه إياك وطمعه فيك من أكثر ما يحركه عليه . قال : فخضع سفيان وتواضع ، ورَقّ وبكى ، ثم تمثل بقول حارثة بن بدر :

خلت الديارُ فسدْتُ غير مسوَّدِ ومن البلاءِ تفرُّدى بالسودَدِ

ثم حدثهم بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا .

اجتاز حارثة بن بدر بمجلس من مجالس قومه ومعه كعب مولاه ، فكلّما اجتاز بقوم قالوا له : مرحبا بسيدنا . وقاموا له ، فقال كعبٌ : ماسمعت كلاما قطّ أقرّ لعينى ولا أكفّ لسمعى من هذا الكلام . فقال حارثة : لكنى لم أسمع كلاما قطّ أَكرَهَ لنفسى وأبغضَ مما سمعته اليوم ، قال : ولم ؟ قال : ويحك يا كعب ، إنما سوَّدَنى قومى حين ذهب خيارُهم وأماثلُهم ، فاحفظ عنى هذا البيت :

خَلت الديارُ فسُدْتُ غير مُسوَّدِ ومن البلاءِ تفرُّدى بالسودَدِ . ،

كان حارثة بن بدر الغدانى يسعى فى الأرض فسادا فهَدَر أميرُ المؤمنين علىُّ بن

أبى طالب رضى الله عنه دَمَه ، فهرب واستجار بالناس فلم يجره أحد ، فقيل له : عليك بسعيد بن قيس الهَمْدانى فلعله أن يُجيرك . فطلب سعيدا فلم يجده ، فجلس فى طلبه حتى جاء ، وأخذ بلجامه وقال : أجرنى أجارك الله . قال : ويحك مالك ؟ قال : هَدر أميرُ المؤمنين دمى . قال : وفيم ؟ قال : سعيت فى الأرض فسادا . قال : ومن أنت ؟ قال : حارثة بن بدر الغُدانى . قال : أَقِمْ . وانصرف إلى أمير المؤمنين(١) فوجده قائما على المنبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ؟ قال: أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفَوْا من الأرض . قال : يا أمير المؤمنين إلا من تاب . قال : إلا من تاب قال: فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائبا وقد أجرته . قال: أنت رجل من المسلمين وقد أجرناه . ثم قال أميرُ المؤمنين وهو على المنبر : أيها الناس ، إنى كنت قد هَدرتُ دَم حارثة بن بدر ، فمن لقيه فلا يَعْرِض له . فانصرف إليه سعيد فمرَّفه وكساه وحَمَله وأجاره(٢) . فقال فيه حارثة بن بدر :

أساغَ فى الحلق رِيقا كُنْتُ أَجْرَضُه ... وأظهر الله سِرّى بعــــد كِتمانى(٣)
إنى تداركنى عفٌّ شمـــائلُه ... آباؤه حين تنمى خيرُ قَحطانِ
تنميه قيسٌ وزيدٌ والفَـتَى مَرِثٌ(٤) ... وذُو جبائرَ من أولادِ عُثمانِ
وذو رُعَينٍ وسيفٌ إبنُ ذى يَزَنٍ ... وعَلْقم قبلَهم أعـنى ابنَ قِيقَانِ(٥)

(١) فى أصول المختار : « إلى أمير المؤمنين به » .
(٢) فى الأغانى : وأجازه بجائزة سنية .
(٣) جرض بريقه يجرض: ابتلعه على هم وحزن .
(٤) فى بعض مخطوطات الأغانى : والفتى كرب .
(٥) فى بعض مخطوطات الأغانى : أعنى ابن بنهان .

اللهُ يجزى سعيدَ الخيرِ نافلةً أعنى سعيدَ بنَ قيسٍ قَرْمَ هَمدانِ
أنقذنى مِن شفا غبراءَ مُظلمةٍ لولا شفاعته أُلبِستُ أكفانى
قالت تميمُ بنُ مُرٍّ لا نُخاطبه وقد أبتْ ذلكمْ قيسُ بنُ عَيلانِ

فلما أراد الانصراف إلى البصرة شيَّعه سعيد بن قيس إلى نهر البصرة فى ألف راكب ، وحمله وجهَّزه ، فقال حارثة يمدحه :

لقد سُرِرْتُ غداةَ النهر إذ بَرزتْ أشياخُ همدانَ فيها المجدُ والخيرُ
يقودهم مَلكٌ جَزْلٌ مواهبُه وارِى الزنادِ لدى الخيرات مَذكورُ
أعنى سعيدَ بن قيسٍ خيرَ ذى يَزَنٍ بجلَ الكرامِ لدى السلطان مَحْبور
ما إن يلين إذا ما سِيمَ مَنقصةً لكنْ له غضبٌ فيها وتَنْكيرُ
أغرّ أبلج يُستَسقَى الغمامُ به جنابه الدهرَ يُضحِى وهو مَمْطور

لقى أنسُ بنُ زُنَيم الدُّئلى حارثةَ بنَ بدر ، فقال له : ياحارثة ، قد قلت لك أبياتا فاسمعها ، قال : هاتِها ، فأنشده :

أحتى متى أنت ابنَ بدرٍ مُخيِّمٌ وصحبُك يَحْسون الحليبَ من الكَرْمِ
فإن كان شرًّا فَالْهُ عنه فإنه لغيرك من أهل التخمُّطِ والظُّلمِ (١)
وإن كان غُنْما يا ابن بدر فقد أرى سَلِمت من الإكثار من ذلك الغُنمِ (٢)
وإن كنت ذا علم بما فى احتسائها فما لك تأتى ما يَشينك عن عِلْمْ (٣)
تَقِ اللهَ واقبلْ يا ابن بدرٍ نصيحتى ودَعْها لمن أمسى بعيدا عن الحزم
فلو أنها كانت شراباً مُحلَّلا وقلتَ لىَ اترُكْها لأَوْضعت فى الحِلْمْ (٤)

---

(١) التخمط : التكبر .
(٢) فى بعض مخطوطات الأغانى : سئمت .
(٣) فى بعض مخطوطات الأغانى : بها واحتسابها .
(٤) فى الأغانى : فى الحكم وأوضع : أسرع .

وأيقنت إن الحلم ما قلتَ فانتفعْ … بقولى ولا تجعل كلامى من الجُرْمِ
فربَّ نصيحِ القولِ رُدَّ انتصاحُه … عليه بلا ذنبٍ وعُوجِلَ بالشتمِ

فقال حارثة : لقد قلتَ فأحسنت ، ونصحت فبالغت ، جُزيت الخير . فلما رجع حارثة إلى منزله أتاه ندماؤه فقالوا : ما أراد إلا تبكيتك . فقال : وأنا واللهِ أرى ذلك . ثم قال حارثة لأنس بن زنيم :

تَعيبُ علىَّ الراحَ مَن لو يذوقُها … لَجُنَّ بها حتى يُغَيَّبَ فى القَبْرِ
فَعِبها أو امدحها فإنا نُحبُّها … صُرَاحاً كما أغراكَ ربُّكَ بالهُجْرِ
علامَ تذمُّ الراحَ والراحُ كاسمها … تُرِيحُ الفتى من هَمِّه آخرَ الدهرِ
فلُمْنى فإن اللوم فيها يَزيدنى … غراماً بها إن الملامة قد تُغْرِى
وباللهِ أُولِى صادقا لو شربتَها … لأقصرْتَ عن عَذلى وملْتَ إلى عُذرى
فإن شئت جرِّبها وذُقْهَا عتيقةً … لها أَرجٌ كالمسك محمودةَ الخُبْرِ
فإن أنت لم تخلع عِذارك والحَيَا … فقلْ لى لحاكَ اللهُ من عاجزٍ غُمْرِ (١)
وقبلَك ما قد لامنى فى اصطباحها … وإدمانها بَدْرٌ فأعرضت عن بَدْرِ (٢)
وحاسيتُها قوما كأن وجوهَهم … دنانيرُ فى اللَّأْواءِ والزمنِ النُّكرِ (٣)
فدَعْنى من التعذال فيها فإننى … خُلقت أَبيًّا لا أَلين على القَسْرِ
أجود وأُعطى المُنْفِساتِ تبرُّعا (٤) … وأُغلى بها عند اليَسارة والعُسْرِ
وأشربها حتى أخرَّ مُجَدَّلا … معتقةً صهباءَ طيِّبةَ النَّشْرِ
ولولا النُّهَى لم أَصحُ ما عشتُ ساعةً … ولكننى نَهنهتُ نفسى عن الهُجْرِ

---

(١) فى الأغانى : « عذارك فالحنى » والغمر : من لم يجرب الأمور .

(٢) فى بعض مخطوطات الأغانى : وفى شربها بدر .

(٣) اللأواء : الشدة والمحنة .

(٤) أنفس الشىء : كان نفيسا .

وقصَّرت عنها بعد طولِ لجاجةٍ　　وحبي لها في سر أمرى وفى الجَهرِ
وحقَّ لمثلى أن يَكُفَّ عن الخنَا　　ويُقصِرَ عن بعضِ الغَوايةِ والسُّكْرِ[١]

كان أنس صديقا لعُبيد الله بن زياد ، فرأى منه جفوة وأَثَرةً لحارثة بن بدر ، فكان يكتب إلى عبيد الله بن زياد بالشعر ، ويأمر عُبيدُ الله بنُ زياد حارثةَ بنَ بدر بأن يجيبه فجرت بينهما مكاتبات ، ومن جملتها قال أنس بن زُنيم لعُبيد الله بن زياد :

سَلْ أمــيرى ما الذى غَيَّرَهُ　　عن وصالى اليوم حتى وَزَعَهْ[٢]
لا تُهِنِّى بعــد إكرامك لى　　فشديدٌ عــادةٌ مُنتَزَعــهْ
لا يَــكُنْ وعدُك بَرْقاً خُلَّباً　　إنّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ مَعَهْ

استعمل زياد حارثة بن بدر على سَابور[٣] فغاب عنه أشهرا ، ثم قدم فدخل عليه ، فقال له : ما جاء بك ولم أكتب إليك ؟ قال : استنظفْتُ خراجَك وجئتك به ، وليس لى بها عمل ، فما مقامى ؟ قال : أو بذلك أمرتك ! ارجع فارددْ عليهم الخراج ، وخذه منهم نجوما ، حتّى تنقضى السنة وقد فرغت من خراجك ، فإنه أرفق بك وبالرعيّة ، واحذر أن تحملهم على بيع غَلَّاتهم ولا مواشيهم ولا التغيُّر عليها[٤] فرجع فرد عليهم الخراج ، وأقام يستخرجه منهم نجوما حتّى مضت السنة .

وقال الأحنف بن قيس : ما غبت عن أمر قط فحضره حارثةُ بن بدر إلا وثقت بإحكامه إياه وجودة عقده له . وكان حارثة بن بدر من الدهاة . وكان يصيب من الشراب وكان حَظِيًّا عند زياد ، فعوتب زياد على رأيه فيه فقال : أتلومونى على

---

(١) فى بعض مخطوطات الأغانى . والنكر .
(٢) فى الأغانى : حتى ودعه .
(٣) فى بعض المخطوطات : نيسابور .
(٤) فى بعض مخطوطات الأغانى : ولا التعنيف عليهم .

حارثة ؟ فوالله ما تفل فى مجلسى قطُّ ولا حكَّ ركابُه ركابى ، ولا سار معى فى عُلاوة الريح[1] فغبَّر علىَّ ، ولا دعوته قط فاحتجت إلى تجشُّم الالتفات إليه حتى يُوازينى ، ولا شاورته فى شىء إلا نصحنى ، ولا سألته عن شىء من أمور العرب وأخبارها إلا وجدته به بصيرا .

اجتمع حارثة بن بدر والأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد مع غيرهم ، فقال عبيد الله : ياحارثة ، أى الشراب أطيب ؟ قال : بُرَّة طَيْسَارِيَّة ، بأقطة غَنَوِيّة[2] ، بسمنة عربية ، بسكرة سُوسيّة . فتبسم عبيد الله ثم قال للأحنف : يا أبا بحر ، أى الشراب أطيب ؟ قال : الخمر ، فقال له عبيد الله : ومايدريك ولست من أهلها ؟ قال: رأيت من يستحلّها لا يَعدوها إلى غيرها ، ومن يحرّمها يتأوّل فيها حتى يشربها .

ذُكِر حلم الأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر فنفِس عليه حارثة وقال : أيها الأمير ، وما حِـلْم من لا قدرةَ له ولا يَملك لعدوّه ضرًّا ولا لصديقه نفعا ؟ وإنما يتـكلف الدخول فيما لا يعنيه . فبلغ ذلك الأحنفَ فقال . أَهونْ بحارثةَ وبكلامِه ، وماحارثة ومامقداره ؟ أليس هو الذى يقول قبح الله رأيه:

إذا ما شربتُ الراحُ أبدتْ مكارمى ... وجُدت بما حازت يدَاىَ من الوَفْرِ
وإن سبَّنى جَهْلًا نـــديمَى لم أَزِدْ ... على اشْرَبْ سَقاكَ اللهُ طيِّبَةَ النَّشْرِ
أرى ذاكَ حقًّا واجبـــاً لمنـادمى ... إذا قال لى غَيْرَ الجميلِ من السُكْرِ

لما أشرف حارثة بن بدر على الموت دخل عليه قومه فقالوا : هل لك من حاجة أو شىء تريد ؟ قال : نعم ، اكسروا رِجْل كعب مولاى لئلا يخرج[3] من عندى فإنه يُؤْنسنى ، ففعلوا ذلك وأنشأ يقول :

---

(١) علاوة الريح الجهة التى تهب منها .
(٢) فى الأغانى عنزية .
(٣) فى بعض مخطوطات الأغانى : لئلا يبرح .

يا كعبُ صبراً ولا تجزعْ على أحَدٍ يا كعبُ لم يَبقَ منَّا غيرُ أجسادِ
يا كعب ماراح من قوم ٍ ولا ابتكَرُوا إلَّا وللموتِ فى آثارهم حادِى
يا كعب ما طلعتْ شمس ولا غربتْ إلَّا تُقرِّب آجالًا لميعادِ
يا كعبُ كم من حِمَى قوم ٍ نزلت به على صواعقَ من زَجْرٍ وإيعادِ
فإن لقيتَ بوادٍ حَيَّةً ذَكَراً فاذهبْ ودَعْنى أُمارِسْ حَيَّةَ الوادِى

قال زياد يوما لحارثة : من أخطب ؟ أنا أو أنت . فقال : الأمير أخطب منى إذا توعّد ووعد ، وأعطى ومنع ، وأبرق وأرعد ، وأنا أخطب فى الوِفادة والثناء والتخيّر(١) وأنا أكذب إذا خطبت فأحشو كلامى بزيادات مليحة شهيّة ، والأمير يَقصد إلى الحق وميزان العدل فلا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص مثلها . فقال له زياد : قاتلك الله ، فلقد أجدْت ملخَّص(٢) صفتك وصفتى من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتنى وتخلّصت . ثم التفت إلى أولاده فقال : هذا لعمركم البيان الصريح .

دخل حارثة بن بدر على عبيد الله بن زياد وبوجهه أثر ، فقال : ما هذا يا حارِ ؟ قال : ركبت الأشقر فصرعنى . فقال : لو ركبت الأشهب(٣) لكان أوْطأ وأسلم .

(١) فى بعض مخطوطات الأغانى : والتحبير
(٢) فى بعض مخطوطات الأغانى : تخليص
(٣) الأشهب : يراد به الماء أو اللبن .

الحسين بن عبد الله[1]

هو الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كنيته أبو عبد الله ، من فتيان بنى هاشم وظرفائهم وشعرائهم . رَوى الحديث . وروى عنه .

فما رواه أنه حدث عن عكرمة عن ابن عباس قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسان بن ثابت وهو فى ظلّ فارعٍ[2] وحوله أصحابه ، وجاريته شيرين تغنيه بِمِزْهرها :

هــل عــلىَّ ويحــكما ... إن لهوت من حَــرْجْ

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال : لا حرج إن شاء الله تعالى:

وله شعر صالح ، وزوجته عابدة أخت عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو ابن العاص ، وكان يشبب بها ، وكان زواجه لها سببا لردّ أموال بنى عمرو بن العاص عليهم فى دولة بنى العباس .

وكانت أم عابدة عَمّة الحسين بن عبد الله ، أمهما عَمْرة بن عُبيد الله بن العباس تزوجها شُعيب فولدت له محمدا وشُعَيبا ابنىْ شُعيب ، وعابدة ، وكان يقال لها عابدة الحسن وعابدة الحسناء وبسببها رُدّت على ابن عمرو بن العاص أموالهم فى دولة بنى العباس[3] وكان هو قد خطب عابدة ، وخطبها بكّار بن عبد الملك ، فامتنعت

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٢ /٦٦ وانظر ٦٥ ودار الثقافة ١٢/٦٠ وانظر ٥٩ وبولاق ١٠ /١٦٨ والساسى ١٠/١٦٠ والتجريد ١٣٦٤ .

(٢) فارع: حصن كان لحسان .

(٣) هذا النص بهامش مخطوط كوبرلى .

على بكّار وتزوجت الحسين ، فقال له بكار : كيف اختارتك[1] عابدة مع فقرك ؟ فقال له الحسين : أتعيِّرنا بالفقر وقد نَحَلنا اللهُ عز وجل الكَوثَرَ ؟

وكانت أم الحسين أم ولد .

وكان مالك بن أبى السَّمْح الطائىُّ صديقا للحسين بن عبد الله ونديما له ويغنى فى أشعاره ، وله يقول الحسين :

لا عيش إلَّا بمالك بن أبى السَّمْـ ـح فلا تَلْحَـيْن ولا تَلُمِ
أبيض كالسيف أو كما يَلمع الـ ـبارق فى حِنـدس الظُّلَمِ
يُصيب من لذَّة الكريم ولا يهتك حقَّ الإسلام والحُرَمِ
يا رُبَّ ليل مَضَى كحاشيةِ الـ ـبُرْد ويومٍ كذاك لم يَدُمِ
لهوت فيه ومالك بن أبى السمـ ـح الكريم الأخلاق والشِّيَمِ
من ليس يَعْصِيك إن رَشَدْتَ ولا يَجهل آىَ الترخيص فى اللَّمَمِ

فقال له مالك : ولا إن غَوَيْتَ أيضا واللهِ بأبى أنت وأمى أعصيك . وغنّى مالك بهذه الأبيات بحضرة الوليد فقال : أخطأ حسين فى صفتك ، إنما كان ينبغى أن يقول :

أحول كالقِرْد أو كما يخرج السـ ـارق فى حالكٍ من الظُّلَمِ

(١) فى الأغانى : تزوجتك .

حرملة أبو زُبيد الطائى (١)

هو حَرملة بن المُنذر بن مَعْدى كرب بن حَنظلة بن النُّعمان بن حَيَّة بن سَعْنَة ابن الغوث بن الحارث (٢) بن ربيعة بن مالك بن سكو بن منى بن عمرو بن الغوث ابن طيء بن أُدَد بن زيد بن يَشجُب بن [عريب بن زيد بن] (٣) كهلان بن يعرب بن قحطان، كان نصرانيا مات على دينه ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين وهم العُجير السَّلولى وذَوُوه (٤) . [وكان أبو زبيد أعور أفْوَه آدم طويلا] (٥) كان طوله ثلاثة عشر شبرا [وكان من أحسن الناس وأجملهم] (٥) . وكان من زُوَّار الملوك وخاصة ملوك الفرس (٦) ، وكان عالما بسيرتهم [وهو أحد المعمَّرين ، ذُكِر أنه عُمِّرَ مائة وخمسين سنة] (٥) وكان عثمان بن عفان يُقرِّبه ويدنى مجلسه [فحضر ذات يوم وعنده المهاجرون والأنصار] (٧) ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها ، فالتفت عثمان إلى أبى زُبيد فقال : يا أخا تُبَّع المسيح أسمِعْنا بعض قولك فى الأسد فقد أُنبِئنا أنك تجيدهَ . فأنشده قصيدته التى أولها :

من مُبلغٌ قومنا النائين إذ شَحَطُوا ... أن الفؤاد إليهم شَيِّقٌ وَلِعُ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٢/١٢٧ وانظر ١٢٥ ودار الثقافة ١٢/١١٨ وانظر ١١٦ وبولاق ١١ /٢٤ والساسى ١١ /٢٣ والتجريد ١٣٨٣ .

(٢) فى الأغانى : بن سعنة بن الحارث .

(٣) زيادة من الأغانى .

(٤) دووه هم عبد الله بن همام السلولى ونافع بن لقيط الأسدى .

(٥) ما بين معقوفين ليس فى الأغانى

(٦) فى الأغانى : العجم .

(٧) ما بين معقوفين زاده محققو الأغانى عن ابن سلام وهو موجود فى مختار الأغانى .

ووصف الأسد فقال له عثمان: بالله تفتأ تذكر الأسد ماحييت ، والله إنى لأحسبك جبانا هَرّابا[١] قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت منه منظرا ، وشهدت منه مشهدا ، لا يبرح ، ذِكره يترَدَّدُ فى قلبى ، ومعذورٌ أنا غير ملوم ، فقال له عثمان : وأنَّى كان ذلك ؟ قال : خرجت فى صُيَّابةٍ[٢] أشرافٍ من أبناء العرب ، ذوى هيئة وشارة حسنة ، ترتمى بنا المَهارِى ونحن نريد الحارث بن أبى شَمِرٍ الغَسَّانى ملك الشام فاخرَوَّط[٣] بنا السير فى حَمَارَّة القيظ ، حتى إذا عصبت الأفواه[٤] ، وذبلت الشفاه ، وشالت المياه[٥] ، وأذكت الجوْزاءُ المُعْزَاءَ[٦] وذاب الصَّيْهَد[٧] وصَرَّ الجُنْدَب وأضاف العصفور الضبَّ فى وكره[٨] ، وجاوره فى جُحْره ، قال قائل : أيها الركب غَوِّروا بنا فى ضَوْحِ[٩] هذا الوادى . وإذا وادٍ قد بَدَر[١٠] لنا كثير الدَّغَل[١١] دائم الغَلَل[١٢] ، شَجْراؤه مُغِنَّة ، وأطياره مُرِنَّة ، فحططنا رحلنا بأصول دوحات كَنَهْبَلات[١٣] فأصبنا من فضلات

(١) فى بعض الأغانى « هدانا » والهدان الأحمق الثقيل .

(٢) الصيابة : الأخيار والسادة .

(٣) اخروط : طال .

(٤) عصبت الأفواه : جفت .

(٥) شالت : قلت .

(٦) المعزاء : الأرض الصلبة .

(٧) الصيهد : السراب الجارى وشدة الحر . وفى المختار : الصحى « بدون نقط » .

(٨) كلمة فى وكره ليست فى الأغانى .

(٩) الضوح : المنعطف .

(١٠) فى الأغانى : بدا .

(١١) الدغل : الشجر الملتف .

(١٢) الغلل : الماء الذى يجرى بين الأشجار .

(١٣) الكنهبلات : الأشجار العظام.

الزاد ، وأتبعناها بالماء البارد ، فإنّا لَنَصِفُ حَرّ يومنا ومُمَاطَلَتَه إذ صَرّ أقصى الخيلِ بأُذُنيه ، وفحص الأرض بيـــديه ، فوالله ما لبث أن جال ثم حَمْحَم فبال ، ثم فعل فعلَه الفرسُ الذى يليه واحدا فواحدا ، فتضعضعت الخيلُ وتكعكعت الإبل[١] وتقهقرت البغال ، فمن نافر بشِكاله ، وناهض بعقاله ، فعلمنا أن قد أُتِينا وأنه السبعُ ، ففزع كل وحد منا إلى سيفـــه فاستلّه من جُرُبّانِه[٢] ثم وقفنا رَزْدَقاً[٣] ، فأقبل يَتَطَالع من بَغْيِه[٤] كأنه مجنوب[٥] أو فى هِجار[٦] ، لصدره أطيط ولبلاعيمه غَطيط[٧] ، ولطَرْفه وميض ، ولأرساغه نَقِيض[٨] ، كأنما يَخْبِط هشيما ، أو يطأ صَرِيما[٩] . وإذا هامةٌ كالمِجَنّ ، وخَدٌّ كالمِسَنّ ، وعينانِ سَجْرَاوَانِ[١٠] ، كأنهما سِرَاجانِ وقَصَرَةٌ رَبِلَة[١١] ، ولِهْزِمَةٌ رَهِلَةٌ[١٢] ، وكَتَدٌ مُغْبَط[١٣] ، وزَوْرٌ مُفرِط ، وساعد مَجدول ، وعَضد مفتول ،

---

(١) تكعكعت : تأخرت إلى الوراء .

(٢) الجربان : الغمد .

(٣) الرزدق : الصف من الناس . وفى المختار : زردقاً .

(٤) الكلمة غير منقوطة فى المختار . وفى الأغانى : « من نعته » وذكر أنها كذا فى الأصول

(٥) المجنوب . المصاب بذات الجنب .

(٦) الهجار : حبل يشد فى رسغ رجل البعير .

(٧) فى الأغانى: نحيط.

(٨) النقيض : الصوت .

(٩) الصريم : الحب المقطوع من الزرع .

(١٠) العين السجراء : التى يخالط بياضها حمرة .

(١١) القصرة : أصل العنق. والربلة: كل لحمة غليظة.

(١٢) اللهزمة : عظم ناتئ أو مضغة تحت الأذن . ورهلة : منتفخة .

(١٣) الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر . والمغبط : المرتفع .

وكفّ شَثْنَةُ البراثن[1] ، إلى مخالبِ كالمحاجن ، فضرب بذَنَبِه فأَرْهَج[2] ، وكشّر فأفرج عن أنيابٍ كالمعاول، وفم أَشْدَق كالغَارِ الأَخْرَق . ثم تمطّى فأسرع بيديه ، وحَفَزَ ورِكَيْهِ برجْليه حتى صار ظِلُّه مثْلَيه ، ثم أَقعى فاقشَعَرّ ، ومَثّل فا كْفهرّ ، ثم تَجَهَّم فازبَأَرّ[3] ، فلا وَذُو بَيْته[4] فى السماء ما اتقيناه إلّا بأخ لنا من فَزَارة ، كان ضَخْم الجُزَارة[5] . فوقصه[6] ثم نفضه نَفضةً قَضْقَضَ مَتْنَيه[7] وجعل يلغ فى دمه ، فَذَمَرْتُ[8] أصحابى ، فبعــد لأْيٍ ما استقدموا فهَجْهَجْنَاه[9] ، فـكرّ مُقْشَعِرًّا بِزْبِأْر[10] كأن به شَيْهَماً[11] حَوْلِيًّا ، فاختلَج رجلا أَعْجَرَ ذَا حَوَايا ، فنفضه نفضة ، فتزايلَت مفاصلُه ثم نَهَم فقَرقر[12] ثم زَفَر وَبَرْبَر[13] ، ثم زأر وجَرْجَر[14] ، ثم لَحظ وكرّر[15] ، فوالله لخِلْتُ البرقَ يتطاير من تحت جفُونه من عن يمينه وشماله ، فأُرعِدَت الأيدى واصطَكّت الأرجل ،

---

(١) شثن البراثن : خشنها .

(٢) أرهج: أثار الغبار . وفى الأغانى : فضرب بيده فأرهج .

(٣) ازبأر : تنفش حتى ظهرت أصول وبر شعره.

(٤) ذو بيته : الذى بيته .

(٥) الجزارة : الرأس واليدان والرجلان .

(٦) وقصه : دق عنقه .

(٧) قضقض متنيه : كسر ما يكتنف صلبه عن يمين وشمال من عصب ولحم .

(٨) ذمره: حضه . وفى المختار : ذمرت لأصحابى .

(٩) هجهجه : صاح به وزجره .

(١٠) فى الأغانى : مقشعرا بزبرته .

(١١) الشيهم : ذكر القنافذ .

(١٢) نهم: أخرج صوتا كالأنين . وقرقر : ردد الصوت . وفى الأغانى : فرفر .

(١٣) بربر : صاح .

(١٤) جرجر : ردد صوته فى حنجرته .

(١٥) كلمة « وكرر » ليست فى الأغانى .

وأطّت[1] الأضلاع ، وارتجّت الأسماع ، وشخصت العيون ، وتحقّقت المَنون ، ولحقت الظهورُ بالبطون وانخزلت المُتون ، وساءت الظنون ، فقال عثمان : اسكُتْ قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوبَ المسلمين عن لقاء عدوّهم .

ولأبى زبيد[2] فى وصفه الأسد :

عبوسٌ شَموسٌ مُصلَخِدٌ مكابدٌ[3] جَسورٌ على الأهوال للقرن قَاهِـرُ
بَراثِنُه شَثْنٌ وَعينـاه فى الدُّجَى كَجَمْرِ الغضا فى وجهه الشرُّ ظاهِرُ
يُدِلُّ بأنيابٍ حِدادٍ كأنهـا إذا قَلَّص الأشداقَ عَنْها خَناجِرُ

قال عُمارة بن قابوس : لقيت أبا زُبيد الطائىّ فقلت له : يا أبا زُبيد ، هل رأيت النعمان بن المنذر ؟ فقال : إى والله لقد لقيته وهو جالس فجالسته ، فقلت : صِفهْ . فقال: كان أزرق أحمر أبرَش قصيرا . فقلت له : بالله أخبرنى أيسرُّك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حُمْرَ النَّعَم ؟ قال : لا والله ولا سُودها . ثم قال : رأيت حِمْيَر فى مُلكها وغسّان فى مُلكها ، فما رأيت أحدا قطُّ أشدَّ عَرامةً منه . وكان ظَهرُ الكوفةِ يُنْبِتُ الشّقائق مُحْمِىَ له ذلك المكانُ ، فقيل له شَقائقُ النُّعمان . فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأنَّ على رُءوسنا الطيرُ . وكأنه بَازٌ ، فقام رجلٌ من الناس فقال له : أَعطِنى فإنى محتاج فتأمّله طويلا ، ثم أَمَرَ به فأُدْنِى حتى قعد بين يديه ، ثم دعا بكِنَانَة . فاستخرج منها مَشَاقِصَ[5] فجعل يَجَأُ بها[6] فى وجهه حتى سمعنا قَرْعَ العظام ،

---

(١) أطت : صوتت .
(٢) هذا النص الشعرى لا يوجد فى الأغانى فى ترجمة أبى زبيد .
(٣) المصلخد : المنتصب قائما . والشموس : الصعب الخلق .
(٤) فى الأغانى : عزا منه .
(٥) المشاقص نصال عريضة أو سهام فيها نصال عريضة .
(٦) يجأ : يضرب.

وخضَّب صَدْرَه ولحيته بالدم ، ثم أمَرَ به فَنحِّىَ ومَكَثْنا مَلِيًّا . ثم نهض آخر فقال: أبيت اللعنَ أَعْطِنى فتأمّله ثم قال : أَعْطُوه ألف درهم ، فأخذها وانطلق ثم التفت عن يمينه وشماله وخلفه وأمامه فقال : ما قولكم فى رَجل أزرق أحمر يُذْبَح على هذه الأكمة ترون دَمَه سائلا حتى يَجرِى فى هذا الوادى ؟ فقلنا له : أبيت اللعنَ ، أنت أعلم برأيك. فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذُبِح ثم قال: ألا تسألونى عما صنعتُ؟ فقلنا : ومن يسألك ــ أبيت اللعن ــ عن أمرك وما تصنع ؟ فقال : أما الأول فإنى خرجت مع أبى نتصيّد ، فمررت به وهو بفناء داره ، وبين يديه عُسٌّ من شرابٍ أو لبن فتناولته لأشرب منه ، فثار إلىّ فأراق الإناء فملأ وجهى وصدرى . فأعطيت الله عهدا لئن أمكننى منه يوما لأخضبنّ لحيته وصدره من دمِ وجهه ، وأما الآخر فكانت له عندى يدٌ فكافأته عليها ، وأما الذى ذبحته فإن عَينا لى بالشام كتب إلى أن جبلة بن الأيهم بعث إلىّ برَجل من صِفته كيت وكيت ليغتالنى ، فطلبته أيّاما فلم أظفر به حتى اليوم .

وكان إذا دخل مكة دخلها متنكّرا ، لجماله .

فلما صار الوليد بن عُقبة إلى الرَّقّة واعتزل عليًّا عليه السلام ومعاوية صار أبو زُبيد إليه وكان ينادمه، وكان يُحْمَل فى كلّ أَحدٍ إلى البِيعة فيحضر مع النصارى ويشرب، فبينا هو ذاتَ يومِ أحدٍ والنصارى حوله رفع رأسه إلى السماء فنظر ، ثم رمى بالكأس من يده وقال :

إذا جعل المرء الذى كان حازما ... يُحَلُّ به حَلَّ الحُوارِ ويُحْمَلُ (١)
فليس له فى العيش خيرٌ يريده ... وتكفينُه مَيْتاً أعفُّ وأجْمَلُ

---

(١) الحوار : ولد الناقة .

ومات فدفن هناك على الْبَلِيخ[1] فلما حضرت الوليدَ بنَ عقبة الوفاةُ أوصى أن يُدفن إلى جنب أبى زُبيد .

وقيل إن الوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيط لما احتُضِرَ أوصى لأبى زُبيد بما يُصلِحُه فى فِصْحه وأعياده : من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك ، فقال : أهلوه وبنوه لأبى زُبيد : قد علمت أنه لا يحلُّ لنا هذا فى ديننا ، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيما لحقك . فقدِّر لنفسك ما شئت وقَوِّم ماأوصى لك به حتى نُعطيك قيمته ، ولا تفضحْنا وتفضح أبانا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه . ففعل أبو زُبيد ذلك وقبله منهم .

(١) البليخ : نهر بالرقة .

حنظلة بن الشَّرقيّ[1]

هو أبو الطمحان حنظلة بن الشرقيّ أحد بنى القَين بن جَسْر بن شَيْع الله ، من قضاعة .

كان أبو الطمحان شاعرا فارسا غازيا صعلوكا خاربا[2] . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، خبيث الدين فيهما ، وكان تِرباً للزبير بن عبد المطلب فى الجاهلية ونديماً له .

خرج قَيْسَبةُ بن كلثوم السَّكونى ـ وكان ملكا ـ يريد الحج ، وكانت العرب تحج فى الجاهلية فلا يعرِض بعضها لبعض ، فمرَّ ببنى عامر بن عُقيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وألقوه فى القَيد[3] ، فمكث فيه ثلاث سنين ، فشاع باليمن أن الجن استطارته[4] ، فبينا هو فى يوم شديد البرد فى بيت عجوز منهم إذ قال لها : أتأذنين لى أن آتى هذه الأكمة فأشرف عليها[5] فقد أضرَّ بى القرُّ . فقالت له : نعم . وكانت عليه جبة من حَبِرَة لم يترك عليه غيرها . فتمشّى فى أغلاله وقيوده حتى صَعِدَ الأكمة ، ثم أقبل فصوب ببصره نحو اليمن ، وتغشته عبرة فبكى ، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم ساكنَ السماء فَرِّج لى مما أصبحت فيه . فعرض له راكبٌ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٣/٣ وانظر ١٢/٣٤٧ ودار الثقافة ١٣/٣ وانظر ١٢/٣٤٧ وبولاق ١١/١٣٠ والساسى ١١/١٢٥ والتجريد ١٤٤٢ .

(٢) الخارب : سارق الإبل خاصة .

(٣) فى الأغانى : القد .

(٤) استطارته : ذهبت به .

(٥) فى الأغانى : فأتشرق عليها .

يَسيرُ ، فأشار إليه فأقبل الراكب فقال : ما حاجتُك يا هذا ؟ قال : أين تُرِيد ؟ قال : أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أبو الطَّمحَان القينيّ ، فاستعبر باكيا ، فقال له أبو الطمحان : من أنت ، فإنى أرى سِيما الخيرِ ولباسَ الملوكِ ، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك ، قال له : أنا قَيْسبةُ بن كلثوم السَّكُونيّ ، خرجت عام كذا وكذا أريد الحج ، فوثب علىّ هذا الحىُّ فصنعوا بى ما ترى . وكشف عن أغلاله وقيوده . فاستعبر أبو الطمحان ، فقال له قَيْسبة : هل لك فى مائة ناقةٍ حمراء ؟ قال : ما أحوجنى إلى ذلك . قال : أَنِخْ ، فأناخ ، ثم قال : أمعك سكّين ؟ قال : نعم ، قال : ارفَعْ عن رَحْلِك . فرفع له عن رحله حتى بدت خَشَبَةُ مُؤَخَّرِه . فكتب عليها قَيْسبة بالمُسْنَد — وليس يكتب به غير أهل اليمن — :

بَلِّغا كِندةَ الملوكَ جميعاً ... حيثسارتْ بالأكرمين الجِمالُ
أن رِدُوا العَيْنَ بالخميس عِجالًا ... واُصدُروا عنه والرَّوايا ثِقالُ
هَزِئتْ جارتى وقالت عَجيبا ... إذ رأَتنى فى جِيدِىَ الأغلالُ
إن ترَيْنى عارِىَالعِظامِ أسيرًا ... قد بَرانِى تَضَعْضُعٌ واختِلالُ
فلقد أقدُم الكتيبةَ بالسيـ ... ـفِ علىّ السلاحُ والسِّرْبَالُ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبى الطمحان مائة ناقة . ثم قال : أَقرئ هذا قومى فإنهم سيعطونك مائة ناقة . فخرج تَسيرُ به ناقتُه حتى أتى حَضْرَموت ، فتشاغل بما وَرَد له ونسى أَمْرَ قَيْسبة ، حتى فرغ من حوائجه ، ثم سمع نسوة من عجائز الحىّ يتذاكَرْن قَيْسبة ويبكين ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الجَوْنَ بن كُلْثوم فقال : يا هذا ، إنى أدلّك على قَيْسبة ، وقد جعل لى مائةَ ناقة . قال : فهى لك ، فكشف عن مُؤخرة الرحل . فلما قرأه الجَوْن أمر له بمائة ناقة ، ثم أتى قيسَ ابن معدى كرب الكندىّ أبا الأشعث بن قَيس ، وقال له : يا هذا ، إن أخى

فى بنى عُقَيل أسيرٌ ، فسِرْ معى بقومك ، فقال له : أتسير تحت لوائى حتى أطلب ثأرك وأُنْجدك وإلّا فامْضِ راشداً . فقال له الجَوْن : مَسُّ السماءِ أيسرُ من ذلك وأهونُ علىَّ مما جئتَ به[1] . فضجَّت السَّكُونُ ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له : وما عليك مِن هذا ؟ هو ابن عمك ويطلب ثأرك فأَنْعِمَ له بذلك ، وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه ، وكندةُ والسكونُ معه ، فهو أول يوم اجتمعت فيه السكونُ وكندة لقيس ، وبه أدرك الشرف ، فسار حتى أوقع ببنى عامر بن عُقيل ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، واستنقذ قَيْسبة . وقال فى ذلك سَلَامةُ بن صُبَيح الكندىُّ .

لا تَشتمونا إذ جلَبْنا لكمْ ألفَىْ كُميتٍ كُلُّها سَلْهبَهْ[2]

نحنُ أَبَلْنَا الخيلَ فى أرضكمْ حتى ثأَرْنا منكم قَيْسَبَهْ

واعْتَرَضَتْ دُونَهُمْ مَذْحِجٌ[3] فصادفوا من خَيلنا مَشْغَبَهْ[4]

وقيل لأبى الطمحان القينى ، وكان فاسقا : ما أدنى ذُنوبك ؟ قال : ليلة الدَّيْر . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بِدَيْرانيَّةٍ فأكلت طَفَيْشَلًا[5] بلحم خِنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كِساءها ثم انصرفت .

جنى أبو الطمحان جناية ، فطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ إلى بنى فَزارة ، فنزل على رجل منهم يقال له مالك بن سعد ، أحد بنى شَمْخ ، فآواه وأجاره ، وضَرَب عليه بيتاً ، وخلطَه بنفسه ، فأقام مدّة ، ثم اشتاق إلى أهله وقد شَرِب شراباً وثَمِل منه ، فقال لمالك : لولا أن يَدِى تَقْصُر عن دِيَة جنايتى لعُدْت إلى أهلى .

---

(١) فى الأغانى : مما خيرته .

(٢) السلهبة : الطويلة من الخيل .

(٣) فى الأغانى : واعترضت من دونهم .

(٤) المشغبة : من الشغب ، وهو الجلبة المؤدية إلى الشر .

(٥) الطفيشل . نوع من المرق .

فقال له : هذه إبلى فخُذْ منها دِيَةَ جنايتك وازدَدْ ما شئت . فلما أصبح ندم على ما قاله ، وكَرِهَ مفارقةَ موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالـكا فأنشده :

سأمدحُ مالـكا فى كلِّ رَكْبٍ لقيتهُمُ وأتْرُكَ كُلَّ رَذْلِ
فما أنا والبِكارةُ أو مَخاضٌ عِظامٌ جِلَّةٌ سُدُسٌ وبُزْلُ[(1)]
وقد عرفتْ كِلابُكُم ثيابى كأنى منكم ونَسيتُ أهلى
يَمِينُك من بنى شَمْخٍ زِيادٌ[(2)] لها ما شِئت من فَرْعٍ وأصل

فقال له مالكٌ : مرحبا فإنك حبيب ازداد حُبًّا إنما اشتقتَ إلى أهلك ، وذكرت أنك إنما يَحْبسك عنهم ما تطلب به من عَقْلٍ أو دية فبذلتُ لك ما بذلت وهو لك على كل حال ، فأقِم فى الرَّحْب والسعة . فلم يزل مقيما عنده حتى هلك فى دارهم .

وأبو الطمحان هو القائل فى بُجَير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى ، وكان أسيرا فى يده فأطلقه وجزَّ ناصيته لما أسره بنو طيء فاشتراه بُجَير وأطلقه وجز ناصيته :

إذا قيل أىُّ النـاس خيرٌ قبيـلةً وأصبرُ يوماً لا توَارَى كواكبُـهْ
فإن بنى لأم بن عمرو أُرومةٌ عَلَتْ فوق صَعْبٍ لا تُنالُ مَراقبُهْ
أضاءتْ لهم أحسـابهم ووجوههم دُجَى الليلِ حتَّى نَظَّمَ الجزْعَ ثاقِبُهْ[(3)]

قال إسحاق : دخلت يوما على المأمون فوجدته حائرا مفكرا غير نَشيط ، فحدثته بمُلَح الأحاديث وطُرَفها أَستميله لأن يضحك وينبسط[(4)] فلم يفعل ، فأنشدته بيتين خطرا لى وهما :

---

(١) فى البيت إقواء . هذا ، والبكارة جمع بكر وهو الفتى من الإبل ، والجلة من الإبل مسانها والسدس من الإبل الذى دخل فى السنة الثامنة .

(٢) فى الأغانى : نمت بك من بنى شمخ .

(٣) الجزع : نوع من الخرز .

(٤) فى الأغانى : أو ينشط .

ألاَ عَلِّلاَنى قبل نَوْحِ النوائحِ　　وقَبل نُشُوزِ النفسِ بين الجوانحِ
وقبل غدٍ يا لهفَ نفسى على غدٍ　　إذا راح أصحابى ولستُ برائحِ

فتنبه كالمتفزِّع ثم قال : من يقول هذا ويحك ؟ قلت : أبو الطمحان القينى يا أمير المؤمنين . قال : صدق واللهِ أعِدْها ، فأعدتُهما حتى حفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل وبالشراب فشرب ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم .

عاتب عبدُ الملك بن مروان الحسنَ بنَ الحسن على شىء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إياه إلى الخروج معهم على عبد الملك فجعل يعتذر إليه ويحلف له ، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ألا تقبل عُذْرَ ابن عمك وتزيل عن قلبك ما أَشْرَبْته إياه ؟ أما سمعت قول أبى الطمحان القينى :

إذا كان فى صدر ابن عمك إحْنَــةٌ　　فلا تَسْتَثِرْها سوف يبدو دَفِينُهــا
وإنْ حمأةَ المعروفِ أعطاكَ صَفْوَهــا　　فَخُذْ عَفْوَهُ لا يَلْتَبِسْ بك طِينُها

لم يزل أبو الطمحان نازلا على الزُّبَيْر بن عبد المطلب ، وكانت العَرَب تَنْزِل عليه ، واستأذن فى الرجوع إلى أهله ، وشكا إليه شَوْقه إليهم فلم يأذن له ، وسأله المُقام ، فأقام مدة ، ثم أتاه مادحا له بأبيات يتحنَّن فيها إلى أوطانه ويمدحه ، فأنشده إياها ، فأذن له بالانصراف ، فانصرف إلى أهله .

حاجزٌ الأزدِيُّ[1]

هو حاجـز بن عوف بن الحارث بن الأختم بن عبد الله بن ذُهل بن مالك ابن سَلَامان بن مُفرِّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَيْدَعان بن مالك بن نصْر[2] ابن الأزد ، حليف لبني مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ ، شاعر جاهلىٌّ مُقِلٌّ ، ليس من مشهوري الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المُغِيرين على قبائل العرب، يَعْدُو على رِجليه عَدْوًا يسبق به الخيل.

قال عوف بن الحارث[3] لابنه حاجز : يا بنى أخبرنى بأشدّ عَدْوِك . قال : نعم، أفزعتنى خَثْعَم فنَزَوْتُ نزواتٍ ، ثم استفزّتنى الخيلُ واصطفّ لى ظَبيانِ ، فجعلت أَنْهَنِهُمَا عن الطريق بيدى لضيقه[4] ومنعانى أن أتجاوزها فى العَدْوِ لضيق الطريق حتى اتّسع واتسعَتْ بنا فسبقتهما قال : فهل جاراك أحدٌ فى العَدْوِ ؟ قال : ما رأيت أحدا جارانى إلا أُطَيْلِسٌ أُغَيبِرٌ من النُّقُوم ، فإنّا عَدَوْنا معا فلم أقدر على سبقه . والنُّقُوم بَطْنٌ من الأزد من ولد فاقم ، واسمه عـامر بن حَوَالةَ بن الهِنْو[5] من الأزد .

---

(١) الأغانى : دار الـكتب ١٣/٢٠٩ وانظر ص ٢٠٨ ودار الثقافة ١٣/٢١١ وانظر ص ٢١٠ وبولاق ١٢/٤٩ والساسى ١٢/٤٧ والتجريد ١٥٠٣ هذا، وفى المختار « ك » الزاى بدون نقطة حاجر .

(٢) فى المختار : « مضر » والتصويب من الأغانى .

(٣) فى المختار : « حاجز » وهو تحريف .

(٤) كلمة « لضيقه » ليست فى الأغانى ويبدو أنها زائدة هنا .

(٥) فى ك : بن العنق .

أغار عوف بن الحارث على بنى هلال بن عامر بن صعصعة فى يوم داجٍ ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صِرْماً[١] من بنى هلال ، وقد عصب على يَدِ فَرسه عِصابا ليطمعوا فيه ، فلما أشرف عليهم استرابوا به ، فركبوا فى طلبه ، فانهزم بين أيديهم وطمعوا فيه ، فهجَم بهم على أصحابه بنى سلامان ، فأُصيب يومئذ بنو هلال ، وملأ القوم أيديَهم من الغنائم ، فقال فى ذلك حاجزُ بن عوف من أبيات :

صَباحكِ فاسلمى عنى أُماما ... تَحِيَّةَ وامِقٍ وعِمِى ظَلاماَ
بَرَهْرَهَةَ يَحارُ الطَّرْفُ فيها ... كحُقَّةِ تاجرٍ شُدَّتْ خِتاماَ[٢]
فإنْ تُمْسِ ابنةُ السهمىِّ عنا ... بعيدا لا تُكلِّمنا كَلاماَ[٣]
سلِى عنا إذا اغبرَّتْ جُمادَى ... وكان طعامُ ضَيفِهمُ الثُّمَاما[٤]
أبِى رَبَع الفوارسَ يوم داجٍ ... وعَمِّى مالكٌ وَضَع السِّهَاما[٥]
ولولا صبرنا فى يوم داجٍ ... لَعضَّ نوائبُ الدَّهْرِ النظاما[٦]

يعنى بقوله وضع السهاما أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر كان يأخذ من الأزد جميعِهم إذا غنموا الرُّبع ، لأن الرياسة فى الأزد كانت لقومه ، وكان يقال لهم الغطاريف ، وهم أسكنوا الأزد بَلَدَ السَّرَاة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ، ويعطون غيرهم ديةً واحدة إذا وجبت عليهم ، فغزتْهم بنو فُقَيم بن عَدِىّ بن الدِّيل

---

(١) الصرم : الجماعة .
(٢) البرهرهة : البضة الغضة .
(٣) بعده فى الأغانى بيتان .
(٤) جمادى يراد بها الشتاء . والثمام نبت ضعيف .
(٥) ربعهم : أخذمنهم المرباع . وفى المختار وأصول الأغانى : عبر لكن الشرح يؤيد ربع .
(٦) البيت غير موجود فى الأغانى وبدله بيت آخر غيره .

ابن عبد مناة بن كنانة فظفرت بهم ، فاستغاثوا ببنى سَلَامان فأغاثوهم ، فهزموا بنى نُفَيم وأخذوا غنائمهم وسلبوهم ، فأراد الحارث أن يأخذ الربع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن ذُهل بن مالك بن سَلامان ، وهو عم أبى حاجزٍ وقال : « هيهات ، تُرِكَ الرُّبع غُدْوَةً » فذهبت مثلا ، فقال له الحارث : أتُراكَ يا مالك تقدر أن تسود ؟ فقال : هيهات ، الأزد أمنع من ذلك ، فقال: أعطنى ولو جَعْباً — والجعب : البعيرُ فى لغتهم — لئلا تسمع العربُ أنك منعتنى . قال مالك : فمِن سَماعها أفِرُّ . ومنعه الرُّبع ، فقال حاجزٌ فى ذلك :

ألا زعمتْ أبناءُ يَشْكُرَ أننا ... بِرُبعهم — باءوا هنالك — نَاضِلُ[1]

سَتمنعنا منكمْ ومن سُوءِ فِعْلكم[2] ... صَفائحُ بِيضٌ أخلصَتْها الصَّياقلُ

وأسمرُ خَطِّيٌّ إذا هُزَّ عَاسِلٌ[3] ... بأيدِى كُماةٍ جَرَّبَتْها القَبائلُ

ومِن شعر حاجز الأزدىّ :

ألا علّلانى قبل نوح النوادِبِ ... وقبل بكاء المُعْوِلاتِ القرائبِ

وقبل ثوائى فى تُرابٍ وجَندلٍ ... وقبل نشوز النفس فوق الترائبِ

فإن تأتِنى الدنيا بيومى فجاءةً ... تجدنى وقد قَضَّيت منها مآربى

بينا حاجزٌ فى بعض غزواته إذ أحاطت به خَثْعم ، وكان معه بشيرٌ ابنُ أخيه . فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ فقال : دَعْهم حتى يَشربوا ويَثْقلوا[4] ويمضوا ونمضى معهم ، فيظنونا بعضهم . ففعلا ، وكانت فى ساقِ حاجزٍ شامةٌ . فنظرت إليها

---

(١) الناضل : الغالب .

(٢) فى الأغانى : ومن سوء صنعكم .

(٣) العاسل : المهتز .

(٤) الكلمة فى المختار غير منقوطة وفى بعض أصول الأغانى : ينقلوا . وفى بعضها . يقفلوا .

امرأة من خثعم فصاحت : يا آل خثعم ، هــذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت عجوزٌ منهم ساحرة : أنا له أ كفيكم سِلاحه أو عَدْوَه ، فقالوا : لا نريد أن تكفينا عَدْوَه ، فإن معنا عَوْفاً وهو يعدو مثله ، ولكن اكفِينا سِلاحَه ، فسحرت لهم سِلَاحه ، وتبعه عوف بن الأغرّ بن همَّام حتى قاربه ، فصاحت به خثعم : يا عوفُ ارْمِ حاجزاً ، فلم يقدِرْ عليه وجَبُن ، فغضبوا وقالوا : يا حاجز لك الذِّمام فاقتُلْ عَوْفاً فإنه قد فضحنا . فنزع فى قوسه ليَرْمِيه فانقطع وَتَرُه ، لأن المرأة الخثعميَّة كانت قد سحرتْ سِلاحه ، فأخذ قوس بشيرٍ ابنِ أخيه فنزع فيها فانكسرت ، وهربا من القوم ففاتاهم ، ووجد حاجزٌ بعيراً فى طريقه فركبه ، فلم يَسِرْ فى الطريق الذى يريده ، ونَحَا به نحو خثعم ، فنزل حاجزٌ عنه وهرب فنجا .

خرج حاجزٌ فى بعض أسفاره فلم يَعُد ولا عُرِف له خبر ، فكانوا يرون أنه مات عطشا أو ضلّ ، وكان مع غاراته كثيرَ الفِرار .

الحارثُ بنُ الطُّفَيل الدَّوْسِيّ(1)

هو الحارث بن الطُّفَيل بن عَمْرو بن عبد الله بن مالك بن عمرو بن فهم(2) بن غَنْم ابن دَوْس بن عبد الله بن عُدْثان بن عبد الله بن زهران بن كَعب بن الحارث بن كعب ابن عبـد الله بن مالك بن نصْر بن الأزد ، شاعر فارس مخضرم من شعراء الجاهلية والإسلام ، وأبوه الطُّفَيل شاعر أيضا ، وهو أول من وفد من دَوْسٍ على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم وعاد إلى قومه فدعاهم إلى الإســلام وهاجر إلى المدينة ، وكان رجلا يَعْصُو ــ والعاصى : البصير بالخراج ــ ولذلك يقال لولده بنو العاصى .

أرسلته قريشٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له : انظر لنا ما هذا الرجل وما عنده ؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام ، فقال : إنى رجل شاعر فاسمع ما أقول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هاتِ » فقال :

فلا وإلٰهِ النــاس نألم حَرْبَهمْ ... ولو حاربتنا مُنْهِبٌ وبنو فَهْمِ
ولمَّا يَـكنْ يومٌ تَزولُ نجومُه ... تطير به الرُّكبانُ ذو نبأ ضَخْمِ
أسلماً على خَسْفٍ ولستُ بخالدٍ ... وما لِيَ من واقٍ إذا جاءنى حَتْمِى
فلا سِلْمَ حتى تَحْفِزَ الناس خيفة ... ويصبحَ طَيْرٌ كانِساتٍ على لَحْمِ(3)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنا أقول فاسمع » ثم قرأ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . وقرأ سورة الإخلاص وسورة الفلَق .

---

(1) الأغانى : دار الـكتب ٢١٨/١٣ وانظر ص ٢١٦ ودار الثقافة ١٣ /٢٢٠ وانظر ص ٢١٩ وبولاق ٥٣/١٢ والساسى ٥٠/١٢ . والتجريد ١٥٠٤ .

(2) فى الأغانى : بن مالك بن فهم .

(3) كانسات : مقيمات .

ودعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد فأتى قومه فى ليلة مطيرة ظلماء ، حتى نزل بَرُوقَ ، وهى قرية عظيمة لدَوْس فيها مِنْبر ، فلم يبصر أين يسلك ، فأضاء له نورٌ فى طرف سَوْطه فبهر الناسَ ذلك النورُ ، وقالوا : نارٌ أُحدِثت على القَدُومِ ثم عَلَى بَرُوقَ لا تُطْفَأ . وجعل الناسُ يأخذون بطرف سوطه[1] فيخرج النور من بين أصابعهم ، فدعا أبويه إلى الإسلام ، فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ، ودعا قومه فلم يجبه إلَّا أبو هريرة وكان ينزل هو وأهله فى جبل يقال له ذو رِمع[2] ثم أتى الطُّفَيل بن عمرو إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة ، فقال له : « ما وراءك » ؟ فقال : بلاد حَصينةٌ وكُفرٌ شديد . فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم وصلّى ثم قال : « اللهم اهْدِ دَوْسا » ثلاث مرات . قال أبو هريرة : فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم خِفْت أن يَدْعُوَ على قومى فيهلِكوا ، فصحت : واقوماه ، فلما دَعَا لهم سُرِّيَ عنى . ولم يُحِبَّ الطفيلُ أن يدعو لهم ، لخلافهم عليه ، فقال : لم أُحِبَّ هذا منك يا رسول الله ، فقال : « إن فيهم مثلك لكثير » وكان جُندَبُ بن عمرو بن حُمَمة بن عوف بن غُوَيَّة بن سَعد ابن الحارث بن ذُبيان بن عوف بن مُنْهب بن دوس يقول فى الجاهلية : إن للخلق خالقا لا أعلم ما هو ، فخرج فى خمسة وسبعين رجلا حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلموا . وكان جُندب يُقدِّمهم[3] إلى النبى صلى الله عليه وسلم واحدا واحدا فيُسلمون . وكانت بين دوس وبين بنى الحارث بن عبدالله بن عامر بن الحارث بن يشكر حَرْبٌ لأن آل الحارث كانوا سادات العشيرة ، وكانت دَوْسٌ أتباعا لهم ، وكان يقال لبنى عامر بن الحارث بن يَشكر الغَطاريف ، وكان لهم دِيَتان إذا قُتِل منهم قتيل ،

---

(١) فى الأغانى : فعلقوا يأخذون بسوطه .

(٢) فى المختار وبعض أصول الأغانى : ذو منعا وانظر معجم البلدان ذو رمع موضع باليمن .

(٣) فى الأغانى : يقربهم .

ولسائر قومهم دِيَة ، وكانت لهم على دَوْسٍ إتاوةٌ يأخذونها كل سنة ، حتى أن الرجل منهم كان يأتى الدوسىَّ فيضع سهمه أو نَعله على الباب ثم يدخل فيجىء الدوسىُّ فإذا أبصر ذلك رجع عن بيته ، حتى أَدركَ عَمرُو بن حُمَمَةَ فقال لأبيه : ما هذا الطَّوْلُ الذى يَتَطَوَّل به إخوانُنا علينا ؟ فقال : يا بنىَّ ، إن هذا شىء قد مضى عليه أوائلنا فأَعْرِض عن هذا الأمر . وإن رجلا من دَوْسٍ عَرَّس بابنة عَمٍّ له ، فدخل عليها رجل من بنى عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على اليشكرىّ فقتله ، ثم جاء عَمرو بن حُممةَ فأخبره بذلك ، فجمع دَوْسًا فقام فيهم خطيبا وقال : إلى كم تَصبرون لهذا الذلّ ؟ بنو الحارث تأتيكم الآن فتقتلكم ، فاصبروا تعيشوا كراما أو تموتوا كراما . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث ، فاقتتلوا وظفرت بهم دَوْسٌ وقتلتهم كيف شاءت ، وقيل : إن غلامين من بنى الحارث قالا يوما : ائتوا شيخ بنى دوس فاقتلوه ، فأتياه فقالا له : يا عم إن لنا أمرا نُريد أن تحكم بيننا فيه ، فأخرجاه من منزله ، فلما تنحيا به قال له أحدهما : يا عم ، رِجلى دخلت فيها شوكة ، فأخْرِجْها لى ، فنكَّس الشيخُ رأسه لينزعها ، فضربه الآخر فقتله ، فعمدتْ دَوْسٌ إلى سيّد بنى الحارث وكان نازلا بقَنَوْنا ، فقاموا له فى غَيْضَةٍ من الوادى وسَرَحَتْ إبله ، فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغَيْضَة فعَقَلوها ، فجعلت الناقة تَرْغُو وتَحِنُّ إلى الإبل ، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأنَ الناقة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم أتوا أهلهم ، وعرفت بنو الحارث الخبر ، فجمعوا لدوس وغزوهم ، فظفرتْ دَوْسٌ وقتلوا بنى الحارث كيف شاءوا ، وكان على دوسٍ عمرُو بنُ حُمَمَةَ ، فقال الحارث بن الطُّفيل قصيدته التى أولها[1] :

يا دارُ من مَاوِىَّ بالسُّهبِ   بُنِيَتْ على خَطْبٍ من الخطْبِ

---

(١) هى فى الأغانى ١٣ بيتا .

منها :

لمـا سمعتُ نَزالِ قد دُعِيَتْ   أيقنْتُ أنهم بنـــو كَعْبِ
وحَليل غانيةٍ هتـكتُ قرارَها   تَحْتَ الوَغَى بشديدةِ العَضْبِ(١)
يا رُبَّ مَوضوعٍ رَفعتُ ومَرْ   فوعٍ وضَعْتُ بمنزِل اللِّصْبِ(٢)
جانيك مَنْ يَجْنِى عليك وقد   تُعْدِى الصِّحاحَ مَبارِكُ الجُرْبِ(٣)

وقيل إنهم أقاموا فى هذه الواقعة سبعَ سنين .

(١) العضب : الطعن والقطع .
(٢) اللصب : مضيق الوادى .
(٣) علق أبو الفرج على هذا البيت بقوله : هذا البيت فى الغناء فى لحن ابن سريج وليس هو فى هذه القصيدة ولاوجد فى الرواية . وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه فى الغناء كما يضيف المغنون شعرا إلى شعر وإن لم يكن قائلهما واحدا .

الُحصَين بن الُحمَام المرِّيّ[1]

هو الُحصين بن الُحمام بن رَبيعة بن مُسَاب بن حرامة[2] بن وائلة بن سَهْم بن مُرَّة ابن عَوْف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيث بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضر بن نزار سيد بنى سهم بن مُرَّة وفارسها ، وكان خُصَيلة[3] بن مُرَّة وصِرمة بن مرة ، وسهم بن مرة أمهم جميعا حَرْقفة بنت مَعْنم بن عوف بن بَلِيّ ابن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . فكانوا جميعا يَدًا على من سواهم ، وكان حُصين ذَا رَأْيِهم وقائدَهم ورائدهم ، وكان يقال له مانعُ الضَّيمْ .

جاء ابنُ الُحصين إلى معاوية بن أبى سفيان فقال لآذِنه : استأذن لى على معاويةَ أمير المؤمنين وقل ابنُ مانعِ الضيم . فلما استأذن له قال معاوية : ويحك ، لا يكون هذا إلا ابن عُروة بن الوَرْد العَبْسى أو ابن الُحصين بن الُحمام المُرِّيّ ، أدْخِله ، فلما دخل قال له: ابنُ مَن أنت ؟ قال : ابنُ مانع الضيم الحصينِ بن الُحمام المُرّىّ. قال: صدقت ، ورفع مَجلسه وقضى حوائجه .

كان قوم[4] من بطن من قُضاعة يقال لهم بنو سَلَامان بن سعد بن زيد بن الحاف ابن قضاعة ، وبنو سَلَامان بن سعد إخوة عُذرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبنى صِرْمة ابن مُرّة ، ونزولا فيهم ، وكان بنو الُحرْقَة وهم بنو حُمَيس بن عامر بن جُهينة حلفاء

---

(١) الأغانى: دار الكتب ١٤/١ وانظرج١٣ ص٣٦٣ ودار الثقافة ٣/١٤ وانظر جـ ١٢ ص ٣٦٤ وبولاق ١٢٣/١٢ والساسى ١١٨/١٢، والتجريد ١٠٣٥ .

(٢) فى الأغانى : حرام .

(٣) فى الأغانى : خصيلة وجاء الشعر بعد ذلك فى المختار خصيلة ،

(٤) فى الأغانى : كان ناس .

لبنى سَهْم بن مُرّة ، وكانوا يرمون بالنَّبل رمياً شديدا ، فسُمُّوا الحُرَقة من شدة قتالهم. وكانوا نزولا فى حلفائهم بنى سهم بن مرة ، وكان فى بنى صِرْمة يهودىٌّ يقال له جُفَينة[1] بن أبى حَمل من أهل تَيْماَء وكان فى بنى سهم يهودِىٌّ من أهل وادى القُرى يقال له غُصَين بن حَىّ ، وكانا تاجِرَيْن فى الخمر ، وكان بنو جَوْشَن — أهْل بيتٍ من غَطَفان — جيرانا لبنى صِرْمة وكان يُتَشَاءم بهم ، ففقدوا منهم رجلا يقال له خُصيلة كان يقطع الطريق وحده ، فكان إخوته يسألون الناس عنه ويَنْشُدونه فى كل مجلس وموسم ، فجلس ذات يوم أخٌ لذلك المفقود الجَوْشَنِىّ فى بيت غُصَين ابن حَىّ جارِ بنى سهم يبتاع خمرا ، فبينما هو يشترى إذ مرّت أُخت المفقودِ تسأل عن أخيها خُصيلة ، فقال غُصَين :

تُسائِلُ عن أَخيهـا كلَّ حَىٍّ ... وعند جُفَينة الخَبَرُ اليَقينُ

فأرسلها مثلا وعَنَى بجفينة [نفسه] فحفظ الجوشنىّ البيت ، ثم أتاه من الغد فقال له : نشدتك الله وذمَّتَك هل تعلم لأخى علما ؟ فقال : لا ، ودينى ما أعلم ، فلما مضى أخو المقتول[2] تمثل :

لعمرُكَ ما ضَلَّت ضلالَ ابنِ جَوْشنٍ ... حَصَاةٌ بلَيْلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ

أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد وهذا لا يوجد أبدا .

فلما سمع الجوشنى ذلك تركه حتى إذا أمسى أتاه فقتله وقال الجوشنى :

طعنتُ وقـد كاد الظلامُ يُجِنُّنِى ... غُصَيْنَ بنَ حَىٍّ فى جِوارِ بنى سَهْمِ

وأُتِىَ حُصينُ بن الحُمام فقيل له: إن جارك غُصَيْنًا قد قتله ابنُ جَوْشن جار بنى صِرْمة فقال حُصين : فاقتلوا اليهودى الذى فى جوار بنى صِرْمة فأَتَوْا جُفَينة

(١) انظر مجمع الأمثال « عند جهينة الخبر اليقين » فإنه أورد أيضا أنه اسمه جفينة وأورد البيت الآتى .

(٢) كذا فى المختار . وفى الأغانى : أخو المفقود .

ابن أبى حمل فقتلوه ، فشدّ بنو صِرمة على ثلاثة من حُميس جيران بنى سهم فقتلوهم ، فقال حُصَين : اقتلوا من جيرانهم ثلاثة من بنى سَلَامان ، ففعلوا واستعر الشرُّ بينهم وكانت بنو صِرمة أكثر من بنى سهمٍ رهطِ الحصين بكثير ، فقال لهم الحصين : يا بنى صِرْمة قتلتم جارنا اليهودى فقتلنا به جاركم اليهودى ، فقتلتم من جيراننا من قضاعة ثلاثة نفر ، فقتلنا من جيرانكم من بنى سلامان ثلاثة نفر ، وبيننا وبينكم رَحِمٌ ماسَّة قَريبة ، فمُروا جيرانكم من بنى سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيراننا من بنى قضاعة فيرتحلون عنا، ثم هم أعلم ، فأبى ذلك بنو صرمة وقالوا : قد قتلتم جارنا ابن جوشن فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم ، فإنكم أعلم أنا أكثر منكم عددا ، وأنتم بنا تَعِـزُّون وتُمْنعون . فناشدهم اللهوالرَّحِم، فأبوا وما قبلوا[1] ، وأقبلت الُخضْر خُضْر مُحاربٍ وكانوا فى بنى ثَعلبة بن سعد فقالوا : نَشهدُ نَهْب بنى سهم وسُلَيم[2] ، فإذا انتهبوا نُصيب منهم[3] ، وخذلت غَطفانُ حُصينا وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاعة ، وصافَّهم حُصينٌ الَحْربَ وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألّا يَزيدهم على النَّبل ، فهزمهم الُحصين ، وكفَّ يده بعد ما كَثُرَ القتل فيهم، وأبى ذلك البطنُ من قضاعة أن يَـكفُّوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم . وقال الحصين فى ذلك من أبيات:

ألاَ تقبلون النُّصْفَ منـــا وأنتمُ بنو عَمِّنـــا لا بَلَّ هَامَـكُم القَطَرُ

سَنـــأبَى كما تأْبَون حتى تُلينَـكُم صفائحُ بُصْرَى والأسِنَّةُ والأَصْرُ[4]

---

(١) جملة « وما قبلوا » ليست فى الأغانى .

(٢) كلمة « وسليم » ليست فى الأغانى .

(٣) فى المختار : فنصيب منه .

(٤) الأصر : الكسر ، وأصره أصرا : كسره .

أيُؤْكل مولانا ومولى ابن عمِّنا ... مُقيمٌ ومنصورٌ كما نُصِرَت جَسْرُ[١]
فتلك التي لم يعلم الناسُ أنني ... خنعْتُ لها حتى يُغَيِّبَني القَبْرُ[٢]
فواعجبا حتى خُصَيْلَةُ أصبحتْ ... مَوَالِيَ عِزٍّ لا تَحِلُّ لها الخَمْرُ

قوله: « موالى عز » يهزأ بهم . ولا يحل لهم الخمر أى أنهم لايدركون ما أرادوا فحرموا الخمر كما يفعل الأعزاء وليس كذلك[٣] .

ألمَّا كَشَفْنا لَأْمَةَ الذُّلِّ عنكمُ ... تَجَرَّدْتَ لا بِرٌّ جَميلٌ ولا شُكْرُ
وإن يكُ ظَنِّى صادقاً تَجْزِ منكمُ ... جوازى الإله والخيانةُ والغَدْرُ

وأقاموا على الحرب والنزول على حُكمهم وعاونتهم[٤] بنو ذبيان ومُحارب ابن خَصَفة ، وكان رئيس مُحارِبٍ خُمَيضَةَ بن حَرْمَلة ، ونَكَصَتْ عن حُصَينٍ قبيلتانِ من بنى سهم وخانتاه ، وهم عَدْوَان وعبدُ عمرٍو ابنا سَهْم ، فسار حُصَين وليس معه من بنى سهم إلا بنو وائلة وحلفاؤهم وهم الحُرَقة ، والتقوا بِدارَةِ موضوع ، فظفر بهم الحصين ، وهزمهم وقتل منهم فأكثر ، وقال فى ذلك :

جزى الله أفناء العشيرةِ كُلَّها ... بدارةِ مَوْضوعٍ عُقوقاً ومأثَما
بَنى عَمِّنا الأدنَيْنَ منهم ورَهْطَنا ... فزارةَ إذْ رَامَتْ بنا الحربَ مُعْظَما
ولما رأيتُ الوُدَّ ليس بنافعى ... وإن كان يوماً ذا كواكبَ مُظْلِماَ
صَبَرْنا وكان الصبرُ منا سَجِيَّةً ... بأسيافنا يَقْطَعْنَ كَفًّا ومِعْصَمَا
نفلّق هاماً من رجالٍ أعزة ... علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

---

(١) جسر : قبيلة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان .
(٢) بعده فى الأغانى ثلاثة أبيات .
(٣) فى الأغانى : « ولا يحل لهم الخمر » أراد فحرموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز وليسوا هناك .
(٤) فى الأغانى : وغاظتهم .

نُطاعنهم نَستنقذِ الجُرْدَ بالقنا[١] ويَستنقذون السمهرىَّ المُقوَّما

« نستنقذ الجرد » أى نقتل الفارس فنأخذ فرسه . « ويستنقذون السمهرى » وهو القنا أى نطعنهم فتجرهم الرماح :

لَدُنْ غُدْوة حتى أتى الليلُ ما ترى من الخَيْلِ إلّا خارجيًّا مُسَوَّمَا

الخارجى : الذى ليس له نسب[٢] :

وأجردَ كالسِّرْحانِ يَضْرِبه النَّدَى ومَحبوكةً كالسِّيدِ شَقَّاء صِلْدِمَا[٣]

يطأْنَ من القَتْلَى ومن قِصَدِ القَنا خَبَاراً فما يَجرِينَ إلّا تَقَحُّمَا[٤]

عليهنَّ فِتيانٌ كساهم مُحَرِّقٌ وكان إذا يَكسو أجادَ وأكرما

صفائحَ بُصْرَى أخلَصتها قُيونُها ومُطَّرِداً من نَسْج داودَ مُحْكَمَا

محرق هو عمرو بن هند ، أى كساهم محرق سيوفا وأدراعا هذه صفتها[٥] :

جزى اللهُ فيها عَبْدَ عَمرٍو ملامةً[٦] وعَدْوَانَ سَهْمٍ ما أذلَّ وألأما

عبد عمرو وعدوان قبيلتان من بنى سهم نكصوا عن حصين وجانبوه فى القتال[٧] :

---

(١) فى الأغانى : نطاردهم نستنقذ .

(٢) هذه الشرح ليس فى الأغانى .

(٣) السرحان : الذئب. والسيد : الذئب. والشفاء من الخيل : التى تشتق فى عدوها وتذهب يمينا وشمالا . والطويلة والصلدم : الصلبة .

(٤) القصد: القطع. والخبار: مالان واسترخى من الأرض.

(٥) هذا الشرح ليس فى الأغانى وهو فى ك فقط .

(٦) فى الأغانى : جزى الله عنا .

(٧) هذا الشرح ليس فى الأغانى وهو فى ك فقط .

ولست بمبتاع الحيـــاة بِسُبَّةٍ ولا مُرْتَقٍ من خَشيةِ الموتِ سُلَّمَا(١)

وقتل فى تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عبّاد بن حَبيب بن وائلة بن سهم ، قتله بنو صِرمة يوم دَارةِ موضوع ، وكان وادًّا للحصين ، فقال يرثيه(٢) :

قتلْنا خمسةً ورَمَوْا نُعَيْمـاً وكان القتلُ للفتيـان زَيْنـاَ
لعمرُ الباكيـاتِ على نُعَيمٍ لقد جلَّتْ رَزِيَّتُه عَلَيْنـا
فلا تَبْعَدْ نعيْم فـكلُّ حَيّ سيلْقَى من صُروفِ الدَّهْرِ حَيْنَا

ثم إن بنى حُميس سخطوا بعض مجاورة(٣) بنى سهم ، ففارقُوهم ومَضَوْا ، فلحق بهم الحُصين فردَّهم ولامهم على كُفْرِ نعمته وقتالِه عشيرته عنهم ، وقال فى ذلك أشعارا .

كان البُرْجُ بن الجلاس الطائىُّ خَلِيلا للحُصين نديماً له على الشراب ، وفيه يقول البُرْج :

ونَدمانٍ يَزيد الـكأسَ طِيبـاً سَقَيْتُ وقـد تَغَوَّرَتِ النُّجومُ
رفعتُ برأسه وكشفتُ عنـه بمُعْرَقَةٍ مـلامـةَ مَن يَلومُ
ونشرب ما شَرِبنـا ثم نَصْحو وليس بجانِبَيْ خَدِّى كُلُومُ
ونجعل عتبها لبنى جُعَيـل(٤) فليس إذا انْتَشَوْا فيهم حَلِيمُ

---

(١) بهامش ك ما يأتى من هذه القصيدة :

تأخَّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجِدْ لنفسى حياةً مِثلَ أن أتقدَّما
فلسْنا على الأعقابِ تدمى كلومُنا ولـكنْ على أقدامنا تقطر الدِّما

(٢) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق ص ٢٥١ فالشعر منسوب للبطين .
(٣) فى الأغانى : كرهوا مجاورة .
(٤) فى الأغانى : ونجعل عيثها .

وكانت للبرج أخت يقال لها القفاطة ، فشرب البرج يوما مع الحصين وانصرف إلى أخته فافتضَّها ، ولما أفاق ندم على ما صنع ، فقال لقومه : أىّ رَجلٍ أنا فيكم ؟ فقالوا : سيِّدُنا وفارسنا وأفْضلنا . قال : فإنه إن علم أحد من العرب بما صنعتُ أو أخبرتم به أحدا ركبتُ رأسى فلا تروْنى أبدا . فكتموا ذلك ، ثم إن أمة لبعض طيِّئ وقعت إلى الُحصين بن الُحمام ، فرأت عنده البُرجَ الطائِىّ وهما يشربان ، فلما خرج من عنده قالت للحصين : إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت ، فيوشك أن يفعل بها ذلك[1] كلما سكر عندك فزجرها الحصين وسبّها فأمسكت ، ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيرانِ الُحصين من الُحرَقة، فأخذ أموالهم وأتى الصَّرِيخُ الُحصينَ ، فتبع القومَ فأدركهم فقال للبرج : ما صَبَّك على جيرانى يا بُرْج ؟ فقال : وما أنت وهم ؟ هؤلاء من اليمن ، وهم منا ، وأنشأ يقول :

أنَّى لكَ الُحرَقَات فيما بيننا ... عَنْىٌ بَعِيدٌ منك يا ابنَ حُمَامِ

أى كيف صاروا جيرانك غير اعتراض فيما لا يعنيك[2] .

أقبلتَ تُزْجى ناقةً مُتباطئا ... عُطُلًا تزَجِّيهـا بغير زمام

تزجى : تسوق . عطلا : لا خطام عليها ولا زمام : أى أتيت كذا مُسرِعا من العَجَلةِ .

فأجابه الحصين :

بُرْجٌ يُؤَمِّمنى ويَكفرُ نِعمتى ... صَمِّى لِما قال الكَفِيلُ صَمَامِ

صَمِّى : صبرى. صمام : أخرجها مخرج حذام وقطام[3].

---

(١) فى الأغانى : يفعل ذلك بك .

(٢) هذا الشرح ليس فى الأغانى ، وهو فى ك .

(٣) هذا الشرح ليس فى الأغانى، وهو فى ك . ومن أمثالهم: صمى صمام يقال للداهية والحرب صمام، وفسرت صمى فى مجمع الأمثال بمعنى : لاتجدى .

مهـــلا أبا زيد فإنك إن تشأ ... أُورِدْكَ عُرْضَ مَناهِلٍ أَســدامِ (١)
لا تَحسبَنَّ أخا القفاطة أننى ... رَجُلٌ بِخُبْرِكَ لست بالعَلّامِ
فاستنزلوك وقد بَلَلْتَ نِطاقَها ... من بنت أُمِّك والذُّيولُ دَوَامِى

ثم ناصبَه الحَرْبَ ، فقَتَلَ من أصحاب البُرْجِ عِدَّةً وهزَم سائرَهم واستنقذ ما فى أيديهم وأسر البرجَ . ثم عرف له حَقَّ نِدَامِه وعِشرته ، فمَنَّ عليه وجزَّ ناصيته وخلّى سبيله . فلما عاد البُرجُ إلى قومه وقد سبَّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال : فضحتمونى ، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلادالروم فلم يُعرف له خبر إلى الآن . وقيل : بل شرب الخمر صِرْفا حتى قتلته .

وأغار الُحصين فى جمع من بنى عَدِىّ على بنى عُقيل وبنى كعب ، فأسخن فيهم ، واستاق نَعما كثيرة ونساء ، وأصاب أسماءَ بنتَ عمرٍو سيّدِ بنى كَعْب ، فمَنَّ عليها وأطلقها وقال فى ذلك :

فِدًى لبنى عَدِىٍّ رَكْضُ ساقى ... وما جَمَّتُ من نَعَمٍ مُرَاحِ
تَرَكْنا من نساء بنى عُقَيلٍ ... أيَامَى تَبتغِى عَقْـدَ النِّـكاحِ
أَرُعْيانَ الشَّوِىِّ وجَدْتُمونـا ... أمَ أُصحابَ الـكريهةِ والرِّماحِ (٢)
لقد علمت هوازنُ أنَّ خيــلى ... غداةَ النَّعْفِ صادقة الصَّبــاحِ (٣)
عليها كل أَرْوَعَ هِبْرِزِىٍّ ... شَدِيدٍ حَدُّه شاكى السلاحِ (٤)
نـكرُّ عليهمُ حتى التقَوْنا ... بعصقولٍ عوارضُها صِباحِ (٥)

---

(١) أسدام: متغبرة . وبعده فى الأغانى ثلاث أبيات .
(٢) الشوى : جمع شاة . وفى الأغانى : الـكريهة والنطاح .
(٣) النعف هنا موضع بعينه . وصادقه الصباح أى صادقة الغارة فى الصباح .
(٤) الهبرزى : المقدام . وفى المختار : شديد حيده .
(٥) التقان : لقيه . وفى الأغانى : التقينا .

فأُبْنا بالنِّهابِ وبالسَّبَايا ... وبالبيضِ الخرائد واللِّقاحِ
وأعتقْنا ابنة البَكْرِيِّ عَمْرٍو ... وقد خُضْنا عليها بالقِداحِ[1]

وأدرك الُحصين الإسلامَ وأسلم ، ويدل على ذلك قوله :

وقافيةٍ غير إنسيَّة ... قرضْتُ من الشعر أمثالَها
شَرُودٍ تَلمَّعُ بالخافقين ... إذا أُنشدتْ قيل من قَالها
وحَيرانَ لا يهتدى بالنهار ... من الظَّلْع يَتبَع ضُلَّا لَها
وداعٍ دَعا دعوةَ المستغيث ... وكنتُ كمن كان لبَّى لها
إذا الموت كان شجًى بالحلوقِ ... وبادرت النفسُ أشغالَها
صبرتُ ولم أكُ رِعديــدةً ... وَللصَّبْرُ فى الرَّوْع أَنْجَى لها
ويومٍ تَسعَّر فيه الحروب ... لبستُ إلى الرَّوع سِرْبالها
مُضعَّفة السَّرْدِ عادِيَّــةً ... وَعضْبَ المضاربِ مِفصالها
ومُطَّرِدًا من رُدَيْنِيَّــةٍ ... أَذُود عن الوِرْدِ أبطالَها
فلم يَبْقَ من ذاك إلَّا التُّقى ... ونفسٌ تُعالج آجالَهــا
أُمــورٌ من الله فوق السما ... مقاديرُ تَنْزِلُ أَنْزالَهــا[2]
أعوذ بربِّى من الُمخْزِيا ... تِ يوم ترى النفسُ أعمالَها
وخفَّ الموازينُ بالكافرين ... وزُلْزِلت الأرضُ زِلزالَها
ونادى منادٍ بأهلِ القبورِ ... فهبُّوا لِتُبْرِزَ أثقالَهــا
وسُعِّرت النارُ فيها العذابُ ... وكان السلاسلُ أغلالَها

---

(١) فى الأغانى : ابنة العمرى عمرو .
(٢) فى ك : تنزل أدلالها .

قال أبو عبيدة : مات الُحصين بن الُحمام المُرىّ فى بعض أسفاره ، فسُمع صارخٌ فى بلاد بنى مُرّة فى الليل يَصرخ ولا يُعرَف :

ألا هَلك الُحلو الحَلالُ الُحلاحِلُ ومــن عَقْدُه حَزْمٌ وعَزمٌ ونائلُ
ومن خَطبه فَصْلٌ إذا القومُ أُفحِمُوا يُصيب مَرادى قولِه مَن يُحاوِلُ

المَرادى جمع مِرْداة وهى صخرة تُرْدَى بها الصخور أى تُكْسر. والُحلو : الجميل. والحَلالُ : الذى ليس عليه فى ماله يمين[1]. والُحلاحل : الشريف العاقل .

فلما سمع أخوه مُعَيَّةُ بن الُحمام قال : هلك والله الُحصين . ثم قال يرثيه :

إذا لاقيتَ جَمْعاً أو فِئَاماً فإنى لا أرى كأبى يزِيدَا
أشدَّ مهابةً وأعزَّ رُكْناً وأصلبَ ساعةَ الضرّاء عُودَا
صَفِــيِّي وابنُ أُمى والمواسى إذا ما النفس شارَفتِ الوَرِيدا
كأنَّ مُصَدَّرا يَحْبُو ورائى إلى أشباله يبغى الأُسودا

المُصَدَّر : العظيم الصدر ، شبّه أخاه بالأسد .

---

(١) فى الأغانى : فى ماله عيب .

الحَكم بن قُنْبُر المازِنيّ(١)

هو الحَكم بن محمد بن قُنْبُرْ المازِنيّ مازن بنى عمرو بن تميم ، بصريٌّ شاعر ظريف من شعراء بنى العباس(٢) ، كان يُهاجى مُسلمَ بنَ الوليد الأنصارى مُدَّة ، وغلبه مسلم ، وكان لما هاجاه أمسك عنه مُسلمٌ بعد أن بسط لسانه ، فجاء إلى مسلمٍ ابنُ عمٍّ له فقال : أيها الرجل إنك عند الناس فوق هذا الرجل فى عمود الشعر ، وقد بعثتَ عليك لسانه ثم أمسكتَ عنه ، فإما أن قارَعْته(٣) أو سالَمْتَه . فقال له مسلم : إن لنا شَيْخًا ولنا مَسجِدٌ يتهجَّد فيه، وبين ذلك دعواتٌ ندعو بها ، ونحن نسأله أن يجعل بعضَ دعواته فى كفايتنا إياه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال :

غُلب ابنُ قُنْبُرَ واللئيم مَغَلَّبٌ ... لما اتَّقيت هجاءه بدعاء

ما زال يَقذِف بالهجاء ولَذْعِه ... حتى اتَّقوْه بـــدعوةِ الآباءِ

فقال له مسلم : والله ما كان ابنُ قنبر ليبلغ منى هذا ، فأمسِكْ عنى لسانَكَ وتعرَّف خبرَه بعدُ . فبعثَ الرجلُ عليه من لسانِ مسلمٍ ما أسكته.

قال محمد بن عبد الله العُذرىّ : رأيت مسلمَ بنَ الوليد والحَكم بن قُنْبر فى مسجدِ الرُّصافة فى يوم جمعة ، وكلٌّ واحد منهما بإزاء صاحبه يتهاجيانِ ، فبدأ مسلم فأنشد قصيدته :

أنا النارُ فى أحجـــارِها مُستَـكِنَّةٌ ... فإن كنت مِمَّن يَقْدَحُ النارَ فاقْدَح

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٤ / ١٦٢ وانظر ص ١٦١ ودار الثقافة ١٤/١٥٣ وانظر ص ١٥٢ وبولاق ٨/١٣ والساسى ٨/١٣ والتجريد . ١٥٦ .

(٢) فى الأغانى : من شعراء الدولة الهاشمية .

(٣) فى الأغانى : قاذعته .

وأنشد ابنُ قنبر بعده :

قد كُنْتَ تَهْوِى وما قوسى مُوَتَّرَةٌ فكيف ظَنُّكَ بى والقَوْسُ فى الوَتَرِ

فوثب مسلم وتَوَاخَذَا[1] حتى حجز بينهما الناس فتفرقا ، فقال رجل لمسلم : ويحك أعجزت عن هذا الرجل حتى واثبته ؟ قال : وإنى وإياه لكما قال الشاعر :

* هَنِيئاً مَرِيئاً أنتَ بالفُحْش أبصرُ *

وكان ابنُ قنبر مُستعلِياً عليه مُدّة ، ثم غلبه مسلمٌ ، فمن مناقضاتهما قول ابن قنبر :

كيف أهجوكَ يا لئيمُ بِشعرى أنت عندى فاعلم هِجاءُ هِجائى
يا دَعِىَّ الأنصارِ بل عَبْدَها النَّذْ لَ تعرَّضْتَ لى لِدَرْكِ الشَّقاءِ

قال ابن قنبر : لقيني جوارٍ من جَوارى آل سليمان بن على فى الطريق بين المِرْبد وبين قصر أَوْس ، فقلن لى : أنت الذى تقول :

وَيْلى على من أطار النومَ فامتنعا وزادَ قلبى على أوجاعِه وَجَعا
ظَبىٌ أغرُّ تَرى فى وجهه سُرُجاً تُعْشِى العُيونَ إذا ما نُوره سَطَعَا
كأنما الشمسُ من أثوابه بَزغتْ حُسْناً أو البدرُ فى أزرارِهِ طَلَعا
فقد نَسِيتُ الكَرَى من طول ما هَطلتْ مِنّى الجفونُ وطارت مُهْجَتى قِطَعا

فقلتُ : نعم ، فقلن : أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا ؟ ثم جعلن يَلْهون معى ويجذبننى حتى أخرجننى من ثيابى ورجعتُ عارياً إلى منزلى . وكان حسَن اللباس .

---

(١) كذا فى المختار وأصول الأغانى . وصححت فى الأغانى : وتواخزا أى تطاعنا طعنا غير نافذ . هذا ، وتواخذا يراد بها أخذ كل منهما بالآخر « مسهلة الهمزة » .

دخل الحَكَمُ بنُ قنبر على صديقٍ له فبشَّ به ورفع مجلسه وقال : أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك . فأنشده :

وحقِّ الذي في القلب منكِ فإنه عظيمٌ لقد حَصَّنْت سِرَّكِ في صدرى
ولكنما أفشاه دمعى ورُبَّما أتى المرءَ ما يخشاه من حيث لا يدرى
فهبْ لى ذنوبَ الدمعِ إنى أظنه بما منْه يبدو إنما يبتغى ضُرِّى
ولو يبتغى نَفعى لخلَّى ضمائرى يردُّ على أسرار مَكنونها سرى

قال محمد بن سلام : أنشدنى ابن قنبر لنفسه :

صَرَمْتِنى ثم لا كلَّمْتِنى أبدًا إن كنتُ خنتكِ فى حالٍ من الحالِ
ولا اجترمتُ الذى فيه خيانتكمْ ولا جرتْ خَطرةٌ منها على بالى

قال : فقلت له وأنا أضحك : لقد بالغْتَ فى اليمين . فقال : هى عندى كذلك ، وإن لم تكن عندك كما هى عندى .

شكا العباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعةَ الرَّقِّيَّ هجاه ، فقال له : سمعتُ ما كان مدحك به ، وعرفت ثوابك إياه ، وما قاله فى ذلك ، ولم أجده ظلمك فيه ، ولله در ابن قنبر حيث يقول :

ومن دعا الناس إلى ذَمِّه ذَمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

وتمام الأبيات من أولها :

إن كنتَ لا ترهبُ ذَمِّى لما تَعرِف من صَفْحِى عن الجاهلِ
فاخْشَ سُكوتى فَطِناً مُنْصِتاً فيك لِتَحْسِين خنَا القائلِ
مقَالةُ السوءِ إلى أهلها أسرعُ من مُنْحدر سائلِ

ثم قال له الرشيد : وقد اشتريتُ عِرضك منه ، وأمرته بألا يعود إلى ذمّك تعريضا ولا تصريحا أخذه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة :

فإن أنا لم آمر ولم أنْه عنكما سَكَتُّ له حَتَّى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى

أطعم رجل من ولد عبد الله بن كُرَيز صديقاً له ضَيْعة . فمكثت فى يده مدة ، ثم مات الكريزى ، فطالب ابنُه الرجلَ بالضيعة ، فمنعه إياها ، فاختصما إلى عبيد الله ابن الحسن ، فقال له[1] : ألا تستحيي ! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذبا أثمت وإن كنت صادقا فإنما تريد أن تنقض مكرمة لأبيك . فقال له ابنُ الكريزى — وكان ساقطا — : الشحيح أعزك الله أعذر[2] من الظالم . فقال : هذا الجواب والله أعجب[3] من الخصومة ، ويحك ، وهذا موضع هذا القول ؟ اللهم ارددْ على قريش أخطارها[4] . ثم أقبل علينا فقال : لله درُّ الحكم بن قنبر حيث يقول :

إذا القرشى لم يُشْبِه قُرَيشاً   بفعلهم الذى بَذَّ الفعالا
فجَرْمىٌّ له خُلُق جميلٌ   لدى الأقوام أحسنُ منه حالا

مرض ابنُ قنبر ، فأتوه بخَصيبٍ الطبيبِ يعالجه ، فقال فيه :

ولقد قلت لأهلى   إذ أتونى بخَصيبِ
ليس والله خَصيبٌ   بالذى بى بطبيبِ
إنما يعرفُ دَائى   مَن به مثل الذى بى

وكان خصيبٌ عالما بمرضه ، فنظر إلى مائه فقال : زعم جالينوس أن صاحب هذه العِلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يَعِشْ . فقال له : إن جالينوس ربما أخطأ ، فقال : ما كنت إلى خَطَئِه أحْوج منى إليه فى هذا الوقت . ومات ابن قنبر فى علته تلك .

---

(١) فى الأغانى : فقيل له .
(٢) فى الأغانى : أعظم .
(٣) فى الأغانى : أعز من الخصومة .
(٤) أخطارها : أقدارها .

حمادُ عَجْرَد(١)

هو حَمَّادُ بن يَحيى بن عَمرو بن كُليب ، وكنيته أبو عُمَر ، مولى بنى عامر ابن صعصعة . وقيل : مولى بنى سَوَّار(٢) . وقيل : مولى بنى عُقَيل ، أصله ومنشؤه بالكوفة ، كان يَبْرِى النَّبل . وقيل : بل كان أبوه نَبَّالا ولم يتكسب هو بغير الشعر ، وكان حماد من مخضرمى الدولتين الأموية والعبّاسية ، وكان نزل واسطا ، إلا أنه لم يشتهر فى أيام بنى أمية شُهرَته فى أيام بنى العباس ، وكان خليعا ماجنا مُتَّهَماً فى دينه ، مَرْمِيًّا بالزندقة .

كان يحيى بن عمرو أبو حماد مَوْلًى لهند بنت أسماء بن خارجة ، وكان وكيلا لها فى ضَيْعَتها بالسواد ، فولدت هندُ من بِشرِ بن مروانَ عبدَ الملك بنَ بِشْرٍ فجر عبدُ الملك ولاءَ مَوَالى أُمِّه فصاروا مواليه .

ولما كان والد حماد عجرد بالسَّوادفى ضيعتها نَبَّطه بشار لما هجاه فقال :

واشْدُدْ يديك بحماد أبى عُمَرٍ فإنه نَبَطِىٌّ من زنـابير(٣)

ولقَّبه بِعَجْرَدٍ عمرُو بن سِنْدى مولى ثقيف لقوله فيه :

سَبَحتْ بغلةٌ رَكبتَ عليها عجباً منك خيبـةً لِلْمَسيرِ
زعمتْ أنهـــا تراه كَبيرا حَمْلها عَجْرد الزِّنا والفُجُورِ
إن دهراركبتَ فيه على بَغْـ ـلٍ وأوقفتَه ببـاب الأميرِ
لجدير ألا نرَى فيه خَـيْرًا لصغـيرٍ منـا ولا لِـكبيرِ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٤/٣٢١ وانظر ص ٣٢٠ ودار الثقافة ١٤/٣٠٤ وانظر ص ٣٠٣ وبولاق ١٣/٧٢ والساسى ١٨/٧٠ والتجريد ١٠٩٦ .

(٢) فى الأغانى : بنى سراة . هذا وفى هامش ك رواية عن نسخة أخرى : سوادة .

(٣) نبطه: نسبه إلى النبط وفى المختار وبعض أصول الأغانى: « من دنانير » والتصويب من أصول آخر للأغانى . وزنابير: أرض باليمن . علىأن دنانير تحتمل أنه يريد بذلك أنه أصفر اللون.

ما امرؤٌ يَنْتَقِيك ياعُقْدةالـكَلْـ ... ـبِ لِأسرارِه بِجدٍّ بَصِيرِ
لا ولا مجلسٌ أجنَّـك للـ ... ـذَّات ياعَجْرَدَ الخنا بستِيرِ

يعنى بهذا القول محمد بن أبى العباس السفاح ، وكان عَجْرد من ندمائه. فبلغ هذا الشعر أبا العباس جعفراً فقال لمحمد : مالى ولعجْرَدٍ يدخل عليك ؟ لا يبلغُنى أنك أذنت له .

وعجْرَدٌ مأخوذ من المُعَجْرَدِ[1] وهو العُرْيان. يقال : تَعجرد الرجلُ إذا تعَرَّى فهو يَتعجرد تَعجْرُدا . والعَجْرَدُ الذَّهب .

وكان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحَمَّادُون حمادُ عَجْرَدٍ وحَمادٌ الرواية وحماد ابن الزِّبْرِقان يتنادمون ، كلُّهم يُرمى بالزندقة ، وأشهرهم حمَّادُ عَجرد .

وكان سبب تسميته بعجردٍ أن أعرابيا لَقِيه فى يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان عُريانا ، فقال له : تعجردْتَ يا غلام ، فسُمِّيَ عجرداً .

وكان بين حمادٍ وبشارٍ مهاجاة . وذلك أن حمادا كان نديما لنافع بن عقبة ، فسأله بشارٌ أن يقضِيَ له حاجة من نافع فأبطأ عنه ، فقال فيه بشار :

مواعيــدُ حَمَّادٍ سَماءٌ مُخِيلة ... تَـكشَّفُ عن وَعْدٍ ولـكنْ سَتَبْرُقُ
إذا جئته يومـا أحال على غدٍ ... كما وَعدَ الـكَمُّون مَن ليس يَصْدُق
وفى نافعٍ عنى جَفاءٌ وإننى ... لأَطرِق أحيانا وذُو اللُّبِّ يُطْرِقُ
وللنَّقْرى[2] قوم فلو كنت منهم ... دُعيت ولـكنْ دونىَ البابُ مُغْلَقُ
أبا عُمَرٍ خلَّفْتَ خلفك حاجــتى ... وحاجة غـــيرى بين عينيك تَبْرُقُ
وما زلت أستأنيك حتى حَسَرْتَنى ... بِوَعْدٍ كجارِى الآلِ يَخْـفَى ويَخْفُقُ

فغضب حماد وأنشد نافعا الشِّعرَ ، فمنعه من صلة بشار .

---

(١) فى المختار: «من التعجرد» لـكن شرحه بأنه هوالعريان يؤيد المعجرد كما جاء فى الأغانى.
(٢) النقرى : الدعوة الخاصة .

وأجمع العلماء بالبصرة على أن ليس فى هجاء حماد لبشار شيء جيد سوى أربعين بيتا ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، وكل واحد منهما هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا مجتمعين فسقط حمادُ عجردٍ وانهتك بفضل بلاغةِ بَشَّارٍ وجودة معانيه ، وبقى بشار على حاله لم يسقط ، وعُرِف مذهبه فى الزندقة فقُتِل به .

قال أبو نواس : كنت أتوهم أن حمادَ عجرد إنما رُمِىَ بالزندقة لمجونه فى شعره حتى حُبِست فى حبس الزنادقة ، فإذا حماد إمام من أئمَّتهم ، وإذا له شعر يقرءونه فى صلاتهم .

وكان له صاحب يقال له حُرَيث على مذهبه ، ولما مات عزَّاه بشار ، وفيه يقول ونسبه إلى أنه ابن نِهْيَا :

يا ابنَ نِهْيَا رأْسى علىَّ ثقيلُ واحتمالُ الرأْسينِ خَطْبٌ جَليلُ
ادعُ غيرى إلى عبادة رَبَّيْـ ـنِ فإنى بواحدٍ مشغولُ[1]
يا ابن نِهْيَا بَرِئتُ منك إلى اللـ ـهِ تَعالى وذاك منى قَليلُ[2]

فأشاع حمادٌ لبشارٍ هذه الأبيات فى الناس ، وجعل مكان « فإنى بواحد مشغول » « فإنى عن واحدٍ مشغول » ليصحِّح عليه الزندقة والكفر ، فما زالت الأبيات تدور بين الناس حتى انتهت إلى بشار ، فاضطرب منها وجزع وقال : أشاط[3] ابنُ الزانية دمى ، والله ما قلت إلّا « إنى بواحد مشغول » فغيَّرها حتى شهرنى بما يُهلكنى .

قيل لعبد الله بن ياسين : إن بشاراً المُرَعَّثَ هجا حمَّاداً ونبَّطه. فقال عبد الله :

---

(١) فى الأغانى: إلى عبادة الاثنين .

(٢) فى الأغانى : منك إلى الله جهارا وذاك .

(٣) أشاط دمه : عمل فى هلاكه .

قد رأيت جَدَّ حمادٍ كان يسمى كُلَيْبا ، وكانت صناعتُه لا يكون فيها نَبَطِيّ ، كان يَبْرِى النَّبْلَ ويَرِيشُها ويقال له كُلَيبٌ النَّبَّال مولى بنى عامر بن صعصعة .

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين بشار وحماد على اتفاق منهما ورِضًى بأن ينقل إلى كلّ واحد منهما وعنه الشعر ، فدخل يوما إلى بشار ، فقال : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية فِيّ ؟ فأنشده :

أنت ابن بُرْدٍ مثلُ بُرْ ... دٍ فى الرَّذَالة والنَّذَالَهْ

مَن كان مثلَ أبيك يا ... أعمى أبوه فلا أبَا لَهْ

فقال : جَوَّد ابن الزانية .

ولما أُنشد بشارٌ قول حماد :

دُعِيت إلى بُرْدٍ وأنت لغــيرِه ... فهَبْك لِبُرْدٍ نِـكْتَ أُمَّك مَنْ بُرْدُ

فقال لراويته : أهاهنا أحد ؟ فقال : لا ، فقال : أحسن والله ابنُ الزانية ما شاء ، ولقد تَهَيَّأ له فى هذا البيت خَمْسة معانٍ من الهجاء ، قوله : « دعيت إلى برد » معنى ، وقوله : « وأنت لغيره » معنى ، وقوله : « فهَبْكَ لبرد » معنى ثالث ، وقوله : « نِكْت أُمّك » شَتْم مُفرد ، واستخفافٌ مُجَدَّد ، وهو معنى رابع ، وقوله : « مَنْ بُرد » معنى خامس . فأتى بالطلبة ، ولقــد طَلَب جريرٌ فى هجائه الفرزدقَ تـكثير المعانى ونَحا جريرٌ هـذا النحو فلم يقدر على أكثر من ثلاثة معانٍ فى بيت ، وهو :

لمـا وَضَعْتُ على الفَرَزدق مِيسَمى ... وضَغَا البَعِيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ (١)

فلم يُدْرِكْ أكثر من هذا .

---

(١) الميسم : المكواة . وضغا : استخذى ، أو صاح وضج .

ولما قال حماد :

يا بنَ نِهْيا رأسى عَلَىَّ ثقيلُ واحتمالُ الرأسين خَطْبٌ جليلُ

وبلغَ بشاراً، قال : والله ما أُبالى بهذا من قوله ، وإنما يغيظنى تجاهُلُه بالزندقة ، يُوهِم الناس أنه يَظُنُّ الزنادقةَ تَعبد رأساً ليظنَّ الجُهَّال أنه لا يعرفها ، لأن هذا قول تقوله العامّة لا حقيقة له ، وهو واللهِ أعلم بالزندقة من مَانِى .

وجاء البصريُّ الذى كان يَرْوِى لهما ما يقول كلٌّ واحد ، فقال له بشار : إيهِ يا فلان ، ما قال ابنُ الزانية ؟ فأنشده :

إنْ تاهَ بشارٌ عليكم فقدْ أمكَنْتُ بَشَّاراً مِن التِّيهِ

فقال بشار : بأىّ شىء ويحك ؟ فقال :

وذاكَ أَنْ سَمَّيْتُهُ باسمه ولم يَكُنْ خَلْقٌ يُسَمِّيهِ(١)

فقال : سَخِنَتْ عينه ، بأىِّ شىء كنت أُعْرَف ؟ فقال :

فصار إنساناً بِذِكْرِى له ما يَبْتَغى مِن بعدِ ذِكْرِيهِ

فقال : ما صنع شيئا ، إيه ويحك ، فقال :

لم أهجُ بشَّاراً ولكنَّنى هَجَوتُ شِعْرِى بِهجائيهِ

فقال : على هذا المعنى دار ، وحوله حام ، إيه ، وماذا قال أيضاً ؟ فقال :

أَلَا مَنْ مُبلغٌ عنى الـ ـذى والدُه بُرْدُ

فقال : صدق ابن الزّانية ، فما يكون ؟ قال :

إذا ما نُسِب الناسُ فلا قَبْلٌ ولا بَعْدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة فإنّ هذه العِصَابةَ من عُقيل(٢) ؛ فقال :

---

(١) فى الأغانى : وذاك إذ سميته . . ولم يكن حر .

(٢) كذا فى المختار . والذى فى الأغانى : فأين هذه العرصات من عقيل .

وأعمى قَلْطَبَانٌ ما[1]　　على قاذِفِه حَـــدٌّ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ، بل عليه ثمانون جلدة ، هيه ، فقال :

شبيه الوجهِ بالقِـــرْدِ　　إذا ما عَمِى القِـــرْدُ

فبكى بشار ، فقيل له : أتبكى من هجائه ؟ فقال : والله ما أبكى من هجائه . ولكن أبكى لأنه يرانى فيصفنى ولا أراه فأصفه . ولما اتصل ببشار هذا البيت :

ويا أقبح من قردٍ　　إذا ما عَمِىَ القِـــرْدُ

قال : لا إله إلا الله ، قد كنتُ واللهِ أخاف أن يأتى به ، والله لقد خطر لى من أكثر من عشرين سنة وخفت أن أُهْجَى به حتى وقع عليه النبطىُّ ابنُ الزانية.

أشاع بشارٌ فى الناس أن حماد عجرد كان ينشد شعراً وبإزائه رجل يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه ، فقال حماد : على ماذا اجتمعوا ؟ فوالله إنى أقول أحسن مما يقول ، فكان بشار يقول: لما سمعت هذا منه مَقَتُّه عليه .

ولبشار يهجو حمادا :

ما لُمْتُ حَمَّادًا على فِسْقِه　　يلومُه الجـــاهِلُ والمائقُ[2]
وما هما من أَيره واسته[3]　　مَلَّكه إياها الخـــالقُ
ما بات إلَّا فاسقٌ فَوْقَه[4]　　ينيكه أو تحتــه فاسقُ

وبالغ بشار فى هجاء حماد ، ولكنْ حكم الناسُ لحماد عليه فى هذه الأبيات :

لو طُلِيَت جِلْدَته عَنْبَرًا　　لأفسـدَتْ جِلْدَتُه العَنبرَا
أوْ طُلِيَتْ مِسْكا ذَكِيًّا إذًا　　تَحَوَّل المسكُ عليـه خَرَا

---

(١) القلطبان : الديوث والذى لا غيرة له .

(٢) المائق : الأحمق .

(٣) فى ك: وما هم من فى أيره واسته .

(٤) فى الأغانى : ما بات إلا فوقه فاسق .

اتصل حمادُ عجردٍ بالربيع يُؤَدِّب ولده ، فكتب إليه بشار :

يا أبا الفضـــلِ لا تَنَمْ　　　وقع الذئبُ فى الغَنَمْ
إن حَمَّادَ عَجــــردٍ　　　إن رأى غفـــلةً هَجَمْ
بين فَخْذيه حَربةٌ　　　فى غلافٍ من الأَدَمْ
إن خـلا البيتُ ساعةً　　　مَجْمَجَ الميمَ بالقَـلَمْ

فقال : فلما قرأها الربيع قال : صَيَّرنى حمادٌ دَرِيئة للشعراء ، أخرِجوه عنّى ، فأُخرج . وقيل إن حماداً دُعِى لتأديب ولد العباس بن محمد الهاشمىّ ، وإن الأبيات إنما كتبها بشار إلى العباس بن محمد . ولما أخرج العباسُ حمّاداً وانقطع عنه ما كان يصل إليه أوجعه ذلك فقال يهجو بشارا :

لقد صار بشَّارٌ بصيرا بدُبْرِه　　　وناظرُه بين الأنامِ ضَريرُ
له مُقْلَةٌ عمياء واُسْتٌ بصيرةٌ　　　إلى الأَيْر من تحت الثياب تُشيرُ
على وُدِّه أنَّ الحَمِير تَنيكه　　　وأن جميع العالمين حَميرُ

وقد فعل مثل هذا بعينه حمادُ عجردٍ بقُطْرُب ، فإن المهدىَّ اتخذ قُطربا لبعض أولاده ، وكان حماد عجرد يطمع فى أن يكون هو مُؤَدِّبَه ، فلم يتمّ له ذلك لتهتكه وشهرته بين الناس بما قاله بشار فيه ، فلما تمكن قطربٌ فى موضعه صار حمادٌ كالملقى على الرضَف(١) فجعل يقوم ويقعد بقُطْرُب فى الناس ، ثم أخذ رقعة فكتب فيها :

قلْ للأمـيرِ جزاكَ الله صالحةً　　　لا تَجْمع الدَّهْرَ بين السَّخْل والذيبِ
السخلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ غفلَتُه(٢)　　　والذئبُ يعلم ما فى السَّخْلِ من طِيبِ

---

(١) الرضف : الحجارة المحماة .
(٢) فى الأغانى : وهم الذئب فرصته .

فلما قرأها المهديُّ قال: انظروا لا يكون المُؤَدِّب لُوطِيًّا، ثم قال: انفُوه عن الدار، فأُخرج عنها وجِيء بمؤدب غيره ، ووُكِّل به سبعون[1] خادما يتناوبون على حفظ الصبي[2] ، وخرج قطرب هاربا بما شهره به حمادٌ إلى عيسى بن إدريس العِجْلى ابن أبي دُلف ، فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات .

كانَ مُجاشع بن مَسعدة أخو عمرو بن مَسعدة هجا حمَّادَ عجردٍ وهو صبي حينئذ ليرتفع بهجائه حماداً ، فتركه حمَّادٌ وشبَّب بأُمِّه فقال :

راعَتْك أُمُّ مجاشعٍ ... بالصَّدِّ بعد وِصالِها
واستَبْدَلَتْ بكَ والبلا ... ءُ عليك فى استبدالِها
جِنِّيَّة من بَرْبَرٍ ... مشهورة بجمالِها
فحرامُها أشهى لنا ... ولها من استحلالِها

فبلغ الشعرُ عَمْرَو بن مَسعدة ، فبعث إلى حمَّادٍ بصِلَةٍ ، وسأله الصَّفْحَ عن أخيه ونَالَ أخاه بكلِّ مكروه فقال له : ثَكِلَتْك أُمُّك ، تتعرّض لحماد وهو يُناقِفُ بَشَّاراً، والله لو قاومْتَه لما كان لك فى ذلك فخر ، وإن تعرَّضْتَ له ليهتكَنَّك وسائرَ أهلك وليَفضَحَنَّا فضيحةً لا نَغْسِلها أبداً عنا .

كان أبو حنيفة رضى الله عنه صديقا لحمادِ عجردٍ فَنَسَكَ أبو حنيفة وطلب الفقه ، فبلغ فيه ما بلغ ، ورفض حمادا وبسط لسانه فيه ، فجعل حماد يُلاطفه ليكفَّ عن ذكره ، وأبو حنيفة يذكره ، فكتب إليه حماد بهذه الأبيات :

إن كان نُسْكُك لا يَتِمُّ ... بغيرِ شَتْمِى وانتقاصِى
أوْ لم يكن إلَّا به ... تَرْجو النجاةَ من القِصاصِ

(١) فى الأغانى : تسعون .

(٢) فى الأغانى : يحفظون الصبى .

فلطالما زَكَّيْتَنى ... وأنا المُقيم على المَعاصِى
أيامَ تأخذها وتُعـ ... ـطِى من أباريق الرّصاصِ

فأمسك أبو حنيفة بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه ، وقيل : إن ذلك كان مع يحيى بن زياد ، وأنه كتب بهذه الأبيات إليه وزاد فيها[1] :

هل تَذْكُرَنْ دَلَجى إليـ ... ـك على المُضَمَّرَةِ القِلاصِ[2]
فعليك فاشتُمْ آمِناً ... كلّ الأمانِ من القِصاصِ
واقْعُد وقُمْ بى ما بدا ... لك فى الأدانى والأقاصِى
فلطالما زَكَّيْتنى ... وأنا المُقيم على المعاصى
أيام أنت إذا ذُكِرْ ... تُ مُناضلٌ عنى مُنَاصِى[3]
وأنا وأنت على ارتكا ... بِ المُوبقات من الحِراصِ
وبنا مَواطِنُ ما تُنا ... فى البِرِّ آهِلَةُ العِراصِ

فلما اتصل الشعرُ بيحيى بن زِياد نَسبَ حمادًا إلى الزندقة ، ورماه بالخروج عن الإسلام ، فقال حمادٌ فيه :

لا مُؤمِن يُعرَف إيمانُه ... وليس يَحْيى بالفتى الكافِرِ
منافق ظاهره ناسك ... مخالف الباطنِ والظاهِرِ

قال أبويعقوب الخريمىّ : كنت بمجلس فيه حماد ومعنا غلام أمرد فوضع حمادعينه عليه وعلى الموضع الذى ينام فيه ، فلما كان الليل اختلفت مواضع نومنا ، فنمت

---

(١) أضاف إليها فى الأغانى بيتين مما سبق والرابع أيضا منها مع تغيير فى روايته وذكره ابن منظور هنا ثانيا .

(٢) الدلج : السير من أول الليل ، والقلاص جمع القلوص وهى من الإبل الشابة أو الباقية على السير .

(٣) المناصى : المجاذب بناصية صاحبه .

فى موضع الغلام . ودب حمادٌ إلىَّ وظننى الغلام، فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على عينى العوراء لأعلمه أنى أبو يعقوب ، قال: فنتر يده ومضى فى شأنه وهو يقول « وفديناه بذِبحٍ عظيمٍ »

وكان الوليد بن يزيد أمر شُراعة أن يسمِّىَ له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة ، فسمّى له مُطيعَ بن إياس وحمَّادَ عجردٍ والمعيطىَّ المُغنى ، فكتب فى إشخاصهم إليه ولم يزالوا من ندمائه إلى أن قتل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

كان حُريث بن الليث[1] الحنفى صديقا لحماد عجرد ، وكان يعابثه بالشعر ويعيبه بالبخل وفيه يقول :

حُرَيثٌ أبو الصَّلْت ذُو خِبرةٍ[2] … بمـا يُصلح المِعْدَة الفـاسِدَهْ
تَخوَّفَ تُخْمَـة أصحـابِـه … فعوَّدَهم أكلةً وَاحِـدَهْ

ضَرِط رجل فى مجلسٍ فيه حماد عجرد ومطيع بن إياس ، فتجلد وضَرِط أخرى مُتعَمِّدًا ، ثم ثَلَّثَ ليظنُّوا أن ذلك كله تَعمُّدا ، فقال له حماد : حسبك يا أَخى فلو ضرطت ألفاً لعُلِم أن المُخلِف[3] الأول مُفْلِت .

نزل حماد عجرد على محمد بن طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه فقال :

زُرْنا امرأً فى بيته مَرَّةً … له حَيَاءٌ وله خِيرُ
يَكْرَه أن يُتخِم أضيافَهُ … إنّ أذَى التُّخْمة مَحذورُ
وَيشتهِى أن يُؤجروا عنده … بالصَّوْمِ والصائمُ مَأجورُ

فلما سمعها محمد قال : عليك لعنةُ الله ، أى شىء حملك على هِجائى ، وإنما انتظرت

---

(١) فى الأغانى : حريث بن أبى الصلت .
(٢) فى الأغانى : حريث أبو الفضل .
(٣) المخلف : الكريه .

أن يُفْرغ لك الطعام ، قال : الجوع ويحك حملني على القول ، ولو زِدْت فى الإبطاء زِدْت فى القول ، فمضى مبادرا وأحضر المائدة .

كان حماد عجرد يُعاشر الأَسْود بن خلف ولا يكادانِ يفترقانِ ، فمات الأسودُ قبله. فقال يرثيه :

قلت لِحَنَّانةٍ دَلُوحٍ ... تَسفَحَ من مَثْعَبٍ سَحُوحٍ [1]
جادَتْ علينا لها رَبَــابٌ ... بوا كِفٍ هاطلٍ نَضُوحٍ [2]
أُمِّى الضريحَ الذى أُسمِّى ... ثم استهِلِّى على الضَّريحِ
على صَدَى أسْوَدَ المُوَارَى ... فى اللَّحْدِ والتُّرْبِ والصفيحِ
فاسْقِيه رِيًّا فأصبحيه ... ثم اغْبِقِيه مــع الصَّبُوحِ [3]
ليس من العَدْل أن تَشِحِّى ... على امرِئٍ ليس بالشحيح

أنشد مصعب [4] لحماد عجرد يهجو أبا عَوْنٍ مولى جَوْهَرَ ؛ وكان يُقَيِّن عليها ، وكان حماد عجرد يميل إليها فإذا جاءهم ثَقَّل ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها ، فيضر ذلك بأبى عون ، فجاءه يوما وعنده أصدقاء لجاريته ، فحجبه ، فقال فيه :

إن أبا عَوْنٍ ولا يَرْعَوِى ... ما رَقَّصَتْ رَمْضَاؤها جُنْــدُبا

---

(١) سحابة حنانة : لها حنين أى صوت يشبه صوت حنين الإبل . دلوح: كثيرة الماء. والمثعب : المجرى والمسيل . والسحوح من سح المطر سال وسحابة سحوح صبابة للمطر .
وفى الأغانى : تسح من وابل سفوح .

(٢) الرباب : السحاب الأبيض أو السحاب الذى تراه دون السحاب الأعلى جمع ربابة. أو هى السحابة التى قد ركب بعضها بعضا .

(٣) فى الأغانى :

فاسقيــه ريا وأوطنيــه ... ثم اغتدى نحوه وروحى
اغــدى بسقياى فاصبحيه ... ثم اغبقيــه مــع الصبوح

(٤) مطلع هذا النص غير واضح فى مصورة ك وأثبته من الأغانى وباقيه من نسخة ك .

ليس يرى كسباً إذا لم يكن من كسب شفْرَىْ جَوْهَرٍ طيِّبا
فسلط الله على ما حوى مِئْزَرُها الأفعى أو العقربا
ينسب فى الكَشْخ ولا يشتهى بغير ذاك الاسم أن ينسبا

فقال فيه أيضا :

تفرَحُ إن نِيكتْ وإن لم تُنَكْ بِتَّ حزين القلب مُسْتَعْبِرَا
أسكركَ القوم فساهلتهم وكنت سَهْلًا قبل أن تَسكرا

وفى جوهر هذه يقول حماد :

إنى أحبّك فاعلمى إن لم تكونى تعلمينا
حبًّا أقلُّ قليله كجميع حب العالمينا

لم يزل بشارٌ يهجو حماداً ولا يَرْفُث فى هِجائه حتى قال حمادٌ فيه :

مَن كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلا أبالَهْ
أنت ابن بُرْد مثل بُرْ دٍ فى النذالة والرذالهْ
أدَّتك من جُحْرِ اُستها فى الُحشّ خارئة غزالَهْ(١)
من حيث يخرج جَعْرُ مُنْ تِنَةٍ مُدَنَّسَةٍ مُذَالَهْ(٢)
أعمى كسَتْ عينيه من وَذَحِ اسْتِها وكسَتْ قَذالَهْ(٣)
خنزيرة بظــراء مُنْ تِنَة البُداهة والعُلالَهْ(٤)

---

(١) الحش : موضع قضاء الحاجة . وفى الأغانى : زحرتك من جحراستها .
(٢) الجعر : ما يبس من العذرة فى الدبر . والمذالة : الأمة .
(٣) الوذح : ما تعلق بأصواف الغنم من البعر .
(٤) البداهة :أول جرى الفرس . والعلالة : الجرى الذى يكون بعد البداهة : أى منتنة فى أولها وآخرها .

وَشماءَ خَضْراء المَغـــا بنِ رِيحُها ريح الإهالَهْ[1]
عَذرَاءُ حُبْـلَى يا لَقومى للمجَانَة والضـــلالَهْ[2]
مَرَقَتْ وصارت قَحْبَةً بِجِمالة وبلا جِمالَهْ
ولقــد أقلتُك يا ابن بُرْ دٍ فاجترأتَ فلا إقالَهْ

فلما بلغت هذه الأبياتُ بشارا أطرق طويلا ثم قال : جزى الله ابنَ نِهْيا خيرا . فقيل له : علامَ تُجْزِيه خيراً ؟ أعلى ما تسمع ؟ قال : نعم ، والله لقــد كنتُ أردّ على شيطانى أشياء من هجائه إبقاء على المروءة ، ولقد أطلق من لسانى ما كان مُقَيَّدا عنه ، وأهْدَفنى عَورةً مُمكنة منه . فلم يزل بعد ذلك يذكر أمَّ حماد فى هجائه ويذكر أباه أقبح ذكر حتى ماتت أمُّ حماد ، فقال فيها يخاطب جاراً لحماد :

أبا حاتمٍ إن كنت تزنى فأَسْعِدِ[3] وَبَكِّ حِرًا ولَّت به أمُّ مَجْرَدِ
حِرًا كان للعُزَّاب سهلا ولم يكن أبِيًّا على ذى الزوجة المُتَوَدِّدِ
أُصِيب زُناة القومِ لما توجَّهت به أمُّ حمَّادٍ إلى المَضجع الرَّدِى
لقد كان للأدنى وللجار والعِدَا وللقاعِدِ المُعْتَلِّ والمُـتَرَدِّدِ[4]

كان حَفْص بن أبى بُردة[5] صديقا لحماد ، وكان مرميًّا بالزندقة ، وكان أعمش قبيح الوجه ، فاجتمعا يوما على شراب وتناشدا ، فطعن حفصٌ على مُرَقِّشٍ ولحَّنه وعاب شعره ، فقال حماد :

---

(١) المغابن : الإبط وما حول الفرج . والإهالة : الشحم والزيت . وفى الأغانى : رسماء خضراء المغابن .
(٢) فى المختار : « للمخافة والضلالة » والتصويب من الأغانى .
(٣) فى الأغانى : أبا حامد إن كنت تزنى .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : وللقاعد المعتر والمتزيد .
(٥) فى الأغانى : حفص بن أبى وزة .

لقد كان فى عَيْنَيك ياحفصُ شاغلٌ　　وأنف كَثِيل العَوْد عَمَّا تَتَبَّعُ[(١)]
تَتَبَّعُ لَحْناً فى كلامٍ مُرَقَّشٍ　　ووجهُك مَبنِىٌّ على اللحنِ أجمعُ
فأُذْناك إقواءٌ وأنفُك مُكْفَأٌ　　وعيناك إيطاء فأنت المُرَقَّعُ[(٢)]

أهدى مُطيع بن إياس إلى حماد غلاما ، وكتب إليه : قد بعثت إليك بغلام يتعلم عليه كظم الغيظ .

مرض حمادُ عجردٍ فلم يعده مطيع بن إياس ، فكتب إليه :

كفاكَ عِيادتى مَنْ كان يرجو　　ثواب الله فى صِلَة المريضِ
فإن تُحْدِث لك الأيام سُقْما　　يحول جَرِيضُه دون القَرِيض[(٣)]
يكنْ طُول التأوُّه منك عندى　　بمنزلة الطَّنِين من البَعُوضِ

حضر حمادُ عجردٍ ومطيعُ بن إياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبى العباس ، فتمازحا ، فقال حماد :

يا مُطيع يا مطيعُ　　أنت إنسان رَقيعُ
وعن الخيرِ بَطِىءٌ　　وإلى الشَّرِّ سَرِيعُ

فقال مطيع :

إن حماداً لئيمٌ　　سِفْلَةُ الأصلِ عَديمُ
لا تراه الدهرَ إلّا　　بِهَنِ العَيْرِ يَهِيمُ

فقال له حماد: ويحك أترميني بدائك؟ والله لولا كراهتى لِتَمادِى الشرِّ ولجاج

---

(١) الثيل : القضيب . والعود : الجمل المسن .

(٢) الإقواء: اختلاف حركة الروى. والإكفاء: المخالفة بين القوافى. والإيطاء : إعادة كلمة الروى لفظا ومعنى . وكلها من عيوب الشعر .

(٣) الجريض من قولهم جرض بريقه : ابتلعه على هم وحزن بجهد ومشقة .

الهجاء لقلتُ لك قولًا يَبْقَى ولكنى لا أُفسد مودَّتك ولا أكافئك إلا بالمديح ، ثم قال:

كلُّ شيء فَفِداءٌ　　لمطيع بن إياس
رجلٌ مُستمْلَحٌ فى　　كلِّ لِينٍ وشِماسِ[1]
عِدْل رُوحى بن جَنْـ　　ـبٍ وَعينى وَراسى[2]
غرس الله له فى　　كَبدى أحلى غِراسِ
لست دهرى لمطيع بـ　　ـن إياسٍ قطُّ ناسى
ذاك إنسانٌ له فضـ　　ـلٌ على كلِّ أُناسِ
فإذاما الكاس دارتْ　　واحتساها مَن أحاسى
كان ذِكرانا مطيعاً　　عندها رَيْحانَ كاسى

كان عيسى بن عُمر[3] بن يزيد صديقا لحماد عجرد ، وكان يواصله أيام خدمته للربيع ، فلما طرده الربيع واختلّت حاله جفاه عيسى ، فقال حماد فيه :

كم من أخٍ لك لستَ تنْكره　　ما دُمْت من دنياك فى يُسْرِ
مُتَصنِّعٍ لك فى مَودَّته　　يلقاك بالترحيب والبِشْرِ[4]
فإذا عَدَا والدهرُ ذُو غِيَرٍ　　دهرٌ عليك عَدَا مع الدَّهْرِ
فارْفُضْ بإجمالٍ أُخوّةَ مَن　　يَقْلى المُقِلَّ ويَعْشق المُثْرِى
وعليك من حالَاه واحدةٌ　　فى العُسْرِ إمّا كنتَ واليُسْرِ
لا تَخلِطَنَّهمُ بغيرِهمُ　　مَنْ يَخلِطُ العِقْيَان بالبَعْرِ

---

(١) الشماس : النفور .
(٢) فى الأغانى : وعينى براسى .
(٣) فى الأغانى : عمرو .
(٤) بعده فى الأغانى بيت .

كان بالكوفة رجل من الأشاعثة يعرف بحُشَيْش ، وكانت أُمه حارثيَّة ، فمدحه حمادُ عجردٍ فلم يثبْه وتهاون به فقال يهجوه :

يا لَقومى للبلاء ومَعارِيضِ الشقاءِ
قُسمتْ أَلْوِيةٌ بيـ ن رِجالٍ ونساءِ
ظفرتْ أختُ بنى الحا رث مِنهـا بلواءِ
حادِثٌ فى الأرض يَرْتا عُ له أهلُ السماءِ

قال : ثُم عرِضت أسماء العمال على المنصور ، فكان فيهم اسم حُشَيش ، فقال : هذا الذى هجاه حماد ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : لو كان فى هذا خير ما تعرَّض لهذا الشاعر ، فلم يستعمله . وقال حماد يخاطب سَعيدَ بن الأسود ويُعاتبه على صحبته حُشيش :

صرتَ بعدى يا سعيدُ من أخِلَّاء حُشَيْشِ
أتلوَّطْتَ أم استَحْـ لَقتَ بعـدى أم لأيْشِ (١)
حَلَقِىٌّ إسْتُه أوْ سَعُ من إست نُجَيْشِ
ثم بَغَّاءٌ على ذا أبْلَعُ الناسِ لِقَيْشِ (٢)
يا بَنِى الأشعث ما عيْـ شُكُم عندى بِعَيْشِ
حين لا يُوجد منكمْ غيرَه قائدُ جَيْشِ

وكان نُجيشٌ هـذا رجلًا من أهل البصرة ، لم يكن بينه وبين حماد شىء ، فلما بلغه هذا الشعر قدم البصرة قاصدا إلى حماد ، وقال له : يا هذا ، ما بالى وبالك ؟

---

(١) الحلاق : صفة سوء فى الرجل وهى أن يكون مأبونا . وفى الأغانى : « أم استخلفت » وظاهر تحريفه .

(٢) القيش : رأس الذكر . وفى الأغانى : « أبلغ الناس » وظاهر تحريفه .

ما ذنبي إليك ؟ قال: ومن أنت؟ قال : أنا نُجيش ، أمَا وجدتَ أحدا أوسع دُبرا منى تتمثل به ؟ قال : فضحك ثم قال : هذه بَليَّة صبَّها عليك الرَّدَى ، وأنت ظريف ، وليس يجرى بعد هذا مثله ، فودَّعه وانصرف وقال : الله بينى وبينك فقد أبقيتَ علىَّ سُبَّةً لا أعرف لها سَبباً[1] .

كان المهدى قد سأل أباه أن يُوَلِّى يحيى بن زياد عملًا ، فلم يجبه وقال : هو خليع متخرق فى الفقه[2] ماجنٌ ، فقال : إنه تاب وأناب ، وتضمَّنَ عنه ما يحب فولاه بعض أعمال الأهواز فقصده حمادُ عجردٍ إليها وقال من قصائد :

يحيى امرؤٌ زَيَّنَـه ربُّـه ... بفعلِه الأقدمِ والأَحدثِ
إن قال لم يكذبْ وإن ودَّ لم ... يَقْطع وإن عاهد لم يَنْـكُثِ
أصبحَ فى أخلاقه كلِّها ... موكَّلا بالأسهل الأَدْمَثِ[3]
طبيعةٌ مِنه عليها جَرَى ... فى خُلُقٍ ليس بمُستحدَثِ
ورَّثه ذاكَ أبوهُ فيا ... طِيبَ ثَنَا الوارثِ والمُورِثِ[4]

فوصله يحيى وحمله وكساه ، وأقام عنده مدة وانصرف .

كان عيسى بن عَمْرو وَلِىَ البصرة من قِبَل محمد بن أبى العباس السفَّاح ، فقال له حماد عجرد :

قل لِعيسى الأميرِ عِيسى بن عَمْرٍو ... ذى المساعى العِظام فى قَحْطانِ
والبنــاء العالى الذى طال حتى ... قَصُرَتْ دونه يدا كلِّ بانِى[5]

(١) جملة : « فودعه وقال الله بينى ... سببا » ليست فى الأغانى .
(٢) فى الأغانى : فى النفقة .
(٣) الأدمث : الأسهل .
(٤) الثنا : التحدث عن الإنسان بالمدح أو الذم .
(٥) من تصرفات ناسخ ت : عنه قد قصرت يدا كل بانى .

يا ابن عمرٍو عمرِو المكارم والتقـ وى وعَمرو الندى وعمرو الطِّعانِ
لك جارٌ بالمِصْرِ لم يَجعل اللـ ـه له منك حُرْمةَ الجيرانِ
لا يصلّى ولا يَصــوم ولا يقـ ـرأ حَرْفا من مُحْكم القرآنِ
إنمــا مَعْدِنُ الزُّناة من السِّفْـ ـلَةِ فى بيتــه ومأْوَى الزَّوانى
وهو خِدْنُ الصِّبْيان وهو ابن سَبْعِيـ ـن فماذا يَهوى من الصِّبيانِ
طهِّرِ المِصْرَ منه يا أيهـا المو لَى المُسَمَّى بالعَدْل والإحسانِ
وتقـــرَّب بذاك فيه إلى اللـ ـه تَفُزْ منه فَوْزَ أهل الجنانِ
يا ابن بُرْد إخسَأْ إليك فمثلُ الـ ـكلب فى الناس أنت لا الإنسانِ
ولعمرى لأنت شرٌّ من الـكلا ب وأولى منـــه بكلِّ هَوانِ

وُلِدَ لبشار ولدٌ، فقال فيه حماد عجرد :

سائِلْ أُمامةَ يا ابنَ بُرْ دٍ مَن أبو هذا الغلامِ
أمِن الحلال أتَتْ به أمْ مِن مُقارفة الحرامِ
فلتُخْبِرَنَّك أنه بين العِرَاقِى والشَّآمِى
والآخَرِ الرُّومىِّ والنَّـ ـبطىِّ أيضاً وابنِ حَامِ
أجملتَ عِرْسَك شِقْوةً غَرضاً لأَسهمِ كلِّ رَامِى

لما مات محمد بن أبى العباس فى أول سنة خمسين ومائة قال(١) حماد يرثيه :

صِرْتُ للدهرِ خاشعا مُستكِيناً بعد ما كنتُ قد قَهرتُ الدُّهورَا
حين أودى الأمير ذاك الذى كنـ ـت به حيث كنت أُدْعَى أميرا
كنت إذ كان لى أجير به الدهـ ـرَ فقد صرتُ بعـــده مُستجيرا
يا سَمِىَّ النبىِّ يا ابن أبى العبَّـ ـاس حققْتَ عِنــدىَ المَحذورا

(١) فى الأصل : فقال .

سلبتني المنــــونُ إذ سلبتنيــ ـكَ سُروري فلستُ أرجو سُرورا[١]
ليتني متُّ حين متَّ فلا بَلْ ليتني[٢] كنتُ قبلَك القَبـــورا
أنت ظَلَّلْتني الغمام بنعما كَ وَوَطَّأْتني وطاءً أَثــــيرا[٣]
لم تَدَعْ إذ مَضيتَ فينــا نَظيرًا مثـــل ما لم يدع أبوكَ نَظيرَا

كان أبو جعفر المنصور يبغض محمد بن أبي العباس السفاح ، فولاه البصرة عقب مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فقدمها ، وأصحبه المنصور قوما يُعاب بصحبتهم مُجَّانا زنادقة ، منهم حمادُ عجردٍ وحمادُ بن يحيي ونظراؤهم ، ليغضَّ منه عند الناس ، ويرفع من ابنه المهدى وكان محمد بن أبي العباس يُحَمَّق وكان إذا ركب يغلّف لحيته بأواقٍ من الغالية حتى تسيل على ثيابه فيصير شُهره ، فلقبوه أبا الدِّبْس[٤]، وفيه يقول بعض الشعراء :

صِرْنا من الرِّبْح إلى الوَكْسِ إذ وَلِيَ المِصْرَ أبو الدِّبْسِ
ما شِئْتَ من لُؤْم على نفسه وجِنْسُه من أكرمِ الجِنْسِ

ولما أقام بالبصرة قال : لقد عزمت على أن أعرِض أهل البصرة بالسيف يوم الجمعة ، فأقتل كل من وجدت لأنهم خرجوا مع إبراهيم ، فقالوا له : نعم نحن نفعلُ ذلك ، لما يعرفونه منه ، ثم جاءوا إلى أمه أمِّ سَلَمَة بنت أيوب بن سَلَمة المَخزومية فأعلموها بذلك وقالوا لها : لئن هم بذلك ليُقْتَلَنَّ ولتُقْتَلِنَّ أنت معه[٥] فإنما نحن فى البصرة

---

(١) فى الأغانى . سلبتنى الهموم أو سلبتنيك .
(٢) فى الأغانى : ليتنى مت حين موتك لا بل .
(٣) فى الأغانى : ووطأت لى وطاء وثيرا .
(٤) الدبس : عسل التمر وعصارته .
(٥) فى الأغانى « ولنقتلن معه » .

أكلة رَأس ، فخرجت إليه وكشفت عن شعرِها[١] وأقسمت عليه بحقِّها حتى كفَّ عما كان عزم عليه ، وكان محمد بن [أبى] العباس فى نهاية القوة والشِّدَّة ، فعاتبه المهدى ، فغمزَ رِكاب المهدى حتى انضغطت رجل المهدىّ فى الرّكاب وانجرحت حتى رد محمد الركاب بيده ، فأخرج المهدىُّ رجله ، وكان محمد بن أبى العباس قد هوى زينب بنت سليمان بن على لما قدم البصرة ، وخطبها فلم يزوجه لشىء كان فى عقله ، وقال فيها أشعارا ، فلما عزله المنصور عن البصرة قال لما أراد الخروج فى بنت سليمان :

أيا وقفة البينِ ما ذَا شَبَبْتِ من النار فى كَبِد المُغْرَمِ
رَمَيتِ جَوارحه إذ رَميتِ بقوسٍ مُسَدَّدَةِ الأسْهُم
وقفنا لزينبَ يوم الوَداعِ على مِثل جمر الغَضَا المضْرَمِ
فمِنْ صَرْفِ دَمْعٍ جرى للفراق ومُمْتزِجٍ بعدَه بالدَّمِ

وعمل حماد عجرد فيها قصائد على لسان محمد ، فلما سمع محمد بن سليمان نَذَر دمه . فلم يقدر عليه لمكانه من محمد ، ولما مات محمدٌ طلب محمدُ بنُ سليمانَ حمادَ عجردٍ لِمَا كان يقوله فى أخته زينب من الشعر ، فعلم أنه لا مُقام له معه فى البصرة ، فمضى واستجار بقبر أبيه سليمان بن علىّ وقال فى ذلك من أبيات :

مِنْ مُقرٍّ بالذنب لم يُوجب الله عليه بِسَيِّئٍ إقرارا[٢]
يا ابنَ بنتِ النبىّ إنِّىَ لا أجـ ـعلُ إلا إليك منك الفِرارا[٣]
غير أنى جعلت قبر أبى أيـ ـوب لى من حوادث الدهرجارا
وحَرِىٌّ من استجار بذاك الـ ـقبرِ أن يأمن الرَّدَى والحِذَارا[٤]

---

(١) فى الأغانى : عن ثدييها .
(٢) بعده فى الأغانى بيت .
(٣) فى الأغانى : يا ابن بنتَ النبى أحمد لا أجعل .
(٤) فى الأغانى : الردى والعثارا .

لم أجد لى من الأنام مُجِيرا فاستجَرْت الترابَ والأحجارا[1]
فأنا اليوم جارُ من ليس فى الأر ضِ مُجيرٌ أعزُّ منه جِوارَا
إن أكنْ مُذنبا فأنت ابنُ من كا ن لمن كان مُذنبا غَفَّارَا
فاعفُ عنّى فقد قَدرتَ وخيرُ ال عفو ما قلتَ كُنْ وكان اقتدارا
لو يُطيلُ الأعمارَ جارٌ لِعزٍّ كان جارى يُطوِّلُ الأعمارا

فلما بلغه أنه عند قبر أبيه قال : والله لأملأنّ قبر أبى بدمه ، فهرب إلى بغداد فعاذ بجعفر بن المنصور فأجاره وقال : لا أرضى إلا أن تهجو محمد بن سليمان ، فهجاه فقال :

قُلْ لوجْهِ الخَصِيِّ ذى العارِ إنى سوف أُهدِى لزينبَ الأشعارَا
قد لعمرى فَرَرْتُ من شدّة الخو ف فأنكرتُ صاحِبَيَّ نهارَا
وظننتُ القبورَ تَمنعُ جاراً فاستجَرْت الترابَ والأحجارَا
كنتُ عند استجارتى بأبى أيْـ ـوبَ أبغى ضَلالةً وخَسارا
لم يُجرْنى ولم أجد فيه حَظًّا أضرم الله ذلكَ القبرَ نارَا

وبلغ هجاؤُه محمدَ بن سليمان فقال: والله لا يُفلتنى أبدا ، وإنما يزداد حتفا بلسانه، ولا والله أغفر له ولا أتغافل عنه أبدا . وهرب إلى الأهواز فأقام بها مستترا ، وبلغ محمداً خبرُه عند سليمان بن سالم ، ثم خرج يُريد البصرة ، فمرّ بِشِيرَزاذانَ فى طريقه ، فمرض بها ، فاضطر إلى المقام بها ، فأقام واشتدّت علته فمات ودُفن هناك على تَلْعة ، وقيل : إن محمد بن سليمان أرسل إلى الأهواز مولى له فطلبه حتى ظفر به فقتله غِيلة . وكان بشارٌ لما بلغه أن حمادا عليل لما به قال :

لو عاش حمّادٌ لَهَوْنا به لكنه صار إلى النارِ

---

(١) بعده فى الأغانى بيت .

فبلغ البيتُ حمّاداً قبل أن يموت وهو فى السِّيَاق[1] فقال يردّ عليه :

نبئت بشّاراً نعـانى وللـ	ـموتِ بَرَانى الخالقُ البَارِى
يا ليتنى مِتُّ ولم أهْجُــه	نعمْ ولو صِرْتُ إلى النـارِ
وأىُّ خِزْىٍ هو أخزى مِنَ انْ	يقـال لى يا سِبَّ بَشَّارِ

ولما قَتل المهدىُّ بشَّاراً بالبَطِيحَةِ حُمِل إلى منزله ميتا ودفن مع حماد ، وقيـل فيهما من الأشعار ما هو فى ترجمة بشار .

---

(١) السياق : نزع الروح .

حُرَيْثٌ الطائى (١)

هو حُرَيثُ بن عَنَّاب (٢) بن مَطر بن سِلسلة بن كعب بن عَوْف بن عنبر (٣) بن نائل ابن أسْوَدَان – وهو نَبْهان – بن عمرو بن الغَوْث بن طيء ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية وليس مذكورا من الشعراء ، لأنه كان بدويا مُقِلاًّ لا يتصدى للشعر فى مدح ولا هجاء ولا يَعْدُو بشعره أمرَ ما يَخُصُّه . وكان يهوى امرأة يقال لها حُبَّى بنت الأسود من بنى بُحْتُر كان يتحدث إليها ، ثم خطبها فوعده أهلُها أن يزوجوه ، ووعدته ألّا تجيبَ إلى تزويجٍ إلّا به ، فخطبها رجلٌ من بنى ثُعَل وكان مُوسِراً فمالت إليه وتركت حُرَيْثاً ، وقد خُيِّرت بينهما فاختارت الثُّعَلى فتزوجها ، فهجا حريثٌ قومَها وقومَ زوجها فمما كان قاله فيهما :

هل قلبُك اليومَ عن شَيْمَاءَ مُنْصَرِفُ ... أم أنت (٤) ما عِشتَ مجنونٌ بها كَلِفُ

ما تَذْكَرُ اليومَ إلّا صَدَّعَتْ كَبِداً ... حَرَّى عليها وأجرَتْ دمعةً تَكِفُ

يَدوم وُدّى لمن دامت مَوَدَّتُه ... وأصرف النفس أحيانا فتنصرفُ

يا وَيحَ كُلِّ مُحبٍّ كيف أرحمه ... كأننى (٥) عارِفٌ صِدْقَ الذى يَصِفُ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٤/٣٨٢ وانظر ص ٣٨١ ودار الثقافة ١٤/٣٦٤ وانظر ص ٣٦٣ وبولاق ١٣/١٠٢ والساسى ١٣/٩٨ والتجريد ١٦٠١ .

(٢) فى المختار : « عتاب » وفى الأغانى نص أنه بالنون .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : عنين .

(٤) فى الأغانى : عن شنباء منصرف وأنت .

(٥) فى الأغانى : لأننى .

لا تأمَنَنْ بعدَ حُبَّى خُلَّةً أبـــداً   على الخيانةِ إنَّ الخـائِنَ الطَّرِفُ(١)
كأنها ريشـــة فى عُرْض بَلْقعةٍ   من حَيثُ ما واجهَتْها الريحُ تَنْصَرِفُ
يُنْسِي الخليلَين طُولُ النأى بينهما   وتَلْتَقِى طُرَفٌ شَـــتّى فتأْتَلِفُ

ومما قاله يهجو بنى ثُعل قوم المتزوِّج بها :

بَنِى ثُـعَلٍ أهْلُ الخَنَا ما حَدِيثُـكُمْ   لـكم مَنطقٌ غاوٍ وللنـــاسِ مَنْطِقُ
كأنـكم مِعْزَى قواصِـــعُ جِرَّةً   من العِىِّ أو طـــيرٌ بخَفَّانَ يَنْعِقُ
دِيافِيَّةٌ خُلْفٌ كأنَّ خَطِيبَهم(٢)   سَراةَ الضُّحَى فى سَلْحِه يتمَطَّقُ

ولم يَزلْ حُريثٌ يهجو بنى بحتر وبنى ثُـعَلٍ من أجل حُبَّى ، فبينا هو ذات يوم بخَيْبَرَ وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفِنائه ينشد هجاءهم وإلى جانبه رجل من بنى جُشَم بن أبى حارثة من بنى بُحْتُر يقال له أوْفَى بنُ جُشَم عند بنى أخت له من قريش فسمعه أوفى ينشد :

وإن أحقَّ الناس إلا إهابُه(٣)   عَتُودٌ يُبارِيه فَرِيرٌ وثَعلَبْ

العتود: التيس الهرم ، والفَرِيرُ : ولد البقرة الوحشية ، وتباريه: تفعل فعله.

فدنا منه أوفى وقال: إنى رجل أصم فتقرَّبْ إلىّ . فقال له : ومن أنت ؟ قال : رجل من قيس ، وأنا أهاجى هذا الحىَّ من بنى ثُعل وبنى بُحْتُر ، وأحب أن أروى الذى يقال فيهم من الهجاء ، فأدنوه منه ، وكان معه هِرَاوة قد اشتملَ عليها ، فلما تمكّن من حُريث جَمع يديه بالهراوة وضَرب بها أنفه فحَطَمه ، ووثب القرشىُّ

---

(١) الطرف: من لا يثبت على صاحب . وفسر بهامش الأغانى فى دار الكتب بمعنى لا يتفق مع الشعر .

(٢) دياف : قرية أهلها نبط فنسبهم إلى أنهم نبط. والخلف جمع أخلف. وهو القليل العقل وفى الأغانى : ديافية قلف .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : أحق الناس طرا إهانة .

على أوفى فأخذه . ووثب بنو أخته فانتزعوه من القرشى فكاد أن يقع بينهم شرّ وأفلت أوفى ، ودَاوَوا ابنَ عنّاب حتى صَلَح واستوى أنفه ، وقال أوفى فى ذلك :

لاقَى ابنُ عَنَّاب بخيبر ماجداً ... يَزَعُ اللئام ويَنْصُر الأحسابَا
فضربتُه بهراوتى وتركتُه ... كالحِلْس مُنْعفِرَ الجبينِ مُصابا

ولحق أوفى بقومه .

فلما كان بعد ذلك بمدّة اتّهمه رجل من قريش بأنه سَرَق عبداً له وباعه بخيبر ، فلم يزل القرشىُّ يطلبه حتى أخذه ، وأقام عليه البينة ، وحبسه فى سِجن المدينة ، فبعث ابن عنَّاب إلى عشيرته بنى نَبهان فأَبَوْا أن يعاونوه . وأقبل عُرفاء بنى بُحْتر إلى المدينة يريدون أن يؤدوا صدقاتِ قومهم ، وفيهم حِصْنٌ وسلامة ابنا مُعرِّض وسعدُ بن عَمْرو وجبّار بن أُنَيْف وغيرهم ، فلقُوا القُرشىَّ وانتسبوا له وقالوا له : نحن نُعطيك العِوَض من عبدك ونرضيك ، ولم يزالوا به حتى فعل ، وخلَّى سبيله ، فقال حُرَيثٌ يمدحهم ويهجو قومه الأدْنَيْن من بنى نَبْهان .

لمّا رأيتُ العَبْدَ نَبهــــان تاركى ... بلمّاعةٍ فيها الحوادثُ تَخْطِرُ
نُصِرتُ بمنصورٍ وبابْنَىْ مُعَرِّض ... وسَعْدٍ وجَبَّـــارٍ بل اللهُ ينصرُ
وذو العَرْش أعطـــانى المَودَّة فيهم ... وثبَّت ساقى بعد ما كـدْتُ أَعـــثُرُ
إذا رَكِب النـاسُ الطريقَ رأيتَهمْ ... لهم خابــطٌ أعمى وآخرُ مُبصِرُ
لـكلِّ بنى عمرو بن غَوْثٍ رِباعةٌ(١) ... وخَيرُهم فى الشرِّ والخيرِ بُحْتُرُ

وكان حُرَيثٌ أغار على قوم من بنى أسدٍ فاستاق إبلا لهم ، فطلبه السلطان فهرب من نواحى المدينة وخيبر إلى جَبَلينِ فى بلاد طيء يقال لهما مُرَّى والشَّموسُ حتى غَرِم قومه عنه ما طُلِب منه ، ثم عاد وقال فى ذلك :

---

(١) الرباعة : السيادة . وفى الأصل : عمرو بن عوف رباعة . هذا ، وتقدم أن نبهان هو ابن عمرو بن الغوث . وانظر شرح المرزوقى على الحماسة ص ٦٣٣ ففيه : لـكل بنى عمرو بن عوف .

إذا الدِّينُ أَلْوَى الفساد فقُلْ له[(١)] يَدَعْنا ورُكْناً من مَعَدٍّ نُصَادِمُهْ
ببِيضٍ خِفافٍ مرهفاتٍ قَواطـــع لداودَ فيها أَثْرُهُ وخَواتِمُهْ
وزُرْقٍ كَسَتْ أعجازَها مَضْرَحِيَّةٌ[(٢)] أثيثٌ خَوافِي رِيشِها بَلْ قَوادِمُهْ
إذا ما خَرَجْنا خَرَّتِ الأُكْم سُجَّداً لعزٍّ عَلَا حَيزُومُه وعَلَاجِمُهْ[(٣)]
إذا نحن سِرْنا بين شَرْقٍ ومغربٍ تَحرَّكَ يَقظانُ التُّرابِ ونائمُهْ
وتَفزع منَّا الجِنُّ والإنسُ كُلُّهـــا ويُشْرَب مهجورُ المِياهِ وعَائمُهْ
بجيش تظلّ البُلْقُ فى حَجَراته بيثرِبَ أُخراه وبالرِّيف قادِمُهْ[(٤)]
ستَمْنَع مُرَّى والشُّمُوسُ أخاهما إذا حكم السلطان حُكْما يُصاحمه[(٥)]

---

(١) فى الأغانى : « إذا الدين أودى بالفساد » وانظر شرح المرزوقى ص ٦٣٤ فقد نسبت القصيدة لأبان بن عبدة بن العيار .

(٢) فى الأغانى وشرح المرزوقى : وزرق كستها ريشها مضرحية . والمضرحية جمع مضرحى وهو النسر .

(٣) العلاجم جمع علجم : ومن معانيه موج البحر والحيزوم وسط الصدر والمرتفع من الأرض

(٤) ليس هذا البيت فى الأغانى فى ترجمة حريث وموجود فى شرح المرزوقى .

(٥) بجوارها فى مخطوط كوبرلى : يزاحمه وفى الأغانى : يضاجه : يميل فيه ويروى يصاحمه يزاحمه .

حَبَابَة[1]

جارية مولّدة من مولّدات المدينة، حلوة جميلة، كانت لرجل يعرف بابن ميناوهو خرّجهاوأدبها وقيل كانت لرجل يعرف بابن‌دنانية[2] وقيل كانت لآل‌لاحقٍ المكّيين، حسنة الوجه ظريفة، حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربة بالعود، وكانت تسمى العالية[3]، فسماها يزيد بن عبد الملك ـ لما اشتراها ـ حَبَابة، وكان يزيد اشتراها من ابن مينا، وكانت قد دخلت على يزيد بن عبد الملك فى إزارٍ وبيدها دفٌّ ترمى به وتتلقاه وتغنى :

ما أحسن الجيد من مُلَيكة واللـ بَّاتِ إذا زانها ترائبُها

ثم خرج بها مولاها إلى أفريقية، فلما كان بعد ما ولى يزيد اشتراها. ولما ولى يزيد هذا قال : ما يقرّ بعينى ما أُوتيت من الخلافة حتى أشترى سلّامة جارية مُصعب ابن سليم وحَبَابة جارية ابن لاحق المكّية، فاشتُريتا له، فلما اجتمعتا عنده قال : أنا الآن كما قيل[4] :

فألقت عصاها واستقرّ بها النّوَى كما قرّ عينا بالإياب المسافرُ

---

(١) الأغانى: دار الكتب ١٥/١٢٢ ودار الثقافة١٥/٩٥ وبولاق ١٣/٣٥٤ والساسى ١٣/١٤٨ والتجريد ١٦٢٥ هذا، وضبطت فى مخطوط كوبرلى بتشديدالباء الأولى لكن وردت فى الشعر بتخفيف الباء.

(٢) فى الأغانى طبعة بولاق : بابن رمانة. وفى نهاية الأرب حـ٥ ص٥٦ : دبابة.

(٣) فى نهاية الأرب : الغالية.

(٤) هذا البيت نسب إلى عبد ربه السلمى ولسليم بن ثمامة الحنفى ولمعقر بن حمار البارقى انظر اللسان عصا والمؤتلف والمختلف معقر بن حمار.

أخبر شيخٌ من أهل ذى خُشُب قال : خرجنا نريد ذا خُشب ونحن مشاة ، فإذا قُبَّة وفيها جارية تغنى :

سلكوا بطن مَخِيضٍ(١) ثمّ ولَّوْا أجمعينا
أورثونى حين ولَّوْا طُولَ خوفٍ وأنينا

فسرنا معها حتى أتينا ذاخُشب ، فخرج رجل معها فكتب أسماءنا ، فإذا هى حَبَابة جارية يزيد بن عبد الملك فلما صارت إلى يزيد أخبرته بنا ، فكتب إلى والى المدينة أن يعطى كل واحد منا ألف درهم .

كان يزيد بن عبد الملك قد قدم المدينة فى خلافة سليمان فتزوج سُعْدَة بنت عبدالله ابن عمرو بن عثمان على عشرين ألف دينار ، ورُبيحة بنت محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجُرَنَّ عليه . فبلغ ذلك يزيد فاستقال مولى حبابة ثم اشتراها بعد ذلك رجلٌ من أهل أفريقية ، فلما ولى يزيد اشترتها سُعدة امرأتُه ، وعلمت أنه لا بد طالبها ومشتريها ، فلما حصلت عندها قالت له : بقى عليك شىء من الدنيا فلم تنله ؟ قال : نعم ، العالية . قالت : أو رأيتها ؟ قال : نعم ، قالت : أفتعرفها ؟ قال : نعم ، فرفعت الستر فرآها فقال: هذه هى ، فقالت : هى لك . وخرجت عنهما ، فسماها حبابة ، وعظم قدر سعدة عنده . ويقال إنها أخذت العهد عليها قبل أن تهبها له أن تُوَطِّىء لابنها عنده فى ولاية العهد. وقيل : إن أمَّ الحجاج أمَّ الوليد هى التى ابتاعتها وأخذت عليها العهد بذلك فوفَتْ لها .

خطب يزيدُ إلى خالدٍ أخى سعدة بنت أخ له ، فقال : ما يكفيه أن سُعدة عنده حتى يخطب إلىَّ بناتِ أخى أيضا ؟ وبلغ ذلك يزيد فغضب ، فقدم عليه خالد يسترضيه،

---

(١) محيص . ومخيض : مذكوران فى معجم البلدان . وفى مخطوط كوبرلى مخيص .

فبينا هو فى فسطاطه إذ أتته جارية لحبابة فى خدمتها ، فقالت له : أم داود تقرأ عليك السلام وتقول : قد كلمت أمير المؤمنين فرضى عنك فالتفت وقال : من . أمُّ داود ؟ فأخبره من معه أنها حبابة، وذكروا له قدرها ومكانها من يزيد . فرفع رأسه إلى الجارية وقال : قولى لها : الرضا عنى سببٌ لست به، فشكت ذلك إلى يزيد ، فغضب وأرسل إلى خالد، فلم يعلم بشىء حتى أتاه خادم حبابة فيمن معه من الأعوان فاقتلعوا فسطاطه وقلعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى أصحابه فقال : ويلكم ، ما هذا ؟ فقال رسل حبابة : هذا ما صنعت بنفسك . فقال : ما لها أخزاها الله ، ما أشبه رضاها بغضبها .

وكان أول ما ارتفعت به منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوما إلى البيت الذى هى فيه، فقام من وراء الستر ، فسمعها تترنم وتغنى:

كان لى يا يزيد حُبُّك حَيْنًا كاد يَقْضِى علىَّ لما التَقَيْنَا
يعلم الله أنكم إن نأيتم أو قربتم أحبُّ شىء إلَيْنَا

وأصل الشعر :

* كان لى يا شُعَيْر حبُّك حَيْنًا(١) *

فرفع الستر فرآها مضطجعة مقبلة على الجدار، فعلم أنها لم تعلم به ، ولم تدر مكانه، فألقى نفسه عليها وحملت منه(٢) .

لما ولى يزيد بن عبد الملك أراد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أرجى لربّه منى ؟ فشق ذلك على حبابة ، وأرسلت إلى الأحوص أن يقول أبياتا، وقالت : إن رددتَه عن رأيه فلك ألف دينار . وقيل إن مسلمة أقبل على يزيد

---

(١) الشعر لعمر بن أبى ربيعة كما فى الأغانى وديوانه ٥٦٥ وفى الأغانى : « سقير » كما فى الديوان .

(٢) فى الأغانى ونهاية الأرب : وحركت منه .

يلومه على الإلحاح على الغناء والشرب وقال له : إنك وليت عقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاغلت بهذه الإماء وتركت الظهور وشهود الجمعة الجامعة ، وامتنعت من النظر فى الأمور ، والوفود ببابك[1] ، وأصحاب الحوائج والظلامات يصيحون ، وأنت غافل فقال: صدقت، وأعتبه ، وهمّ أن يترك الشرب، ولم يدخل على حبابة أياماً، فوعدت الأحوص بالألف دينار إن عاد عن رأيه ، فدخل الأحوص على يزيد واستأذنه فى الإنشاد فأنشد :

ألَا لا تَلُمْهُ اليـومَ أن يتبلَّدَا … فقـد غُلِب المحزونُ أن يتجلَّدَا
بكيت الصِّبَا جُهْدى فمن شاء لامنى … ومن شاء آسى فى البكاء وأسعدا
وإنى وإن أُغرقت فى طلب الصبا[2] … لأعلم أنى لست فى الحبِّ أوْحـدا
إذا أنت لم تعشق ولم تَدْرِ ما الهوى … فكن حَجرا من يابس الصخر جَلْمَدا
فما العيش إلَّا ما تلذُّ وتشتهى … وإن لام فيـه ذو الشَّنان وفَنَّدا

ثم غنته حَبابةُ وسلَّامة ليزيد ، فلما فرغتا ضرب يزيد بخيزرانته الأرض وقال : صدقتما ، فعلَى مسلمةَ لعنةُ الله وعلى ما جاء به . وطرب يزيد وقال : ها تيا ، فغنتاه :

وعهدى بها صفراء رُؤْدٌ كأنها … نَضَى عَرَقٌ منها على اللَّوْنِ مُجْسَدا[3]
مُهفهفة الأعلى وأسفل خلقهـا … جرى لحمه من دون أن يتخدَّدَا[4]
من المُدْمَجَات اللحم جَدْلَى كأنها … عِنانُ صَنَاعٍ مُدْمَجُ الفَتْلِ مُحْصَدا[5]

(١) فى الأغانى : وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر فى الأمور والوفود ببابك . الخ وفى نهاية الأرب : وقد تشاغلت بهـذه الإماء . كما فى الأغانى . وفى مخطوط التيمورية : وتركت الظهور وشهود الجماعة .

(٢) فى الأغانى ونهاية الأرب : وإنى وإن فندت .

(٣) الرؤد : الشابة الحسنة . والمجسد : القميص المشبع بالزعفران .

(٤) تخدد : هزل ونقص .

(٥) المحصد: المحكم . ومحصدا حال فنصبت .

كأن ذكيَّ المسك بادٍ وقد بدَتْ ... وريح خُزامى طَلُّه يَنفح النَّدَا

فطرب يزيد وأخذ منه الشراب قدره الذى كان يطرب منه ثم غنته أيضا ، فجعل يدور فى الدار ويصيح: الدُّخْن بالنَّوى المسك فى بيطار جنان[1]، وشقّ حلّته وقال لها: أتأذنين لى أن أطير ؟ فقالت له : ولمن تدع الناس؟ فقال : لك ، ثم غنت سلّامة :

فقلت ألَا يا ليت أسماء أنصفتْ ... وهل قولُ لَيْتٍ جامعٌ ما تَبدَّدا

وإنى لأهواها وأهوى وِصالها ... كما يشتهى الصادى الزُّلالَ المُبرَّدَا

علاقة حبٍّ لجَّ من زمن الصبا ... فأبلى ولا يزداد إلَّا تجــدُّدَا

وغنّته حبابة :

كريم قريشٍ حين يُنسَبُ والذى ... أقرَّت له بالمُلْك كَهْلًا وأمرَدَا

وليس عطاءٌ كان منـــه بمانعٍ ... وإن حلَّ من أضعافِ أضعافه غدا

أهانَ تِلادَ المـال فى الحمد إنه ... إمامُ هُدًى يجرى على ما تعوَّدا

تَرَدَّى بمجدٍ من أبيـــه وجَدِّه ... وقد أوثقا بنيانَ مجدٍ مُشَيَّدَا

فقال لها يزيد : يا حبابة ، ويحك ، ومَن من قريش هــذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين ، قال : ومَن يقول هذا ؟ قالت : الأحوص . وقالت سلّامة : فليسمع أمير المؤمنين باقى ثنائه عليه فيها ، ثم اندفعت فغنته :

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخْلِدًا ... من الناس إنسانا لَكُنت المخلَّدا

فأُقسم لا أنفكُّ ما عِشتُ شاكرا ... لنُعماك ما طار الحمـامُ وغرَّدا

ثم قال الأحوص أيضا قصيدته التى أولها :

يا موقدَ النـارِ بالعلياء مِن أَمِمٍ[2] ... أَوْقِدْ فقَدْ هِجتَ شوقاً غير مُنصرِمِ

---

(١) فى الأغانى : « فى بيطاء جنان » وفى مخطوط كوبرلى لم ينقط الكلمتين وفى التيمورية قنطار حان .

(٢) فى الأغانى ونهاية الأرب : من إضم .

يا موقد النـــار أَوْقِدْها فإن لها ... سناً يَهِيجُ فؤادَ العاشقِ السَّدِمِ

فقال له يزيد : ارفع حوائجك ، فكتب إليه فى نحو من أربعين ألف درهم من دين وغيره ، فأقام له بها(١) . وقيل : إن الأحوص لما أنشده أبياته الدالية وثب يزيد فدخل على حبابة وهو يتمثل :

وما العيش إلّا ما تلذّ وتشتهى ... وإن لام فيـــه ذو الشَّنَانِ وفَنَّدَا

فقالت : ما رَدَّكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبيات الأحوص ، فسَلِى ما شِئْتِ . قالت : ألف دينار تعطيها للأحوص ، فأعطاه ألف دينار .

ولما غلب يزيد أهله ، وأبى أن يسمع منهم نُصحَهم ، كلَّموا مولى له خُراسانيًّا ذا قدر عظيم وبلاء عنـــدهم وكانت فيه لُكْنة ، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما قد ألحَّ عليه من الشراب والغناء ، فقال له يزيد : فإنى أحضرك هذا الأمر الذى تنهى عنه ، فإن نهيتنى عنه بعد ما تبلوه وتعرفه انتهيت ، وإنى مخبر جَوارىَّ أنك عمٌّ من عُمومتى ، فإياك أن تتكلم فيعلمن أنك كاذب وأنك لست بعمى . ثم أدخله عليهن ، فغنين والشيخ يسمع ولا يقول شيئا حتى غنين :

وقد كنت آتيكم بِعِلَّةِ غيركم ... فأفنيتُ عِلَّاتى فكيف أقولُ

فطرب الشيخ وقال : لا قَيْفَ جعلنى الله فِداقُنَّ . يزيد : لا كيف جعلنى الله فداكن ، فعلمن أنه ليس عمه كما ذكر ، فقمن إليه بعيدانهنَّ ليضربنه بها حتى حجزهن عنه يزيد . ثم قال له بعد ما مضى أمرُهن : ما تقول الآن ؟ أَدَعُ هذا الأمر أم لا ؟ قال : لا تدَعْه .

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال له الأحوص : ما تشتهى ؟ قال : شِوَاء وطِلَاء وغِناَء . قال : ذلك لك ، ومضى إلى قينة بالمدينة فغنته :

---

(١) فى الأغانى : فأمر له بها .

أَلَا حَيِّ الدِّيار بسُعْدَ إنى   أحبُّ لحُبِّ فاطمةَ الديارا
أراد الظاعنون لِيَحْزُنونى   فهاجُوا صَدْعَ قلبى فاستطارا

فقال الفرزدق : ما أرقَّ أشعارَكم يا أهل الحجاز وأملحَها ! فقالوا : وما تدرى لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله ، قالوا : لجرير يهجوك به . فقال : ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعرى وأحوجنى مع شهواتى لرقة شعره .

اختلفت حَبَابة وسلَّامة فى صوت لمَعْبَد بين يدى يزيد ، فقال لها : من أين جاء خلافكما والصوت لمعبد وعنه أخذتما ؟ فقالت هذه : كذا أخذتُه ، وقالت هذه : كذا أخذته . فأحضر معبداً وقال : إن هاتين اختلفتا فى صوت لك ، فاقض بينهما ، فقال لحبابة : غَنِّى ، فغنت . وقال لسلَّامة : غَنِّى ، فغنت . فقال : الصوت ما غنَّت حَبابةُ . فقالت سلَّامة : يا ابن الفاعلة ، والله إنك لتعلم أن الصواب معى ، ولكنك سألت أيتهما آثَرُ عند أمير المؤمنين ، فقيل لك : حَبابة ، فاتبعت رضاه وهواه . فضحك يزيد وطرب ، وأخذ وسادة فصيرها على رأسه ، وقام يرقص ويدور فى الدار ويصيح : السمك طرى أربعة أرطال عند بيطار جنان ، حتى دار الدار كلها ثم رجع وجلس ، وقال شعرا وأمر معبدا أن يغنى فيه :

أبلغْ حَبَابةَ سَقَّى رَبْعَها المَطَرُ   ما للفؤادِ سوى ذِكراكُمُ ذِكَرُ(١)
إن سار صَحبىَ لم أملِكْ تَذَكُّرَكُمْ   أوْ عَرَّسوا فهمومُ النفس والفِكَرُ

فسُرَّ يزيد بغنائه ، وكساه ووصله ، ثم سيَّرت إليه سلَّامة ألطافاً وتحيَّاتٍ وسبقتْ ألطافَ حَبَابة وقالت له : قد عذرتُك فيما فعلتَ ولكنَّ الحقَّ كان أولى بك . ولم يزل فى ألطافها حتى أذن له يزيد فرجع إلى المدينة .

---

(١) فى الأغانى : ذكراكم وطر .

أنشدت حَبَابة يوما يزيدَ بنَ عبد الملك[١] :

لعمركَ إنني لأُحبّ سَلْـعاً لرؤيتها ومن بجنوب سَلْعِ
حَلفْتُ بربٍّ مكة والهدايا وأيدِي السابحاتِ غَدَاة جَمْعِ
لأنتِ على التنائى ـ فاعلميه ـ أحبُّ إليَّ من بَصرى وسمعى

فلما غنت :

لعمركَ إنني لأُحبُّ سَلْعاً لرؤيتهاومن بجنوبسَلْعِ

تنفست نفسا شديدا ، فقال لها : مالكِ أنتِ فى ذمة أبى إن شئت لأنقلنَّه إليك حجرا حجرا . قالت : وما أصنع به ؟ ليس إياه أردت ، إنما أردت ساكنه .

قال يزيد يوما لحبابة وسلامة : أيتكما غنتنى بما فى نفسى فلها حكمها . فغنت سلَّامة فلم تُصِب ما فى نفسه ، وغنت حبابة فى شعر ابن قيس الرُّقَيَّات :

حَلَقٌ من بنى كنـانة حولى بفلَسطينَ يُسرعون الرُّكوبا
جزعتْأن رأت مشيبِيَ عِرْسى لا تَلومى ذُؤابتى أن تشيبا

فأصابت ما فى نفسه فقال : احتكمى ، قالت : تهب لى سلَّامة وما لها ، قال : سَلِى غيرها . فأبت ، فقال : أنت أولى بها وبمالها ، فلقيت سلَّامة من ذلك أمراً عظيما. فقالت حبابة : لا تَرَيْنَ إلّا خيرا . فجاءها يزيد فسألها أن تبيعه إياها بحُكمها، فقالت : أشهدِك الآن أنها حرة ، فاخطبها الآن أزوّجك مولاتى .

وكانت سلّامة هى المتقدمة فى الغناء عند يزيد ، وكانت حبابة تنظر إليها بتلك العين، فلما حَظِيتْ عند يزيد قصَّرت فى حقّ سلّامة[٢] ، فقالت لها: ويحك يا أُخَيَّة، أين تأدية الغناء وحقّ التعليم ؟ أنسيت قول جميلة : خُذى إحكام ما أطارحك إياه

---

(١) نسب الشعر فى معجم البلدان « سلع » لقيس بن ذريح .
(٢) فى الأغانى : ترفعت عليها .

من سلّامة فلن تزالى بخيرما بَقِيتْ لك وكان أمركما مؤتلفا . قالت : صدقت ياخليلتى، واللهِ لاعُدْت إلى شىء تـكرهينه . فما عادت لها بعد ذلك إلى مكروه .

قال البيدق الأنصارى القارىء : كنت أعرف حبابة وأدخل إليها بالحجاز ، فلما صارت إلى يزيد وارتفع شأنها عنده خرجت لأسمعها ، فذكرتنى ليزيد ، فدعانى فدخلت عليه وهو على فرش مرتفعة[1] قد ذهب فيها إلى قريب من ثدييه ، وإذا حبابة أيضا على فرش مرتفعة وهى دونه ، فسلمت فرد السلام علىّ فقالت حبابة اقرأ ياأبت ، فقرأتُ ، فنظرتُ إلى دموعه تنحدر ، ثم قالت : يا أبت ، حدِّث أمير المؤمنين . وأشارت إلى أن غَنّه فغنيته فى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

مَن لِصَبٍّ مُفَنَّدِ[2] هائم القلب مُقْصَدِ
أنت زَوَّدتِه الجوَى[3] بئس زادُ المُزَوَّدِ
ولو أنى لا أرتجيـ ـك لقد خفَّ عُوَّدِى
ثـاوياً تحت تُرْبةٍ رهنَ رَمْس بفَدْفَدِ
غـير أنى أُعَلِّلُ النـ ـفس باليـوم والغدِ

فطرب يزيد وحذفنى بمُدْهُن فيه فصوصُ ياقوتٍ وزبرجد ، فضرب صدرى ، فأشارتْ حبابةُ أنْ خُذْه فأخذته وأدخلته فى كمى ، فقال : يا حبابة ألا تَرَيْن ما صنع أبوك ؟ أخذ مُدْهُنَنا فأدخله فى كُمِّه . فقالت : ما أحوجه إليه يا أمير المؤمنين ! ثم خرجتُ من عنده فأمر لى بمائتى دينار[4] .

---

(١) فى الأغانى : مشرفة .

(٢) فى الأغانى : مصيد .

(٣) فى الأغانى : الضنىٰ .

(٤) فى الأغانى : بمائة دينار .

غنّت حبابةُ يوما بين يدى يزيد :

ما أحسن الجيد من مليكة واللَّبَّـ ـاتِ إذْ زانها ترائبُها

فطرب يزيد وقال : هل رأيتِ قطُّ أطربَ منى ؟ قالت : نعم ، مولاى الذى باعنى فغاظه ذلك ، وكتب فى حَمْله مقيَّداً ، فلما عرفَ خبرَ وصوله أمر بإدخاله إليه ، فأدخل يَرْسُف فى قيوده وأمرها فغنت :

تَشطُّ غداً دارُ جيراننا وَللدَّارُ بعد غدٍ أبعـــدُ

فوثب وألقى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته وصاح الحريقَ يا أولادالزنا ، فضحك يزيد وقال : لعمرى إن مثل هذا أطرَبُ الناس[1] . وأمر بفكّ قيوده[2] ،ووصله بألف دينار ووَصلَتْه حبابة ، وردّه إلى المدينة .

وقيل : إنها قالت له لما قال لها هل رأيت أطرب منى قالت : نعم ، معاوية ابن عبد الله بن جعفر الطيّار ! فكتب إلى عبد الرحمن بن الضحّاك فحملَه إليه ، فلما قدم أرسلت إليه حبابة : إنما بعث إليك لكذا ، وكذا ، فإذا دخلتَ عليه وتغنَّيْتُ فلا تُظهِرَنَّ طربا حتى أغنى .

* ما أحسن الجيدَ من مُليكة *

فقال : سوءة على كبر سنى ! فدعا به يزيد وهو على طِنفِسة خَزّ ، ووضع لمعاوية مثلها ، وجاءوا بجامين فيهما مسك فوضع أحدهما بين يدى يزيد والآخر بين يدى معاوية قال معاوية : فلم أدر كيف أصنع ثم قلت: أنظر كيف يصنع فأصنع مثله ، فكان يقلّبه فتفوحُ روائحه وأفعل مثل ذلك ، فدعا بحبابة فغنّت إلى أن غنته ذلك الصوت ،

---

(١) فى أصل المختار : « يطرب الناس » والتصويب من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : بحل قيوده .

فأخذ معاوية الوسادة ووضعها على رأسه وقام يدور ويقول: الدُّخْن بالنَّوى[1] فأمر له عِدَّة دفعاتٍ بصلات مبلغها ثمانية آلاف دينار.

نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام ومعه حبابة فقال : زعموا أنه لا يصفو لأحد يوما عيشُه إلى الليل إلا يكدره[2] شيء عليه ، وسأجرب ذلك . ثم قال لمن معه: إذا كان غداً لا تخبرونى بشىء ولا تأتونى بكتاب . وخلا هو وحبابة فأتيا بما يأكلان، فأكلتْ رُمانةً فشرِقَتْ بحبَّة منها فماتت ، فأقام لا يدفنها ثلاثا حتى تغيرت وأنتنت ، وهو يشمُّها ويَرْشُفها فعاتبه على ذلك ذَوو قرابته وعابوا عليه ما يصنع ، وقالوا : قد صارت جيفة بين يديك . حتى أذن لهم فى غسلها ودفنها ، فأخرجت فى نِطْع وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها ، فلما دُفنت قال : أصبحتِ والله كما قال كُثيِّر عزة :

فإن تَسلُ عنك النفس أو تدع الصبا ... فباليأس أسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليل رَآءنى فهو قائل ... مِنَ اَجْلِك هذا هامةُ اليوم أو غدِ

فما أقام إلَّا خمسَ عشرةَ ليلةً حتى دُفن إلى جنبها .

وجزع عليها فى بعض أيامه فقال : انْبُشُوها حتى أنظر إليها ، فقيل له : إنك تصير حديثا . فقال : لا بدَّ أن أنبشها ، فنُبِشت وكُشِف له عن وجهها وقد تغيَّر تغيُّرا قبيحا ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، اتق الله ، ألا تراها كيف صارت؟ فقال : ما رأيتها قطّ أحسنَ منها اليوم ، أخرِجُوها ، فجاء مسلمةُ ووجوه أهله فلم يزالوا به حتى أزالوه عنها ودفنوها ، وانصرف فكَمِد كَمَدًا شديدا ومات . وقيل : إنه عاش بعدها أربعين يوما .

---

(١) فى الأغانى بعدها: يعنى اللوبيا.
(٢) فى المختار : لا يكدره.

ولما ماتت وأُخرجت لم يستطع يزيد الركوب ولا المَشْى ، من الجزع ، فحُمِل على منبر على رِقاب الرجال ، فلما دُفنت قال : لم أُصَلِّ عليها ، انبشوها ، فقال مَسلمة : أَنشدُكَ اللهَ يا أمير المؤمنين ، إنما هى أمَة من الإماء ، وقد واراها الثرى .

ولم يأذن للناس بعد حَبابة إلَّا مرة واحدة ، فما استتمَّ دخولُ الناس حتى قال الحاجب : أَوْجزوا[1] رحمكم الله . ولم يلبث يزيد أن مات كَمَدًا وحزنا .

ولما ازداد جزعُه عليها أخذ جُوَيرية[2] لها كانت تخدمها ، فكانت تحدثه وتُؤْنسه وتُسَلِّيه ، فبينا هو يوما يدور فى القصر إذ قال لها : هذا الموضع الذى كُنَّا فيه أنا وحَبابة . فتمثّلَت :

كفى حَزَنًا للهائم الصبِّ أن يرى   مَنازِلَ مَنْ يَهوى مُعَطَّلَةً قَفْرَا

فبكى حتى كاد يموت . ثم لم تزل تلك الجويرية معه يذكر بها حبابة حتى مات .

---

(١) فى الأغانى : أجيزوا . وفى نهاية الأرب جه فى ترجمتها : أخرجوا .
(٢) ضم جويرية لها .

حمزة الحنفي[1]

هو حَمزة بن بِيض الحنفي شاعر إسلامي كوفي خليع ماجن من فحول طبقته من شعراء الدولة الأموية ، وكان منقطعا إلى المهلَّب بن أبي صُفْرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بُرْدَة ، واكتسب بالشعر منهم مالا عظيما ، ولم يدرك الدولة العباسية ، وقيل إنه أخذ بالشعر ألف ألف درهم من مال وحُمْلان وثياب ورقيق وغير ذلك .

وكان حمزة كثير المزاح مع أبي بُرْدَة ، فقدم عليه مرة فقال لحاجبه : استأذن لي ، فدخل الحاجب إليه فقال له : حمزةُ بنُ بِيض بالباب ، فقال له : اخرج إليه فقل له : حمزة بن بيض ابن مَنْ ؟ فقال له الحاجب ذلك ، فقال له : ادخل فقل له : الذي جئت إليه وأنت أمرد إلى بنيار الحمام[2] تسأله أن يهب لك طائرا فناكك ووهب لك طائرا . فشتمه الحاجب وقذفه وأغلظ له[3] ، فقال له : ما أنت وذلك ؟ بعثك برسالة فأخبره الجواب ، فدخل الحاجب وهو مغضب ، فلما رآه بلال ضحك وقال : مالك ؟[4] قال : قبحه الله ما كنت لأخبر الأمير بما قال ، فقال : يا هــذا ، أنت رسول

---

(١) الأغاني: دار الثقافة ١٦/١٤٣ وانظر ١٤٢ وبولاق ١٥/١٤ والساسي ١٥/١٤ والتجريد ١٧٢١ . هذا ويلاحظ أن ترتيب الأغاني تسبق فيه أخبار الحسين بن مطير على أخبار حمزة بن بيض فإن ابن مطير جاء في جـ ١٥ ص ٣٣١ دار الثقافة وحمزة بن بيض جاء في ١٦ ص ١٤٣ وتسبقه أيضا أخبار الحسين ابن علي بن أبي طالب ونسبه فقد جاءت في ١٦/٨٨ دار الثقافة فلعل نسخة ابن منظور من الأغاني تختلف في ترتيبها قليلا عن نسخ الأغاني التي بين أيدينا .

(٢) في الأغاني: بنيان الحمام وفي مخطوط منه : بيار الحمام .

(٣) جملة : « وقذفه وأغلظ له » ليست في الأغاني .

(٤) في الأغاني : ما قال لك .

فأدِّ الجواب ، فأَبَى ، فأقسم عليه حتى أخبره ، فضحك حتى فحص برجليه وقال : قل له : قد عرفنا العلامة فادْخُلْ ، فدخل . فأكرمه ورفعه وسمع مديحه وأجازه[١] وأحسن صلته . وأراد بقوله بيض ابن مَنْ قولَ الشاعر :

أنت ابنُ بيضٍ لعمرى لست أُنكره   فقد صدقت ولكن من أَبو بيضِ

فإن حمزة كان قد اختصم هو وأبو الجون السُّحَيمىّ ، وقيل : أبو الحويرث السُّحيمىّ ، فترافعا[٢] إلى المهاجر بن عبد الله الكِلابى وهو على اليَمامة ، فوثب إليه حمزة وقال :

غَمَّضْتُ فى حاجةٍ كانت تُؤَرِّقُنى   لولا الذى قُلْتَ فيها قل تَغْميضى

قال : وما قلت لك ؟ قال :

حلفتَ بالله لى أنْ سوف تُنْصِفنى   فساغَ فى الحلْق رِيقى بعد تَجْرِيضى[٣]

قال : وأنا أحلف بالله لأُنصفنَّك . قال :

سل هؤلاء أُولَى ماذا شهادتُهمْ[٤]   أم كيف أنت وأصحاب المعاريضِ

فقال : أُوجعهم ضرباً . فقال :

فاسأل لُجيما إذا وافاك أجمعهم[٥]   هل كان بالشرّ خَوْض مثل تَخويضى

فقضَى له ، فأنشأ السُّحَيمىُّ يقول :

أنت ابنُ بيضٍ لعمرى لست أُنكِره   حقًّا يَقيناً ولكن من أَبو بيضِ
إنْ كنتَ أَنْبَضْتَ لى قوسا لِترميَنى   فقد رَميتك رميا غير مَنْبُوض[٦]

(١) كلمة وأجازه ليست فى الأغانى .
(٢) كلمة « فترافعا » ليست فى الأغانى .
(٣) جرض بريقه : ابتلعه على هم وحزن .
(٤) فى الأغانى : سل هؤلاء عن أولى .
(٥) فى الأغانى : وسل سحيما إذا وافاك جمعهم وفى مخطوط منه : فاسأل لجيما .
(٦) أنبض الرامى القوس : جذب وترها . وفى الأغانى : رميا غير تنبيض .

أوَ كنتَ خَضْخضتَ لى وَطْباً لتسقينى   فقد سقيتك مَحْضا غير ممخوضِ

فوجم حمزة وقُطِع به ، فقيل له : ويلك ، ما لك لا تجيبه ؟ فقال: وَبِمَ أجيبه ؟ والله لو قلت له : عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعنى ذلك بعد قوله : ولكن من أبو بيض .

قال حمزة بن بيض : وفد الكميت بن زيد على مَخْلد بن يزيد بن المُهَلَّب وهو يَخْلُف أباه على خراسان ، وهو واليها وله ثمانى عشرَة سنة فمدحه بقصيدته التى أولها :

* هلَّاسألتَ مَعالِم الأَطلالِ *

وهى التى يقول فيها :

يَمْشِينَ مَشْىَ قَطا البِطاح تَأَوُّدًا   قُبَّ البُطون رواجح الأكفالِ

وقصيدته التى يقول فيها :

* هلَّا سألتَ منازلا بالأَبرقِ *

فأعطاه مائة ألف درهم سوى العُرُوض والحملان ، فقدم الكوفة فى هيئة حسنة لم يُرَ مثلها ، فقلت فى نفسى : لأنا والله أوْلَى من الكُميت بما ناله من مَخلد بن يزيد، وإنى لَحليفهُ وناصرُه فى العصبية على الكُميت وعلى مُضر جميعا ، فهيَّأتُ لمخلدٍ مديحا على رَوِىِّ قَصيدَتَى الكميت وقافيتهما ، ثم شخصت إليه ، فلما كان قبل خروجى إليه بيوم أتتنى جماعة من ربيعة فى خَمْس ديات عليهم لمُضر ، فقالوا: إنك تأتى مخلداً وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أنك لا تُؤثِر على نفسك ، ولكن إذا فرغ من أمرك فأعلمه مَمْشَانا إليك ومسألتنا إياك كلامه ، فنرجو أن يكون عند ظننا . فلما قدمت خراسان على مخلد أنزلنى وفرش لى وأخدمنى ، وحملنى وكسانى ، وخلطنى بنفسه ،

(١) فى ت : فعملت .

وكنت أسمر عنـــده ، فقال لى ليلة : أعليك دين يا ابن بيض ؟ فقلت : دعنى من مسألتك إياى عن الدين ، إنك أعطيت الـكميت عطية لست أرضى بأقل منهـا وإلا لم أدخل الـكوفة ولم أُعَيَّرْ بتقصيرك بى . فضحك ثم قال : بل أزيدك على ما أعطيت الـكميت . وأمر لى بمائة ألف درهم وزادنى ، وصنع بى فى سائر الألطاف كما صنع به ، فلما فرغت من حاجتى أتيته يوما وممى تَذْكِرَةُ حَاجةِ القوم فى الدِّيات ، فلما جلس أنشدته :

أتيناك فى حاجةٍ فاقْضِها ... وقُلْ مرحبا يَجِبِ المرحبُ
ولا تَـكِلَنَّا إلى معشر ... متى يَعِدوا عِدةً يكذِبوا
فإنك فى الفرع من أُسرة ... لهمْ خَضعَ الشرق والمغربُ
وفى أدب منهم ما نشأتَ ... ونِعْمَ لعمرُك ما أَدَّبُوا
بلغت لعشرٍ مضت من سِنِيهِ ... كَ ما يبلغ السَّيِّدُ الأشْيَبُ
فهمُّك فيها جسام الأُمُورِ ... وهمُّ لِداتِك أن يَلْعبوا
وجُدْتَ فقلتَ ألَا سائلٌ ... فيُعْطَى ألَا راغبٌ يرْغَبُ
فمنك العطيَّةُ للسائلينَ ... وممن ينُوبك أن يَطْلُبوا

ـ فيقال إن الـكميت حسده فقال له : يا حمزة ، أنت كمهدى التمر إلى هَجَر . فقال : نعم ، ولـكن تَمرُنا أطيب من تمر هجر ـ فقال : مرحبا بك وبحاجتك ، فما هى ؟ فأخرجت رقعة القوم وقلت : حَمالاتٌ فى ديات . فتبسم وأمر لى بعشرة آلاف درهم ، فقلت : أوْ غير ذلك أيها الأمير ، قال : وما هو ؟ قلتُ : أَدَلُّ على قبر المهلَّب حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسم ثم قال: زِدْه يا غلام عشرة آلاف أخرى . فأبيت وقلت : بل أُدَلُّ على قبر المهلَّب ، فزادنى عشرة آلاف درهم ، فما زال يكررها حتى بلغت سبْعين ألفا[١] ، فخشيت والله أن يكون يلعب أوْ يَهزأ بى ، فقلت :

(١) فى الأغانى : تسعين ألفا .

وصلك الله أيها الأمير وآجرك وأحسن جزاءك . فقال مخلد : أما والله لو أقمت على كلامك وإبائك(١) ثم أتى ذلك على خراج خراسان أعطيناكه .

قال الجاحظ : أصاب حمزة بن بيض حُصْر(٢) ، فدخل عليه قوم يعودونه وهو فى كَرْب القُولَنْج(٣) فضرط رجل منهم ، فقال حمزة : مَن هذا المُنعَم عليه ؟

مرّ عبد الرحمن بن عَنْبَسَة يوما بغلام من أصبح الغلمان وأحسنهم ، ولم يكن له ولد ، فسأل عنه فقيل : يتيم من أهل الشام قدم أبوه العراق فى بَعْثٍ فقُتِل وبقى الغلام هاهنا . فضمَّه إليه وتبنَّاه ، فوقع الغلام فيما شاء الله من الدنيا فمرّ يوما على بِرْذَوْن ومعه خدم على ابنِ بيض ، وحولَ ابنِ بيض عِيالُه فى يوم شات وهم شُعْثٌ غُبْر ، فقال ابن بيض : مَن هذا ؟ فقالوا : صدقةُ يتيمُ ابنِ عنبسة(٤) ، فقال :

يَشْعَث صبيانُنا وما يَتِمُوا ... وأنت صافى الأديمِ والحَدَقَهْ
فليت صبياننا إذا يَتِموا ... يَلقونَ ما قد لَقِيتَ يا صدقَهْ
عوَّضك اللهُ من أبيك ومن ... أُمِّك بالشام فى العِراق مِقَهْ(٥)
كفاكَ عبدُ الرحمن فَقْدَهما ... فأنت فى كسوة وفى نَفَقَهْ
تظلُّ فى دَرْمَك وفاكهة ... ولحمِ طيرٍ ما شئتَ أو مَرَقَهْ(٦)
تأوِى إلى حاضن وحاضنةٍ ... زادا على والِدَيْك فى الشفقهْ
فكُلْ هنيئاً ما عاشَ ثم إذا ... مات فَلَغْ فى الدِّماء والسَّرِقَهْ

---

(١) كلمة : « وإبائك » ليست فى الأغانى .

(٢) الحصر — كقفل وعنق — : احتباس البطن . والحصر من الغائط كالأسر من البول .

(٣) القولنج : مرض معوى مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .

(٤) فى أصلى المختار : عيينة . وسبق فى ك أن ذكرها « عنبسة » مثل الأغانى فيهما .

(٥) المقة : الحب .

(٦) الدرمك : دقيق الحوارى .

وخالف المسلمين قِبْلَتَهُمْ ‏ وضِلَّ عنهمْ وخادِن الفَسَقَهْ
واشْتَرِ نَهْدَ التَّلِيل ذا خُصَل ‏ لصوته فى الصهيل صَهْصَلَقَهْ (١)
واقطعْ عليه الطريق تَلْقَ غداً ‏ رَبَّ دنانيرَ جَمَّةٍ وَرِقَهْ (٢)

فلما مات عبد الرحمن أصابه ما قال ابنُ بيضٍ أجمعُ من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص ، ثم كان آخر أمره أنه قطع الطريق ، فأُخِذ وصُلِب .

سافر حمزة بن بيض فاضطره الليل إلى قَرْية عامرة كثيرة الأهل والمواشى من الشِّياهِ والبقر ، كثيرة الزروع ، فلم يصنعوا به خيرا ، فغدا عليهم وقال :

لعن الإلٰه قُرَيَّةً يَمَّمْتُها ‏ فأضافنى ليلا إليها المَغرِبُ
الزارعينَ وليس لى زَرْعٌ بها ‏ والحالبين وليس لى ما أَحْلُبُ
فلعلّ ذاك الزرعَ يُودِى أهلُه ‏ ولعلّ تلك الشاءَ يوما تَجْرَبُ
ولعلّ طاعونا يصيب عُلُوجَها ‏ ويُصيب ساكنها الزمانُ فتَخْرَبُ

فلم يمر بتلك القَرْية سنة حتى أصابهم الطاعون فباد أهلها وخربت ، فمرَّ بهم ابنُ بيض فقال : كلا ، زعمتم أنى لم أُعْطَ أُمْنِيَّتى ، قالوا : وأبيك لقد تمنيّتها ، فلو كنت تمَنَّيْتَ الجَنَّة كان خيرا لك ، قال : أنا أعلمُ بنفسى ، لا أتمنى ما لستُ له أهلا ، ولكنى أرجو رحمة ربى عز وجل .

خرج مرّةً أخرى فنزل بقوم فأتوه بخبز يابس ، وألقوا لبغلته تبنا ولم يحسنوا إليه ، فأعرض عنهم وأقبل على بغلته وقال :

احْسُبيها ليلةً أدلَجْتِها ‏ وكُلى إن شئتِ تِبْناً أَوْ ذَرِى
قد أتى رَبَّك خبزٌ يابسٌ ‏ فتعزَّىْ مَعَه واصْطَبِرِى

---

(١) النهد : المرتفع : والتليل : العنق . والصهصلقه : شدة الصوت . ويريد بذلك الخيل .
(٢) الرقة : الدراهم المضروبة .

قال حمزة بن بيض يوما للفرزدق: أيُّما أحبُّ إليك ؟ أن تسبق الخير أو يسبقك ؟ قال : لا أسبقه ولا يسبقنى بل نكون معا . فقال له الفرزدق : أيما أحبُّ إليك ؟ أن تدخل بيتك فتجد رجلا قابضا على حِرِ امرأتك أو تجد امرأتك قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لا بد من جوابه ، والبادى أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره قد دفعته عن نفسها .

وقع بالكوفة بين بنى حنيفة وبنى تميم شرّ حتى نشبت الحرب بينهم ، فقال رجل لحمزة بن بيض : ألَا تأتى هؤلاء القومَ فتدفعهم عن قومك فإنك ذو بيان وعارضة ! فقال :

ألَا لا تلُمْنى يا ابنَ ماهان إننى ... أخاف على فَخَّارتى أن تحطَّما
ولو أننى أبتاع فى السوق مِثلَها ... وعيشك ما بَاليتُ أن أتقدَّما

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلَّب السجنَ فأنشده :

أُغلِق دون السماح والجود والنجـ ... ـدةِ بابٌ حديدُه أَشِبُ(١)
ابنُ ثلاثٍ وأربعين مضتْ ... لا وَرَعٌ واهنٌ ولا نَكِبُ(٢)
لا بَطِرٌ إنْ تتابعتْ نِعَمٌ ... وصابرٌ فى البــلاء مُحتسبُ
برَّزْتَ سَبْقَ الجواد فى مَهَلٍ ... وقصَّرتْ دون سَعْيِك العَرَبُ

فقال : والله يا حمزة لقد أسأت إذ نوَّهت باسمى فى وقتٍ غير تنويهٍ ولا تنويل لك(٣) . ثم رفع مقعدا له تحته فرمى إليه بخرقة مصرورة وعليه صاحبُ خبرٍ واقف وقال: خذ هذا الدينارَ ، فوالله لا أملك غيره، فأخذه حمزة وأراد أن يرده، فقال له سرًّا:

(١) أشب : ملتف .
(٢) الورع : الجبان . والنكب : المائل العادل عن الطريق وغيره .
(٣) فى الأغانى : فى غير وقت تنويه ولا منزل لك .

خذه ولا تُخْدع عنه . فلما قال: لا تخدع عنه قلتُ : ما هذا دينار ، فخرجت ، فقال لى صاحب الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ فقلت : أعطانى دينارا وأردت أن أرده عليه فاستحييت منه ، فلما صرت إلى منزلى حللت الخرقة(١) فإذا فصّ ياقوت أحمر كأنه سَقْطُ زَنْد(٢) ، فقلت : والله إن عرضت هذا بالعراق ليُعْلَمَنَّ أنى قد أخذته من يزيد فيؤخذ منى ، فخرجت إلى خراسان ، فبعته لرجل يهودى بثلاثين ألفا ، فلما قبضت المال وصار الفص فى يده قال لى : والله لو أبيت إلّا خمسين ألفا لأخذته منك بها ، فكأنه قذف فى قلبى جمرة ، فلما رأى تغيُّر وجهى قال : إنى رجل تاجر ، ولست أشكُّ أنى قد غَممتُك . قلت : إى واللهِ وقتلتنى فأخرج إلىَّ مائة دينار وقال : أنفق هذه فى طريقك ليتوفر المال عليك(٣) :

قال مخلد بن حمزة بن بيض : قدِم أبى على يزيد بن المهلَّب وهو عند سليمان ابن عبد الملك فأدخله إليه فأنشده :

سـاس الخلافَةَ والداكَ كلاهما ... من بين سَخطةِ ساخطٍ أو طائعِ
أبواكَ ثم أخوكَ أصبح ثـالثـا ... وعلى جبينك نورُ مُلْكٍ رَابعِ
سَرَّيتَ خوفَ بنى المهلَّب بعدما ... نظروا إليك بسَمِّ مَوْتٍ ناقعِ
ليس الذى ولَّاكَ ربُّك منهم ... عنـد الإله وعندهم بالضـائعِ

فأمر له بخمسين ألف درهم .

قال النَّضْر بن شُميل : دخلت على المأمونِ بِمَرْوَ وعلىَّ أطمارٌ مُتَرَعْبِلَة(٤) فقال : يا نضر ، أتدخل على أمير المؤمنين بهذه الثياب ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ،

---

(١) فى الأغانى : الصرة .
(٢) أى كشعلة النار التى تقع من الزند إذا أورى .
(٣) فى الأغانى : لتتوفر عليك تلك .
(٤) مترعبلة : خلقة متمزقة .

إن حَرَّ مَرْوَ لا يدفع إلا بهذه الثياب الأخلاقِ . فقال : لا ولـكنك تتقشَّف . فتجارينا الحديثَ . فقال المأمون: حدثني هُشَيم بن بشير[١] عن أشياخه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عَوَز » ـ بفتح السين ـ فقلت : صدق أميرُ المؤمنين ، حدثني عوف الأعرابيُّ بإسناده عن الحسَن[٢] ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سِداد من عوز » ـ بكسر السين ـ وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال : السَّداد لحن عندك يا نَضْر؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وإنما هُشيم[٣] لحنَ وكان لحَّانة قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّدَاد : القَصْد في الدِّين والطريقة والسبيل ، والسِّدادُ البُلْغَة وكلُّ ما سَدَدت به شيئا فهو سِداد. تقول: سِدادُ القارُورة. قال العرجيُّ

أضاعوني وأيَّ فـتًى أضـاعوا ليوم كريهةٍ وسِـداد ثَغْرِ

فأطرق المأمون مَلِيًّا ثم قال : قبح الله من لا أدبَ له ، ثم قال : أنشدني يا نضر أَخلبَ بيتٍ قالته العرب . قال : قلت : قول حمزة بن بِيض يا أمير المؤمنين :

تقول لي والعيونُ هاجعـةٌ أَقِمْ علينـا يوما فلم أُقِمِ
أيَّ الوجوه انتجعتَ قلتُ لها لأيِّ وجهٍ إلَّا إلى الحَـكَمِ
متى يَقُلْ حاجِبـا سُرادِقِه هذا ابنُ بِيضٍ بالباب يبتسِمِ

---

(١) في المختار : « هشام بن بشر » والتصويب من الأغاني وتهذيب التهذيب ج ١١ ص ٥٩ ومعجم الأدباء : ترجمة النضر بن شميل وفيه النص . هذا، وفي الأغاني ومعجم الأدباء : حدثني هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس .

(٢) في معجم الأدباء : عن الحسن عن علي بن أبي طالب .

(٣) في المختار : هشام .

قد كُنْتُ أُسْلِمْتُ فيك مُقتِبلًا   فهاتِ أَدْحَلْ وأَعطنى سَلَمى[١]

فقال المأمون: لله درُّك كأنما شُقّ لك عن قلبي ، أنشدنى أنصف بيت قالته العرب، قلت: قول ابن أبى عروبة المَدَنى[٢]:

إنى وإن كان ابنُ عمى غائبا   لَمُزاحِمٌ من خلفه وورائِهِ[٣]

ومُفيدُه نَصرى وإن كان امرأً   مُتزحزحاً فى أرضه وسمائِـهِ

وأكون وَالِىَ سِرِّه وأصونه   حتى يَحِينَ علىَّ وقتُ أدائِـه[٤]

وإذا الحوادث أجحفت بِسَوامِهِ   قُرِنَتْ صحيحتُنا إلى جَرْبائِهِ[٥]

وإذا دعا باسمى لِيركبَ مَرْكَباً   صَعْباً قعدتُ له على سِيسائِهِ[٦]

وإذا أتى من وَجْهِهِ لِطَرِيقه[٧]   لم أطَّلع فيما وراء خِبائِـه

وإذا ارتدى ثوباً جميلا لم أَقُلْ   يا ليت أنَّ علىَّ حُسْنَ رِدائه

فقال : أحسنت يا نضر ، أنشدنى أقنع بيت قالته العرب . فأنشدته قول ابن عَبْدَلٍ الأسدىّ :

إنى امرؤٌ لم أزل وذاك من الله   قديماً أُعلِّم الأدبا

أُقيم بالدّار ما اطمأنَّت بى الدارُ   وإن كنت نازحا طَرِبا[٨]

---

(١) دحل يدحل : تباعد . وفى الأغانى : « أرحل » وفى عيار الشعر ٨٧ : فهات إذا حل أعطنى سلمى وفى طبعة بولاق للأغانى: ها أدخلن . هذا، والسلم من معانيه الأسر وتكون أسلمت بمعنى أسرت .

(٢) القصيدة منسوبة للهذيل بن مشجعة البولانى فى شرح الحماسة للمرزوقى ص ١٦٨٠ .

(٣) فى الأغانى : لمراجم .

(٤) فى الأغانى : حتى يجىء على .

(٥) فى ت : إلى دبرائه .

(٦) السيساء: الظهر.

(٧) فى الأغانى: بطريقة .

(٨) فى الأغانى : مازحا طربا وانظر شرح المرزوقى ص ١٢٠٥ .

لا أجتوى خُـلَّة الصديق ولا   أُتبعُ نفسى شيئا إذا ذهبا[(١)]
أَطلب مايطلب الـكريم من الرز   ق لنفسى وأُجْملُ الطَّلَبَا
وأحـــلب الدَّرَّة الصَّفِىّ ولا   أَجْهَدُ أخلاف غيرِها حَلَبــا[(٢)]
إنى رأيت الفتى الـكريم إذا   رَغَّبْتَه فى صَنِيعـــةٍ رَغِبــا
والعبدُ لا يَطلبُ العَلاء ولا   يُعطيك شيئا إلَّا إذا رَهِبــا
مثلُ الحمارِ المُوَقَّـعِ السَّوْء لا   يُحسِن شيئــا إلَّا إذا ضُرِبا[(٣)]
ولم أجد غُرَّةَ الخلائق   إلَّا الدينَ لما اعتبرتُ والحسَبا[(٤)]
قد يُرزق الخافضُ المُقيم وما   شَدَّ لِعيسٍ رَحْلًا ولا قَتَبــا[(٥)]
ويُحْرَم الرزقَ ذُو المَطِيَّة والرحْ   لِ ومن لا يزال مُغترِبا

فقال : أحسنت يا نضر ، وكتب إلى الحسن بن سهل[(٦)] لى بخمسين ألف درهم وأمر الخادم بإيصال رقعته وتنجيز ما أمر به لى فَمَضيتُ معه إليه ، فلما قرأ الرقعة ضحك ثم قال : يا نضر ، أنت المُلَحِّنُ لأمير المؤمنين ؟ قلت : لا بل لُهشيم[(٧)] قال: فذاك إذاً ، فأطلق لى الخمسين ألفا ، وأمرلى بثلاثين ألفا أخرى.

كان حمزة بن بيض يُسامر عبد الملك بن بِشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبث به كثيرا ، فوجَّه إليه ليلة برسول وقال : خُذْه على أَيَّة حالة وجَدْتَه وحلِّفه

---

(١) فى المختار : ولا أمنع نفسى .

(٢) الدرة هنا تـكون بمعنى الدارة. وفى الأغانى : الثرة وهى الغزيرة . والصفى أيضا الغزيرة . والأخلاف : الأثداء .

(٣) الموقع: الذى بظهره آ ثار دبر أو هو المذلل.

(٤) فى الأغانى : عروة الخلائق وفى ت: خيرة الخلائق .

(٥) فى الأغانى : شد بعنس رحلا .

(٦) فى بعض نسخ الأغانى : وكتب إلى الفضل بن سهل .

(٧) و فى المختار : قلت : لهشام .

على ذلك وغلّظ الأيمان ، فمضى الرسول وهجم عليه ، فوجده يريد أن يدخل الخلاء فقال : أجِبْ الأمير ، فقال: ويحك ، إنى أكلت طعاما كثيرا ، وشربت نبيذا حُلوا. وقد أخذنى بطنى . فقال : والله ما تفارقنى أو أمْضِيَ بك إليه ولو سَلَحْت فى ثيابك. فجهد فى الخلاص فلم يقدر عليه ، ومضى به إلى عبدالملك فوجده قاعدا فى طارمة[1] له ، وجارية يتحظّاها جميلة جالسة بين يديه تُبخّر بالنَّدّ[2] ، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه ، قال : فعَرَضَتْ لى رِيحٌ ، فقُلْتُ أُسَرِّحها لأستريح ، ولعلّ رِيحها لا يظهر مع هذا النَّدّ ، فأطلقتها ، فغلبت ريحَ الند وغَمَرَتْه ، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : علىَّ عهدُ الله وميثاقه والمَشْىُ والهَدْىُ إن كنتُ فعلتُها . قال : وما حلفتَ به علىَّ إن كنتُ فعلتها ، وما هذا إلا عملُ هذه الجارية الفاجرة . وغضب ، وخجلت الجارية فما قدرت على الكلام . ثم جاءتنى أخرى فسرَّحتُها فسطع ريحها ، فقال : ما هـذا ويلك ؟ أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق ثلاثا إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه اليمين لازمة لى إن كنت فعلتها ، وما هو إلا عمل هـذه الجارية . ثم قال : ويلكِ ما قِصَّتُك ؟ قومى إلى الخلاء إن كنتِ تجدين شيئا[3] ، فزاد خجلُها وطمعتُ فيها ، فسرَّحْتُ الثالثة ، فسطع من ريحها ما لم يكن فى الحساب ، فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جِلْده ثم قال : خُذْ يا حمزة بيد الزانية فقد وهبتها لك وامضِ فقد نغَّصَتْ علىَّ ليلتى ، فأخذت بيدها وخرجت ، فلقينى خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت : أمضى بهذه ، فقال : لا تفعل ، فوالله إن فعلتَ ليُبغضَنَّك بُغْضًا شديداً لا تنتفع به بعده أبدا ، وهـذه مائة دينار ، فخذها ، ودع الجارية

---

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

(٢) فى الأغانى : تسجر الند .

(٣) فى الأغانى : تجدين حسا .

فإنه يتحظاها، وسيندم على هبته لك إياها ، فقلت: لا أنقصك من خمسمائة دينار شيئا، فقال : ليس غير ما قلت لك[١] ، فلم تطب نفسى أن أضيعها فقلت: هاتِها . فأعطانيها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك ، فلما قربت منه[٢] لقينى الخادم فقال : هل لك فى مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرُّك ولعله ينفعك ؟ قلت : وما ذاك[٣] ؟ قال : إذا دخلت إليه اعترفت بالثلاث فسوات ونسبتَها إلى نفسك وتدفع عن الجارية ما رَمَيْتَها به[٤] . قلت : هاتِها ، فدفعها إلىَّ ، فدخلت على عبدالملك فلما وقفت بين يديه قلت له : الأمان[٥] حتى أخبرك بخبر يضحكك ويسرك. قال : لك الأمان ، قلت : أرأيت ليلة كذا وكذا وما جرى[٦] ؟ قال : نعم ، قلت : فعلىَّ وعلىَّ إن كان فَسَا تلك الفسواتِ غيرى فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ، ولِمَ لم تخبرنى؟ فقلت له : أردت بذلك خِصالا : منها أنى قمت فقضيت حاجتى، وكان رسولك قد منعنى من ذلك ، ومنها أنى أخذت الجارية ، ومنها أنى كافأتك على أذاك لى بمثله . قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا خرجْتُ[٧] حتى سلمتها إلى فلان الخادم وأخذت مائتى دينار . فسُرَّ بذلك وأمر لى بمائتين أخرى وقال : هذه لجميل فعلك بى وردّ الجارية علىّ[٨] .

---

(١) فى الأغانى : فلم يزل يزايدنى حتى بلغ مائتى دينار وقال: ليس إلا ما قلت لك .

(٢) فى الأغانى : فلما قربت من داره .

(٣) فى المختار : وماذا .

(٤) فى الأغانى : ادعيت عنده الفسوات الثلاث ونسبتها إلى نفسك وتنضح عن الجارية ما قرفتها به .

(٥) فى الأغانى إلى الأمان .

(٦) فى الأغانى : ليلة ليلةٍ وما جرى .

(٧) فى ت : ولا خرجت عنها وقد سلمتها .

(٨) فى الأغانى : وتركك أخذ الجارية .

قال حمزة بن بيض: ودخلت إليه يوما ، وكان له غلام لم يَرَ الناسُ أنتنَ إبْطاً منه ، فقال لى : يا حمزة ، سابِقْ غلامى هذا حتى يفوح صُنانـكما ، فأيكما كان صُنانه أكثر فله مائة دينار ، فطمعت فى المائة ويئست منها ، لما أعلمه من نتن إبط الغلام ، فقلت : أفعل ، وتعادينا ساعة فسبقنى ، فسَلَحتُ فى يدى ثم طليت إبطى بالسُّلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حَـكَما يُخبره بالقصّة ، فلما دنا الغلام منه وشمه وثب وقال : هذا والله لا يُشاكله شيء ، فصحت به : لا تعجل علىّ بالحـكم مكانَك ، ثم دنوت إليه فألقَمْت أنفه إبطى حتى علمت أنه قد خالط دِماغه ، وأنا ممسك رأسه تحت إبطى ، فصاح : الموت ، هذا والله بالـكنيف أشبه منه بالآباط . فضحك عبد الملك ثم قال : أفحـكمت له ؟ قال : نعم ، فأخذت الدنانير .

قدم حمزة بن بِيض على مَخْلَد بن يزيد بن المُهلَّب ، فوعده أن يصنع به خيرا ، ثم شغل عنه ، فاختلف إليه مرارا فلم يصل ، وأبطأت عليـه عِدَتُه ، فقال حمزة ابن بيض :

أمَخْلَدُ إن الله ما شاء يَصنعُ ... يجـودُ ويُعطى من يشاء ويَمنعُ
وإنّىَ قد أمّلْت منك سحابةً ... فجادت سرابا فوق بيداءَ تَلْمَعُ
فأزمعت صُرْما ثم قلتُ لعلّه[1] ... يُثيبُ إلى أمر جميـل ويرجعُ
وأيأسنى من خـيرِ مَخْلَدَ أنه ... على كلّ حال ليس لى فيـه مَطمعُ
يجـود لأقوامٍ يَوَدُّون أنه ... من البُغْض والشّنْآنِ أمْسَى يُقطَّعُ
ويَبخل بالمعروف عَمّن يودُّه ... فوالله ما أدرى به كيف أصنـعُ
أأصرِمه فالصُّرْم شرٌّ مَغَبّـةً ... ونفسى إليه بالوصال تَطَلّـعُ

(١) فى الأغانى : فأجمعت أمرا

وشتّانَ بيني في الوصال وبينـــه على كل حالٍ أستقـيم ويَظْلَـعُ(١)
فأعقبني صُرْماً على غير إحْنةٍ وَبُخْلًا وقِدْماً كان لي يَتبرّعُ
وغَيّره ما غــيّرَ الناسَ قبله ونفسي بمـا يأتي به ليس تَقْنَعُ

ثم كتبه في قرطاس وختمه وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه ، فلما قرأها سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ فقال : لا أعرفه ، فأحضره وقال : من أعطاك الكتاب ؟ قال : لا أدرى من هو ، إلا أن من صفته كذا وكذا ، ووصفه صفة ابن بيض . فأمر به فضُرب عشرين سوطا على رأسه ، وأمر له بخمسمائة درهم وكساه وقال : إنما ضربناك أدَباً لك ، لأنك حَمَلت كتابا لم تدر ما فيه لمن لا تعرف ، فإياك أن تعود لمثلها . فقال ؟ لا والله لا أعود لمثلها ولا أحمل كتابا لمن أعرف ولا لمن لا أعرف أبدا . فقال احذر فليس كل أحد يفعل بك فعلى(٢) ، وبعث إلى ابن بيض فقال : أتعرف ما لحق صاحبَك الرَّجلَ ؟ فقال : لا ، فحدثه مخلدٌ بقصته . فقال ابن بيض : لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين السوط مع الخمسمائة أبدا . فضحك مخلد وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب وقال : أنت لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدا . قال : أجل والله ، ولكن من لى بمن يُعْتِبنى إذا استعتبت ويفعل بى مثل فعلك . ثم قال :

وأبيض بُهلولٍ إذا جئت داره كفانى وأعطانى الذى جئت أسألُ
ويُعتبنى يوما إذا جئتُ عاتباً وإن قلت زِدْنى قال إنى سأفعلُ(٣)

---

(١) فى ت ومخطوط من الأغانى: أستقل ويظلع. وبهامش ك : أستقيم . هذا ، وفى الأغانى بعده بيت .

(٢) فى الأغانى : يصنع بك صنيعى .

(٣) فى الأغانى : قال حقا سأفعل .

تَراه إذا ما جِئْته تَطلبُ النَّدَى كأنك تعطيه الذى أنت تسألُ(١)
فلِلّهِ أبناء المهلَّب فتيةً إذا لَقِحَتْ حَربٌ عَوَانٌ تأكّلُ
هم يَصطلون الحربَ والموتُ كانعٌ بسُمْر القنا والمَشْرَفِيَّة مِن عَلُ(٢)
ترى الموتَ تحت الخافقات أمامهمْ إذا وردوا عَلُّوا الرِّماحَ وأنْهلوا
يجودون حتى يحسب الناسُ أنهمْ لجودِهِمُ نَذْرٌ عليهمْ مُحلَّلُ(٣)

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وقال: نزيدك ما زدتنا ونُضعف ذلك(٤) فقال :

أمخلدُ لم تتركْ لنفسى بَقيَّةً(٥) وزدت على ما كنتُ أرجو وآمُلُ
فكنتَ كما قد قال معنٌ وإنه بصيرٌ بما قد قال إذ يتمثّلُ
رأيتُ كثيرَ المال إنْ ضَنَّ مُعدِماً(٦) يُذَمُّ ويَجْفوه الصديقُ المُؤَمِّلُ
وإن أحقَّ الناس بالجود من رأى أباه جَواداً للمكارم يُجْـزِلُ(٧)
وجدتَ يزيـداً والمهلَّبَ برَّزا فقلتَ فإنى مثل ذلك أفعـلُ
ففزتَ كما فازا وجاوَزْتَ غايةً يُقَصِّرُ عنها السابقُ المتمهِّلُ(٨)
فأنت غِياثٌ لليتامى وعِصْمـةٌ إليك رِحالُ الطّالبى الخيرِ تُرْحَلُ

---

(١) فى الأغانى : الذى جئت تسأل .
(٢) كانع : مشمر مجد . والمشرفية: السيوف .
(٣) بعده فى الأغانى أربعة أبيات .
(٤) فى الأغانى : ونضعف لك .
(٥) فى الأغانى : لنفسى بغية.
(٦) فى الأغانى : وجدت كثير المال .
(٧) فى بعض نسخ الأغانى : « للمكارم يجذل » أى يفرح ويهش . وبعده فى الأغانى بيت .
(٨) كذا أيضا فى الأغانى ولعلها : السابق المتعجل .

أصاب الذى يَرْجو فَدَاك مُخِيلةٌ تَصُبُّ عَزَالِيها عليـه وتَهطِلُ[١]
ولم تُلْفَ إذْ أرجو نوالَك باخلا يظل عن المعروف والمـال يَغْفُلُ[٢]
وموتُ الفتى خيرٌ له من حياته إذا كان ذا مال يَضِنُّ ويبخلُ

فقال له مخلد : احتكم ، فأبَى ، فأعطاه ألفى دينارٍ وجارية وبرذونا .

كان حمزة بن بيض ظريفا مطبوعا[٣] فشاتَم حمَّادَ بنَ الزِّبرقان وسابَّه ، فمشى بينهما الرجال حتى اصطلحا ، وكانا كلاهما صاحب شراب وظرف ومكان ، وكان حماد مُتَّهما بالزندقة فدخلا يوما على بعض وُلاة الكوفة ، فقال لابن بيض : أراك قد صالحت حمادًا فقال ابنُ بيض : نعم أصلح الله الأمير ، قد صالحته على أن لا آمره بالصلاة ولا ينهانى عنها .

---

(١) المخيلة: السحابة المنذرة بالمطر. والعزالى : مصبات الماء من القرب ونحوها وصبت السماء عزاليها : إشارة إلى شدة وقع مطرها .

(٢) فى الأغانى :

ولم تلف إذ رَجَّوْا نوالك باخلا تظل على المعروف والمـال تعقل

هذا ، وتعقل : تشده بحبل .

(٣) فى الأغانى : كان حمزة بن بيض شاعراً ظريفا .

فهرست تراجم الكتاب



